

الزُهَّانُ
فِي سُبُوحِ الْقُرْآنِ
للإمام أبي القاسم محمد بن عبد الله الزركشي

تصنيف
مؤيد الفخر إبراهيم

الجزء الثالث

دار المعرفة

بيروت - لبنان

البرهان في علوم القرآن

للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي

تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الثالث

الطبعة الثانية
[منقحة محررة]

الناشر
دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القسم الحادي عشر

المثنى وإرادة الواحد (*)

كقوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾^(١) ؛ وإنما يخرج من أحدهما .
ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيبًا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾^(٢) ، وإنما تخرج الحلية من « الملح »^(٣) ، وقد غلط في هذا المعنى أبو ذؤيب الهذلي حيث ، قال يذكر الدرّة :

فجاء بها ما شئت من لَطْمِيَّةٍ يَدُومُ الفرات فوقها ويموج^(٤)
والفرات لا يدوم فوقها ؛ وإنما يدوم الأجاج .

وقال أبو علي في قوله تعالى : ﴿ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾^(٥) : إن ظاهر اللفظ يقتضي أن يكون من مكة والطائف جميعاً ؛ ولما لم يمكن أن يكون منهما ، دل المعنى على تقدير : « رجل من إحدى القريتين » .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾^(٦) أي في إحداهن .

* تابع أقسام التوكيد ؛ وهو الأسلوب الأول من أساليب القرآن ، المندرجة تحت النوع السادس والأربعين ؛ وأوله في الجزء الثاني ص ٢٨٢

(١) سورة الرحمن ٢٢

(٢) سورة فاطر ١٢

(٣) وهو المذكور في أول الآية من قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ

سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ . . . ﴾

(٤) ديوان الهذليين ١ : ٥٧ . واللطمية : الدرّة المنسوبة إلى اللطمية ؛ وهي السوق التي تباع فيها العطريات . ويدوم الفرات ؛ من دام الماء بمعنى سكن وركد . وروى بعضهم : « تدوم البجار » مكان « الفرات » ؛ وبهذا يسلم البيت من النقد . وانظر ديوان الهذليين وحواشيه .

(٥) سورة الزخرف ٣١

(٦) سورة نوح ١٦

وقوله تعالى: ﴿ نَسِيًا حُوتَهُمَا ﴾^(١) ، والناسي كان يوشع ، بدليل قوله موسى : ﴿ فَبَئِى نَسِيتُ الْحُوتَ ﴾^(١) ؛ ولكن أضيف النسيان لهما جميعا لسكوت موسى عنه .
 وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾^(٢)
 والتعجيل يكون في اليوم الثاني ، وقوله : ﴿ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ ، قيل : إنه من هذا أيضاً ، وإن موضع الإثم والتعجيل يجعل المتأخر الذي لم ينصّر مثل ما جعل للمنصّر .
 ويحتمل أن يراد : لا يقولن أحدهما لصاحبه: أنت مفصّر ؛ فيكون المعنى : لا يؤثّم أحدهما صاحبه .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا بُوَيْهَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ ﴾^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ ﴾^(٤) ، أى أحدهما ، على أحد القولين .

وقوله : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾^(٥)

فالجناح على الزوج لأنه أخذ ما أعطى ؛ قال أبو بكر الصيرفي : المعنى : فإن خيف من ذلك جازت الفدية ، وليس الشرط أن يجتمعا على عدم الإقامة .

وقوله تعالى : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾^(٦) ، قيل هو خطاب للملك . وقال الزبير : ثنا على

« ألق » ، والمعنى : ألق ألق^(٧) ، وكذلك القول في « قفا »^(٨) وخالفه أبو إسحاق ،

وقل : بل هو مخاطبة للمدككين .

(٢) - سورة البقرة ٢٠٣

(٤) - سورة الأعراف ١٩٠

(٦) - سورة ق ٢٤

(١) سورة الكهف ٦١ ، ٦٣

(٣) سورة النساء ١١

(٥) سورة البقرة ٢٢٩

(٧) نقله صاحب الكشاف : : : ٣٠٧ ، والمبارة فيه : لأن تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل :

لاتحادها كأنه قيل : ألق ، ألق .

(٨) يشير إلى ما نقله صاحب الكشاف أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان ؛ فكثير على

الستهم أن يقولوا : خابلي وصاحبي ، وقفا وأسعدا ؛ حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين .

وقال الفراء في قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾^(١) قال : يخاطب الإنسان مخاطبه بالتثنية .

وجعل منه قوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾^(٢) : وقوله تعالى : ﴿ جَنَّاتٍ ﴾^(٣) فقيل : جنة واحدة بدليل قوله تعالى^(٤) آخر الآية : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ ﴾^(٥) فأفرد بعد ماثنى .

وقوله : ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكْتَاهَا ﴾^(٦) فإنه ماثنى هنا إلا للإشعار بأن لها وجهين ، وأنتك إذا نظرت عن يمينك ويسارك رأيت في كلتا الناحيتين مائلاً يمينك قرّة ، وصدرك مسرّة .

وقوله تعالى : ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾^(٧) وإنما المتخذُ إلها عيسى دون مريم ؛ فهو من باب « والنجوم الطوائع »^(٨) قاله أبو الحسن ، وحكاها عنه ابن جنى في كتاب « القدر » وعليه حمل ابن جنى وغيره قول امرئ القيس :

* قَفَا نَبِكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ *^(٩)

(١) سورة الرحمن ١٣

(٢) سورة الرحمن ٦

(٣) سورة الكهف ٣٢ : والآية : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ

مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ . . . ﴾

(٤) كذا في الأصل ؛ ولعل صواب العبارة : « بعد هذه الآية » .

(٦) سورة الكهف ٣٣

(٥) سورة الكهف ٣٥

(٨) إشارة إلى بيت الفرزدق :

(٧) سورة المائدة ١١٦

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَرَاهَا وَالنَّجُومِ الطَّوَالِعِ

ديوانه ٥١٩ ، و « لنا قراها » يريد الشمس والقمر ، وانظر جنى الجنتين ١٢٧

(٩) ديوانه ٨ وبقية :

* بِسَقَطِ اللَّوِيِّ بَيْنَ الدَّخُولِ وَحَوْمَلِ *

ويؤيده قوله بعده :

* أَصَاحِ تَرَى بَرَقًا أُرِيكَ وَمِيضَهُ *^(١)

وقول الفرزدق :

عَشِيَّةً سَأَلَ الْمِرْبَدَانَ كَلَامَهَا
وإنما هو مرّ بد البصرة فقط .

وقوله : « ودار لها بالرقمتين »^(٢)

وقوله : « ببطن المكتنين »^(٣)

وقول جرير :

لَمَّا مَرَرْتُ بِالْدَّيْرَيْنِ أَرْقَنِي صَوْتُ الدَّجَاجِ وَقَرَعُ النَّوَاقِيسِ^(٤)
قالوا : أراد « دير الوليد »^(٥) ؛ ففناه باعتبار ما حوّه .

القسم الثاني عشر

إطلاق الجمع وإرادة الواحد

كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾^(٦) ، إلى قوله : ﴿ فَذَرَهُمْ

(١) ديوانه ٢٤ وبقية :

* كَامَعَ الْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلٍ *

(٢) ديوانه ٨٦١ ؛ وروايته : « عجاجة موت » . (٣) من قول زهير :

وَدَارِ لَهَا بِالرَّقَمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَّاجِعُ وَشَمِّ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمٍ

ديوانه ٥ . والرقمتان : روضتان بناحية الصمان ؛ وهو هنا من المثنى الحقيقي ؛ فلا يكون موضعا للشاهد .

(٤) أورد المرتضى منه قول الشاعر :

فَقُولَا لِأَهْلِ الْمَكْتَنِ تَمَاشِدُوا وَسِيرُوا إِلَى آطَامِ يَثْرِبَ وَالنَّخْلِ

الأمالي ٢ : ١٨٤

(٥) ديوانه ٣١١

(٦) سورة « المؤمنون » ٥١

(٧) دير الوليد ؛ بالشام ، قاله ياقوت .

فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١﴾ ، قال أبو بكر الصيرفي : فهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده ؛ إذ لا نبي معه ولا بعده .

ومثله : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴾ (٢) الآية ، وهذا مما لا شريك فيه ، والحكمة في التعبير بصيغة الجمع أنه لما كانت تصاريف أفضيته سبحانه وتعالى تجرى على أيدي خلقه نزلت أفعالهم منزلة قبول القول بمورد الجمع .

وجعل منه ابن فارس قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٣) ، والرسول كان واحدا ، بدليل قوله تعالى : ﴿ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ ﴾ (٤) . وفيه نظر ؛ من جهة أنه يحتمل مخاطبة رئيسهم ، فإن العادة جارية - لاسيما من الملوك - ألا يرسلوا واحدا .

ومنه : ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ أَمَّا خِفَتِكُمْ ﴾ (٥) وغير ذلك ؛ وقد تقدم في وجوه المخاطبات (٦) .

ومنه : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ﴾ (٧) ، والمراد جبريل . وقوله : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (٨) ؛ والمراد محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ﴾ (٩) ؛ والمراد بهم ابن مسعود الثقفي (١٠) ؛ وإنما

- | | |
|-----------------------|----------------------------------|
| (١) سورة المؤمنون ٥٤ | (٢) سورة الزخرف ٣٢ |
| (٣) سورة النمل ٣٥ | (٤) سورة النمل ٣٧ |
| (٥) سورة الشعراء ٢١ | (٦) الجزء الثاني ص ٢١٧ وما بعدها |
| (٧) سورة النحل ٢ | (٨) سورة النساء ٥٤ |
| (٩) سورة آل عمران ١٧٣ | |

(١٠) روى أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد : يا محمد ، موعدنا موسم بدر القابل إن شئت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن شاء الله ؛ فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران ؛ فأتى الله الرعب في قلبه ؛ فبداله أن يرجع ، فلقى نعيم بن مسعود الأشجعي - وقد قدم معتمرا - فقال : يا نعيم ؛ إني واعدت محمدا أن نلتقي بموسم بدر ، وإن هذا عام جدب ، ولا يصلحنا =

جاز إطلاق لفظ « الناس » على الواحد؛ لأنه إذا قال الواحد قولاً وله أتباع يقولون مثل
- قوله ، حَسَنَ إِضَافَةٌ ذَلِكَ الْفِعْلُ إِلَى الْكُلِّ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ
فِيهَا ﴾ (١) ، ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى إِنَّ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (٢) وَالْقَائِلُ
ذَلِكَ رَهُوسُهُمْ . وَقِيلَ : الْمُرَادُ بِالنَّاسِ رَكْبٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ (٣) دَسَمَهُمْ أَبُو سَفْيَانَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ
وَضَمَّنَ لَهُمْ عَلَيْهِ جَعَلًا ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُمَا (٤) .

القسم الثالث عشر

إطلاق لفظ التثنية والمراد الجمع

كقوله تعالى : ﴿ تُمْ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ (٥) فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ لَفْظَ التَّثْنِيَةِ
فَهُوَ جَمْعٌ ، وَالْمَعْنَى « كَرَاتٍ » لِأَنَّ الْبَصَرَ لَا يَحْسُرُ إِلَّا بِالْجَمْعِ .
وَجَعَلَ مِنْهُ بَعْضُهُمْ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ ﴾ (٦)

القسم الرابع عشر

التكرار على وجه التأكيد

وهو مصدر كرر إذا ردّد وأعاد ؛ هو « تَقَعَّلَ » بفتح التاء ؛ وليس بقياس ، بخلاف

التفعيل .

= إِلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن ، وقد بدا لي ، ولكن إن أخرج محمد ولم أخرج زاده ذلك
جراءة ، فالحق بالمدينة وثبطهم ولك عندي عشر من الإبل . فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم :
ما هذا بالرأى ، أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريدا ؛ فتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا
لكم عند الموسم ؛ فوالله لا يفلت منكم أحد . . الكشاف ١ : ٣٣٩ - ٣٤٠

(٢) - سورة البقرة ٥٥

(١) سورة البقرة ٧٢

(٣) قيل : مر بأبي سفيان ركب من عبد القيس ؛ يريدون المدينة للميرة ؛ فجعل لهم حمل بعير من زبيب
إن تبطوهم ؛ فكروه المسلمون الخروج ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم
يخرج معي أحد ؛ فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون : حسبنا الله ونعم الوكيل . الكشاف ١ : ٣٤٠

(٥) - سورة الملك :

(٤) تفسير الطبري ٧ : ٤٠٩

(٦) سورة البقرة ٢٢٩

وقال الكوفيون : هو مصدر « فَعَّلَ » والألف عوض من الياء في التفعيل .

والأول مذهب سيبويه .

وقد غلطَ مَنْ أنكر كونه من أساليب الفصاحة، ظنا أنه لا فائدة له ؛ وليس كذلك بل هو من محاسنها ، لاسيما إذا تعلق بعبءٍ ببعض ؛ وذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذ أبهت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه، كررتة توكيدا، وكأنها تقيم تكراره مقام القسم عليه ، أو الاجتهاد في الدعاء عليه ، حيث تقصد الدعاء ؛ وإنما نزل القرآن بلسانهم ، وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض ، وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في مجزئهم عن المعارضة . وعلى ذلك يحتمل ماورد من تكرار المواعظ والوعيد والوعيد ، لأن الإنسان مجبول من الطبائع المختلفة ، وكلها داعية إلى الشهوات ، ولا يقيم ذلك إلا تكرار المواعظ والقوارع ، قال تعالى : ﴿ وَاقْدُرْ بَسْرُنَا الْقُرْآنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (١) قال في « الكشاف » (٢) : أي سهلناه للادكار والاعتاظ بأن نسجنه (٣) بالمواظظ الشافية وصرّفنا فيه من الوعد والوعيد .

ثم تارة يكون التكرار مرتين ؛ كقوله : ﴿ فَاقْتُلْ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ (٤) .

وقوله : ﴿ أُولَى لَكَ فَأُولَى . ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى ﴾ (٥) .

وقوله : ﴿ لَتَرُونَ الْجَحِيمَ . ثُمَّ لَتَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ (٦) .

وقوله : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ (٧) .

(١) سورة القمر ١٧

(٢) الكشاف : « شجنه » .

(٣) سورة القيامة ٣٤ ، ٣٥

(٤) سورة النبأ ٤ ، ٥

(٥) الكشاف : ٣٤٦

(٦) سورة المدثر ١٩ ، ٢٠

(٧) سورة التكاثر ٦ ، ٧

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ
الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ (١) .
وقوله : ﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ ﴾ (٢) .

وفائدته العظمى (٣) التقرير ، وقد قيل : الكلام إذا تكرر تقرر .

وقد أخبر الله سبحانه بالسبب الذي لأجله كرر الأفاضل والأخبار في القرآن (٤) فقال :
﴿ وَالْقَدْ وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٥) .

وقال : ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ (٦) .

وحقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى ؛ خشية تناسي الأول ، لطول العهد به .

فإن أعيد لا لتقرير المعنى السابق لم يكن منه ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ
أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ . قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ
عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي . فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ
دُونِهِ ﴾ (٧) .

فأعاد قوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾ (٧) بعد قوله : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ

أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ ، لا لتقرير الأول ؛ بل لغرض آخر ؛ لأن معنى الأول

الأمر بالإخبار أنه مأمور بالعبادة لله والإخلاص له فيها ، ومعنى الثاني أنه يخص الله

وحده دون غيره بالعبادة والإخلاص ؛ ولذلك قدم (٨) المفعول على فعل العبادة في الثاني ،

(٢) سورة التوبة ٦٩

(٤) ت : فيه .

(٦) سورة طه ١١٣

(٨) ت : تقدم .

(١) سورة آل عمران ٧٨

(٣) ١ : ومن الفوائد العظمى التقرير .

(٥) سورة القصص ٥١

(٧) سورة الزمر ١١ - ١٥

وأخر في الأول ؛ لأن الكلام أولا في الفعل ؛ وثانيا فيمن فُعل لأجله الفعل .
واعلم أنه إنما يحسن سؤال الحكمة عن التكرار إذا خرج عن الأصل ، أما إذا وافق
الأصل فلا ؛ ولهذا لا يتجه سؤالهم : لِمَ كرر « إياك » في قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ﴾^(١) .

ف قيل : إنما كررت للتأكيـد ، كما تقول : « بين زيد وبين عمرو مالٌ » .
وقيل : إنما كررت لارتفاع أن يتمم - إذا حذف - أن مفعول « نستعين » ضمير
متصل واقع بعد الفعل ، فتفوت إذ ذاك الدلالة على المعنى المقصود ، بتقديم المفعول على عامله .
والتحقيق أن السؤال غير متجه ؛ لأن هنا عامين متغايرين ، كلٌّ منهما يقتضى
معمولا ، فإذا ذكر معمول كل واحد منهما بعده فقد جاء الكلام على أصله ، والحذف
خلاف الأصل ، فلا وجه للسؤال عن سبب ذِكْرِ ما الأصلُ ذكره ، ولا حاجة إلى تكلف
الجواب عنه ، وقس بذلك نظائره .

[فوائد التكرير]

وله فوائد :

أحدها : التأكيـد ؛ واعلم أن التكريرَ أبلغُ من التأكيـد ، لأنه وقع في تكرار
التأسيس ؛ وهو أبلغُ من التأكيـد ، فإن التأكيـد يقرر إرادة معنى الأول وعدم التجوز ،
فلهذا قال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴾^(٢) : إن الثانية تأسيس لا تأكيـد ؛ لأنه جعل الثانية أبلغ في الإنشاء فقال : وفي
﴿ ثُمَّ ﴾ تنبيه على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول .

(١) فاتحة الكتاب ٣

(٢) سورة النكاثر ٣ ، ٤

وكذا قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ . ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿^(۱)﴾ ،
وقوله: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿^(۲)﴾ ، يحتمل أن يكون منه، وأن يكون
من المتماثلين .

والحاصل أنه : هل هو إنذار تأكيد ^(۳) ، أو إنذاران ؟ فإن قلت : « سوف تعلم ،
ثم سوف تعلم » كان أجود منه بغير عطف ؛ لتجريه على غالب استعمال التأكيد ، ولعدم
احتماله لتعدد المخبر به .

وأطلق بدر الدين بن مالك في شرح « الخلاصة ^(۴) » أن الجملة التأكيدية
قد توصل بعاطف ، ولم تختص بتم ، وإن كان ظاهر كلام والده التخصيص ؛ وليس كذلك ؛
فقد قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا
اللَّهَ ﴾ ^(۵) ، فإن المأمور فيهما واحد ، كما قاله النحاس والزمخشري والإمام نجر الدين والشيخ
عز الدين ، ورجحوا ذلك على احتمال أن تكون « التقوى » الأولى مصروفة لشيء غير
« التقوى » الثانية ، مع شأن إرادته .

وقولهم : إنه تأكيد ، فإرادهم تأكيد المأمور به بتكرير الإنشاء ، لأنه تأكيد
لفظي ، ولو كان تأكيدا لفظيا لما فصل بالعطف ، ولما فصل بينه وبين غيره : ﴿ وَلْتَنْظُرْ
نَفْسٌ ﴾ ^(۵) .

فإن قلت : « اتقوا » الثانية معطوفة على « ولتنظر » .

(۲) سورة المدثر ۱۹ ، ۲۰

(۱) سورة الانقطار ۱۷ ، ۱۸

(۳) ت : « مؤكد » .

(۴) هو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن مالك المتوفى سنة ۶۸۰ : شرح الألفية المعروفة

بالخلاصة في النحو : وهو شرح منقح اشتهر بشرح ابن المصنف ؛ خطأ والده في بعض المواضع . كشف

الظنون ۱۵۱

(۵) سورة الحشر ۱۸

أجيب بأنهم قد انفقوا على أن : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾^(١) ، معطوف على ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾^(١) ، لا على قوله : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾^(١) ؛ وهو نظير ما نحن فيه .

وقوله تعالى : ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾^(٣) ويحتمل أن يكون « اصطفاء بن » و « ذكر بن » ، وهو الأقرب في الذكر ، لأنه محل طلب فيه تكرار الذكر .

وكتوله تعالى حكاية عن موسى : ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا . وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾^(٤) . وقوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَشْغَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾^(٥) ، كرر « أولئك » .

وكذلك قوله : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٦) . وكذا قوله : ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي . . . ﴾^(٧) إلى قوله : ﴿ مِنْ الْمُصَلِحِينَ ﴾^(٧) ، كررت « أن » في أربع مواضع تاكيذا .

وقوله : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(٨) .

الثاني : زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ، ليكمل تلقى الكلام بالقبول ، ومنه قوله

(٢) سورة آل عمران ٤٢
(٤) سورة طه ٣٣ ، ٣٤
(٦) سورة البقرة ٥
(٨) سورة الزمر ١١ ، ١٢

(١) سورة البقرة ٨٣
(٣) سورة البقرة ١٩٨
(٥) سورة الرعد ٥
(٧) سورة القصص ١٩

تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ . يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ﴾^(۱) ، فإنه كرر فيه النداء لذلك .

الثالث : إذا طال الكلام وخشى تناسي الأول أعيد ثانياً تطرية له ، وتجديداً
لعهده ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ^(۲) وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(۳) .

وقوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ... ﴾^(۴) الآية .
وقوله : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾^(۵) ثم قال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ
مَا عَرَفُوا ﴾^(۶) فهذا تكرار للأول ، ألا ترى أن لما لا تجيء بالفاء !

ومثله : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ ﴾^(۷) ، ثم قال : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ لَهُمْ ﴾^(۸)
وقوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾^(۹) ، ثم قال : ﴿ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا ﴾^(۱۰) .

ومنه قوله : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي
سَاجِدِينَ ﴾^(۱۱)

وقوله : ﴿ أَيْدِيكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ ﴾^(۱۲)
فقوله : ﴿ أَنْتُمْ ﴾ الثاني بناء على الأول ، إذ كراً به خشية تناسيه .
وقوله : ﴿ وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾^(۱۳) .

(۲) سورة النحل ۱۱۹

(۴) سورة البقرة ۸۹

(۶) سورة البقرة ۲۵۳

(۸) سورة المؤمنون ۳۵

(۱) سورة المؤمن ۳۸ ، ۳۹

(۳) سورة النحل ۱۱۰

(۵) سورة آل عمران ۱۸۸

(۷) سورة يوسف ۵

(۹) سورة الروم ۷

وكذلك قوله : ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ . وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾^(١) إلى قوله : ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾^(١) .

بغير ﴿ إِنَّا ﴾ وفي غيره من مواضع ذكر ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ ﴾ ، لأنه يبنى على ما سبقه في هذه القصة من قوله ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ ﴾ ؛ فكأنه طرح فيما اكتفى بذكره أولاً عن ذكره ثانياً . ولأن التأكيد بالنسبة ، فاعتبر اللفظ من حيث هو دون توكيده .

ويحتمل أن يكون من باب الاكتفاء ؛ وهذا أسلوب غريب ، وقل في القرآن وجوده ، وأكثر ما يكون عند تقدم مقتضيات الألفاظ ، كالمبتدأ ، وحروف الشرطين الواقعين في الماضي والمضارع . ويستغنى عنه عند أمر محذور التناسي .

وقد يرد منه شيء يكون بناؤه بطريق الإجمال والتفصيل بأن تتقدم التفاصيل والجزئيات في القرآن ، فإذا خشي عليها التناسي لطول العهد بها بنى على ما سبق بها بالذكر الجملي ، كقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلْتُمُوهُمْ ﴾^(٢) إلى قوله : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾^(٢) فقوله « فبظلم » بيان لذكر الجملي على ما سبق في القول من التفصيل ، وذلك أن الظلم جملي على ما سبق من التفاصيل من النقض والكفر وقتل الأنبياء ، ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُفَّتْ ﴾^(٢) والقول على مريم بالبهتان ، ودعوى قتل المسيح عليه السلام ، إلى ما تخلل ذلك من أسلوب الاعتراض بها موضعين . وهما قوله : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ وَمَا قَاتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾^(٢) إلى قوله : ﴿ شَهِيدًا ﴾^(٢) ، وأنه لما ذكر بالبناء جملي الظلم من قوله « فبظلم » لأنه يعم على كل ما تقدم وينطوي عليه ، ذكر حينئذ متعلق الجملي من قوله : ﴿ فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ ﴾^(٢) عقب الباء لأن العامل في الأصل حقه أن يلي معموله ، فقال : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ

(١) - سورة الصافات ١٠٥ - ١٠٧

(٢) - سورة النساء ١٥٥ - ١٦١

الَّذِينَ هَادُوا وَحَرَمْنَا^(١)؛ هو متعلق بقوله : ﴿ فَبِظُلْمٍ ﴾^(٢) ، وقد اشتمل الظلم على كل ما تقدم قبله ، كما أنه أيضاً اشتمل على كل ما تأخر من المحرمات الأخر التي عدت بعد ما اشتملت على ذكر الشيء بالعموم والخصوص ؛ فذكرت الجزئيات الأولى بخصوص كل واحد ، ثم ذكر العام المنطوي عليها ؛ فهذا تعميم بعد تخصيص . ثم ذكرت جزئيات آخر بخصوصها ، فتركيب الأساليب من وجوه كثيرة في الآية ؛ وهو التعميم بعد التخصيص ، ثم التخصيص بعد التعميم ، ثم البناء بعد الاعتراض .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ ﴾^(٣) إلى قوله : ﴿ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾^(٤) ، فقوله : ﴿ وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ ﴾^(٣) إلى قوله : ﴿ بَغَيْرِ عِلْمٍ ﴾^(٥) هو المقتضى الأول المتقدم ، وقوله ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا ﴾^(٦) هو المقتضى الثاني وهو البناء ، لأنه المذكور بالمقتضى الأول الذي هو « لولا » خشية تناسيه ، فهو مبني على الأول ، ثم أورد مقتضاها من الجواب بقوله : ﴿ لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ ﴾^(٧) وروداً واحداً من حيث أخذها معاً ، كأنها مقتضى منفرد ، من حيث هما واحد بالنوع ؛ وهو الشرط الماضي . فقوله : ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا ﴾^(٦) بناء على قوله : ﴿ وَلَوْ لَا رِجَالٌ ﴾^(٣) نظر في المضارعة . وأما قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٨) فيجوز أن يكون تكريراً ، ويجوز أن يكون الكلام عند قوله : ﴿ وَأَصْلَحُوا ﴾ ويكون الثاني بياناً لمجمل لا تكريراً .

وقد جعل ابن المنير^(٩) من هذا القسم قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ ﴾^(١٠) ثم قال : ﴿ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا ﴾^(١١) .

(٢) سورة الفتح ٢٥

(١) سورة النساء ١٦٠

(٣) سورة النحل ١١٩

(٤) هو الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري ؛ صاحب كتاب الانتصاف بين فيه ما تضمنه كتاب الكشاف من الاعتزال ؛ وناقشه وأعاريب وأحسن فيها الجدل ؛ توفي سنة ٦٨٢ . كشف

(٥) سورة النحل ١٠٦

الظنون ١ : ٧٧

وقوله : ﴿ وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ ﴾^(١) ثم قال : ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا ﴾^(٢) ونازعه العراقي^(٣) لأن المعاد فيهما أخص من الأول ؛ وهذا يجيء في كثير مما ذكرنا، ولا بد أن يكون وراء التكرير شيء أخص منه كما بينا .

الرابع: في مقام التعظيم والتهويل؛ كقوله تعالى: ﴿ الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ ﴾^(٤) . ﴿ الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ ﴾^(٥) . ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾^(٦) .
وقوله : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾^(٧) .
وقوله : ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾^(٨) .

وقوله : ﴿ لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ ﴾^(٩) .

الخامس: في مقام الوعيد والتهديد، كقوله تعالى: ﴿ كَذَّابًا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَذَّابًا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾^(١٠) وذكر «ثم» في المكرر دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول، وفيه تنبيه على تكرار ذلك مرة بعد أخرى، وإن تعاقبت عليه الأزمنة لا يتطرق إليه تغيير، بل هو مستمر دائماً .

(١) سورة الفتح ٢٥

(٢) هو الإمام علم الدين عبد الكريم بن علي العراقي، صاحب كتاب الإنصاف، جعله حكماً بين الكشاف

والانصاف، توفي سنة ٧٠٤ . كشف الظنون ١٤٧٧

(٣) سورة القارعة ١

(٤) سورة الحاقة ١، ٢

(٥) سورة الواقعة ٢٧

(٦) سورة القدر ١، ٢

(٧) سورة المدثر ٣١

(٨) سورة الواقعة ٨، ٩

(٩) سورة التكاثر ٦، ٧

السادس : التعجب ، كقوله تعالى : ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾^(١) ،
فأعيد تعجباً من تقديره وإصابته الغرض ، على حدّ : قاتله الله ما أشجعه !

السابع : لتعدد المتعلق ، كما في قوله تعالى : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٢) ،
فإنها وإن تعددت ؛ فكل واحد منها متعلق بما قبله ، وإن الله تعالى خاطب بها الثقلين
من الإنس والجن ، وعدّ عليهم نعمه التي خلقها لهم ، فكأما ذكر فصلا من فصول النعم
طلب إقرارهم واقتضاهم الشكر عليه ، وهي أنواع مختلفة ، وصور شتى .

فإن قيل : فإذا كان المعنى في تكريرها عدّ النعم واقتضاء الشكر عليهما ، فما معنى
قوله : ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَهَرَانِ﴾^(٣) ؟ وأي نعمة هنا !
وإنما هو وعيد .

قيل : إن نعم الله فيما أنذر به وحذر من عقوباته على معاصيه ليحذر وهافير تدعوا عنها ،
نظير أنعمه على ما وعده ، وبشر من ثوابه على طاعته ؛ ليرغبوا فيها ، ويحرصوا عليها ؛ وإنما
تتحقق معرفة الشيء بأن تعبره بضده ، والوعد والوعيد وإن تقابلا في ذواتهما ، فإنهما
مقاربان في موضع النعم بالتوقيت على ملاك الأمر منها ، وعليه قول بعض حكماء الشعراء :
والحادثات وإن أصابك بؤسها فهو الذي أنباك كيف نعيمها
وإنما ذكرنا هذا ، لتعلم الحكمة في كونها زادت على ثلاثة ، ولو كان عائداً لشيء واحد
لما زاد على ثلاثة ؛ لأن التأكيد لا يقع به أكثر من ثلاثة .

فإن قيل : فإذا كان المراد بكل ما قبله ، فليس ذلك بإطناب ، بل هي ألفاظ أريد بها
غير ما أريد بالآخر .

(٢) سورة الرحمن ١٣ وما بعدها

(١) سورة المدثر ١٩ ، ٢٠

(٣) سورة الرحمن ٣٥

قات : إن قلنا : العبرة بعموم اللفظ ؛ فكل واحد أريد به غير ما أريد بالآخر .
وقد تكلف لتوجيه العدة التي جاءت عليها هذه الآية مكررة ، قال الكرماني :
جاءت آية واحدة في هذه السورة كررت نيفا وثلاثين مرة ، لأن ست عشرة راجعة
إلى الجنان ؛ لأن لها ثمانية أبواب ، وأربعة عشر منها راجعة إلى النعم والنقم ، فأعظم النعم
جهنم ، ولها سبعة أبواب . وجاءت سبعة في مقابلة تلك الأبواب ، وسبعة عقب كل نعمة
ذكرها للثقلين .

وقال غيره : نبة في سبع منها على ما خلقه الله للعباد من نعم الدنيا المختلفة على عدة
أمهات النعم ، وأفرد سبعا منها للتخويف ، وإنداراً على عدة أبواب الخوف منه ، وفصل
بين الأول والسبع الثواني بواحدة سوى فيها بين الخلق كلهم فيما كتبه عليهم من الفناء ،
حيث اتصلت بقوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عَدَيْهَا فَإِنَّهُ ﴾^(١) ، فكانت خمس عشرة ، أتبع
بثمانية في وصف الجنان وأهائها على عدة أبوابها ، ثم بثمانية آخر في وصف الجنتين اللتين
من دون الأوليين لذلك أيضا فاستكملت إحدى وثلاثين .

ومن هذا النوع قوله تعالى : ﴿ وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾^(٢) ، في سورة المرسلات
عشر مرات ، لأنه سبحانه ذكر قصصا مختلفة ، وأتبع كل قصة بهذا القول ، فصار كأنه
قال عقب كل قصة : وبل للمكذبين بهذه القصة ! وكل قصة مخالفة لصاحبها ،
فأثبت الويل لمن كذب بها .

ويحتمل أنه لما كان جزاء الحسنة بعشر أمثالها ، وجعل للكفار في مقابلة كل مثل
من الثواب ويل .

ومنها في سورة الشعراء قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ .

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾ في ثمانية مواضع؛ لأجل الوعظ، فإنه قد يتأثر بالـتكرار من لا يتأثر بالمرّة الواحدة.

وأما قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾، فذلك لظهور آيات الأنبياء عليهم السلام، والعجب من تخاف من لا يتأملها مع ظهورها.

وأما مناسبة قوله: ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ فإنه تعالى نفي الإيمان عن الأكثر؛ فدل بالمفهوم على إيمان الأقل، فكانت العزة على من لم يؤمن، والرحمة لمن آمن، وهما مرتبتان كترتب الفريقين. ويحتمل أن يكون من هذا النوع قوله تعالى: ﴿كَأَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. ثم كآلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ... ﴿٢﴾ الآية، لأن علمهم يقع أولاً وثانياً على نوعين مختلفين بحسب المقام؛ وهذا أقرب للحقيقة الوضعية وحال المعبر عنه؛ فإن المعاملات الإلهية للطائع والعاصي متغيرة الأنواع الدنيوية البرزخية، ثم الحشرية، كما أن أحوال الاستقرار بعد الجميع في العاية؛ بل كل مقام من هذه أنواع مختلفة، وفي «ثم» دلالة على الترقى، إن لم يجعل الزمان مرتباً في الإنذار على التكرار، وفي المنذر به على التنويع.

ومنه تكرار: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ﴾ ﴿٣﴾، قال الزمخشري ﴿٤﴾: كرّر ليجدوا عند سماع كل نبيٍّ منها تعاضاً وتنبهاً، وأن كلا من تلك الأنبياء مستحق باعتبار يختص به، وأن يتنبهوا كيلا يغلبهم السرور والغفلة.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ...﴾ ﴿٥﴾ إلى آخرها

(١) سورة الشعراء ٩٠٨ (٩) سورة التكاثر ٦، ٧ (٣) سورة القمر ٣٩

(٤) الكشاف ٤: ٣٤٩؛ والعبارة فيه: «فائدته أن يجدوا عند استماع كل نبيٍّ من أنبياء الأولين ادكاراً وتعاضاً، وأن يستأنفوا تنبهاً واستيقاظاً؛ إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث، وأن يقرع لهم العصا مرات ويقعق لهم الشن تارات؛ كيلا يغلبهم السهو، ولا تتولى عليهم الغفلة...»

(٥) سورة الكافرون ١، ٢

يحكى أن بعض الزنادقة سأل الحسن بن علي رضي الله عنه عن هذه الآية فقال : إني أجد في القرآن تكرارا وذكر له ذلك ، فأجابه الحسن بما حاصله : إن الكفار قالوا : نعبد إلهك شهرا وتعبد آلهتنا شهرا ، فجاء النفي متوجهاً إلى ذلك . والمقصود أن هذه ليست من التكرار في شيء ، بل هي بالحذف والاختصار أليق ؛ وذلك لأن قوله : ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾^(١) ؛ أي لا أعبد في المستقبل ما تعبدون في المستقبل ، وقوله : ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾ ، أي ولا أنا عابد في الحال ما عبدتم في المستقبل ، ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ ﴾ ، في الحال ما أعبد في المستقبل .

والحاصل أن القصد نفي عبادته لآلهتهم في الأزمنة الثلاثة : الحال ، والماضي ، والاستقبال ؛ والمذكور في الآية النفي في الحال والاستقبال ، وحذف الماضي من جهة ومن جهتهم ؛ ولا بد من نفيه ، لكنه حذف لدلالة الأولين عليه .

وفيه تقدير آخر ؛ وهو أن الجملة الأولى فعلية ، والثانية اسمية ، وقولك : « لا أفعله » و « لا أنا فاعله » أحسن من قولك : « لا أفعله » ، « ولا أفعله » ؛ فالجملة الفعلية نفي لإمكانه ، والاسمية نفي لاتصافه ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ﴾^(٢) ، ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾^(٣) . والمعنى أنه تبرأ من فعله ومن الاتصاف به ، وهو أبلغ في النفي ؛ وأما المشركون فلم ينتف عنهم إلا بصيغة واحدة ؛ وهي قوله : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ في الموضعين .

وفرق آخر ، وهو أنه قال في نفيه الجملة الاسمية : ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾ ، وقال في النفي عنهم : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ عائد في حقه بين الجملتين ، وقال : ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ بالمضارع ، وفي الثاني : ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾ بالماضي ، فإن المضارع يدل على الدوام ، بخلاف الماضي ، فأفاد ذلك أن ما عبدتموه ولو مرة ما أنا عابد له البتة ، ففيه كمال

(١) سورة الكافرين ٢ (٢) سورة الروم ٥٣ (٣) سورة فاطر ٢٢

برأته ودوامها مما عبده ولو مرة ؛ بخلاف قوله : ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ، فإن النفي من جنس الإثبات ، وكلاهما مضارع يظهران جملة ومنفردا .
 ومنه تكرير الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام في ثلاث آيات من سورة البقرة^(١) ؛ لأن المنكرين لتحويل القبلة كانوا ثلاثة أصناف من الناس : اليهود ؛ لأنهم لا يقولون بالنسخ في أصل مذهبهم . وأهل النفاق أشد إنكاراً له ، لأنه كان أول نسخ نزل . وكفار قريش قالوا : ندم محمد على فراق ديننا فيرجع إليه كما رجع إلى قبلتنا ، وكانوا قبل ذلك يحتجون عليه فيقولون : يزعم محمد أنه يدعونا إلى ملة إبراهيم وإسماعيل ؛ وقد فارق قبليهما وآثر عليها قبله اليهود ؛ وقال الله تعالى حين أمره بالصلاة إلى الكعبة : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾^(٢) والاستثناء منقطع ، أى لكن الذين ظلموا منهم لا يرجعون ولا يهتدون . وقال سبحانه : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾^(٣) أى الذين أشركوا فلا تمتري في ذلك ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^(٤) ، أى يكتمون ما علموا أن الكعبة هى قبلة الأنبياء .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾^(٥) .
 وقال صاحب «الينبوع»^(٦) : لم يبلغنى عن المفسرين فيه شيء .

(١) وهو قوله تعالى : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ آية ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠

(٢) سورة البقرة ١٤٧

(٣) سورة البقرة ١٥٠

(٤) سورة البقرة ١٤٦

(٥) سورة الصافات ١٧٤ ، ١٧٥ ، وكرر هاتين الآيتين في قوله تعالى بعد ذلك في السورة ١٧٨ ، ١٧٩ :

﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ .

(٦) هو أبو جعفر محمد بن عبد الله بن محمد بن ظفر المكي الصقلي التوفي سنة ٥٦٥ هـ ؛ صاحب كتاب

ينبوع الحياة في التفسير ؛ ذكره صاحب كشف الظنون ؛ منه أجزاء متفرقة مخطوطة بدار الكتب المصرية ،

برقم ٣١٠ تفسير .

وقال المفسرون في غريب القرآن : هما في المعنى كالأيتين المتقدمتين ، فـكـرّر للتأكيد
وتشديد الوعيد .

ويحتمل أن يكون « الحين » في الأوليين^(١) يوم بدر ، و « الحين » في هاتين^(٢)
يوم فتح مكة .

ومن فوائد قوله تعالى في الأوليين : ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ ﴾ وفي هاتين : ﴿ فَأَبْصِرْ ﴾ أن الأولى
بنزول العذاب بهم يوم بدر قتلا وأسرا وهزيمة ورعبا ، فما تضمنت التشفيّ بهم قيل له :
﴿ أَبْصِرْهُمْ ﴾ ، وأما يوم الفتح فإنه اقترن بالظهور عليهم الإنعام بتأمينهم والهداية إلى إيمانهم
فلم يكن وفقا للتشفيّ بهم ، بل كان في استسلامهم ، وإسلامهم لعينه قرّة ، ولقلبه مسرّة ،
فقيل له : ﴿ أَبْصِرْ ﴾ .

ويحتمل على هذا - إن شاء الله - أن يكون من فوائد قوله تعالى في هذه : ﴿ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴾ أي يبصرون منك عليهم بالأمان ، ومننا عليهم بالإيمان .
ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لِهِنَّ ﴾^(٣) .

وللتكرار [هنا] فائدتان :

إحداها : أن التحريم قد يكون في الطرفين ؛ وإسكن يكون المانع من إحداها ؛
كما لو ارتدت الزوجة قبل الدخول ؛ يحرم النكاح من الطرفين ؛ والمانع من جهتها ،
فذكر الله سبحانه الثانية ؛ ليدل على أن التحريم كما هو ثابت في الطرفين كذلك
المانع منهما .

والثانية : أن الأولى دلت على ثبوت التحريم في الماضي ؛ ولهذا أتى فيها بالاسم الدال
على الثبوت ؛ والثانية في المستقبل ، ولهذا أتى فيها بالفعل المستقبل .

(٢) آيتا ١٧٨ ، ١٧٩

(١) آيتا ١٧٤ ، ١٧٥

(٣) سورة المتحنة ١٠

ومنه تكرار الإضراب .

واعلم أن « بل » إذا ذكرت بعد كلام موجب فمعناها الإضراب .
وهو إما أن يقع في كلام الخلق ؛ ومعناه إبطال ما سبق على طريق الغلط من المتكلم ؛
أو أن الثاني أولى .

وإما أن يقع في كلام الله تعالى ، وهو ضربان :
أحدهما : أن يكون ما فيها من الردّ راجعا إلى العباد ؛ كقوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ
أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلِ هُوَ شَاعِرٌ ﴾^(١) .

والثاني : أن يكون إبطالا ؛ ولاكنه على أنه قد انقضى وقته ؛ وأن الذي بعده
أولى بالذکر ، كقوله تعالى : ﴿ بَلِ آدَارَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ ﴿ بَلِ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ
ذِكْرِي بَلِ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ ﴾^(٢) .

وزعم ابن مالك في شرح «الكافية» أن « بل » حيث وقعت في القرآن النيران فإنها
للاستئناف لغرض آخر لا لإبطال الأول ؛ وهو مردود بما سبق ، وبقوله : ﴿ وَقَالُوا
اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلِ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾^(٣) ؛ فأضرب بها عن قولهم ،
وأبطل كذبهم .

وقوله : ﴿ بَلِ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾^(٤) ، أضرب بها عن حقيقة إتيانهم الذكور
وترك الأزواج .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾^(٥) ،

(١) سورة الأنبياء ٢٢

(٢) سورة الأنبياء ٢٦

(٣) سورة الطلاق ٢

(٤) سورة ص ٨

(٥) سورة الشعراء ١٦٦

فالأول للمطلقين والثاني للشهود ؛ نحو : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾^(١) ، أولها للأزواج ، وآخرها للأولياء .

ومنه تكرار الأمثال ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ . وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ . وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ . وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾^(٢) .

وكذلك ضرب مثل المنافقين أول البقرة^(٣) ثناها الله تعالى .

قال الزمخشري : « والثاني أبلغ^(٤) من الأول لأنه أدل على فرط الخيرة ، وشدة الأمر وفضاعته » ، قال : « ولذلك أُخِّر ، وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهلون إلى الأغلظ » .

ومنه تكرار القصص في القرآن ؛ كقصة إبليس في السجود لآدم ، وقصة موسى وغيره من الأنبياء ، قال بعضهم : ذكر الله موسى في مائة وعشرين موضعا من كتابه ، قال ابن العربي^(٥) في « القواصم » : ذكر الله قصة نوح في خمسة وعشرين آية ، وقصة موسى في سبعين آية . انتهى .

وإنما كررها لفائدة خلت عنه في الموضع الآخر وهي أمور :

(١) سورة البقرة ٢٣٢

(٢) سورة فاطر ١٩ - ٢٢

(٣) يشير إلى قوله تعالى في الآية السابعة عشرة من سورة البقرة : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي

أَسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ .

مع قوله في الآية التاسعة عشر : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ

أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ . . . ﴾

(٥) هو الإمام أبو بكر بن العربي صاحب

(٤) الكشاف ١ : ٦١

كتاب القواصم من القواصم .

أحدها : أنه إذا كرّر القصة زاد فيها شيئا ، ألا ترى أنه ذكر الحية^(١) في عصا موسى عليه السلام ، وذكرها في موضع آخر ثعبانا ، فقائدته أن ليس كل حية ثعبانا^(٢) ، وهذه عادة البلغاء ، أن يكرر أحدهم في آخر خطبته أو قصيدته كلمة ، لصفة زائدة .

الثانية : أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود إلى أهله ، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل بعد صدور الأولين ؛ وكان أكثر من آمن به مهاجريا ؛ فلولا تكرار القصة لوقعت قصة موسى إلى قوم ، وقصة عيسى إلى آخرين ، وكذلك سائر القصص ، فأراد الله سبحانه وتعالى اشتراك الجميع فيها ، فيكون فيه إفادة القوم ، وزيادة [تأكيد وتبصرة]^(٣) ، لآخرين وهم الحاضرون ، وعبر عن هذا ابن الجوزي وغيره .

الثالثة : تسليته لقلب النبي صلى الله عليه وسلم مما اتفق للأنبيا مثله مع أممهم^(٤) قال تعالى : ﴿ وَكَأَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبَّتْ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾^(٥) .

الرابعة : أن إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفى ما فيه من الفصاحة .

الخامسة : أن الدواعي لا تتوفر على نقائها كتوفرها على نقل الأحكام ، فلهذا كررت القصص دون الأحكام .

(١) في قوله تعالى في سورة طه ٢٠ : ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ .

(٢) من قوله تعالى في سورة الأعراف ١٠٧ : ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ .

وقوله في سورة الشعراء ٣٢ : ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ .

(٤) ت و اسمهم ، صوابه من م .

(٣) تكملة من م .

(٥) سورة هود ١٢٠

السادسة : أن الله تعالى أنزل هذا القرآن ، وعَجَزَ القوم عن الإتيان بمثل آية، لصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم ؛ بأن كرر ذكر القصة في مواضع ، إعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأى نظم جاءوا ، بأى عبارة عبروا ، قال ابن فارس^(١) : وهذا هو الصحيح .

السابعة : أنه لما سَخِرَ العرب بالقرآن قال : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ ﴾^(٢) ، وقال في موضع آخر : ﴿ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ ﴾^(٣) ، فلو ذكر قصة آدم مثلا في موضع واحد واكتفى بها لقال العربى بما قال الله تعالى : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ ﴾ ، « إبتونا أنتم بسورة من مثله » ، فأنزلها سبحانه في تعداد السور ، دَفْعًا لِحِجَّتِهِمْ من كل وجه .

الثامنة : أن القصة الواحدة من هذه القصص ؛ كقصة موسى مع فرعون - وإن ظنَّ أنها لا تغاير الأخرى - فقد يوجد في ألفاظها زيادة ونقصان وتقديم وتأخير ، وتلك حال المعانى الواقعة بحسب تلك الألفاظ ؛ فإن كل واحدة لا بد وأن تخالف نظيرتها من نوع معنى زائد فيه ، لا يوقف عليه إلا منها دون غيرها ؛ فكأن الله تعالى فرَّق ذكرَ مادار بينهما وجعله أجزاء ، ثم قَسَمَ تلك الأجزاء على تارات^(٤) التكرار لتوجد متفرقة فيها ؛ ولو جمعت تلك القصص في موضع واحد لأشبهت ما وُجد الأمر عليه من الكتب المتقدمة ؛ من انفراد كل قصة منها بموضع ؛ كما وقع في القرآن بالنسبة ليوسف عليه السلام خاصة ، فاجتمعت في هذه الخاصية ؛ من نظم القرآن عدة معانٍ عجيبة :

منها : أن التكرار^(٥) فيها مع سائر الألفاظ لم يُوقِع في اللفظ هجئة ، ولا أحدث مَلَلًا ، فباين بذلك كلام المخلوقين .

ومنها : أنه ألبسها زيادة ونقصانا وتقديما وتأخيرا ؛ ليخرج بذلك الكلام أن

(٢) سورة البقرة ٢٣

(٤) م : « منارات » .

(١) فقه اللغة ١٧٨

(٣) سورة هود ١٣

(٥) م : « منها » .

تكون ألفاظه واحدة بأعيانها ، فيكون شيئاً معاداً ؛ فنزّهه عن ذلك بهذه التغييرات .
ومنها : أن المعاني التي اشتملت عليها القصة الواحدة من هذه القصص صارت متفرقة
في تارات التكرير فيجد البليغ - لما فيها من التغيير - ميلاً إلى سماعها ، لما جُبلت عليه
النفوس من حب التنقل في الأشياء المتجددة التي لكل منها حصة من الالتذاذ
به مستأنفة .

ومنها : ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنى واحد ؛ وقد كان
المشركون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم يعجبون من اتساع الأمر في تكرير هذه
القصص والأنباء مع تباير أنواع النظم ، وبيان وجوه التأليف ، فعرفهم الله سبحانه أن
الأمر بما يعجبون منه مردود إلى قدرة من لا يلحقه نهاية ، ولا يقع على كلامه عدد ؛ لقوله
تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ
رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ (١) وكقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَاءَ الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ
وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ . . . ﴾ (٢) الآية .

وقال القفال (٣) في تفسيره : ذكر الله في أقاصيص بني إسرائيل وجوها من المقاصد :
أحدها : الدلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه أخبر عنها من غير تعلم ؛
وذلك لا يمكن إلا بالوحي .

الثاني : تعديد النعم على بني إسرائيل ، وما من الله على أسلافهم من الكرامة والفضل ؛
كالنجاة من آل فرعون ، وفرق البحر لهم ، وما أنزل عليه في التيه من المن والسلوى ،
وتفجير الحجر ، وتظليل الغمام .

(٢) سورة لقمان ٢٧

(١) سورة الكهف ١٠٩

(٣) هو محمد بن أحمد بن الحسين الشافعي القفال ؛ رئيس الشافعية في عصره . توفي سنة ٥٠٧ هـ

(ابن خلدون) : ٦٤ :

الثالث : إخبار الله نبيه بتقديم كفرهم وخلافهم وشنقاوتهم وبعثهم على الأنبياء ، فكأنه تعالى يقول : إذا كانت هذه معاملتهم مع نبيهم الذي أعزهم الله به ، وأنقذهم من العذاب بسببه ؛ فغير بدع ما يعامله به أخلافهم محمداً صلى الله عليه وسلم .

الرابع : تحذير أهل الكتاب الموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من نزول العذاب بهم ؛ كما نزل بأسلافهم .

وهنا سؤالان :

أحدهما : ما الحكمة في عدم تكرار قصة يوسف عليه السلام ، وسوقها مساقاً واحداً في موضع واحد ، دون غيرها من القصص ؟

والجواب من وجوه :

الأول : فيها من تشبيب النسوة به ، وتضمن الإخبار عن حال امرأة ونسوة افتتن بأبدع الناس جمالا ، وأرفعهم مثالا ، فناسب عدم تكرارها لما فيها من الإغضاء والستر عن ذلك . وقد صحح الحاكم في مستدركه حديثاً مرفوعاً : النهي عن تعليم النساء سورة يوسف .

الثاني : أنها اختصت بحصول الفرج بعد الشدة ، بخلاف غيرها من القصص ، فإن ما لها إلى الوبال ، كقصة إبليس ، وقوم نوح ، وقوم هود ، وقوم صالح ؛ وغيرهم ، فلما اختصت هذه القصة في سائر القصص : بذلك اتفقت الدواعي على نقلها لخروجها عن سمت القصص .

الثالث : قاله الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني إنما كرر الله قصص الأنبياء ، وساق قصة يوسف مساقاً واحداً ، إشارة إلى عجز العرب ، كأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم :

إن كان من تلقاء نفسى تصديره على الفصاحة ، فافعلوا فى قصة يوسف ما فعلت فى قصص
سائر الأنبياء .

السؤال الثانى : أنه سبحانه وتعالى ذكر قصة قوم نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب ،
ولوط ، وموسى ، فى سورة الأعراف وهود والشعراء ، ولم يذكر معهم قصة إبراهيم ، وإنما
ذكرها فى سورة الأنبياء ، ومريم ، والعنكبوت ، والصفات .

والسر فى ذلك أن تلك السور الأولى ذكر الله فيها نصر رسله بإهلاك قومهم ، ونجاء
الرسل وأتباعهم ، وهذه السور لم يقتصر فيها على ذكر من أهلك من الأمم ؛ بل كان
المقصود ذكر الأنبياء وإن لم يذكر قومهم ؛ ولهذا سميت سورة الأنبياء ؛ فذكر فيها إكرامه
للأنبياء ؛ وبدأ بقصة إبراهيم ، إذ كان المقصود ذكر كرامته الأنبياء قبل محمد ، وإبراهيم
أكرمهم على الله ، وهو خير البرية ، وهو أب أكثرهم ، وليس هو أب نوح ووط ؛
لكن لوط من أتباعه ، وأيوب من ذريته ، بدليل قوله تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ وَمِنْ
ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ ﴾ (١) .

وأما سورة العنكبوت ؛ فإنه سبحانه وتعالى ذكر فيها امتحانه للمؤمنين ، ونصره لهم ،
وحاجتهم إلى الجهاد ؛ وذكر فيها حسن العاقبة لمن صبر ، وعاقبة من كذب الرسل ؛ فذكر
قصة إبراهيم ؛ لأنها من النمط الأول .

وكذلك فى سورة الصفات قال فيها : ﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ . وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ . فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾ (٢) ؛ وهذا يقتضى أنها
عاقبة رديئة ؛ إما بكونهم غلبوا وذلوا ؛ وإما بكونهم أهلكوا ؛ ولهذا ذكر قصة إلياس
دون غيرها ولم يذكر إهلاك قومه ، بل قال : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْهَاهُمْ لِمُحَضَّرُونَ ﴾ (٣) .

(٢) سورة الصفات ٧١ ، ٧٣

(١) سورة الأنعام ٨٤

(٣) سورة الصفات ١٢٧

وقد روى أن الله رفع إيلياس ؛ وهذا يقتضى عذابهم فى الآخرة ؛ فإن إيلياس لم يقم بينهم ، وإيلياس المعروف بعد موسى من بنى إسرائيل ، وبعد موسى لم يهلك المكذبين بعذاب الاستئصال ؛ وبعد نوح لم يهلك جميع النوع ، وقد بعث الله فى كل أمة نذيراً ، والله سبحانه لم يذكر عن قوم إبراهيم أنهم أهل كوا ، كما ذكر ذلك عن غيرهم ؛ بل ذكر أنهم ألقوه فى النار ، فجعلها برداً وسلاماً ، وفى هذا ظهور برهانه وآياته ؛ حيث أذلهم ونصره ؛ ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾ (١) وهذا من جنس المجاهد [الذى يعرض عدوه ، والقصاص الأول من جنس المجاهد الذى] (٢) قتل عدوه ، وإبراهيم بعد هذا لم يقم بينهم بل هاجر وتركهم ؛ وأولئك الرسل لم يزالوا مقيمين بين أظهرهم حتى هلكوا ، ولم يوجد فى حق إبراهيم سبب الهلاك ؛ وهو إقامة فيه ، وانتظار العذاب النازل ؛ وهكذا محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه ، لم يقم فيه ، بل خرج عنهم حتى أظهره الله عليهم بعد ذلك ؛ ومحمد وإبراهيم أفضل الرسل ؛ فإنهم إذا علموا حصل المقصود ، وقد يتوب منهم من تاب ، كما جرى لقوم بونس ؛ فهذا - والله أعلم - هو السر فى أنه سبحانه لم يذكر قصة إبراهيم مع هؤلاء ؛ لأنها ليست من جنس واقعهم .

فإن قيل : فما وجه الخصوصية بمحمد وإبراهيم بذلك ؟

فالجواب : أما حالة إبراهيم فكانت إلى الرحمة أميل ؛ فلم يسع فى هلاك قومه لا بالدعاء ولا بالمقام ودوام إقامة الحجية عليهم ؛ وقد قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ . وَلَتُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ (٣) ، وكان كل قوم يطلبون هلاك نبيهم فعوقبوا ؛ وقوم إبراهيم وإن أوصلوه إلى العذاب ؛ لكن جعله الله عليه برداً وسلاماً ،

(١) سورة الصافات ٩٨

(٢) تكملة من ت .

(٣) سورة إبراهيم ١٣ ، ١٤

ولم يفعلوا بعد ذلك ما يستحقون به العذاب ؛ إذ الدنيا ليست دار الجزاء العام ؛ وإنما فيها من الجزاء ما تحصل به الحكمة والمصلحة ؛ كما في العقوبات الشرعية ، فمن أرادوا عداوة [أحد] من أتباع الأنبياء ليهلكوه فعصمه الله ، وجعل صورة الهلاك نعمة في حقه ؛ ولم يهلك أعداءه بل أخزاهم ونصره ؛ فهو أشبه بإبراهيم عليه السلام ؛ إذ عصمه الله من كيدهم ، وأظهره حتى صارت الحرب بينهم وبينه سجالات ، ثم كانت له العاقبة فهو أشبه بحال محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن محمدا سيد الجميع ، وهو خليل الله ، كما أن إبراهيم عليه السلام خليله ، والخليلان هما أفضل الجميع ، وفي طريقةهما من الرأفة والرحمة ما ليس في طريق غيرهما ، ولم يذكر الله عن قوم إبراهيم ذنباً غير الشرك ، وكذلك عن قوم نوح ، وأما عاد فذكر عنهم التجبر ، وعمارة الدنيا ، وقوم صالح ذكر عنهم الاشتغال بالدنيا عن الأنبياء ، وأهل مدين الظلم في الأموال مع الشرك ، وقوم لوط استحلل الفاحشة ، ولم يذكر أنهم أقروا بالتوحيد ، بخلاف سائر الأمم ، وهذا يدل على أنهم لم يكونوا مشركين ، وإنما كان دينهم استحلل الفاحشة وتوابع ذلك ، وكانت عقوبتهم أشد .
وهذه الأمور تدل على حكمة الرب وعقوبته لكل قوم بما يناسبهم ؛ ولما لم يكن في قوم نوح خير يرجى غرق الجميع . والله المستعان .

فتأمل هذا الفصل وعظم فوائده وتدبر حكمته ، فإنه سر عظيم من أسرار القرآن العظيم ، كقوله تعالى : ﴿ أَنهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ، وَأَنهَارٌ مِنْ آبِنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾^(١) ، فأعاد ذكر « الأنهار » مع كل صنف ؛ وكان يكفي أن يقال فيها : « أنهار من ماء ، ومن لبن ، ومن خمر ، ومن

عسل « ؛ لكن لما كانت الأنهار من الماء حقيقة ؛ وفيما عدا^(١) الماء مجازا للتشبيه ؛
فلو اقتصر على ذكرها مع الماء وعطف الباقي عليه لجمع بين الحقيقة والمجاز .
فإن قلت : فهـلأ أفرد ذكر الماء وجمع الباقي صيغة واحدة ؟ قيل : لو فعل
ذلك لجمع بين محامل من المـجاز مختلفة في صيغة واحدة ، وهو قريب في المنع من
الذي قبله .

فائدة

[في صنيعهم عند استئصال تكرار اللفظ]

قد يستقلون تكرار اللفظ فيعدلون لمعناه ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ
أَمِهِمْ رُوَيْدًا ﴾^(٢) ؛ فإنه لما أعيد اللفظ غير « فعل » إلى « أفعل » فلما نكث ترك اللفظ
أصلا ، فقال : « رويدا » .

وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكَرًا ﴾^(٣) ، ثم قال : ﴿ إِمْرًا ﴾^(٤) .

قال الكسائي : معناه شيئا منكرا كثيرا الدهاء من جهة الإنكار ؛ من قولهم :
أمر القوم إذا كثروا .

قال الفارسي : وأنا أستحسن قوله هذا .

وقوله تعالى : ﴿ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ ﴾^(٥) ، قال الفارسي : ﴿ وَرَاءَكُمْ ﴾ في موضع فعل الأمر
أي تأخروا ؛ والمعنى ارجعوا تأخروا ؛ فهو تأكيد وإيدت ظرفا ؛ لأن الظروف لا يؤكد بها .
وإذا تكرر اللفظ بمرادفه جازت الإضافة ؛ كقوله تعالى : ﴿ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ

(١) - سورة الطارق ١٧

(٤) - سورة الحديد ١٣

(١) ت : « وما »

(٢) - سورة الكهف : ٧ ، ٧٥

أَلِيمٌ ﴿١﴾ ، والقصد المبالغة ، أى عذاب مضاعف ، وبالعطف كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ ﴿٢﴾ ، وقوله: ﴿ فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا ﴾ ﴿٣﴾ .

القسم الخامس عشر

الزيادة فى بنية الكلمة

واعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أعلى منه؛ فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً ؛ لأن الألفاظ أدلة على المعانى ؛ فإذا زيدت فى الألفاظ وجب زيادة المعانى ضرورة .

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ أَخَذًا عَزِيزًا مُّقْتَدِرًا ﴾ ﴿٤﴾ ؛ فهو أبلغ من « قادر » لدلالته على أنه قادر متمكن القدرة ؛ لا يُردّ شىء عن اقتضاء قدرته ؛ ويسمى هذا قوة اللفظ لقوة المعنى .

وكقوله تعالى: ﴿ وَاصْطَبِرْ ﴾ فإنه أبلغ من الأمر بالصبر من « اصبر » .
وقوله: ﴿ نَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ﴿٥﴾ لأنه لما كانت السيئة ثقيلة وفيها تكلف زيد فى لفظ فعلها .

وقوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا ﴾ ﴿٦﴾ ؛ فإنه أبلغ من « يتصارخون » .
وقوله تعالى: ﴿ فَكَبَّكَبُوا فِيهَا ﴾ ﴿٧﴾ ولم يقل « وكبوا » قال الزمخشري ﴿٨﴾: والكب كبة تكبير الكب ، جعل التكبير فى اللفظ دليلاً على التكرير فى المعنى ، كأنه إذا ألقى

(٢) سورة يوسف ٨٦
(٤) سورة القمر ٤٢
(٦) سورة فاطر ٣٧
(٨) الكشاف ٣ : ٢٥٣

(١) سورة سبأ ٥
(٣) سورة البقرة ١٠٩
(٥) سورة البقرة ٢٨٦
(٧) سورة الشعراء ٩٤

في جهنم [بنـكـب] ^(١) كبة مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها ، اللهم أجرنا منها خير مستجارا !

وقريب من هذا قول الخليل في قول العرب : صرَّ الجُنْدب ، وصرصر البازي ، كأنهم توههوا في صوت الجندب استطالة ، فقالوا : صرَّ صريرا ، فمدوا وتوههوا في صوت البازي تقطيعاً ، فقالوا : « صرصر » .

ومنه الزيادة بالتشديد أيضا ؛ فإن « ستاراً » و « غفاراً » أبلغ من « ساتر » و « غافر » ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴾ ^(٢) ؛ ومن هذا رجح بعضهم معنى « الرحمن » على معنى « الرحيم » ؛ لما فيه من زيادة البناء ، وهو الألف والنون ، وقد سبق في السادس .

ويقرب منه التضعيف - ويقال التـكـثير - وهو أن يؤتى بالصيغة دالة على وقوع الفعل مرة بعد مرة . وشرطه أن يكون في الأفعال المتعدية قبل التضعيف ؛ وإنما جعله متعدياً لتضعيفه ؛ ولهذا رد على الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ ^(٣) ؛ حيث جعل ﴿ نَزَّلْنَا ﴾ ؛ هنا للتضعيف .

وقد جاء التضعيف دالاً على الكثرة في اللزوم قليلاً ، نحو موت المال .

وجاء حيث لا يمكن فيه التـكـثير ، كقوله تعالى : ﴿ لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ ﴾ ^(٤) ﴿ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَدَآئِنًا رِسُولًا ﴾ ^(٥) .

فإن قلت : ﴿ فَأَمَّتْهُ قَلِيلًا ﴾ ^(٦) مشـكـل على هذه القاعدة ، لأنه إذا كان « فعل » للتـكـثير ، فكيف جاء « قليلاً » نعنا لمصدر « متع » وهذا وصف كثير بقليل ، وإنه ممنوع .

(١) تكملة من الكشاف

(٢) سورة البقرة ٢٣

(٣) سورة الإسراء ٩٥

(٤) سورة نوح ١٠

(٥) سورة الرعد ٧

(٦) سورة البقرة ١٢٦

قلت : وصف بالقلّة من حيث صيرورته إلى نفاذ ونقص وفناء .

واعلم أن زيادة المعنى في هذا القسم مقيد بنقل صيغة الرباعي غير موضوعة لمعنى ؛ فإنه لا يراد به ما أريد من نقل الثلاثي إلى مثل تلك الصيغة ؛ فقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَسْكِينًا ﴾^(۱) ؛ لا يدلّ على كثرة صدور الكلام منه ؛ لأنه غير منقول عن ثلاثي . وكذا قوله : ﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾^(۲) يدلّ على كثرة القراءة على هيئة التاني والتدبر .

وكذا قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ ﴾^(۳) ، ليس النفي للبالغة ؛ بل نفي أصل الفعل .

القسم السادس عشر

التفسير

وتفعله العرب في مواضع التعظيم ، كقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^(۴) ، قال البيهقي في شرح الأسماء الحسنى : قرأت في تفسير الجنيدى أن قوله : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ ﴾^(۴) ، تفسير للقيوم .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾^(۵) .

وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ

عَظِيمٌ ﴾^(۶) فإن هذا تفسير للوعد .

(۲) سور الزمل ۳

(۴) سورة البقرة ۲۵۵

(۶) سورة المائدة ۹۵

(۱) سورة النساء ۱۶۴

(۳) سورة يس ۶۹

(۵) سورة المعارج ۱۹ ، ۲۱

وقوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾^(١)

تفسير للوعد وتبيين له ، لا مفعول ثان ؛ فلم يتعد الفعل منها إلا إلى واحد .

وقوله تعالى : ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾^(٢)

و « خلقه » تفسير للمثل .

وقوله تعالى : ﴿يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ بِذُبْحُونِ﴾^(٣) ، و « يذبحون » وما

بعده تفسير للسؤم ، وهو في القرآن كثير .

قال أبو الفتح بن جني : ومتى كانت الجملة تفسيراً لم يحسن الوقف على ما قبلها دونها

لأن تفسير الشيء لاحق به ، ومتمم له ، وجار مجرى بعض أجزائه ؛ كالصلة من الموصول ،

والصفة من الموصوف .

وقد يجيء لبيان العلة والسبب ، كقوله تعالى : ﴿فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ

مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾^(٤) ؛ وليس هذا من قولهم ، وإلا لما حزن الرسول ؛ وإنما

يجيء به لبيان السبب في أنه لا يحزنه قولهم .

وكذلك قوله : ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾^(٥) .

ولو جاءت الأبتان على حد ما جاء قوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٦) ، لكانت « أن » مفتوحة ، لكنها جاءت

على حد قوله . . .^(٧)

(٢) سورة آل عمران ٥٩

(٤) سورة يس ٧٦

(٦) سورة المائدة ٩

(١) سورة النور ٥٥

(٣) سورة البقرة ٩٩

(٥) سورة يونس ٦٥

(٧) كذا ورد الكلام ناقصاً في الأصلين ت ، م

فائدة

قيل : الجملة التفسيرية لا موضع لها من الإعراب . وقيل : يكون لها موضع إذا كان للمفسر موضع ؛ ويقرب منها ذكره تفصيلا ، كما سبق في قوله : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِّمِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾^(١) .
ومثل : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ ﴾^(٢) .

القسم السابع عشر

خروج اللفظ مخرج الغالب

كقوله تعالى : ﴿ وَرَبَّائِبُكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾^(٣) ، فإن الحجر ليس بقميد عند العلماء ؛ لكن فائدة التقييد تأكيد الحكم في هذه الصورة مع ثبوته عند عدمها ؛ ولهذا قال بعده : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾^(٣) ولم يقل : « ﴿ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ﴾ ولم يكن في حجوركم » فدل على أن الحجر خرج مخرج العادة .

واعترض بأن الحرمة إذا كانت بالمجموع فالحل يثبت بانتفاء المجموع ، والمجموع ينتفى بانتفاء جزئه ، كما ينتفى بانتفاء كل فرد من المجموع .

وأجيب بأنه إذا نفي أحد شرطى العلة كان جزء العلة ثابتا ؛ فيعمل عملها .
فإن قيل : لما قال : ﴿ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ﴾^(٣) ، قال في الآية بعدها :

(٢) سورة البقرة ٩٦

(١) سورة الأعراف ١٤٢

(٣) سورة النساء ٢٣

﴿ وَأَجِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾^(١) عُلِمَ مِنْ مَجْمُوعِ ذَلِكَ أَنَّ الرِّبِيَّةَ لَا تَحْرَمُ إِذَا لَمْ يَدْخُلْ بِأَمِّهَا ؛ فَمَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾^(٢) ؟
قِيلَ : فَائِدَتُهُ أَلَّا يَتَوَهَّمُ أَنَّ قَيْدَ الدَّخُولِ خَرَجَ مَخْرَجَ الْغَالِبِ لَا مَخْرَجَ الشَّرْطِ ؛ كَمَا فِي الْحَجْرِ الْمَفْهُومِ إِذَا خَرَجَ مَخْرَجَ الْغَالِبِ ، فَلَا تَقْيِيدَ فِيهِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ ، خِلَافًا لِإِمَامِ الْحَرَمِيِّنَ وَالشَّيْخِ عَزَّ الدِّينِ بِنِ عَبْدِ السَّلَامِ وَالْعِرَاقِيِّ ، حَيْثُ قَالُوا : إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حُجَّةً بِلَا خِلَافٍ إِذَا لَمْ تَغْلِبْ ؛ لِأَنَّ الصِّفَةَ إِذَا كَانَتْ غَالِبَةً دَلَّتْ الْعَادَةَ عَلَيْهَا ؛ فَاسْتَعْنَى الْمُتَكَلِّمُ بِالْعَادَةِ عَنْ ذِكْرِهَا ، فَلَمَّا ذَكَرَهَا مَعَ اسْتِغْنَائِهِ عَنْهَا دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُرِدِ الْإِخْبَارَ بِوُقُوعِهَا لِلْحَقِيقَةِ ؛ بَلْ لِيَتَرْتَبَ عَلَيْهَا نَفْيُ الْحُكْمِ مِنَ الْمَسْكُوتِ ؛ أَمَا إِذَا لَمْ تَكُنْ غَالِبَةً أَمَكَّنَ أَنْ يَقَالَ : إِنَّمَا ذَكَرَهَا لِيَعْرِفَ السَّمَاعُ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ تَعْرُضُ لِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ .

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾^(٣) .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ ﴾^(٤) ، وَجُوزُوا أَنَّ الرَّهْنَ لَا يَخْتَصُّ بِالسَّفَرِ ، لَكِنْ ذُكِرَ لِأَنَّ فَقْدَ الْكَاتِبِ يَكُونُ فِيهِ غَالِبًا ، فَلَمَّا كَانَ السَّفَرُ مِظَنَّةً إِعْوَازَ الْكَاتِبِ وَالشَّهَادَةِ الْمُوثُوقِ بِهِمَا ، أُمِرَ عَلَى سَبِيلِ الْإِرْشَادِ بِحِفْظِ مَالِ الْمَسَافِرِينَ بِأَخْذِ الْوَثِيقَةِ الْآخَرَى ؛ وَهِيَ الرَّهْنُ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ ﴾^(٥) ، وَالْقَصْرُ جَائِزٌ مَعَ أَمْنِ السَّفَرِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ خَرَجَ مَخْرَجَ الْغَالِبِ لَا الشَّرْطِ ، وَغَالِبَ أَسْفَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ لَمْ تَخْلُ مِنْ خَوْفِ الْعَدُوِّ .

وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ الْخُوفَ هُنَا شَرْطًا إِنْ حَمَلَ الْقَصْرَ عَلَى تَرْكِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالنُّزُولِ

(٢) سورة النساء ٢٣

(٤) سورة البقرة ٢٨٣

(١) سورة النساء ٢٤

(٣) الاسراء ١١

(٥) سورة النساء ١٠١

عن الدابة والاستقبال ونحوه ؛ لا في عدد الركعات ، لكن ذلك شدة خوف لا خوف ،
وسبب النزول لا يساعده .

وكتفوله تعالى : ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾^(١) .

القسم الثامن عشر

القسم

وهو عند النحويين جملة يؤكد بها الخبر ، حتى إنهم جعلوا قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ
بَشِيرٌ دَلِيلٌ لِّلْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾^(٢) قسماً وإن كان فيه إخبار ، إلا أنه لما جاء توكيداً
للخبر سُمِّيَ قسماً .

ولا يكون إلا باسم معظم ، كقوله : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾^(٤) .

وقوله : ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَنَّهِنَّ أَجْمَعِينَ ﴾^(٧) .

وقوله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٨) .

وقوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾^(٩) .

فهذه سبعة مواضع أقسم الله فيها بنفسه والباقي كله أقسم بمخلوقاته .

(١) سورة النور ٣٣

(٢) سورة المنافقين ١

(٣) سورة يونس ٥٣

(٤) سورة التغابن ٧

(٥) سورة الحجر ٩٢

(٦) سورة الماعز ٤٠

(٧) سورة الماعز ٤٠

كقوله : ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾^(١) .

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾^(٢) .

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْحَنَسِ . الْجَوَارِي الْكُنَّسِ﴾^(٣) .

وإنما يحسن في مقام الإنكار .

فإن قيل : ما معنى القسم منه سبحانه ؟ فإنه إن كان لأجل المؤمن ، فالمؤمن يصدق مجرد الإخبار ؛ وإن كان لأجل الكافر فلا يفيد .

فالجواب : قال الأستاذ أبو القاسم القشيري : إن الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها ، وذلك أن الحكم يفصل باثنين : إما بالشهادة ، وإما بالقسم ، فذكر تعالى النوعين حتى لا يبقى لهم حجة .

وقوله : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(٤)

وعن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله تعالى : ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ . فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾^(٥) صاح وقال : من الذي أغضب الجليل حتى أجهأ إلى اليمين ؟ قالها ثلاثا ، ثم مات .

فإن قيل : كيف أقسم بمخلوقاته وقد ورد النهي علينا ألا نقسم بمخلوق ؟

قيل : فيه ثلاثة أجوبة :

أحدها : أنه حذف مضاف ، أي «ورب الفجر» و «رب التين» ، وكذلك الباقي .

والثاني : أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها ؛ فنزل القرآن على ما يعرفون .

(٢) سورة الواقعة ٩٥

(٤) سورة الحجر ٧٢

(١) سورة التين ٩

(٣) سورة التكويد ١٥ ، ١٦

(٥) سورة الذاريات ٢٢ ، ٢٣ .

والثالث : أن الأقسام إنما تجب بأن يُقسم الرجلُ بما يعظمه ، أو بمن يجده ؛ وهو فوقه والله تعالى ليس شيء فوقه ؛ فأقسم تارة بنفسه ، وتارة بمصنوعاته ، لأنها تدلّ على باري وصانع ؛ واستحسنه ابن خالويه .

وقسمه بالنبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ ليعرف الناس عظمته عند الله ، ومكانته لديه ، قال الأستاذ أبو القاسم القشيري في « كنز اليواقيت » : والقسم بالشيء لا يخرج عن وجهين : إما لفضيلة أو لمنفعة ؛ فالفضيلة كقوله تعالى : ﴿ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾^(١) ، والمنفعة نحو : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾^(٢) .

وأقسم سبحانه بثلاثة أشياء :

أحدها : بذاته ، كقوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٣) ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّكَ ﴾^(٤) .

والثاني : بفعله ، نحو : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا . وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا . وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾^(٥) .

والثالث : مفعوله ، نحو : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾^(٦) ، ﴿ وَالطُّورِ وَكِتَابِ مَسْطُورٍ ﴾^(٧) .

وهو ينقسم باعتبار آخر إلى مظهر ومضمر :

فالمظهر كقوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٧) ونحوه .

(٢) - سورة الذاريات ٢٣

(٤) - سورة الشمس ٥ ، ٧

(٦) - سورة الطور ١

(١) - سورة التين ٢ ، ٣

(٣) - سورة الحجر ٩٢

(٥) - سورة النجم ١

(٧) - سورة الذاريات ٢٣

والمضمر على قسمين : قسم دأت عليه لام القسم ، كقوله : ﴿ لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾^(١) وقسم دل عليه المعنى ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾^(٢) تقديره « والله » .

وقد أقسم تعالى بطوائف الملائكة في أول سورة الصافات^(٣) ، والمرسلات^(٤) ، والنازعات^(٥) .

فوائد

الأولى : أكثر الأقسام المحذوفة الفعل في القرآن ؛ لا تكون إلا بالواو ، فإذا ذكرت الباء أتى بالفعل ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾^(٦) ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ ﴾^(٧) . ولا تجيء الباء والفعل محذوف إلا قليلا ؛ وعليه تحمل بعضهم قوله : ﴿ يَا بُنَيَّ

(١) سورة آل عمران ١٨٦

(٢) سورة مريم ٧١

(٣) وهو قوله تعالى : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا . فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا . فَالْقَالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾

قال الزمخشري في الكشاف ٤ : ٢٥ : أقسم الله سبحانه بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة .

(٤) وهو قوله تعالى : ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا . فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا . وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا .

فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا . فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا . عُذْرًا أَوْ نَذْرًا إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ ﴾

قال الزمخشري في الكشاف ٤ : ٥٤١ : « أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن في مضيهن كما تعصف الرياح ؛ تخففا في امتثال أمره »

(٥) وهو قوله تعالى : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غُرُقًا . وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا . وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا .

فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا . فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا . يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾ قال الزمخشري في الكشاف

٤ : ٥٥٣ : « أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد ؛ وبالطوائف التي تنشطها ، أي تخرجها . . . وبالطوائف التي تسبح في مضيها ، أي تسرع فتسبق إلى ما أمروا به ، فتدبر أمرا من أمور العباد بما يصلحهم في دينهم أو دنياهم » .

(٦) سورة النحل ٣٨

(٧) سورة التوبة ٦٢ .

لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ^(١) وقال : الباء باء القسم ؛ وليست متعلّقة بـ « تُشْرِكْ » ، وكأنّه يقول :
﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ ﴾ ثم ابتداءً فقال : ﴿ بِاللَّهِ ﴾ لا تُشْرِكْ ؛ وحذف « لا تُشْرِكْ » لدلالة
الكلام عليه : وكذلك قوله : ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ﴾^(٢) ؛ قيل : إن قوله :

« بما عهد » قسم ؛ والأولى أن يقال : إنه سؤال لا قسم .

وقوله : ﴿ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ ﴾^(٣) فتقف

على ﴿ لِي ﴾ وتبتدئ ﴿ بِحَقِّ ﴾ فتجمله قسماً .

هذا مع قول النحويين : إن الواو فرع الباء ؛ لكنه قد يكثر الفرع في الاستعمال

ويقل الأصل .

الثانية : قد علمت أن القسم إنما جئ به لتوكيد المقسم عليه ؛ فتارة يزيدون فيه للمبالغة
في التوكيد ، وتارة يحذفون منه للاختصار وللعلم بالمحذوف .

فما زادوه لفظ « إِي » بمعنى « نعم » ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي ﴾^(٤) .

ومما يحذفونه فعل القسم وحرف الجر ، ويكون الجواب مذكورا ، كقوله تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ^(٥) أَيُّ « وَاللَّهِ » .

وقوله : ﴿ لَا قَطْعَانَ أَيْدِيكُمْ ﴾^(٦) ، ﴿ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾^(٧) ، ﴿ أَيْسُجُنَّ وَلِيَكُونَا

مِنَ الصَّاحِرِينَ ﴾^(٨) .

وقد يحذفون الجواب ويبقون القسم للعلم به ، كقوله تعالى : ﴿ ص . وَالْقُرْآنِ

(٢) - سورة الزخرف ٤٩

(٤) - سورة يونس ٥٣

(٦) - سورة الشعراء ٤٩

(٨) - سورة يوسف ٣٢

(١) - سورة أفعال ١٣

(٣) - سورة المائدة ١١٦

(٥) - سورة الأحزاب ٢١

(٧) - سورة العلق ١٥

ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ على أحد الأفعال ؛ أن الجوابَ حُذِفَ لطول الكلام ؛ وتقديره « لأعذبهم على كفرهم » .

وقيل : الجواب : إن ذلك لحق .

ومما حذف فيه المقسم به قوله تعالى : ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ (٢) ، أى نحاف إنك لرسول الله ؛ لأن الشهادة بمعنى اليمين ، بدليل قوله : ﴿ أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾ (٣) .
وأما قوله تعالى : ﴿ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴾ (٤) ، فالأول قسم بمنزلة ، « والحقَّ » وجوابه « لأملأن » ، وقوله : ﴿ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴾ (٥) تو كيد للقسم .
وأما قوله : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ (٦) ، ثم قال : ﴿ قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ ﴾ (٧) قالوا : وهو جواب القسم ، وأصله « لقد قتل » ثم حذف اللام وقد .

الثالثة : قال الفارسي في الحجّة : الألفاظ الجارية مجرى القسم ضربان :

أحدهما : ما تكون جارية كغيرها من الأخبار التي ليست بقسم ، فلا تجاب بجوابه ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٧) ، ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ (٨) ، ﴿ فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ (٩) ؛ فهذا ونحوه يجوز أن يكون قسماً وأن يكون حالاً لخلوه من الجواب .

والثاني : ما يتعلق بجواب القسم ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا

(٢) سورة المنافقين ١
(٤) سورة ص ٨٤
(٦) سورة البروج ١ ، ٢
(٨) سورة البقرة ٦٣

(١) سورة ص ١ ، ٢
(٣) سورة المنافقين ٢٠
(٥) سورة ص ٨٤
(٧) سورة الحديد ٨
(٩) سورة المجادلة ١٨

الْكِتَابَ لِتُبَيِّنَنَّهٗ ﴿١﴾ ، ﴿وَأَنفُسُكُمْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ ﴿٢﴾ .

الرابعة : القسم والشرط ، يدخل كل منهما على الآخر ؛ فإن تقدم القسم ودخل الشرط بينه وبين الجواب كان الجواب للقسم ؛ وأغنى عن جواب الشرط ؛ وإن عكس فبالعكس ؛ وأيهما تصدر كان الاعتماد عليه والجواب له .

ومن تقدم القسم قوله تعالى : ﴿لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْضِ جَنَّكَ﴾ ﴿٣﴾ ، تقديره « والله لئن لم تنته » ، فاللام الداخلة على الشرط ليست بلام القسم ، ولكنها زائدة ، وتسمى الموطئة للقسم ويعنون بذلك أنها مؤذنة بأن جواب القسم منتظر ؛ أي الشرط لا يصلح أن يكون جواباً ؛ لأن الجواب لا يكون إلا خبراً .

وليس دخولها على الشرط بواجب ، بدليل حذفها في قوله تعالى : ﴿وَأِن لَّمْ يَذُتُّهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٤﴾ .

والذي يدل على الجواب للقسم لا للشرط دخول اللام فيه ؛ وأنه ليس بمجزوم ، بدليل قوله تعالى : ﴿لَئِن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ ﴿٥﴾ ولو كان جواب الشرط لكان مجزوماً .

وأما قوله تعالى : ﴿وَأَن مِّمَّ أَوْ قَتَلْتُمْ لِيَالِي اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٦﴾ ؛ فاللام في « ولئن » هي الموطئة للقسم ، واللام في ﴿لِيَالِي اللَّهِ﴾ هي لام القسم ؛ ولم تدخل نون التوكيد على الفعل للفصل بينه وبين اللام بالجار والمجرور . والأصل « لئن ميم أو قتلتم لتحشرون إلى الله » فلما قدم معمول الفعل عليه حذف منه .

(٢) سورة النحل ٣٨

(٤) سورة المائدة ٧٣

(٦) سورة آل عمران ١٥٨

(١) سورة آل عمران ١٨٧

(٣) سورة مريم ٤٦

(٥) سورة الإسراء ٨٨

الفهم التاسع عشر

إبراز الكلام في صورة المستحيل على طريق المبالغة ليدل على بقية جملة

كقول العرب : لا أكلك حتى يبيض القار ، وحتى يشيب الغراب ، وكقوله تعالى :
 ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾^(١) ، يعني والجمال لا يلج في السم ،
 فهو لا يدخلون ، فهو في المعنى متعلق بالحال ، فالمعنى أنهم لا يدخلون الجنة أصلاً ،
 وليس للغاية هنا مفهوم ، ووجه التأكيد فيه كدعوى الشيء ببينة ، لأنه جعل
 ولوج الجمال في السم غاية لنفي دخولهم الجنة ، وتلك غاية لا توجد ، فلا يزال دخولهم الجنة
 منتفياً .

وغالى بعض الشعراء في وصف جسمه بالتحول ، فجاء بما يزيد على الآية ، فقال :
 وَلَوْ أَنَّ مَا بِي مِنْ جَوِّي وَصَبَابِي عَلَى جَمَلٍ لَمْ يَبْقَ فِي النَّارِ خَالِدٌ
 وهذا على طريقة الشعراء في اعتبار المبالغة ، وإلا فمعارضات القرآن لا تجوز ، كما سبق
 التقنيه عليه .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا فَدَسَأَفَ﴾^(٢)
 فإن المعنى : إن كان ماسلف في الزمن السالف يمكن رجوعه حله ثابت ، لكن لا يمكن
 رجوعه أبداً ، ولا يثبت حله أبداً ، وهو أبلغ في النهي المجرد .

ومنه قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ فَأَنَّا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾^(٣) ، أي ولا يمكن
 ليس له ولد ، فلا أعبد سواه .

(١) سورة الأعراف ٤٠

(٢) سورة النساء ٢٢

(٣) سورة الزخرف ٨١

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾^(١) ، أى إن كان تسليم بعضهم على بعض ، أو تسليم الملائكة عليهم لغوا ، فلا يسمعون لغوا إلا ذلك ؛ فهو من باب قوله وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ بَيْنَ قُلُوبٍ مِنْ قَرَارِ السَّكَايِبِ^(٢) ومنه قوله : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ﴾^(٣) ، فإن الناس استشكلوا وجه الاستثناء ، مع أنهم لا يذوقون فيها الموت مطلقاً . ومقتضى استثناءها من النفي أنهم يذوقونها في الجنة وليس كذلك .

ووجهه الزمخشري^(٤) بأنه من التوكيد في الدلالة ، والموتة الأولى لا يذوقونها أصلاً ؛ إذ يستحيل عود ما وقع ؛ فلا يذوقون فيها الموت أصلاً ، أى إن كانوا يذوقون فلا يكون ذلك إلا الموتة الأولى ، وإن كان إبقاء الموتة الأولى في الجنة مستحيلاً ، فعرض بالاستثناء إلى استحالة الموت فيها .

هذا إن جعلنا الاستثناء متصلاً ؛ فإن كان منقطعاً ، فالمعنى : « لكن الموتة الأولى قد ذاقوها » .

ويحتمل على الاتصال أن يكون المعنى فيها ، أى في مقدماتها ، لأن الذى يرى مقامه في الجنة عند الجنة عند موته ينزل منزلة من هو فيها ، بتأويل الذوق على معنى المستحيل . فهذه ثلاثة أوجه .

القسم الموقى العشرين

الاستثناء والاستدراك

ووجه التأکید فيه أنه نفي ذكره مرتين ، مرة في الجملة ومرة في التفصيل .

(٢) البيت للناطقة الديباني ، ديوانه ٦

(٤) انظر الكشاف ١ : ٢٢٣

(١) سورة مريم ٦٢

(٣) سورة الدخان ٥٦

فإذا قلت : قام القوم إلا زيدا ، فكأنه كان في جملتهم ، ثم خرج منهم ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾^(١) ؛ فإن فيه معنى زائداً على الاستثناء ، هو تعظيم أمر الكبيرة التي أتى بها إبليس ، من كونه خرق إجماع الملائكة ، وفارق جميع الملائ الأعلیٰ بخروجه مما دخلوا فيه من السجود لآدم ؛ وهو بمثابة قولك : أمر الملك بكذا فأطاع أمره جميع الناس ؛ من أمير ووزير إلا فلانا ؛ فإن الإخبار عن معصية الملك بهذه الصيغة ، أبلغ من قولك : أمر الملك فعصاه فلان .

وفي ضمن ذلك وُصِفَ اللهُ سبحانه بالعدل فيما ضربه على إبليس من خزي الدنيا ، وختم عليه من عذاب الآخرة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾^(٢) فإن في الإخبار عن المدة بهذه الصيغة تهويلاً على السامع ؛ ليشهد عذراً نوح عليه السلام في الدعاء على قومه . وحكمة الإخبار عن المدة بهذه الصيغة تعظيم للمدة ؛ ليكون أوّل ما يباشر السمع ذكر « الألف » واختصار اللفظ ؛ فإن لفظ القرآن أخصر من « تسعمائة وخمسين عاماً » ؛ ولأن لفظ القرآن يفيد حصر العدد المذكور ولا يحتمل الزيادة عليه ولا النقص .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ . خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾^(٣) فإنه سبحانه لما علم أن وصف الشقاء يعمّ المؤمن العاصي والكافر ، استثنى من حكم بخلوده في النار بلفظ مطمئع ، حيث أثبت الاستثناء المطلق ، وأكده بقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ ؛ أي أنه لا اعتراض عليه في إخراج أهل الشقاء من النار . ولما علم أن أهل السعادة لا خروج لهم من الجنة أكد خلودهم بعد الاستثناء بما يرفع أصل الاستثناء ، حيث قال : ﴿ عَطَاءٌ غَيْرَ

(٢) سورة العنكبوت ١٤

(١) سورة الحجر ٣٠ ، ٣١

(٣) سورة هود ١٠٦ ، ١٠٧

مَجْدُودٍ ﴿١﴾ أَي غَيْرِ مَنْقَطَعٍ ؛ لِيَعْلَمَ أَنَّ عَطَاءَهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ غَيْرَ مَنْقَطَعٍ . وَهَذِهِ الْمَعْنَى زَائِدَةٌ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ الْفَعْوَى .

وقيل : وجه الاستثناء فيه الخروج من الجنة إلى منزلة أعلى كالرضوان والرؤية، وبؤيده

قولُ بعض^(٢) الصحابة :

* وَإِنَّا لَنَرُّوْهُ فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا *

وصوبه النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وجعل الزمخشري الاستثناء الأول لخروج أهل النار إلى الزمهير ، أو إلى نوع آخر من العذاب بناء على مذهبه من تخليد أهل الكبائر في النار ، وجعل الاستثناء الثاني دالاً على نجات أهل الكبائر من العذاب ، فكأنه تصور^(٣) أن الاستثناء الثاني لما لم يحمل على انقطاع النعيم ، لقوله تعالى : ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ فكذا الاستثناء الأول لا يحمل على انقطاع عذاب الجحيم لتناسب أطراف الكلام . وقال : معنى قوله : ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ عقب الاستثناء الأول في مقابلة قوله : ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ عقب الثاني ، أن الله تعالى يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب ، كما يعطى لأهل الجنة عطاءه الذي لا انتطاع له^(٤) .

قيل : وما أصدق في سياق الزمخشري في هذا الموضع قول القائل :

* حَفِظْتَ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ *

وذلك لأن ظاهر الاستثناء ؛ هو الإخراج عن حكم ما قبله ، ولا موجب للعدول

(٢) هو النابغة الجعدي ؛ أتى النبي صلى الله

(١) - سورة هود ١٠٨

عليه وسلم فأنشده قصيدته ؛ فلما بلغ إلى قوله :

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدَانَا وَجَدُّوْنَا وَإِنَّا لَنَرُّوْهُ فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إلى أين يا أبا ليلى ؟ » ، فقال : إلى الجنة ؛ فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : « إن شاء الله » الشعر والشعراء ٢٤٧ (٣) م : « يتصور » .

(٤) راجع الكشاف ٢ : ٣٣٦

عن الظاهر في الاستثناء الأول ، فحمل على النجاة . ولما كان إنجاء المستحق العذاب محلّ تعجب وإنكار ، عقبه بقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ ؛ أى من العذاب والإنجاء منه ، بفضل ، ولا يتوجه عليه اعتراض أحد ؛ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .
وأما الاستثناء الثانى فلما لم يكن على ظاهره ، كان إخراج أهل الجنة المستحقين للثواب وقطع النعيم لا يناسب إنجاء أهل النار المستحقين للعذاب ، فلذا عقب بقوله : ﴿ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ ﴾ ^(١) بيانا للمتصود .

ورعاية هذا الباب أولى من رعاية الباب الذى توهم الزمخشري ؛ فإنّ حاصله يرجع إلى أن الاستثناء الثانى لما لم يكن على ما هو الظاهر فى باب الاستثناء ، ينبغى ألا يكون الاستثناء الأول أيضاً على ما هو الظاهر . ولا يخفى على المنصف أنه تعسف .
وأما قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴾ ^(٢) فالمنى لا طعام لهم أصلاً ؛ لأن الضريع ليس بطعام البهائم فضلاً عن الإنس ؛ وذلك كقولك : ليس لفلان ظل إلا الشمس ؛ تريد بذلك نفى الظل عنه على التوكيد ، والضريع نبت ذو شوك يسمى الشبرق فى حال خضرته وطرأوته ، فإذا يبس سُمى الضريع ، ، والإبل ترعاه طرياً لا يابساً .
وقريب منه تأكيد المدح بما يشبه الذم ، بأن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشئ صفة مدح ، بتقدير دخولها فيها ، كقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ ^(٣) التأكيد فيه من وجهين : على الاتصال فى الاستثناء والانقطاع .

الفهم الحادى والعمرده

المبالغة

وهى أن يكون للشئ صفة ثابتة ؛ فزيد فى التعريف بمقدار شدته أو ضعفه ؛ فيدعى

(٢) سورة الفاشية ٦

(١) سورة هود ١٠٨

(٣) سورة الواقعة ٢٥ ، ٢٦

له من الزيادة في تلك الصفة ما يستبعد عند السماع ؛ أو ^(١) يحيلُ عقله ثبوته .

ومن أحسنها قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ ^(٢) ، وهي ^(٣) ظلمة البحر وظلمة الموح فوقه ،

وظلمة السحاب فوق الموح .

وقوله تعالى : ﴿ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ ^(٤) ، أي كادت تبلغ ؛ لأن القلب إذا زال

عن موضعه مات صاحبه .

وقيل : هو حقيقة ، وإن الخوف والروع يوجب للخائف أن تنتفخ رثته ، ولا يبعد

أن ينهض بالقلب نحو الحنجرة . ذكره الفراء وغيره .

أو أنها لما اتصل وجيبها واضطرابها بلغت الحناجر .

ورد ابن الأنباري ^(٥) تقدير « كادت » فإن « كاد » لا تضم .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ ^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا .

أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ .

ومنه المبالغة في الوصف بطريق التشبيه ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ .

كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ﴾ ^(٨) .

(٢) سورة النور ٤٠

(١) م « إذ » ؛ والصواب ما أثبتته من ب .

(٣) : « فني » ، والصواب ما أثبتته من ت .

(٥) هو أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ؛

(٤) سورة الأحزاب ١٠

ونقله أيضا الشريف المرتضى ؛ ورده . وانظر غرر الفوائد ٢ : ٣٣٤

(٦) سورة ريم ٩٠

(٦) سورة إبراهيم ٣٦

(٨) سورة الرسائل ٣٢ ، ٣٣

وقد يخرج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة وهو مجاز، كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَآلَهُكَ صَفًا صَفًا﴾^(۱)، فجعل مجي جلائل آياته، مجيئاً له سبحانه، على المبالغة.

وكقوله سبحانه: ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ﴾^(۲)؛ فجعل نقله بالهلكة من دار العمل إلى دار الجزاء وجدانا للمجازي.

ومنه ما جرى مجرى الحقيقة، كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾^(۳)، فإن اقتران هذه بـ « يكاد » صرفها إلى الحقيقة، فانقلب من الامتناع إلى الإمكان.

وقد تجيء المبالغة مدحجة، كقوله تعالى: ﴿سِوَاهُ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾^(۴)، فإن المبالغة في هذه الآية مدحجة في المقابلة، وهي بالنسبة إلى المخاطب، لا إلى المخاطب؛ معناه أن علم ذلك متعذر عندك؛ وإلا فهو بالنسبة^(۵) إليه سبحانه ليس بمبالغة.

وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ لَلْبَحْرِ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي...﴾^(۶) الآية، فقيل^(۷): سببها أن اليهود جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا له: كيف عتقنا بهذا القول: ﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(۸)، ونحن قد أوتينا التوراة، وفيها كلام الله^(۹) وأحكامه، ونور وهدى! فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «التوراة قليل من كثير»، ونزلت هذه الآية.

(۳) سورة النور ۳۹ (۳) سورة النور ۴۳

(۵) كذا في م، وفي ت: «الله».

(۷) نقله الواحدي في أسباب النزول ۲۲۵،

(۸) سورة الإسراء ۸۵

(۹) عبارة أسباب النزول: «أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً».

(۱) سورة الفجر ۲۲

(۴) سورة الرعد ۱۰

(۶) سورة الكهف ۱۰۹

عن ابن عباس.

وقيل : إنما نزلت : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴾^(١) .
قال المفسرون : والغرض من ذلك الإعلام بكثرة كلماته ؛ وهي في نفسها غير متناهية
وإنما قرب الأمر على أفهام البشر بما يتناهى ؛ لأنه غاية ما يعهده البشر من الكثرة .
وقال بعض المحققين : إن ما تضمنت الآية أن كلمات الله تعالى لم تكن لتنفذ ، ولم
تقتض الآية أنها تنفذ بأكثر من هذه الأقلام والبحور ؛ وكما قال الخضر عليه السلام :
ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من ماء البحر حين غمس
منقاره فيها .

وعدّ بعضهم من هذا القبيل ما جاء من المبالغة في القرآن من الإغضاء عن العيوب ،
والصفح عن الذنوب ، والتغافل عن الزلات ، والستر على أهل المروءات ، كقوله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٢) .
وقيل في تفسيره : أن تصل مَنْ قَطَعَكَ ، وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك .
وقوله تعالى : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . . . ﴾^(٣) الآية .

(١) سورة لقمان ٢٧ ، وفي أسباب النزول للواحدى ص ٢٦٠ أيضاً : « قال المفسرون : سألت اليهود
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح ، فأنزل الله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ
رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ؛ فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ؛
أتاه أحبار اليهود فقالوا : يا محمد ، بلغنا عنك أنك تقول : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾
أفنعيننا أم قومك ؟ فقال : كلا عتيت ؛ قالوا : ألسنت تتلو فيما جاءك لنا قد أوتينا النوراة وفيها علم كل شئ ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هي في علم الله سبحانه قليل ، ولقد آتاكم الله ما إن عملتم به انتفعتم به » ،
فقالوا : يا محمد ، كيف تزعم هذا وأنت تقول : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾
وكيف يجتمع هذا ! علم قليل وخير كثير ! فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ
أَقْلَامٌ . . . ﴾

تنبيه

(١) تحصل مما سبق أن قصد المبالغة يستلزم في الحال الإيجاز؛ إما بالحذف، وإما بجعل الشيء نفسى الشيء، أو بتكرار لفظ يتم بتكرره التهويل والتعظيم، ويقوم مقام أوصاف، كقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾ (٢).

وقد نص سيبويه على هذا كله في مواضع شتى من كتابه لافتراقها في أحكام.

فائدة

[في اختلاف الأقوال في تقدير المبالغة في الكلام]

اختلف في المبالغة على أقوال :

أحدها : إنكار أن تكون من محاسن الكلام لاشتمالها على الاستحالة .

والثاني : أنها الغاية في الحسن ؛ وأعذب الكلام ما بولغ فيه ؛ وقد قال النابغة :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغَرُّ يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقَطْرُنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

والثالث : وهو الأصح ؛ أنها من محاسن الكلام ؛ ولا ينتحصر الحسن فيها - فإن

فضيلة الصدق لا تنكر - ولو كانت معيبة لم ترد في كلام الله تعالى ؛ ولها طريقان :

أحدهما : أن يستعمل اللفظ في غير معناه لغة ، كما في الكناية والتشبيه والاستعارة

وغيرها ، من أنواع المجاز .

والثاني : أن يُشْفَعَ ما يُفْهِمُ المعنى بالمعنى على وجه يتقضى زيادة ؛ فتترادف (٣) الصفات

(٢) سورة الحاقة ١

(١) هذا التنبيه ساقط من ت .

(٣) ق : « فترداد » .

بقصد التهويل ، كما في قوله تعالى : ﴿ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَفْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ (١) .

الفهم الثاني والعشرون

الاعتراض

وأسماء قدامة^(٢) : « التفاتا »^(٣) ، وهو أن يؤتى في أثناء كلام أو كلامين متصلين معنى ، بشيء يتم الغرض الأصلي بدونها ، ولا يفوت بفواته ، فيكون فاصلاً بين الكلام والكلامين ، لئلا يكتفى .

وقيل : هو إرادة وصف شيئين : الأول منهما قصداً ، والثاني بطريق الانجرار ؛ وله تعليق بالأول بضرب من التأكيد .

وعند النحاة جملة صغرى تتخلل جملة كبرى على جهة التأكيد .

وقال الشيخ عز الدين في أماليه : الجملة المعترضة تارة تكون مؤكدة ، وتارة تكون مشددة ؛ لأنها إما ألا تدل على معنى زائد على ما دل عليه الكلام بل دلت عليه فقط ، فهي مؤكدة . وإما أن تدل عليه وعلى معنى زائد ، فهي مشددة . انتهى .

وذكر النحاة مما تميز به الجملة الاعتراضية عن الحالية كونها طلبية ، كقوله تعالى :

(١) سورة النور ٤٠

(٢) هو أبو الفرج قدامة بن جعفر ؛ صاحب كتاب نقد الشعر .

(٣) قال : « ومن نعوت المعاني الالتفات ؛ وهو أن يكون الشاعر آخفاً في معنى ؛ فكأنه يعترضه ؛ إما شك فيه ، أو ظن أن راداً يرد عليه قوله ؛ أو سائلاً يسأله عن سببه ؛ فيعود راجعاً إلى ما قدمه ؛ فإما أن يذكر سببه ؛ أو يحل الشك فيه » وانظر نقد الشعر ٨٧ ، وبديع القرآن ٤٢

﴿ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(١) ، فإنه معترض بين : ﴿ فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِكُمْ ﴾^(١) ،
وبين : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا ﴾^(١) .

وله أسباب :

منها تقرير الكلام ، كقولك : فلان أحسن بفلان - ونعم ما فعل . ورأى من
الرأى كذا - وكان صوابا .

ومنه قوله تعالى : ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٢) ، ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ﴾^(٢)
اعتراض ؛ والمراد تقرير إثبات البراءة من تهمة السرقة .

وقوله : ﴿ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾^(٣) .

﴿ وَجَعَلُوا أُعْزَةَ أَهْلِهَا أذِلَّةً وَكَذَلِكِ يَفْعَلُونَ ﴾^(٤) ، واعتراض بقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ
يَفْعَلُونَ ﴾^(٤) ، بين كلامها^(٥) .

وقوله : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مِثَابًا ﴾^(٦) .

ومنها قصد التنزيه ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ - سُبْحَانَهُ - وَلَهُمْ
مَا يَشْتَهُونَ ﴾^(٧) ، فاعتراض ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ لغرض التنزيه والتعظيم ، وفيه الشناعة على
من جعل البنات لله .

ومنها قصد التبرك ، وكقوله تعالى : ﴿ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
آمِنِينَ ﴾^(٨) .

(٢) - سورة يوسف ٧٣

(٤) - سورة النمل ٣٤

(٥) أي من كلام بلقيس ؛ وبقية كلامها : ﴿ إِنِّي أُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ﴾ .

(٧) - سورة النحل ٥٧

(١) - سورة آل عمران ١٣٥

(٣) - سورة القتال ٢

(٦) - سورة البقرة ٢٥

(٨) - سورة الفتح ٢٧

ومنها قصد التأكيدي: كقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾^(١) .

وفيها اعتراضان ؛ فإنه اعترض بقوله ؛ ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ﴾^(١) بين القسم وجوابه ، واعتراض بقوله : ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾^(١) بين الصفة والموصوف ؛ والمراد تعظيم شأن ما أقسم به من مواقع النجوم ، وتأكيدي لإجلاله في النفوس ، لا سيما بقوله : ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾^(١) .

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا . أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾^(٢) فـ « أولئك » الخبر و « إِنَّا لَا نَضِيعُ » اعتراض .

ومنها كون الثاني بياناً للأول ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٣) ؛ فإنه اعترض وقع بين قوله: ﴿فَأَتَوْهُنَّ﴾^(٣) ، وبين قوله: ﴿نِسَاءُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ﴾^(٤) ، وهما متصلان معنى ؛ لأن الثاني بيان للأول ؛ كأنه قيل : فاتوهن من حيث يحصل منه الحرث . وفيه اعتراض بأكثر من جملة .

ومنها تخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيدي على أمر علق بهما ، كقوله تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَاتَهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَوَالِدِكَ﴾^(٥) ، فاعتراض بقوله : ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي عَامَيْنِ﴾^(٥) بين « ووصينا » وبين الموصى به ، وفائدة ذلك إظهار الولد بما كابدته أمه من المشقة في حملها وفساله ، فذكر الحمل والفسال يفيد زيادة التوصية بالأم ، لتحماتها من المشاق والمتاعب في حمل الولد ما لا يتكلفه الوالد ، ولهذا جاء في الحديث التوصية بالأم ثلاثاً ، وبالآب مرة .

(٢) سورة الكهف ٣٠ ، ٣١

(٤) سورة البقرة ٢٢٣

(١) سورة الواقعة ٧٥ ، ٧٦

(٣) سورة البقرة ٢٢٢

(٥) سورة لقمان ١٤٠

ومنها زيادة الرد على الخصم ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَ أُنْفُسًا فِيهَا... ﴾ (١)
 الآية فقوله : ﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ ﴾ (١) اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه . وفائدته أن يقرر
 في أنفس المخاطبين أن تدارؤ بني إسرائيل في قتل تلك الأنفس لم يكن نافعاً لهم في إخفائه
 وكتمانه ، لأن الله تعالى مظهرٌ لذلك (٢) ومخرجه ، ولو جاء الكلام خالياً من هذا الاعتراض
 لكان ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَ أُنْفُسًا فِيهَا ﴾ (١) ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ (٣) .
 وقوله : ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزَّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾ (٤) ،
 فاعترض بين « إذ » وجوابها بقوله : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزَّلُ ﴾ (٢) ؛ فكأنه أراد أن يجيبهم
 عن دعواهم فجعل الجواب اعتراضاً .

قوله : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ (٥)
 إلى قوله : ﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) .

وقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٣) إلى قوله : ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا
 بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ اعتراض في أثناء الكلام . وهو قوله : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ
 اشْمَأَزَّتْ ﴾ الآية ، وذلك لأن قوله : ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ ﴾ سبب عن قوله : ﴿ وَإِذَا
 ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ ﴾ على معنى أنهم يشمئزون من توحيد الله تعالى ، ويستبشرون
 بالشرك الذي هو ذكر الآلهة ؛ فإذا مس أحدهم ضرٌّ أو أصابته شدة تناقض في دعواه ،
 فدعا من اشماز من ذكره وانقبض من توحيدهِ ولجأ إليه دون الآلهة ، فهو اعتراض بين
 السبب والمسبب ، فقيد القول بما فيه من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بأمره بذلك ، وبقوله
 ﴿ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ ﴾ ، ثم عقبه من الوعيد العظيم أشد التأكيد وأعظمه وأبلغه ؛

(١) سورة البقرة ٧٢

(٢) سورة البقرة ٧٣

(٣) سورة الزمر ٤٥ - ٤٩

(٤) م : ذلك .

(٥) سورة العنكبوت ١٠١

ولذلك كان اتصال قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ﴾^(١) للسبب الواقع فيها، وخلقوا الأول،
منه من الأمر اشتراك جملة مع جملة، ومناسبة أوجبت العطف بالواو الموضوع لمطلق الجمع،
كقولهم: قام زيد وعمرو. وتسبب السبب مع ما في ظاهر الآية من اشتمالهم ليس يقتضى
التجاءهم إلى الله تعالى، وإنما يقتضى إعراضهم عنه من جهة أن سياق الآية يقتضى إثبات
التناقض؛ وذلك أنك تقول: زيد يؤمن بالله تعالى: فإذا مسه الضرُّ لجأ إليه فهذا سبب
الظاهر مبنى على اطراد الأمر وتقول: زيد كافر بالله، فإذا مسه ضرُّ لجأ إليه، فتجىء بالفاء
هنا كالأول لغرض التزام التناقض، أو العكس، حيث أنزل الكافر كفره منزلة الإيمان
في فصل سبب الالتجاء؛ فانت؛ تلزمه العكس؛ بأنك إنما تقصد بهذا الكلام الإنكار
والتعجب من فعله^(٢).

وقوله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣)
بقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾. له مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ^(٤) اعتراض واقع في أثناء كلام متصل؛ وهو قوله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا
بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٥)، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ
هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾^(٥)، وهو على مهيع أسلوب القرآن؛ من ذكر الضد عقب الضد؛ كما قيل:

* وبضدها تنبئ الأشياء *

ومنها الإدلاء بالحجة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي
إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾^(٦)، فاعتراض
بقوله: ﴿فَاسْأَلُوا﴾ بين قوله: ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ وبين قوله: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾^(٦)
إظهاراً لقوة الحجة عليهم.

(٢) كذاوردت العبارة في الأصول وفيها غموض
(٤) سورة الزمر ٦٣
(٦) سورة النحل ٤٣ ، ٤٤

(١) سورة الزمر ٥٨
(٣) سورة الزمر ٦٢
(٥) سورة الزمر ٦٤

وبهذه الآية رد ابن مالك على أبي علي الفارسي قوله : إنه لا يعترض بأكثر من جملة واحدة .

وردَّ بأن جملة الأمر دليل للجواب عند الأكثرين ونفسه عند آخرين ، فهو مع جملة الشرط ، كالجملة الواحدة . نعم جوزوا في قوله تعالى : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾^(١) ، أن يكون حالا من قوله : ﴿ وَإِمْنُ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾^(٢) ، فلزم الاعتراض بسبع جمل مستقلات ؛ إن كان : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾^(٣) ، خبر مبتدأ محذوف ؛ وإلا فيكون بست جمل .

وقال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ . . . ﴾^(٤) الآية : إن في هذه الآية الكريمة سبع جمل معترضة : جملة الشرط ، و « اتقوا » و « فتحننا » و « كذبوا » و « أخذناهم » و « بما كانوا يكسبون » . وزعم أن ﴿ أفامن ﴾^(٥) معطوف على ﴿ فأخذناهم بعتة ﴾^(٦) ، وكذا نقله ابن مالك عن الزمخشري وتبعه أبو حيان ، ولم يوجد ذلك في كلام الزمخشري .

قال ابن مالك : ورد عليه من ظن أن الجملة والكلام مترادفان ، قال : وإنما يعترض بأربع جمل ؛ وزعم أن من عند ﴿ ولو أن ﴾^(٤) إلى ﴿ والأرض ﴾^(٤) جملة ؛ لأن الفائدة إنما تم بمجموعه .

وفي القولين نظر ؛ أما على قول ابن مالك فينبغي أن يكون بعدها ثمان جمل ؛ أحدها :

(٢) سورة الرحمن ٤٦
(٤) سورة الأعراف ٩٦
(٦) سورة الأعراف ٩٥

(١) سورة الرحمن ٥٤
(٣) سورة الرحمن ٤٨
(٥) سورة الأعراف ٩٧

﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ وأربعة في حيز « لو » وهي ﴿ آمَنُوا ﴾ و ﴿ اتَّقُوا ﴾ و « فتحنا » ،
والمركبة مع أن وصلتها مع « ثبت » مقدراً على الخلاف في أمها فعلية أو اسمية ، والسادسة
﴿ ولكن كذبوا ﴾ والسابعة ﴿ فأخذناهم ﴾ والثامنة ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ .

وأما قول المعترض فلأنه كان من حقه أن يعدها ثلاث جمل ؛ أحدها ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ؛
لأنها حال مرتبطة بعاملها وليست مستقلة برأسها ؛ والثانية « لو » وما في حيزها ، جملة واحدة
فعلية إن قدر : « ولو ثبت أن أهل القرى آمنوا واتقوا » ، أو اسمية وفعلية إن قدر :
إيمانهم ، واتقوا ثابتان ، والثالثة ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(١)
كلمة جملة .

وينبغي على قواعد البيانين أن يعدوا الكل جملة واحدة لارتباط بعضها ببعض ،
وعلى رأى المحجة ينبغي أن يكون ﴿ وَأَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾^(١) جملة واحدة
لارتباط الشرط بالجزاء لفظاً ، ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبُوا ﴾ ثانية أو ثالثة ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ ﴾ ثالثة
أو رابعة ، و ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ متعلق بـ « أخذناهم » فلا يعد اعتراضاً .

وقوله : ﴿ وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ ﴾^(٢) ، فهذه ثلاث
جمل معترضة بين ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ﴾^(٣) وبين ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا ﴾ .
وفيه اعتراض في اعتراض ؛ فإن ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ معترض بين ﴿ غِيضَ الْمَاءِ ﴾
وبين ﴿ واستوت ﴾ .

ولا مانع من وقوع الاعتراض في الاعتراض ، كقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَنَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ
عَظِيمٌ ﴾^(٣) .

(٢) سورة هود ٤٤

(١) سورة الأعراف ٩٦

(٣) الواقعة ٧٦

ومنه قوله تعالى في سورة العنكبوت ذا كراً عن إبراهيم قوله : ﴿ اَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ﴾^(١) ، ثم اعترض تسليمة لقلب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : ﴿ وَإِنْ تَكْذَبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَّمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾^(١) ، وذكر آيات ، إلى أن قال : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ﴾^(٢) يعني قوم إبراهيم ، فرجع إلى الأول .

وجعل الزمخشري قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ ﴾^(٣) ، وفي آخر الصفات معطوفاً على ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ ﴾^(٣) في أول السورة^(٤) : وقال في قول بعضهم في : ﴿ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴾^(٥) : إنه حال من فاعل ﴿ قُمْ ﴾^(٦) في أول هذه السورة ، هذا من بدع التفاسير^(٧) وهذا الذي ذكره في الصفات منه .

ومن العجب دعوى بعضهم كسر همزة « إن » في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ذَلِكَ لَمَقْرُونٌ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾^(٨) على جواب القسم في قوله تعالى : ﴿ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾^(٨) ، حكاه الرماني .

فإن قيل : أين خبر « إن » في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾^(٩) قيل الخبر : ﴿ أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾^(١٠) .

(١) سورة العنكبوت ١٦

(٢) سورة العنكبوت ٢٤

(٣) سورة الصفات ١٤٩ ، والآية : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَأَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ .

(٤) سورة الصفات ١١ ، والآية : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنْ خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ .

(٥) سورة المذثر ٣٦

(٦) سورة المذثر ٢٨ : وهو قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ .

(٧) الكشاف ٤ : ٤٨ ، وعبارته : « معطوف على مثله في أول السورة وإن تباعدت بينهما المدافعة » .

(٨) الكشاف ٤ : ٥٢٢

(٩) سورة فصلت ٤١

(١٠) سورة فصلت ٤٤

فوائد

قال ابن عمرون^(١) : لا يجوز وقوع الاعتراض بين واو العطف وما دخلت عليه :
وقد أجازوه قوم في « ثم » و « أو » فتقول : « زيد قائم ثم والله عمرو » .
وقوله تعالى : ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾^(٢) اعتراض بين الشرط
وجوابه مع أن فيه فاء والجملة مسندة لـ « يَكُنْ » .

قال الطيبي : سئل الزمخشري عن قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴾^(٣) : أهو
اعتراض ؟ قال : لا ، لأن من شرط الاعتراض أن يكون بالواو ونحوها ؛ وأما بالفاء فلا .
وفهم صاحب « فرائد القلائد » من هذا اشتراط الواو ، فقال : وقد ذكر الزمخشري :
﴿ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾^(٤) هذه الجملة اعتراض بين البدل وبين المبدل منه ، أعني
« إبراهيم » و « إذ » قال : هذا معترض لأنه اعتراض بدون الواو بعيد عن الطبع وعن
الاستعمال ، وليس كما قال ، فقد يأتي بالواو كما سبق في الأمثلة ، وبدونها كقوله سبحانه :
﴿ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾^(٥) . وقد اجتمعا في قوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ
لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ . إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾^(٦) .

القسم الثاني والعشرون

الاحتراس

وهو أن يكون الكلام محتملاً لشيء بعيد ، فيؤتى بما يدفع ذلك الاحتمال ؛ كقوله

(١) هو محمد بن محمد بن أبي علي بن أبي سعد عمرون ، النجوى ؛ أخذ عن ابن بعيش ؛ وله شرح على

المفصل ؛ توفي سنة ٦٤٩ . بغية الوعاة ٩٩

(٢) سورة المدثر ٥٥

(٣) سورة النساء ١٣٥

(٤) سورة النحل ٥٧

(٥) سورة مريم ٤١ ، ٥٦

(٦) سورة الواقعة ٧٥ - ٧٧٧

تعالى : ﴿ أَسْأَلُكَ بِدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾^(١) ، فاحترس سبحانه بقوله : ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ عن إمكان أن يدخلَ في ذلك البهق والبرص .

وقوله تعالى : ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾^(٢) فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة وهو السهولة لتوهم أن ذلك لضعفهم ، فلما قيل : ﴿ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ علم أنها منهم تواضع ؛ ولهذا عدى « الذل » بعلى لتضمنه معنى العطف .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾^(٤) فقوله : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾^(٤) احترام بين أن من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده أنهم لا يحطمون نملة فما فوقها إلا بالآل يشعروا بها .

وقد قيل : إنما كان تبسم سليمان سروراً بهذه الكلمة منها ؛ ولذلك أكد التبسم بالضحك ؛ لأنهم يقولون : تبسم كتبسم الغضبان ؛ لينبه على أن تبسمه تبسم سرور .

ومثله قوله تعالى : ﴿ فَتُصِيبِكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾^(٥) التفات إلى أنهم لا يقصدون ضرراً مسلم .

وقوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾^(٦) ؛ فإنه سبحانه لما أخبر بهلاك من هلك بالطوفان ، عقبهم بالدعاء عليهم ، ووصفهم بالظلم ، ليعلم أن جميعهم كان مستحقاً للعذاب ،

(١) سورة القصص ٣٢

(٢) سورة المائدة ٥٤

(٣) سورة الفتح ٢٩

(٤) سورة النمل ١٨

(٥) سورة الفتح ٢٥

(٦) سورة هود ٤٤

احتراس من ضعف يوم أن الهلاك بعمومه ربما شمل من لا يستحق العذاب ؛ فلما دعا على الهالكين ، ووصفهم بالظلم علم استحقاقهم لما نزل بهم وحل بساحتهم ، مع قوله أولاً : ﴿ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ ﴾^(١) .

وأعجبُ احتراس وقع في القرآن قوله تعالى مخاطباً لنبيه عليه السلام : ﴿ وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْتُنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ . . . ﴾^(٢) الآية .

وقال حكاية عن موسى : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ﴾^(٣) ، فلما نفى سبحانه عن رسوله أن يكون بالمكان الذي قضى لموسى فيه الأمر عرف المكان بالغربي^(٤) ولم يقل في هذا الموضع ﴿ الْأَيْمَنِ ﴾ كما قال : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ﴾^(٥) أدباً مع النبي صلى الله عليه وسلم أن ينفي عنه كونه بالجانب الأيمن ، أو يسلب عنه لفظاً مشتقاً من اليمين ، أو مشاركاً لمادته ، ولما أخبر عن موسى عليه السلام ذكر الجانب الأيمن تشریفاً لموسى ؛ فراعى في المقامين حسن الأدب معهما ، تعليماً للأمة ، وهو أصل عظيم في الأدب في الخطاب .

وقوله : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ بِأَنَّكَ أَرْسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ أَرْسُولُ اللَّهِ وَيَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾^(٦) فإنه لو اختصر لترك : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ ؛ لأز سياق الآية لتكذيبهم في دعوى الإخلاص في الشهادة ، لكن حسن ذكره رفع توهم أز التكذيب للمشهود به في نفس الأمر .

وقوله حاكياً عن يوسف عليه السلام : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾^(٧) ولم يذكر الجلب مع أن النعمة فيه أعظم لوجهين :

(٢) سورة القصص ٤٤

(٤) سورة المنافقون ١

(١) سورة هود ٣٧

(٣) سورة مريم ٥٢

(٥) سورة يوسف ١٠٠

أحدهما: لئلا يستحي إخوته ، والكريم يفضى ؛ ولا سيما في وقت الصفاء .

والثاني : لأن السجن كان باختياره ، فكان الخروج منه أعظم ، بخلاف الجب .

وقوله : ﴿ تَكَلَّمُ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا ﴾^(١) ؛ وإنما ذكر الكهولة مع أنه لا إعجاز

فيه ؛ لأنه كان في العادة ، أن من يتكلم في المهد أنه لا يعيش ولا يتمادى به العمر ، فجعل الاحتراس بقوله : ﴿ وَكَهَلًا ﴾ .

ومنه قوله : ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾^(٢) ، والسقف لا يكون إلا من

فوق ؛ لأنه سبحانه رفع الاحتمال الذي يتوهم من أن السقف قد يكون من تحت بالنسبة ؛

فإن كثيراً من السقوف يكون أرضاً لقوم وسقفاً لآخرين ؛ فرفع تعالى هذا الاحتمال بشيئين

وهما قوله : ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ ، ولفظة ﴿ خَرَّ ﴾ لأنها لا تستعمل إلا فيما هبط أو سقط من العلو

إلى سفلى .

وقيل : إنما أكد ليعلم أنهم كانوا حالين تحته ، والعرب تقول : خر علينا سقف

ووقع علينا حائط ، فجاء بقوله : ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ ، ليخرج هذا الشك الذي في كلامهم ،

فقال : ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ ، أى عليهم وقع ؛ وكانوا تحته ، فهلكوا وما أفتلوا .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَنْوَا حَرَّتْكُمْ أَيْ شِئْتُمْ ﴾^(٣) ؛ لأنه لما كان يحتمل معنى « كيف »

و « أين » احترس بقوله : ﴿ حَرَّتْكُمْ ﴾ ؛ لأن الحرث لا يكون إلا حيث تنبت البذور ،

وينبت الزرع ، وهو المحل المخصوص .

وقوله : ﴿ وَأَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾^(٤) ؛

وذلك لأن الاشتراك في المصيبة يخفف منها ، ويسلى عنها ؛ فأعلم سبحانه أنه

لا ينفعهم ذلك .

(٢) سورة الزخرف ٣٩

(٤) سورة النحل ٢٦

(١) سورة البقرة ٢٢٣

(٣) سورة المائدة ١١٠

فائدة

عاب قدامة على ذى الرُّمة قوله :

أَلَا يَا أَسْمَى بَادَارَ مَيِّ عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مِنْهَا بِجَرِّ عَائِكَ الْقَطْرِ^(١)

فإنه لم يحترس ، وهَلَا قَالَ كَمَا قَالَ طَرْفَةَ^(٢) :

* فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا *

وأجيب بأنه قدّم الدعاء بالسلامة للدار .

وقيل : لم يرد بقوله : « وَلَا زَالَ مِنْهَا » اتصال الدوام بالسُّقيا من غير إقلاع ، وإنما

ذلك بمثابة من يقول : ما زال فلان يزورنى ، إذا كان متعاهداً له بالزيارة .

القسم الرابع والعشرون

التذييل

مصدر « ذَيْلٌ » للمبالغة ؛ وهى لغة ، جعلُ الشئ ذَيْلاً للآخر . واصطلاحاً أن يُوتَى

بعد تمام الكلام بكلام مستقل فى معنى الأول ؛ تحقيقاً لدلالة منطوق الأول ، أو مفهوماً ؛

ليكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم ؛ ويكمل عند من فهمه .

كقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ﴾^(٣) ، ثم قال عز من قائل : ﴿ وَهَلْ

(٢) ديوانه ٧٢ (من مجموعة العقد الثمين) ، وبقيته :

* صَوَّبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْمَى *

(١) ديوانه ٢٠٦

(٣) سورة سبأ ١٧

بُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ^(١) ، أي هل يجازى ذلك الجزاء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور؛ فإن جعلنا الجزاء عاما كان الثاني مفيداً فائدة زائدة .

وقوله : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ . إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ . وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾^(٤) .

فقوله : ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ تذييل لاشتماله على . . .^(٥)

وقوله : ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾^(٧) .

وجعل القاضى أبو بكر فى كتابه « الإيجاز » منه قوله تعالى : ﴿ إِنْ فِرْعَوْنُ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي سَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(٨) .

وقوله : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنْ فِرْعَوْنُ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾^(٩) .

ويحتمل أن يكون من التعليل .

وقوله : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ ﴾^(١٠) ، فقوله :

(٢) - سورة الإمراء ٨١

(٤) - سورة فاطر ١٣ ، ١٤

(٦) - سورة المؤمنین ٤٦

(٨) - سورة القصص ٤

(١٠) - سورة الزخرف ٢٢

(١) - سورة سبأ ١٧

(٣) - سورة الأنبياء ٣٤

(٥) - بياض فى الأصلين .

(٧) - سورة الأعراف ١٣٣

(٩) - سورة القصص ٩

﴿وَكَذَلِكَ﴾^(١) ، تذييل ، أى فذلك شأن الأمم مع الرسل ، وقوله : ﴿مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ﴾^(١) ، جعل التذييل هنا من التفسير .

القسم الخامس والعشرون

التميم

وهو أن يتم الكلام ، فيلحق به ما يكمله ، إما مبالغة ، أو احترازاً ، أو احتياطاً :
وقيل : هو أن يأخذ في معنى فيذكره غير مشروح ؛ وربما كان السامع لا يتأمله
ليعود اللفظ إليه شارحاً ؛ كقوله تعالى : ﴿وَيُطْعَمُونَ الْطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيماً
وَأَسِيرًا﴾^(٢) ، فالتميم في قوله : ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ ، جعل اللفظ كناية عن الطعام مع اشتهاؤه .
وكذلك قوله : ﴿وَآتَى الْوَالِدَ عَلَى حُبِّهِ﴾^(٣) .
وكقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾^(٤) ، فتوله : ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ تميم في غاية الحسن .

القسم السادس والعشرون

الزيادة

والأكثرون يذكرون إطلاق هذه العبارة في كتاب الله ، ويسمونه التأكيد .
ومنهم من يسميه بالصلة . ومنهم من يسميه المقدم .

(٢) سورة الدهر ٨
(٤) سورة النساء ١٢٤

(١) سورة الزخرف ٢٣
(٣) سورة البقرة ١٧٧

قال ابن جنى : كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى .
وبابها الحروف والأفعال .

كقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ ﴾^(١) . ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾^(٢) .
وقوله : ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُسَكِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْعَهْدِ صَبِيًّا ﴾^(٣) قيل : ﴿ كان ﴾ هاهنا
زائدة ؛ وإلا لم يكن فيه إعجاز ؛ لأن الرجال كلهم كانوا في العهد ، وانتصب ﴿ صبيًّا ﴾
على الحال .

وقال ابن عصفور : هي في كلامهم زيدت في وسط الكلام للتأكيد ؛ وهي مؤكدة
للماضى في ﴿ قالوا ﴾ .

ومنه زيادة « أصبح » ، قال حازم : إن كان الأمر الذى ذكر أنه أصبح فيه [يكن
أمسى فيه ، فليست زائدة ، وإلا فهي زائدة ؛ كقولك : أصبح العسل حلواً .
وأجاب الرماني عن قوله : ﴿ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾^(٤) ، فإن العادة أن من به علة
تزد عليه بالليل يرجو الفرج عند الصباح ، فاستعمل « أصبح » لأن الخسران جعل لهم
في الوقت الذى يرجون فيه الفرج ، فليست زائدة .

وهو معنى قول غيره : إنها تأتي للدوام واستمرار الصفة ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحُوا
لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ ﴾^(٥) ، ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا بِالْأَمْسِ ﴾^(٦) .
وأما قوله تعالى : ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾^(٧) فهو على الأصل ، لظهور
الصفة نهارة ، والمراد الدوام أيضاً ، أى استقرت له الصفة نهارة^(٨) .

(٢) سورة آل عمران ١٥٩
(٤) سورة المائدة ٥٣
(٦) سورة القصص ٨٢
(٨) كلمة : « نهارة » ، ساقطة من ت .

(١) سورة المائدة ١٣
(٣) سورة مريم ٢٩
(٥) سورة الأحقاف ٢٥
(٧) سورة النمل ٥٨

واعلم أن الزيادة واللغو من عيارة البصريين، والصلة والحشو من عبارة الكوفيين، قال^(١) سيبويه عقب قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ﴾^(٢): إن «ما» لغو، لأنها لم تُحْدِث شيئاً.

والأولى اجتنابُ مثل هذه العبارة في كتاب الله تعالى، فإن مراد النحويين بالزائد من جهة الإعراب، لا من جهة المعنى، فإن قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾^(٣) معناه: «ما لنت لهم إلا رحمة»؛ وهذا قد جمع نفيًا وإثباتًا، ثم اختصر على هذه الإرادة، وُجِّع فيه بين لفظي الإثبات وأداة النفي التي هي «ما». وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾^(٤) و«إِنَّمَا» هنا حرف تحقيق وتمحيق، إن هنا للتحقيق، وما للتمحيق فاختصر، والأصل: «ما الله اثنان فصاعداً، وأنه إله واحد».

وقد اختلف في وقوع الزائد في القرآن؛ فمنهم من أنكره، قال الطرطوسي في «العمدة»^(٥): زعم المبرد وتعلب ألا صلة في القرآن، والدعاه من العلماء والفقهاء والمفسرين على إثبات الصلوات في القرآن، وقد وجد ذلك على وجه لا يسعنا إنكاره فذكر كثيرا.

وقال ابن الخباز^(٦) في التوجيه^(٧): وعند ابن السراج أنه ليس في كلام العرب زائد، لأنه تكلم بغير فائدة، وما جاء منه حمّله على التوكيد.

(٢) سورة النساء ١٥٥

(١) الكتاب ٢: ٣٠٥

(٤) سورة النساء ١٧١

(٣) سورة آل عمران ١٥٩

(٥) هو كتاب عمدة المحكم فيما لا ينفذ من الأحكام؛ للقاضي نجم الدين إبراهيم بن علي الطرطوسي

الحنفي المتوفى سنة ٧٥٨. كشف الظنون ١١٦٦ - ١١٦٧

(٦) هو أحمد بن الحسين بن أحمد بن معالي، الإربلي الضرير، المعروف بابن الخباز؛ توفي سنة ٦٣٩

(٧) ذكره صاحب كشف الظنون.

نسكت الهميان ٩٦

ومنهم من جوزوه وجعل وجوده كالعدم ؛ وهو أفسد الطرق .

وقد ردّ على نحر الدين الرازي قوله : إن المحققين على أن المهمل لا يقع في كلام الله سبحانه ؛ فأما في قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾^(١) فيمكن أن تكون استفهامية للتعجب ، والتقدير « فبأي رحمة » ؟ فجعل الزائد مهملا ، وليس كذلك ، لأن الزائد ما أتى به لغرض التقوية والتوكيد ، والمهمل ما لم تضعه العرب ، وهو ضدّ المستعمل ، وليس المراد من الزيادة - حيث ذكرها النحويون - إهمال اللفظ ، ولا كونه لغوا فتحتاج إلى التنكّب عن التعبير بها إلى غيرها ؛ فإنهم إنما سمّوا « ما » زائدة هنا لجواز تعدّي العامل قبلها إلى ما بعدها ، لا لأنها ليس لها معنى .

وأما ما قاله في الآية : إنها للاستفهام التعجبيّ ، فقد انتقد عليه بأن قيل : تقديره « فبأي رحمة » دليل على أنه جعل « ما » مضافة للرحمة ، وأسماء الاستفهام التعجبي لا يضاف منها غير « أي » ؛ وإذا لم تصح الإضافة كان ما بعدها بدلا منها ، والمبدل من اسم الاستفهام يجب معه ذكر همزة الاستفهام ، وليست الهمزة مذكورة ، فدل على بطلان هذه الدعوى ؛ وسنبين في فصل زيادة الحروف الفائدة في إدخال « ما » ها هنا ، فانظره هناك .

تنبيهات

الأول : أهل الصناعة يطلقون الزائد على وجوه : منها ما يتعلق به هنا وهو ما أقمنا كيدا ، نحو : ﴿ فَبِأَيِّ رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾^(٢) . ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً ﴾^(٣) . ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(٤) .

(٢) - سورة آل عمران ١٥٩

(٤) - سورة الشورى ١١

(١) - سورة آل عمران ١٥٩

(٣) - سورة البقرة ٢٦

ومعنى كونه زائداً أن أصل المعنى حاصل بدون التأكيد ؛ فبوجوده حصل فائدة التأكيد ، والواضع الحكيم لا يضع الشيء إلا لفائدة .
وسئل بعض العلماء عن التوكيد بالحرف ، وما معناه ؛ إذ إسقاط الحرف لا يخل بالمعنى ؟
فقال : هذا يعرفه أهل الطباع إذ يجدون أنفسهم بوجود الحرف على معنى زائد لا يجدونه بإسقاط الحرف ، قال : ومثال ذلك مثال العارف بوزن الشعر طبعاً ؛ فإذا تغير البيت بزيادة أو نقص أنكره وقال : أجد نفسى على خلاف ما أجده بإقامة الوزن ، فكذلك هذه الحروف تتغير نفس المطبوع عند نقصانها ، ويجد نفسه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بنقصانها .

الثانى : حق الزيادة أن تكون فى الحرف وفى الأفعال كما سبق ؛ وأما الأسماء فنصّ أ كثر النحويين على أنها لا تزداد . ووقع فى كلام كثير من المفسرين الحكم عليها فى بعض المواضع بالزيادة ، كقول الزمخشري فى قوله تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾^(١) : إن اسم الجلالة مقحم ، ولا يتصور مخادعتهم لله تعالى^(٢) .

الثالث : حقها أن تكون آخراً وحشواً ؛ وأما وقوعها أولاً فلما فيه من التناقض ، إذ قضية الزيادة إمكان أطرافها ، وقضية التصدير الاهتمام ، ومن ثم ضعف قول بعضهم بزيادة « لا » فى قوله تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾^(٣) . وأبعد منه قول آخر : إنها بمعنى « إلا » ، والظاهر أنها ردت لكلام تقدم فى إنكار البعث ، أى ليس الأمر كما تقولون ، ثم قال بعده : ﴿ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾^(٣) ، وعليه فيجوز الوقف على « لا » وفيه بعد .

(٢) الكشاف ١ : ٤٤

(١) سورة البقرة ٩

(٣) سورة القيامة ١

فصل

[في حروف الزيادة]

الزيادة إما أن تكون لتأكيد النفي ، كالباء في خبر ليس وما ، أو لتأكيد الإيجاب كاللام الداخلة على المبتدأ .

وحروف الزيادة سبعة : إن ، وأن ، ولا ، وما ، ومن ، والباء ، واللام . بمعنى أنها تأتي في بعض الموارد زائدة ؛ لأنها لازمة للزيادة . ثم ليس المراد حصر الزوائد فيها ، فقد زادوا الكاف وغيرها ؛ بل المراد أن الأكثر في الزيادة أن تكون بها .

[زيادة « إن »]

فأما إن الخفيفة فتطرد زيادتها مع ما النافية ، كقول امرئ القيس ^(١) :
 حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ حَلْفَةً فَاجِرٍ لَنَامُوا فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَلٍ
 أى فما حديث . فزاد « إن » للتوكيد ، قال الفراء : إن الخفيفة زائدة ، فجمعوا بينها وبين ما النافية ، تأكيداً للنفي ، فهو بمنزلة تكرارها ، فهو عند الفراء من التأكيد اللفظي ، وعند سيبويه من التأكيد المعنوي .

وقيل : قوله تعالى : ﴿ وَتَقَدُّ مَكَانَهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾ ^(٢) : أنها زائدة .
 وقيل نافية ؛ والأصل « فى الذى ما مكنناكم فيه » بدليل : ﴿ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَكُمْ ﴾ ^(٣) ؛ وكأنه إنما عدل عن « ما » لثلاث تكرار فيثقل اللفظ .
 ووه ابن الحاجب ؛ حيث زعم أنها تزداد بعد « لما » الإيجابية ؛ وإنما تلك فى « أن » المفتوحة .

(٢) سورة الأحقاف ٢٦

(١) ديوانه ٣٢
 (٣) سورة الأنعام ٦

[زيادة « أن »]

وأما أن المفتوحة فتزاد بعد لما الظرفية ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا بِهِمُ الْمَسْكِينُ ﴾^(١) ، وإنما حكموا بزيادتها ؛ لأن « لما ظرف زمان ؛ ومعناها وجود الشيء لوجود غيره ؛ وظروف الزمان غير المتمكنة لا تضاف إلى المفرد ، « وأن » المفتوحة تجعل الفعل بعدها في تأويل المفرد ؛ فلم تبق « لما » مضافة إلى الجملة ؛ فلذلك حكموا بزيادتها .

وجعل الأخفش من زيادتها قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ﴾^(٢) ، ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(٣) . وقيل : بل هي مصدرية ؛ والأصل « وما لنا في ألا نفعل كذا » ! فليست زائدة ؛ لأنها عملت النصب في المضارع .

* * *

[زيادة « ما »]

وأما « ما » فتزاد بعد خمس كلمات من حروف الجر ؛ فتزاد بعد « من » و « عن » غير كافة لهما عن العمل ، وتزاد بعد الكاف ، ورب ، والباء ؛ كافة [تارة] وغير كافة أخرى . والكافة إما أن تكف عن عمل النصب والرفع ؛ وهي المتصلة بيان وأخواتها ؛ نحو : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾^(٤) . ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ ﴾^(٥) . وجعلوا منها : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(٦) ؛ ويحتمل أن تكون موصولة بمعنى « الذي » و « العلماء » خبر ، والعائد مستتر في « يخشى » ، وأطلقت « ما » على جماعة العقلاء ،

(٢) سورة إبراهيم ١٢

(٤) سورة النساء ١٧١

(٦) سورة فاطر ٢٨

(١) سورة العنكبوت ٢٣

(٣) سورة البقرة ٢٤٦

(٥) سورة الأنفال ٦

كافي قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾^(١)

وإما أن تكف عن عمل الجبر ، كقوله تعالى : ﴿ آجَعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾^(٢) .
وقيل : بل موصولة ؛ أي « كالذي هو لهم آلهة » .

وغير الكافة تقع بعد الجازم ؛ نحو : ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ ﴾^(٣) ، ﴿ أَيَا مَا تَدْعُوا ﴾^(٤) .
﴿ إِنَّمَا تَكُونُوا ﴾^(٥) .

وبعد الخافض ؛ حرفاً كان : ﴿ فَمَا رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ ﴾^(٦) . ﴿ فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ ﴾^(٧) .
﴿ عَمَّا قَلِيلٍ ﴾^(٨) . ﴿ مِمَّا خَطَبْتُمْ ﴾^(٩) ، أو اسماً ، نحو : ﴿ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُمْ ﴾^(١٠) .

وتزاد بعد أداة الشرط ؛ جازمة كانت ، نحو : ﴿ إِنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمْ
الْمَوْتُ ﴾^(١١) . أو غير جازمة ، نحو : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعَهُمْ ﴾^(١٢) .

وبين التبوع وتابعه ؛ نحو : ﴿ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ ﴾^(١٣) ، قال الزجاج : ما حرف زائد
للتوكيد عند جميع البصريين .

ويؤيده سقوطها في قراءة ابن مسعود . و « بعوضة » بدل . وقيل « ما » اسم نكرة
صفة لـ « مثلاً » ، أو بدل و « بعوضة » عطف بيان .

وقيل في قوله : ﴿ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(١٤) بأنها زائدة لمجرد تقوية الكلام ؛ نحو :

- | | |
|----------------------|-----------------------|
| (١) سورة النساء ٣ | (٢) سورة الأعراف ١٢٨ |
| (٣) سورة الأعراف ٢٠٠ | (٤) سورة الإسراء ١١٠ |
| (٥) سورة النساء ٧٨ | (٦) سورة آل عمران ١٥٩ |
| (٧) سورة المائدة ١٣ | (٨) سورة المؤمنون ٥٠ |
| (٩) سورة نوح ٢٥ | (١٠) سورة القصص ٢٨ |
| (١١) سورة النساء ٧٨ | (١٢) سورة فصلت ٢٠ |
| (١٣) سورة البقرة ٢٦ | (١٤) سورة البقرة ٨٨ |

وهذا أقرب مما قبله ؛ لأن فيه إبقاء المنع على أصله ، وعدم زيادتها أولى ؛ لأن حذف حرف الجر مع « أن » كثير كثيرة لا تصل إلى المجاز ، والزيادة في درجته .

قالوا : وفائدة زيادتها تأكيد الإثبات ؛ فإن وضع « لا » نفي ما دخلت عليه ، فهي معارضة للإثبات ؛ ولا يخفى أن حصول الحكم مع المعارض أثبت مما إذا لم يترضه المعارض ، أو أسقط معنى ما كان من شأنه أن يسقط .

ومنه : ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾^(١) .

وقيل : وقد تزداد قبل القسم ، نحو : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾^(٢) .
﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾^(٣) . ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾^(٤) ؛ أى أقسم بثبوتها .

وضُعم في الأخيرة ، بأنها وقعت صدرا ، بخلاف ما قبلها ، لوقوعها بين الفاء ومعطوفها .

وقيل : زبدت توطئة لنفي الجواب ؛ أى لا أقسم بيوم القيامة ، فلا يتركون سدى .
ورد بقوله تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ . . . ﴾^(٥) الآيات ، فإن جوابه مثبت ، وهو : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾^(٥) .
وقيل غير زائدة .

وقيل : هي رد الكلام قد تقدم من الكفار ، فإن القرآن كله كالسورة الواحدة ؛ فيجوز أن يكون الادعاء في سورة ، والرد عليهم في أخرى ؛ فيجوز الوقف على « لا » هذه .

(٢) سورة المارج ٤٠

(٤) سورة القيامة ١

(١) سورة طه ٩٢ ، ٩٣

(٣) سورة الواقعة ٧٥

(٥) سورة البلد ١ ، ٤

واختلف في قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ ﴾^(۱) .

فقيل : زائدة ليصح المعنى ؛ لأن المحرم الشرك .

وقيل : نافية أو ناهية .

وقيل : الكلام تم عند قوله : ﴿ حَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴾ ، ثم ابتداء : ﴿ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(۲) ؛ فيمن فتح الهمزة^(۳) ، فقيل « لا » زائدة ، وإلا لكان عذراً للكفار .

ورده الزجاج بأنها نافية في قراءة الكسر^(۴) ، فيجب ذلك في قراءة الفتح .

وقيل : نافية وحذف المعطوف ؛ أي وأنهم يؤمنون .

وقوله تعالى : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾^(۵) .

وقيل : « لا » زائدة ، والمنع : ممتنع^(۶) على أهل قرية قدرنا إهلاكهم فكفرهم أنهم لا يرجعون عن الكفر إلى قيام الساعة .

وعلى هذا فـ « حرام » خبر مقدم وجوبا لأن الخبر عنه « أن وصلتها » .

وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ

(۱) سورة الأنعام ۱۵۱ (۲) سورة الأنعام ۱۰۹

(۳) هي رواية العراقيين فاطبة عن أبي بكر من طريق يحيى ، قال صاحب إتحاف فضلاء البشر ۲۱۵ « على أنها بمعنى لعل ؛ وهي في مصحف أبي كذلك ، أو على تقدير لام العلة ؛ والتقدير : إنما الآيات التي يقترحونها إذا جاءت لا يؤمنون ، وما يشعركم اعتراض بين العلة والمعلول » .

(۴) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وأبي بكر ويعقوب وخلف . الإتحاف ۲۱۵

(۵) سورة الأنبياء ۹۵ (۶) ت « يمتنع » .

يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّاءَ نَبِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلَّمُونَ
الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ . وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ
أَرْبَابًا ﴿١﴾ عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ نَصَبَ ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ (٢) عطفًا على ﴿يُؤْتِيهِ﴾ فـ «لا» زائدة
مؤكدَةٌ لمعنى النفي السابق .

وقيل : عطف على ﴿يَقُولُ﴾ ، والمعنى : ما كان لبشر أن ينصبه الله المدعى إلى عبادته
وترك الأنداد ، ثم يأمر الناس بأن يكونوا عباداً له ، ويأمرهم أن تتخذوا الملائكة
والنبيين أرباباً .

وقيل : ليست زائدة لأنه عليه الصلاة والسلام كان ينهى قريشاً عن عبادة الملائكة ،
وأهل الكتاب عن عبادة عَزِيرٍ وَعِيسَى ؛ فلما قالوا له : أنتخذك رباً ؟ قيل لهم :
ما كان لبشر أن يؤتية الله الكتاب والحكمة ، ثم يأمر الناس بعبادته ، وينههم عن
عبادة الملائكة والأنبياء .

[زيادة « من »]

وأما « من » فإنها تزداد في الكلام الوارد بعد نفي أو شبهه ؛ نحو : ﴿وَمَا نَسْفُطُ مِنْ
وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ (٣) . ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى
مِنْ فُطُورٍ﴾ (٤) . ﴿مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ (٥) .

(٢) قال صاحب كتاب إتحاف فضلاء

(١) سورة آل عمران ٧٩ ، ٨٠

البشر ١٧٧ : « واختلف في ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ ، فابن عامر وعاصم وحزرة وكذا يعقوب وخلف بنصب

الراء ؛ أى ولا له أن يأمرهم ، فإن مضمره ، أو منصوب بالعطف على ﴿يُؤْتِيهِ﴾ ، والفاعل ضمير

« بشر » ، ووافقهم الحسن واليزيدى والأعمش ؛ والباقون بالرفع على الاستئناف ، وفاعله ضمير اسم الله

(٣) سورة الأنعام ٥٩

تعالى أو بشر .

(٥) سورة المؤمنون ٩١

(٤) سورة الملك ٣

وجوز الأخفش زيادتها مطلقاً؛ محتجاً بنحو قوله تعالى: ﴿وَأَقْدَمَ جَاءَكَ مِنْ نَبِيٍّ
الْمُرْسَلِينَ﴾^(١). ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾^(٢). ﴿يُحْمَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ
ذَهَبٍ﴾^(٣). ﴿وَيُكْفَرُ عَنْكُمْ مِنَ سَيِّئَاتِكُمْ﴾^(٤).

وأما «ما» في نحو قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾^(٥)، وقوله: ﴿فِيمَا
نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ﴾^(٦) فد «ما» في هذين الموضوعين زائدة؛ إلا أن فيها فائدة جليلة؛
وهي أنه لو قال: فبرحمة من الله لنت لهم، وبنقضهم لعناهم، جوزنا أن اللين واللعن كانا
للسببين المذكورين ولغير ذلك، فلما أدخل «ما» في الموضوعين قطعنا بأن اللين لم يكن
إلا للرحمة، وأن اللعن لم يكن إلا لأجل نقض الميثاق.

[زيادة الباء]

وأما الباء فتزاد في الفاعل؛ نحو «كفى بالله»، أي كفى الله، ونحو «أحسب زيدا»^(١)
إلا أنها في التعجب لازمة. ويجوز حذفها في فاعل ﴿كفى بالله شهيداً﴾، ﴿وكفى بنا
حاسبين﴾^(٧) وإما هو «كفى الله» و«كفانا».

وقال الزجاج: دخلت لتضمن «كفى» معنى اكتفى؛ وهو حسن.

وفي المفعول، نحو: ﴿وَلَا تُنْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٨)؛ لأن الفعل يتعدى
بنفسه؛ بدليل قوله: ﴿وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾^(٩)، ونحو: ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ مِحْدَعِ
النَّخْلَةِ﴾^(١٠). ﴿الْمَ يَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾^(١١). ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ﴾^(١٢)

(١) سورة الأنعام ٣٤

(٢) سورة الحج ٢٣، والكهف ٣١

(٣) سورة آل عمران ١٥٩

(٤) سورة الأبياء ٤٧

(٥) سورة الحجر ١٩

(٦) سورة العلق ١٤

(٢) سورة نوح ٤

(٤) سورة البقرة ٢٧١

(٦) سورة المائدة ١٤

(٧) سورة البقرة ١٩٥

(١٠) سورة مريم ٢٥

(١٢) سورة الحج ١٥

﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾^(١) . ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾^(٢) ، أى يمسح السوق مسحاً .

وقيل فى الأول : ضمن « تلقوا » معنى « تفضوا » .

وقيل : المعنى لا تلقوا أنفسكم بسبب أيديكم ؛ كما يقال : لا تفسد أمرَك برأيك .

وقيل فى قوله تعالى : ﴿ تَنَبَّتْ بِالذُّهْنِ ﴾^(٣) : إن الباء زائدة ؛ والمراد : « تنبت

الدهن » .

وفى المبتدأ ؛ وهو قليل ؛ ومنه عند سيبويه : ﴿ بِأَيْكُمْ الْمَفْتُونُ ﴾^(٤) .

وقال أبو الحسن : ﴿ بِأَيْكُمْ ﴾ متعلق باستقرار محذوف مخبر عنه بالمفتون ؛

ثم اختلف فقيل : « المفتون » مصدر بمعنى الفتنة ، وقيل : الباء ظرفية ، أى فى أَيْكُمْ الجنون .

وفى خبر المبتدأ ؛ نحو : ﴿ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا ﴾^(٥) . وقال أبو الحسن : الباء زائدة ،

بدليل قوله فى موضع آخر : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾^(٦) .

وفى خبر ليس ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾^(٧) .

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾^(٨) .

وقال ابن عصفور فى « المقرَّب »^(٩) : وتزاد فى نادر كلام لا يُقاس عليه ، كقوله

تعالى : ﴿ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾^(٧) . انتهى

(٢) سورة ص ٣٣

(٤) سورة ن ٦ والمفتون : المجنون

(٦) سورة الشورى ٤٠

(٨) سورة الزمر ٣٦

(١) سورة الحج ٢٥

(٣) سورة المؤمنون ٢٠

(٥) سورة يونس ٢٧

(٧) سورة القيامة ٤٠

(٩) المقرَّب فى النحو ؛ لابن عصفور على بن مؤمن الحضرمي ؛ المتوفى سنة ٦٦٣ ؛ وعليه شرح له ؛

ومنه نسخ خطية بدار الكتب المصرية . وانظر كشف الظنون .

ومراده الآية التي أولها: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 وَلَمْ يَعْزِبْ بِمَخْلُقِهِنَّ بِقَادِرٍ﴾^(١) ، ولذا صرح به ابن أبي الربيع^(٢) في القراءتين .
 ويدل على الزيادة الآية التي في [الإسراء]: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٣) .
 وزعم^(٤) ابن النحاس أنه أراد الآية الأولى ، أعنى قوله : ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ
 عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾^(٥) ، فاعتذر عنه بأنه : إنما قال ذلك - وإن كان في خبر ليس -
 لأن « ليس » هنا بدخول الهمزة عليها لم يبق معناها من النفي ، فصار الكلام تقريراً
 ويعنى بقوله : « في نادر » في القياس لا في الاستعمال .

[زيادة اللام]

وأما اللام ، فتزاد معترضة بين الفعل ومفعوله ؛ كقوله :
 وملكت ما بين العراق ويثرب مُلكاً أجار لمسلم ومعهده
 وجعل منه المبرد قوله تعالى : ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾^(٦) ، والأكثر على أنه ضمن
 ﴿رَدِفَ﴾ معنى : « اقترب » ؛ كقوله : ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾^(٧) .
 واختلف في قوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾^(٨) ، فقيل
 زائدة ، وقيل للتعليل والمفعول محذوف ، أى يريد الله التبين وليبين لكم ويهديكم ، أى
 فيجمع لكم بين الأمرين .

(٢) هو أحمد بن سايان الكنتاني الأندلسي .

(١) سورة الأحقاف ٣٣

مسند القراء بالأندلس . توفي سنة ٤٦٠ . طبقات القراء ١ : ٥٨

(٤) كذا في م ، وفي ت : « وظن » .

(٣) سورة الإسراء ٩٩

(٦) سورة النمل ٧٢

(٥) سورة القيامة ٤٠

(٨) سورة النساء ٢٦

(٧) سورة الأنبياء ١

وقال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَن أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(١) ،
 في سورة الزمر^(٢) : لك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في « أردت لأن أفعل » ، ولا تزد
 إلا مع « أن » خاصة دون الاسم الصريح ؛ كأنها زيدت عوضاً من ترك الأصل إلى ما يقوم
 مقامه ؛ كما أتت^(٣) السين في « أسطاع » يعني بقطع الهمزة عوضاً من ترك الأصل
 الذي هو « أطوع » والدليل على هذا مجيئة بغير لام ؛ في قوله تعالى : ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَن أَكُونَ
 أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(٤) . انتهى .

وزيادتها في « أردت لأن أفعل » لم يذكره أكثر النحويين ؛ وإنما تعرضوا لها
 في إعراب : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾^(٥) .

وتزد لتقوية العامل الضعيف إما لتأخره ، نحو : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ
 يَرْهَبُونَ ﴾^(٦) ، ونحو ﴿ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾^(٧) .

أو لكونه فرعاً في العمل ، نحو : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ﴾^(٨) ، ﴿ فَعَالٍ لِمَا يُرِيدُ ﴾^(٩)
 ﴿ نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ﴾^(١٠) .

وقيل منه : ﴿ إِن هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾^(١١) ، وقيل : بل يتعلق بمستقر محذوف
 صفة لعدو ؛ وهي للاختصاص .

وقد اجتمع^(١٢) التأخر والفرعية ، في نحو : ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾^(١٣) .

(٢) الكشاف ٤ : ٦٣

(١) سورة الزمر ١٢

(٣) عبارة الكشاف : « كما عوض السين » .

(٥) سورة النساء ٢٦

(٤) سورة الزمر ١٢

(٧) سورة يوسف ٤٣

(٦) سورة الأعراف ١٥٤

(٩) سورة البروج ١٦

(٨) سورة البقرة ٩١

(١١) سورة طه ١١٧

(١٠) سورة المعارج ١٦

(١٣) سورة الأنبياء ٧٨

(١٢) م : « يجتمع » .

وأما قوله تعالى ﴿ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴾^(١) ، فإن كان « نذيراً »^(٢) بمعنى المنذر ، فهو مثل : ﴿ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾^(٣) ، وإن كان بمعنى الإنذار ، فاللام مثلها في : « سقياً لزيد » .

وقد تجى اللام للتوكيد بعد النفي ، وتسمى لام الجحود ، وتقع بعد « كان » مثل : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾^(٤) ، اللام لتأكيد النفي ، كالباء الداخلة في خبر « ليس » ، ومعنى قولهم : « إنها لتأكيد » أنك إذا قلت : « ما كنت أضربك » بغير لام ، جاز أن يكون الضرب مما يجوز كونه ؛ فإذا قلت : « ما كنت لأضربك » ، فاللام جعلته بمنزلة ما لا يكون أصلاً .

وقد تأتي مؤكدة في موضع ، وتحذف في آخر لاقتضاء المقام ذلك .
ومن أمثله قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾^(٥) ، فإنه سبحانه أكد إثبات الموت الذي لا ريب فيه تأكيداً ، وأكّد إثبات البعث الذي أنكروه تأكيداً واحداً ، وكان المتبادر العكس ، لأن التأكيد إنما يكون حيث الإنكار ؛ لكن في النظم وجوه :

أحدها : أن البعث لما قامت البراهين القطعية عليه صار المنكر له كالمنكر للبداهيات ؛ فلم يحتاج إلى تأكيد ؛ وأما الموت فإنه - وإن أقروا به - لكن لعالم يعلمه وأما بعده نزلوا منزلة من لم يقرب به ؛ فاحتاج إلى تأكيد ذلك ؛ لأنه^(٦) قد ينزل المنكر كغير المنكر إذا كان معه ما لو تأمله ارتدع من الإنكار^(٧) . ولما ظهر على المخاطبين من التماهي في الغفلة والإعراض عن العمل

(٢) ت « النذير » .
(٤) سورة الأنفال ٣٣
(٦) ت : « وذلك أن قد ينزل المنكر » .

(١) سورة المدثر ٣٦
(٣) سورة البروج ١٦
(٥) سورة المؤمنون ١٥ ، ١٦
(٧) م : « عن إنكار » .

لما بعده والانهماك في الدنيا ، وهي من أمارات إنكار الموت ، فلماذا قال : « ميتون » ولم يقل : تموتون ؛ وإنما أكد إثبات البعث الذي أنكروه تأكيداً واحداً ، لظهور أدلته المزيلة للإنكار ، إذا تأملوا فيها ، ولهذا قيل : « تبعثون » على الأصل ، وهو الاستقبال بخلاف « تموتون » .

الثاني : أن دخول اللام على « ميتون » أحق ؛ لأنه تعالى يردّ على الدهرية القائلين ببقاء النوع الإنساني ، خلفاً عن سلف ، وقد أخبر تعالى عن البعث في مواضع من القرآن ، وأكده وكذب منكره ؛ كقوله : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾^(١) قاله الشيخ تاج الدين بن الفركاح^(٢) .

الثالث : أنه لما كان العطف يقتضي الاشتراك في الحكم استغنى به عن إعادة لفظ اللام ؛ وكأنه قيل : « لتبعثون » واستغنى بها في الثاني لذكرها في الأول .

الرابع : قال الزمخشري : بولغ في تأكيد الموت ؛ تنبيهاً للإنسان أن يكون الموت نصب عينيه ، ولا يففل عن رقبه ؛ فإن ماله إليه ؛ فكأنه أكد جملته ثلاث مرات ؛ لهذا المعنى ، لأن الإنسان في الدنيا يسعى فيها غاية السعي ؛ كأنه مخلّد ، ولم يؤكد جملة البعث إلا بـ « إن » لأنه أبرز بصورة المقطوع به الذي لا يمكن فيه نزاع ، ولا يقبل إنكاراً . قلت : هذه الأجوبة من جهة المعنى ؛ وأما الصناعة فتوجب ما جاءت الآية الشريفة عليه وهو حذف اللام في « تبعثون » لأن اللام تخلص المضارع للحال ؛ فلا يجاء [به] مع يوم القيامة ، لأنه مستقبل ، ولأن « تبعثون » عامل في الظرف المستقبل . وأما قوله : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾^(٣) ؛ فيمكن تأويلها بتقدير عامل .

(١) سورة النباين ٧ (٢) هو عبد الرحمن بن إبراهيم المتوفى سنة ٦٩٠ طبعات الشافعية ٥ : ٧٠

(٣) سورة النحل ١٢٤

ونظير هذا آية الواقعة؛ وهي قوله سبحانه: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾^(١).
وقال سبحانه في الماء: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾^(٢) بغير لام؛ والفرق بينهما من
أربعة أوجه:

أحدها: أن صيرورة الماء ملحا أسهل وأكثر من جعل الحرث حطاماً، إذ الماء
العذب يمرُّ بالأرض السبخة فيصير ملحا، فالتوعد به لا يحتاج إلى تأكيد، وهذا كما أن
الإنسان إذا توعد عبده بالضرب بهصا ونحوه لم يحتاج إلى تأكيد، وإذا توعد بالقتل احتاج
إلى تأكيد.

والثاني: إن جعل الحرث حطاماً - قلب للمادة والصورة، وجعل الماء أجاجاً قلب
للكيفية فقط، وهو أسهل وأيسر.

الثالث: أن «لو»^(٣) لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعليق
الجزء [بالشرط]^(٤) أتى باللام علماً على ذلك، ثم حذف الثاني للعلم بهما، لأن الشيء
إذا علم [وشهر موقعه، وصار مالوفاً وما نوساً به]^(٥) لم يُبالَ بإسقاطه عن اللفظ [استغناء
بمعرفة السامع]^(٦) ويساوى لشهرته حذفه وإثباته، مع ما في حذفه من خفة اللفظ ورشاقته؛
لأن تقدم ذكرها - والمسافة قصيرة - يغني عن ذكرها ثانياً.

الرابع: أن اللام أدخلت في آية المظوم؛ للدلالة على أنه يقدم على أمر المشروب،
وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب، من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعاً للمظوم؛
ولهذا قدمت آية المظوم على آية المشروب، ذكرها والذي قبله الزمخشري.

ومن ذلك حذف اللام في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ

(١) سورة الواقعة ٦٥، ٧٠.

(٢) الكشاف ٤: ٢٧١؛ مع تصرف في العبارة.

(٣) تكملة من الكشاف.

(٤) تكملة من الكشاف.

وَالرَّسُولِ ﴿١﴾ وإثباتها بعد قوله : ﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ... ﴾ (٢) الآية ، والجواب أنك إذا عطفت على مجرور (٣) ...

القسم السابع والعمرون

باب الاشتغال

فإن الشئ إذا أضمير ثم فسر كان أنعم مما إذا لم يتقدم إضمار ؛ ألا ترى أنك تجد اهتزازاً في نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾ (٤) .
وفي قوله : ﴿ قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾ (٥) .
وفي قوله : ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٦) .
وفي قوله : ﴿ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ (٧) - لا تجد مثله إذا قلت : وإن استجارك أحد من المشركين فأجره . وقولك : لو تملكون خزائن رحمة ربي . وقولك : ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَأَعَدَّ لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ وقولك : هدى فريقاً وأضل فريقاً ؛ إذ الفعل المفسر في تقدير المذكور مرتين .
وكذا قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ (٨) ، ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴾ (٩) ، ونظائره ، فهذه فائدة اشتغال الفعل عن المفعول بضميره (١٠) .

(١) سورة الأنفال ١

(٣) كذا ورد الكلام ناقصاً في الأصول .

(٥) سورة الإسراء ١٠٠

(٧) سورة الأعراف ٣٠

(٩) سورة الانفطار ١

(٢) سورة الأنفال ٤١

(٤) سورة التوبة ٦

(٦) سورة الدهر ٣١

(٨) سورة الانشقاق ١

(١٠) هذا القسم جميعه ساقط من نسخة ت .

القسم الثامن والعشرون

التعليل

بأن يُذكر الشيء معللاً؛ فإنه أبلغ من ذكره بلا علة، لوجهين :
أحدهما : أن العلة المنصوصة قاضية بعموم المعلول ؛ ولهذا اعترفت الظاهرية بالقياس في
العلّة المنصوصة .

الثاني : أن النفوس تنبعت إلى نقل الأحكام المعللة ، بخلاف غيرها ؛ وغالب التعليل في
القرآن، فهو على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى ، وهو سؤال عن العلة .
ومنه : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾^(١) . ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾^(٢) .
﴿ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾^(٣) .

وتوضيح التعليل أن الفاء السببية لو وضعت مكان « إِنَّ » لَحَسُنَ .

والطرق الدالة على العلة أنواع :

الأول : التصريح بلفظ الحكم ، كقوله تعالى : ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴾^(٤) .
وقال : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾^(٥) ، والحكمة هي العلم النافع .
والعمل الصالح .

(٢) سورة الحج ١

(٤) سورة القمر ٥

(١) سورة يوسف ٥٣

(٣) سورة التوبة ١٠٣

(٥) سورة النساء ١١٣

الثانى : أنه فعل كذا لكذا ، أو أمر بكذا لكذا ، كقوله تعالى : ﴿ ذَلِكِ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (١) .
وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لَتَعْلَمُوا ﴾ (٢) .

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ﴾ (١) .
﴿ لِنَسْأَلُ بِعِلْمِ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ (٣) .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ (٤) .
﴿ وَيُنزَّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَ كُمْ بِهِ ﴾ (٥) .

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ﴾ (٦) ، وهو كثير .
فإن قيل : اللام فيه للعاقبة ، كقوله تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ (٧) ، وقوله : ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُبْقِي الشَّيْطَانَ فِتْنَةً ﴾ (٨) ، وإنما قلنا ذلك لأن أفعال الله تعالى لا تعلق .

فالجواب أن معنى قولنا : إن أفعال الله تعالى لا تعلق ، أى لا تجب ؛ ولكنها لا تخلو عن الحكمة ، وقد أجاب الملائكة عن قولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ (٩) بقوله : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٩) .

ولو كان فعله (١٠) سبحانه مجرداً عن الحكم والغايات لم يسأل الملائكة عن حكمته ولم يصح الجواب بكونه يعلم ما لا يعلمون من الحكمة والمصالح ، وفرق بين العلم والحكمة ؛

(٢) سورة الطلاق ١٢
(٤) سورة البقرة ١٤٣
(٦) سورة آل عمران ١٢٦
(٨) سورة الحج ٥٣
(١٠) م : « تعليمه » تصحيف .

(١) سورة المائدة ٩٧
(٣) سورة الحديد ٢٩
(٥) سورة الأنفال ١١
(٧) سورة القصص ٨
(٩) سورة البقرة ٣٠

ولأن لام العاقبة إنما تكون في حق من يجهل العاقبة ، كقوله : ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(١) ؛ وأما مَنْ هو بكل شيءٍ عليمٌ فمستحيلٌ في حقه ؛ وإنما اللام الواردة في أحكامه وأفعاله لام الحكمة والغاية المطلوبة من الحكمة . ثم قوله : ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ هو تعليل لقضاء الله بالتقاطه وتقديره لهم ، فإن التقاطهم له إنما كان بقضائه وقدره ، وذكر فعلهم دون قضائه ؛ لأنه أبلغ في كونه حزنًا لهم وحسرة عليهم .

قاعدة تفسيرية^(٢) :

حيث دخلت واو العاطف على لام التعليل فله وجهان :
أحدهما : أن يكون تعليلًا معللاً محذوف ، كقوله تعالى : ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾^(٣) ؛ فالعنى وللإحسان إلى المؤمنين فعل ذلك .

الثاني : أن يكون معطوفاً على علة أخرى مضمرة ، ليظهر صحة العطف ، كقوله تعالى : ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى﴾^(٤) ؛ التقدير : ليستدل بها المكلف على قدرته تعالى ولتجزى . وكقوله : ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ﴾^(٥) التقدير : ليتصرف فيها ولنعلمه .

والفرق بين الوجهين أنه في الأول عطف جملة على جملة ، وفي الثاني عطف مفرد على مفرد . وقد يحتملها الكلام ، كقوله تعالى : ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾^(٦) ، فالتقدير على الأول ، ولنجعل آية فعلنا ذلك ، وعلى الثاني : وانبين للناس قدرتنا ولنجعل آية . ويترد الوجهان في نظائره ، ويرجح كل واحد بحسب المقام ، وحذف المعلق هاهنا أرجح ، إذ لو فرض علة أخرى لم يكن بد من معلّل محذوف ، وإيس قبلها ما يصلح له .

(٢) هذه القاعدة مما سقطت من ت .

(٤) سورة الجاثية ٢٢

(٦) سورة البقرة ٢٥٩

(١) سورة القصص ٨

(٣) سورة الأنفال ١٧

(٥) سورة يوسف ٢١

فإن قلت : لم قدر الممثل مؤخرًا ؟

قلت : فائدة هذا الأسلوب هو أن يجاء بالعلة بالواو للاهتمام بشأن العلة المذكورة ؛ لأنه إما أن يقدر علة أخرى ليعطف عليها ، فيكون اختصاص ذكرها لكونها أهم ، وإما أن يكون على تقدير معلن ؛ فيجب أن يكون مؤخرًا ليشعر بتقديمه بالاهتمام .

الثالث : الإتيان بكى ؛ كقوله تعالى : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَالَّذِي أَقْرَبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْلًا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾^(١) ، فعلى سبحانه قسمة الفيء بين هذه الأصناف كَيْلًا يتداوله الأغنياء دون الفقراء .

وقوله : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . لِكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾^(٢) ، وأخبر سبحانه أنه قدر ما يصيبهم من البلاء في أنفسهم قبل أن تبرا أنفسهم أو المصيبة أو الأرض أو المجموع ، ثم أخبر أن مصدر ذلك قدرته عليه وأنه بين عليه ، وحكمته البالغة التي منها ألا يحزن عباده على ما فاتهم ، ولا يفرحوا بما آتاهم ، فإنهم إذا علموا أن المصيبة فيه مقدرة كائنة ، ولا بد قد كتبت قبل خلقهم هان عليهم الفاتت ، فلم يأسوا عليه ولم يفرحوا .

الرابع : ذكر المفعول له وهو علة للفعل الممثل به ، كقوله : ﴿ وَتَزَلَمَأَ عَدِيكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾^(٣) .

(٢) سورة الحديد ٢٢

(١) سورة المشر ٧

(٣) سورة النحل ٨٩

وَنَصَّبَ ذَلِكَ عَلَى الْمَفْعُولِ لَهُ أَحْسَنُ مِنْ غَيْرِهِ ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾^(١) .

وقوله : ﴿ وَاللَّيْمُ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾^(٣) ، أى لأجل الذكر ؛ كما قال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾^(٤) .

وقوله : ﴿ فَالْمَلَقِيَّاتِ ذِكْرًا . عُدْرًا أَوْ نَذْرًا ﴾^(٥) ، أى للإعذار والإندار .

وقد يكون معلولا بعلة أخرى ، كقوله تعالى ﴿ يَجْمَعُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾^(٦) ، فـ « من الصواعق » يحتمل أن تكون فيه « من » لا ابتداء الغاية فتتملق بمحذوف ، أى خوفاً من الصواعق ، ويجوز أن تكون معاملة بمعنى اللام كما في قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ ﴾^(٧) ، أى لغمٍّ .

وعلى كلا التقديرين فـ « من الصواعق » في محل نصب ؛ على أنه مفعول له ، والعامل فيه ﴿ يجمعون ﴾ . و ﴿ حذر الموت ﴾ مفعول له أيضاً فالعامل فيه ﴿ من الصواعق ﴾ ، فـ « من الصواعق » علة لـ « يجمعون » . معلول لحذر الموت ، لأن المفعول الأول الذى هو « من الصواعق » يصلح جواباً لقولنا : لم يجمعون أصابعهم في آذانهم ؟ والمفعول الثانى الذى هو « حذر الموت » يصلح جواباً لقولنا : لم يخافون من الصواعق ؟ فقد ظهر ذلك .

الخامس : اللام في المفعول له ، وتقوم مقامه الباء ، نحو : ﴿ فَيَظْلِمُونَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا ﴾^(٨) .

(٢) : سورة البقرة ١٥٠
(٤) : سورة الدخان ٥٨
(٦) : سورة البقرة ١٩
(٨) : سورة النساء ١٦٠

(١) : سورة النحل ٤٤
(٣) : سورة القمر ١٧
(٥) : سورة المرسلات ٤ ، ٥
(٧) : سورة الحج ٢٢

ومن ، محو : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا ﴾^(١) .

والكاف ، نحو : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ ﴾^(٢) ، وقال : ﴿ فَاذْكُرُونِي

أَذْكُرْكُمْ ﴾^(٣) ، وقال : ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ ﴾^(٤) ، أى لإرسالنا وتعليمنا .

السادس : الإتيان بـ *إن* ، كقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٥) .

﴿ وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾^(٦) .

﴿ وَمَا أْبْرَأَى نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾^(٧) .

﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾^(٨) .

وكقوله : ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾^(٩) ، وليس هذا

من قولهم ، لأنه لو كان قولهم لما حزن الرسول ، وإنما جيء بالجملة لبيان العلة والسبب في أنه

لا يحزنه قولهم .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾^(١٠) والوقف على

القول في هاتين الآيتين والابتداء بـ *إن* لازم .

وقد يكون علة كقوله : ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا . إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾^(١١)

وفيها وجهان لأهل المعاني .

(٢) سورة البقرة ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٣٩

(٤) سورة التوبة ١٠٣

(٦) سورة طه ١٠

(٨) سورة يونس ٦٥

(١) سورة المائدة ٣٢

(٣) سورة المزمل ٢٠

(٥) سورة يوسف ٥٣

(٧) سورة يس ٧٦

(٩) سورة الفرقان ٦٥ ، ٦٦

أحدهما : أن سؤالهم لصرف العذاب معلل بأنه غرام ، أى ملازم الغريم ، وبأنها
ساعات مستقرا ومقاما .

الثانى : أن « ساعات » . تعليل لكونه غراما .

السابع : أن والفعل المستقبل بعدها ؛ تعليلا لما قبله ، كقوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا نُزِّلَ
الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ (٢) .
وقوله : ﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ (٣)
كأنه قيل : لِمَ فاضت أعينهم من الدمع ؟ قيل : للحزن ، فقيل (٤) : لم حزنوا ؟ فقيل :
لثلا يجدوا .

وقوله : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا أَلَّا خَرَى ﴾ (٥) .

ونظائره كثيرة . وفى ذلك طريقان :

أحدهما للكوفيين ؛ أن المعنى لثلا يقولوا ، ولثلا تقول نفس .

الثانى للبصريين ؛ أن المفعول له محذوف ؛ أى كراهة أن يقولوا ، أو حذار أن يقولوا .

فإن قيل : كيف يستقيم الطريقان فى قوله : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا

الْأُخْرَى ﴾ (٥) ؟ فإنك إذا قدرت : « لثلا تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا » لم يستقم عطف « فتذكر »

عليه ؛ وإن قدرت « حذار أن تضل إحداها » لم يستقم العطف أيضاً ؛ لأنه لا يصح

أن تكون الضلالة علة لشهادتهما .

(٢) سورة الزمر ٥٧

(٤) ت : « فسل » .

(١) سورة الأنعام ١٥٦

(٣) سورة التوبة ٩٢

(٥) سورة البقرة ٢٨٢

قيل : بظهور المعنى يزول الإشكال ؛ فإن المقصود إذكار إحداهما الأخرى إذا ضلت - نسيت ؛ فلما كان الضلال سبباً للإذكار جعل موضع العلة ، تقول : « أعددت هذه الخشبة ن تميل الحائط فأدعم بها » ؛ وإنما أعددتها للدعم لا للميل ^(١) ؛ وأعددت هذا الدواء أن أمرض فأداوى به ونحوه ، هذا قول سيبويه والبصريين .
وقال الكوفيون : تقديره في « تذكّر إحداهما الأخرى » إن ضأت ، فلما تقدم الجزاء اتصل بما قبله ، ففتحت أن .

الثامن : « من أجل » في قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ ^(٢) فإنه لتعليل الكتب ، وعلى هذا فيجب الوقف على : ﴿ مِنْ النَّادِمِينَ ﴾ ^(٢) . وظن قوم أنه تعليل لقوله : ﴿ مِنْ النَّادِمِينَ ﴾ ؛ أي من أجل قتله لأخيه ؛ وهو غلط ، لأنه يشوش صحة النظم ، ويخل بالفائدة .

فإن قلت : كيف يكون قتل أحد ابني آدم للآخر علة للحكم على أمة أخرى بذلك الحكم ؟ وإذا كان علة فكيف كان قتل نفس واحدة بمنزلة قاتل الناس كلهم ؟
قيل : إن الله - سبحانه - يجعل أقضية وأقداره عللاً لأسبابه الشرعية وأمره ، فجعل حكمه الكوني القدرى علة لحكمة أمره الديني ؛ لأن القتل لما كان من أعلى

(١) الكتاب سيبويه ١ : ٤٣ ؛ وعبارته بعد أن أورد الآية : بفسب ﴿ فتذكّر ﴾ : فانتصب لأنه أمر بالإشهاد لأن تذكر إحداهما الأخرى ، ومن أجل أن تذكر . فإن قال إنسان : كيف جاز أن تقول : أن تضل ولم بعد هذا للضلال والالتباس ، وإنما ذكر ﴿ أن تضل ﴾ ؛ لأنه سبب الإذكار ؛ كما يقول الرجل : أعددت أن يميل الحائط فأدعمه ؛ وهو لا يطلب بإعداد ذلك ميلان الحائط ؛ ولكنه أخبر بعلة الدعم وبسببه ، وقرأ أهل الكوفة : ﴿ فتذكّر ﴾ رفعا ، وانظر الكتاب أيضاً ١ : ٤٧٦

(٢) سورة المائدة ٣١ ، ٣٢

أنواع الظلم والفساد، فحُم أمره، وعظم شأنه، وجُعِلَ إثمُه أعظمَ من إثم غيره، ونزلَ قاتلُ النفسِ الواحدة منزلةَ قاتلِ الأنفسِ كلها في أصل العذاب؛ لا في وصفه .

التاسع : التعليل بلعلّ ، كقوله تعالى : ﴿ آعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(١) ، قيل : هو تعليل لقوله : ﴿ آعْبُدُوا ﴾^(١) ، وقيل لقوله : ﴿ خَلَقَكُمْ ﴾ .

وقوله : ﴿ كُنِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُنِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(١) ؛ حيث لمح فيها معنى الرجاء رجعت إلى المخاطبين .

العاشر : ذكر الحكم الكوني أو الشرعي عقب الوصف المناسب له ، فتارة يذكر بأن ، وتارة بالفاء ، وتارة بجرّد .

فالأول : كقوله تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾^(٢) إلى قوله : ﴿ خَاشِعِينَ ﴾ . وقوله : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾^(٣) .

والثاني : كقوله : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾^(٤) . ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾^(٥) .

والثالث : كقوله : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ﴾^(٦) . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

(٢) سورة الأنبياء ٨٩

(٤) سورة المائدة ٣٨

(٦) سورة الحجر ٤٥ ، ٤٦

(١) سورة البقرة ٢١ ، ١٨٣

(٣) سورة الذاريات ١٥ ، ١٦

(٥) سورة النور ٢

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾

الحادى عشر : تعليله سبحانه عدم الحكم بوجود المانع منه ؛ كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً جَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ . . .﴾ (٢) الآية .

وقوله : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ (٣) .

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ (٤) ، أى آيات

الاقتراح ، لا الآيات الدالة على صدق الرسل التى تاتى منه سبحانه ابتداء .

وقوله : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ (٥) .

وقوله : ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَدَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ (٦) ، فأخبر

سبحانه عما يمنع (٧) من إنزال الملك عيانا بحيث يشاهدونه ، وإن عنايته وحكمته بخلقه

فتضت منع ذلك ؛ بأنه لو أنزل عليه الملك ثم عاينوه ولم يؤمنوا به لعوجلوا بالعقوبة ،

جعل الرسول بشراً لئلا يفتنهم التلقى عنه والرجوع إليه . . . ولو جعله ملكاً ؛ فإما أن يدعه

لى هيئة الملكية ، أو يجعله على هيئة البشر ؛ والأول يمنعهم من التلقى عنه ، والثانى

يحصل مقصوده ؛ إذا كانوا يقولون : هو بشر لا ملك .

الثانى عشر : إخباره عن الحكيم والغايات التى جعلها فى خلقه وأمره ، كقوله :

(٢) سورة الزخرف ٣٣

(٤) سورة الإسراء ٥٩

(٦) سورة الأنعام ٨

(١) سورة البقرة ٢٧٧

(٣) سورة الشورى ٢٧

(٥) سورة فصلت ٤٤

(٧) م : « منع » .

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً... ﴾^(۱) الآية.

وقوله : ﴿ أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا... ﴾^(۲) الآيات .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا... ﴾^(۳) الآية .

و كما يقصدون البسط والاستيفاء يقصدون الإجمال والإيجاز ، كما قيل :

يَرْمُونَ بِالْخَطَبِ الطُّوَالَ وَتَارَةً وَحَى الْمَلَا حِظِ خَيْفَةَ الرُّقْبَاءِ^(۴)

وقوله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾^(۵) .

(۲) سورة النبأ ۶

(۱) سورة البقرة ۲۲

(۳) سورة النحل ۸۰

(۴) البيت لأبي دؤاد بن حريز الإباضي ؛ ذكره اجاحظ في البيان والتبيين ۱ : ۴۴ ، ۱۵۵

(۵) سورة الروم ۲۱

الأسلوب الثاني الحذف

وهو لغة الإسقاط ؛ ومنه حذفُ الشعر إذا أخذت منه .

واصطلاحاً إسقاطُ جزء الكلام أو كله لدليل . وأما قول النحويين : الحذف لغير دليل ، ويسمى اقتصاراً ؛ فلا تحرير فيه ، لأنه لا حذف فيه بالكافية كما سنبينه فيما يلتبس به الإضمار والإيجاز .

والفرق بينهما أن شرط الحذف والإيجاز أن يكون [في الحذف] ثمّ مقدّر ؛ نحو : ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾^(١) بخلاف الإيجاز ؛ فإنه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمّة بنفسه . والفرق بينه وبين الإضمار أن شرط المضمّر بقاء أثر المقدّر في اللفظ ، نحو : ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٢) . ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ﴾^(٣) . ﴿آتَتْهُمُ خَيْرًا لَكُمْ﴾^(٤) . أي اتتوا أمراً خيراً لكم ؛ وهذا لا يشترط في الحذف . ويدلّ على أنه لا بدّ في الإضمار من ملاحظة المقدّر باب الاشتقاق ؛ فإنه من أضمرت الشئ ، أخفيته ، قال :

* سيبقى لها في مضمّر القلب والحشا *^(٥)

(١) سورة يوسف ٨٢

(٢) سورة الدهر ٣١

(٣) سورة الأحزاب ٢٤

(٤) سورة النساء ١٧١ وانظر الكشاف ١ : ٤٦٠

(٥) بقيته :

* سريرةٌ ودّ يوم تبلى السرائر *

من أبيات نسبها صاحب اللسان (٦ : ١٦٢) إلى الأحموس بن محمد الأنصاري .

وأما الحذف ؛ فمن حذف الشيء قطعته ؛ وهو يُشعر بالطرح ، بخلاف الإضمار ، ولهذا قالوا : « أن » تنصب ظاهرة ومضمرة .

ورد ابن ميمون قول النحاة : إن الفاعل ^(١) يحذف في باب المصدر ، وقال : الصواب أن يقال : يضم ولا يحذف ؛ لأنه عمدة في الكلام .

وقال ابن جنى في « خاطرياته » : من اتصال الفاعل بالفعل أنك تضمه في لفظ إذا عرفته نحو قم ؛ ولا تحذفه ^(٢) كحذف المبتدأ ؛ ولهذا لم يجز عندنا ما ذهب إليه الكسائي في « ضربني ، وضربت قومك » .

فصل

[في أن الحذف نوع من أنواع المجاز على المشهور]

المشهور أن الحذف مجاز ؛ وحكى إمام الحرمين ^(٣) في « التلخيص » عن بعضهم : أن الحذف ليس بمجاز ؛ إذ هو استعمال اللفظ في غير موضعه ، والحذف ليس كذلك . وقال ابن عطية في تفسير سورة يوسف : وحذف المضاف هو عين المجاز أو معظمه ؛ وهذا مذهب سيبويه وغيره من أهل النظر ، وليس كل حذف مجازاً . انتهى . وقال الزنجاني في « المعيار » ^(٤) : إنما يكون مجازاً إذا تغير بسببه حكم ^(٥) ؛

(١) كذا في ت ، وفي م : « بأن » . (٢) ساقطة من م .

(٣) هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي المعروف بإمام الحرمين ؛ توفي سنة ٤٧٨ هـ ؛ ولتأنيبه تلخيص التقريب ؛ ذكره ابن خلدون ١ : ٤٨٧ .

(٤) هو كتاب معيار النظر في علوم الأشعار لعز الدين أبي المعالي عبد الوهاب بن إبراهيم الزنجاني ؛ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ١٣٦ م أدب .

(٥) م : « إذا تغير به حكمه » .

فأما إذا لم يتغير به حكم ، كقولك : زيد منطلق وعمرو ، بحذف الخبر ؛ فلا يكون مجازاً ،
 إذا لم يتغير حكم ما بقي من الكلام .
 والتحقيق أنه إن أريد بالمجاز استعمال اللفظ في غير موضعه فالمحذوف ليس كذلك ،
 لعدم استعماله ، وإن أريد بالمجاز إسناد الفعل إلى غيره - وهو المجاز العقلي - فالمحذوف كذلك .

فصل

[في أن الحذف خلاف الأصل]

والحذف خلاف الأصل ؛ وعليه ينبغي فرعان :
 أحدهما : إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه كان الحمل على عدمه أوّلى ، لأن لأصل
 عدم التغيير .

والثاني : إذا دار الأمر بين قلة المحذوف وكثيرته ؛ كان الحمل على قلته أوّلى .

[أوجه الكلام على الحذف]

ويقع الكلام في الحذف من خمسة أوجه : في فائدته ، وفي أسبابه ، ثم في أدلته ، ثم في
 شروطه ، ثم في أقسامه .

[فوائد الحذف]

الوجه الأول في فوائده :

فمنها التفخيم والإعظام ؛ لما فيه من الإبهام ، لذهاب الذهن في كلِّ مذهب ، وأشوّفه
 إلى ما هو المراد ، فيرجع^(١) قاصراً عن إدراكه ، فعند ذلك يعظم شأنه ، ويعلو في
 النفس مكانه . ألا ترى أن المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يحتاج في الوهم من
 المراد ، وخلص للمذكور

(١) م : « فرجع » ، وما أثبتته عن ت .

ومنها : زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف ، وكما كان الشعور بالمحذوف أعسر ، كان الالتذاذ به أشد وأحسن .
ومنها : زيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك ؛ بخلاف غير المحذوف ، كما تقول في العلة المستنبطة والمنصوصة .

ومنها : طلب الإيجاز والاختصار ، وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل .
ومنها : التشجيع على الكلام ؛ ومن ثم سماه ابن جنى : « شجاعة العربية » .
ومنها : موقعه في النفس في موقعه على الذكر ؛ ولهذا قال شيخ الصناعتين عبدالقاهر الجرجاني : ما من أسم حذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره . والله در القائل :

إذا نطقت جاءت بكل مليحة وإن سكنت جاءت بكل مליح

[أسباب الحذف]

الثاني في أسبابه :

فمنها : مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث ببناء على الظاهر ، نحو : الهلال والله ، أي هذا ، حذف المبتدأ استغناء عنه بقرينة شهادة الحال ، إذ لو ذكره مع ذلك لكان عبثاً من القول .
ومنها : التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإنيان بالمحذوف ، وأن الاشتغال بذكره يُفضى إلى تفويت المهم ، وهذه هي فائدة باب التحذير ؛ نحو : إياك والشر ، والطريق الطريق ، الله الله . وباب الإغراء هولزوم أمر يحمّد به ، وقد اجتمع في قوله تعالى : ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾^(١) على التحذير ؛ أي احذروا ناقة الله فلا تقربوها ، و « سقياها » إغراء بتقدير الزموا ناقة الله .

ومنها التفخيم والإعظام ؛ قال حازم في « منهاج البلغاء » : إنما يحسن الحذف ما لم

يشكل به المعنى ، لقوة الدلالة عليه ، أو يقصد به تعديد أشياء ، فيكون في تعدادها طول وسامة ، فيحذف ويكتفى بدلالة الحال عليه ، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها على الحال . قال : وبهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب والتحويل على النفوس ، ومنه قوله تعالى في وصف أهل الجنة : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾^(١) فحذف الجواب ؛ إذ كان وصف ما يجدونہ ويلقونہ عند ذلك لا يتناهى ، فجعل الحذف دليلاً على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه ، وتركت النفوس تقدر ما شأنه ، ولا يبلغ مع ذلك كنه ما هنالك ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

قلت : ومنه : ﴿ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْمِ مَا غَشِيَهُمْ ﴾^(٢) ما لا يعلم كنهه إلا الله ، قال الزمخشري : وهذا من باب الاختصار ومن جوامع الكلم المتحملة مع قدامها للمعاني الكثيرة . ومنها : التخفيف ؛ لكثرة دورانها في كلامهم ، كما حذف حرف النداء ، في نحو : ﴿ يُوْسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾^(٣) وغيره . قال سيبويه : العرب تقول لا أدر ؛ فيحذفون الياء ، والوجه « لا أدرى » ، لأنه رفع ، وتقول : « لم أبل » ، فيحذفون الألف ، والوجه « لم أبال » . ويقولون : « لم يك » ، فيحذفون النون ؛ كل ذلك يفعلونه استخفافاً لكثرة في كلامهم .

ومنها : حذف نون التثنية والجمع وأثرها باق ، نحو « الضارب با زيدا » و « الضاربو زيدا » وقراءة من قرأ : ﴿ وَالْمُقِيمِ الصَّلَاةِ ﴾^(٤) كأن النون ثابتة ، فعلوا ذلك لاستطالة الموصول

(٢) سورة طه ٧٨

(١) سورة الزمر ٧٣

(٤) سورة الحج ٣٥ ؛ بالنصب وهي قراءة أبي

(٣) سورة يوسف ٢٩

عمرو ؛ على توهم النون ؛ وأن حذفها للتخفيف لطول الاسم ؛ وأنشد سيبويه :
الحافظُ عورة العشرة لا يأتيهم من ورائنا نطفُ

وانظر الكتاب ١ : ٩٥ ، وتفسير القرطبي ١٢ : ٥٩

في الصلاة ، نحو : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرٍ ﴾^(١) حذفت الياء للتخفيف .
ويحكى عن الأخفش أن المؤرج السدوسي سأله : [عن ذلك] فقال : لا أجيبك حتى
تنام على بابي ليلة ، ففعل ، فقال له : إن عادة العرب إذا عدلت بالشئ عن معناه
نقصت حروفه ، والليل لما كان لا يسرى ، وإنما يسرى فيه ، نقص منه حرف ، كما في قوله :
﴿ وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا ﴾^(٢) ، الأصل « بغيّة » فلما حوّل ونقل عن فاعل نقص منه
حرف . انتهى .

ومنها : رعاية الفاصلة ، نحو : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾^(٣) . ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرٍ ﴾^(٤)
ونحوه . وقال الرماني : إنما حذفت الياء في الفواصل لأنها على نية الوقف ، وهي في ذلك
كالقوافي التي لا يوقف عليها بغير ياء .

ومنها : أن يحدف صيانة له ؛ كقوله تعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٥)
إلى قوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(٥) ؛ حذف المبتدأ في ثلاثة مواضع : قبل ذكر الرب ،
أى هو رب السموات . والله ربكم . والله رب المشرق ؛ لأن موسى عليه السلام استعظم
حال فرعون وإقدامه على السؤال تهيباً وتفخيماً ، فاقصر على ما يستدل به من أفعاله
الخاصة به ، ليعرفه أنه ليس كمثل شئ وهو السميع البصير .

ومنها : صيانة اللسان عنه ، كقوله تعالى : ﴿ صُمُّ بِكُمْ عُمَى ﴾^(٦) ، أى هم .

(١) سورة الفجر ٤

(٢) سورة مريم ٢٨

(٣) سورة الضحى ٣

(٤) سورة الفجر ٤

(٥) سورة الشعراء ٢٣ - ٢٨ ؛ والآيات بتامها : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ .

قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ . قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا

تَسْتَمِعُونَ . قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ . قَالَ إِنْ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ

لَمَجْنُونٌ . قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ .

(٦) سورة البقرة ١٨

ومنها : كونه لا يصلح إلا له ، كقوله تعالى : ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(١) . ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾^(٢) .

ومنها : شهرته حتى يكون ذكره وعدمه سواء ، قال الزمخشري : وهو نوع من دلالة الحال التي لسانها أنطق من لسان المقال ، كقول رؤبة : خير ، جواب من قال : كيف أصبحت ؟ فحذف الجار ، وعليه حمل قراءة حمزة : ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ﴾^(٣) لأن هذا مكان شهر بتكرير الجار ، فقامت الشهرة مقام الذكر .

وكذا قال الفارسي متخلصاً من عدم إعادة حرف الجر في المعطوف على الضمير المجرور : إنه مجرور بالجار المقدر ، أي و « بالأرحام » وإنما حذف استغناء به في المضمرة الجرور قبله .

فإن قلت : هذا المقدر يحيل المسألة ؛ لأنه يصير من عطف الجار والمجرور على مثله ! قلت : إعادة الجار شرط لصحة العطف ؛ لا أنه مقصود لذاته .

[أدلة الحذف]

الوجه الثالث في أدلته :

ولما كان الحذف لا يجوز إلا لدليل احتيج إلى ذكر دليله .

والدليل تارة يدل على محذوف مطلق ، وتارة على محذوف معين .

فمنها : أن يدل عليه العقل حيث تستحيل صحة الكلام عقلاً إلا بتقدير محذوف ، كقوله تعالى : ﴿وَأَسْأَلِ الْقَرِيبَةَ﴾^(٤) ؛ فإنه يستحيل عقلاً تكلم الأمكنة إلا ماجزة . ومنها : أن يدل عليه العادة الشرعية ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾^(٥) .

(٢) سورة البروج ١٦

(٤) سورة يوسف ٨٢

(١) سورة المؤمنون ٩٢

(٣) سورة النساء ١

(٥) سورة النحل ١١٥

فإن الذات لا تتصف بالحل والحرمة شرعا ، وإنما من صفات الأفعال الواقعة على الذوات ، فعمل أن المحذوف التناول ؛ ولكنه لما حذف وأقيمت الميئة مقامه أسند إليها الفعل ، وقطع النظر عنه ، فلذلك أنث الفعل في بعض الصور ، كقوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيَّةُ ﴾^(١) ، وقول صاحب التلخيص^(٢) : إن هذه الآية من باب دلالة العقل ممنوع ، لأن العقل لا يدرك محل الحل ولا الحرمة ، فلماذا جعلناه من دلالة العادة الشرعية .

ومنها : أن يدلّ العقل عليهما ، أي على الحذف والتعيين ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾^(٣) ، أي أمره أو عذابه أو ملائكته ؛ لأن العقل دلّ على أصل الحذف ، ولا استحالة مجيء الباري عقلا ؛ لأنّ المجيء من سمات الحدوث . ودلّ العقل أيضاً على التعيين ، وهو الأمر ومحوه ، وكلام الزمخشري يقتضى أنه لا حذف البتة ؛ فإنه قال : هذه الآية^(٤) الكريمة تمثيل ؛ مثلت حاله سبحانه وتعالى في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه .

وكقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٥) ؛ لأنه في معرض التوحيد ، فعدم الفساد دليل على عدم تعدد الآلهة ، وإنما حذف لأن انتفاء اللازم يستلزم انتفاء المزموم ضرورة ، ولذلك لم يذكر المقدمة الثانية عند استعمال الشرط بلوغاً لها .

ومنها : أن يدلّ العقل على أصل الحذف ، وتدلّ عادة الناس على تعيين المحذوف ، كقوله تعالى : ﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾^(٦) ؛ فإن يوسف عليه السلام ليس ظرفاً للؤمنين ؛ فتعين أن يكون غيره ؛ فقد دلّ العقل على أصل الحذف . ثم يجوز أن يكون الظرف حبه ، بدليل : ﴿ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾^(٧) ، أو مرادته بدليل : ﴿ تَرَاوَدُّ فَتَاهَا ﴾^(٧) ، ولكن

(٢) تلخيص الفناح للخطيب الفزويني .

(٤) الكشاف ٤ : ٦٠٠

(٦) سورة يوسف ٣٢

(١) سورة المائدة ٣

(٣) سورة الفجر ٢٢

(٥) سورة الأنبياء ٢٢

(٧) سورة يوسف ٣٠

العقل لا يعين واحداً منها ؛ بل العادة دلّت على أن المحذوف هو الثانى ، فإن الحب لا يلام عليه صاحبه ؛ لأنه يقهره ويغلبه ، وإنما اللوم فيما للنفس فيه اختيار ، وهو المرادة ، لقدرة على دفعها .

ومنها : أن تدلّ العادة على تعيين المحذوف ، كقوله تعالى : ﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا ﴾^(١) ، أى مكان قتال ، والمراد مكاناً صالحاً للقتال ، لأنهم كانوا أخبر الناس بالقتال ؛ والعادة تمنع أن يريدوا : لو نعلم حقيقة القتال ؛ فلذلك قدره مجاهد : « مكان قتال » .
وقيل : إن تعيين المحذوف هنا من دلالة السياق لا العادة .

ومنها : أن يدلّ اللفظ على الحذف ، والشروع فى الفعل على تعيين المحذوف كقوله : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾^(٢) فإن اللفظ يدل على أن فيه حذفاً ؛ لأن حرف الجر لا بد له من متعلق ودلّ الشروع على تعيينه ؛ وهو الفعل الذى جعلت التسمية فى مبدئه ؛ من قراءة ، أو أكل أو شرب ونحوه ، ويقدر فى كل موضع ما يليق ، فى القراءة : أقرأ ، وفى الأكل : آكل ؛ ونحوه .

وقد اختلف : هل يقدر الفعل أو الاسم ؟ وعلى الأول ، فهل يقدر عام كالابتداء أو خاص كما ذكرنا ؟

ومنها اللغة كضربت ؛ فإن اللغة قاضية أن الفعل المتعدى لا بد له من مفعول ؛ نعم هى تدلّ على أصل الحدث لا تعيينه . وكذلك حذف المبتدأ والخبر .

ومنها : تقدم ما يدلّ على المحذوف وما فى سياقه ، كقوله : ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾^(٣) ، وفى موضع آخر محو : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ﴾^(٤) . وفى موضع :

(٢) سورة الفاتحة ١

(٤) سورة ص ٧٥

(١) سورة آل عمران ١٦٧

(٣) سورة الصافات ١٧٩

﴿أَلَا تَسْجُدَ﴾^(۱) . وكتوبه : ﴿لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ﴾^(۲) أى هذا ،
بدليل ظهوره فى سورة إبراهيم ، فقال تعالى : ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾^(۳) ، ونظائره .
ومنها اعتضاده^(۴) بسبب النزول ؛ كما فى قوله تعالى : ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾^(۵) ،
فإنه لا بد فيه من تقدير فقال زيد بن أسلم : أى قتم من المضاجع - يعنى النوم - وقال غيره :
إنما يعنى إذا قتم محدثين .

واحتج زيد بأن هذه الآية إنما نزلت بسبب فقدان عائشة رضى الله عنها عيها ،
فأخروا الرحيل إلى أن أضاء الصبح ، فطلبوا الماء عند قيامهم من نومهم فلم يجدوه ؛ فانزل
الله هذه الآية .

وبما رجح من طريق النظر بأن الأحداث المذكورة بعد قوله : ﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾^(۶)
الأولى أن يحمل قوله ﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾ معنى غير الحدث ، لما فيه من زيادة الفائدة ، فتكون
الآية جامعة للحدث ولسبب الحدث ؛ فإن النوم ليس بحدث بل سبب للحدث .

[شروط الحذف]

الوجه الرابع فى شروطه :

فمنها : أن تكون فى المذكور دلالة على المحذوف ؛ إما من لفظه أو من سياقه ، وإلا
لم يتمكّن من معرفته ، فيصير اللفظ مُخْتَلًا بالفهم . ولثلا بصير الكلام لغزا فيهجن^(۷) فى
الفصاحة ، وهو معنى قولهم : لا بد أن يكون فيما أبقى دليل على ما ألقى .
وتلك الدلالة مقالية وحالية .

فالمقالية قد تحصل من إعراب اللفظ ، وذلك كما إذا كان منصوبا ، فيعلم أنه لا بد له

(۲) - سورة الأحقاف ۳۵

(۴-۴) - ساقط من ت

(۶) ت : « فيهجر »

(۱) سورة الأعراف ۱۲

(۳) سورة إبراهيم ۵۲

(۵) سورة المائدة ۶

من ناصب ، وإذا لم يكن ظاهرا لم يكن بُدَّ من أن يكون مقدرا ، نحو : أهلا وسهلا
ومرحبا ، أي وجدت أهلا ، وسلكت سهلا ، وصادفت رحبا . ومنه قوله تعالى :
﴿ الْحَمْدَ لِلَّهِ ﴾^(۱) على قراءة النصب . وكذلك قوله : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ ﴾^(۲) والتقدير : احمدا والحمد ، واحفظوا الأرحام ؛ وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ
أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾^(۳) . ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾^(۴) .

والحالية قد تحصل من النظر إلى المعنى والنظر العلم ؛ فإنه لا يتم إلا بمحذوف ، وهذا
يكون أحسن حالا من النظم الأول لزيادة عمومته ، كما في قولهم : فلان يحل ويربط ، أي
يحل الأمور ويربطها ، أي ذو تصرف .

وقد تدل الصناعة النحوية على التقدير ؛ كقولهم في : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾^(۵) :
إن التقدير لأننا أقسم لأن فعل الحال لا يقسم عليه . وقوله تعالى : ﴿ تَفْتَأُ تَذَكُرُ
يُوسُفَ ﴾^(۶) ، التقدير : لا تفتأ ؛ لأنه لو كان الجواب مثبتا لدخلت اللام والنون ، كقوله :
﴿ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾^(۷) .

وهذا كله عند قيام دليل واحد ، وقد يكون هناك أدلة يتعمد التقدير بحسبها ، كما في
قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾^(۸) ، فإنه يحتمل ثلاثة أمور :
أحدها : كمن لم يزین له سوء عمله ، والمعنى : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ

(۱) سورة الفاتحة ۲ ؛ قال أبو عبد الله القرطبي : وروى عن سفيان بن عيينة ورؤبة بن العجاج

﴿ الْحَمْدَ لِلَّهِ ﴾ ، بنصب الدال ، على إضمار فعل . وقراءة الرفع هي قراءة القراء السبعة وجمهور الناس .

الجامع لأحكام القرآن ۱ : ۱۳۵

(۳) سورة البقرة ۱۳۸

(۲) سورة النساء ۱

(۵) سورة القيامة ۱

(۴) سورة الحج ۷۸

(۷) سورة التغابن ۷

(۶) سورة يوسف ۸۵

(۸) سورة فاطر ۸

حَسَنًا^(۱) ﴿ من الفريقين اللذين تقدم ذكرهما ، كمن لم يزين له ! ثم كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قيل له ذلك ، قال : لا ، فقيل : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴾^(۱) .

ثانيها : تقدير : ذهبت نفسك عليهم حسرات فحذف الخبر لدلالة ﴿ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴾ .

ثالثها : تقدير : « كمن هداه الله » ، فحذف لدلالة : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾^(۱) .

واعلم أن هذا الشرط إنما يُحتاج إليه إذا كان المحذوف الجملة بأسرها ؛ نحو : ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾^(۲) ، أي سَلَّمْنَا سَلَامًا ، أو أحد ركنيها نحو : ﴿ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٍ مُنْكَرُونَ ﴾^(۳) أي « سلام عليكم أنتم قوم منكرون » ، فحذف خبر الأولى ومبتدأ الثانية .

وأما إذا كان المحذوف فصلة فلا يشترط حذفه دليل ؛ ولكن يشترط ألا يكون في حذفه إخلال بالمعنى أو اللفظ ، كما في حذف العائد المنصوب ونحوه .

وشرط ابن مالك في حذف الجار أيضاً أمن اللبس ، ومنع الحذف في نحو : رغبت أن تفعل ، أو عن أن تفعل ، لإشكال المراد بعد الحذف .

وأورد عليه ﴿ وَتَرْتَرُّغُبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾^(۴) ، فحذف الحرف .

وجوابه أن النساء يشتملن على وصفين ، وصف الرغبة فيهن وعنهن ، فحذف للتعميم .

(۱) سورة فاطر ۸

(۲) سورة الذاريات ۲۵

(۳) سورة هود ۶۹

(۴) سورة النساء ۱۲۷

وشرط بعضهم في الدليل اللفظي أن يكون على وفق المحذوف . وأنكر قول الفراء في قوله تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ . بلى قادرين على أن نسوي بنانه^(۱) ﴿أن التقدير : بلى حسبنا قادرين ، والحساب المذكور بمعنى الظن ، والمحذوف بمعنى العلم ؛ إذ التردد في الإعادة كفر ، فلا يكون مأمورا به .

ويجاب بأن الحساب المقدر بمعنى الجزم والاعتقاد ؛ لا بمعنى الظن ، وتقديره بذلك أولى ، لموافقته الملفوظ .

وقد يدل على المحذوف ذكره في مواضع أخر :
منها - وهو أقواها ، كقوله : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾^(۲) أي أمره ، بدليل قوله : ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾^(۳) .
وقوله في آل عمران : ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(۴) ، أي كعرض ؛ بدليل التصريح به في آية الحديد^(۵) .

وفيه إيجاز بليغ ؛ فإنه إذا كان العرض كذلك . فما ظنك بالطول ! كقوله : ﴿بَطَّأْنَهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾^(۶) .

وقيل : إنما أراد التعظيم والسعة لأحقية العرض ، كقوله :
كأن بلاد الله وهي عريضة على الخائف المظلوم كيفة حابل
ومنها : ألا يكون الفعل طالبا له بنفسه^(۷) ، فإن كان امتنع حذفه كالفاعل ، ومفعول ما لم يسم فاعله ، واسم كان وأخواتها ، وإنما لم يحذف لما في ذلك من نقض الغرض .

(۲) سورة الأنعام ۱۵۸

(۱) سورة القيامة ۳، ۴

(۳) سورة آل عمران ۱۳۳

(۳) سورة النحل ۳۳

(۵) آية ۲۱ : وهو قوله تعالى ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ .

(۶) سورة الرحمن ۴ هـ قال صاحب الكشاف : « إذا كانت البطائن من إستبرق ، فما ظنك

(۷) ت : « بيينة » .

« بالطواهر ! » .

ومنها: قال أبو الفتح بن جني : ومن حق الحذف أن يكون في الأطراف لا في الوسط؛ لأن طرف الشيء أضعف من قلبه ووسطه ، قال تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾^(١) ، وقال الطائي الكبير^(٢) :

كَانَتْ هِيَ الْوَسْطَ الْمَمْنُوعَ فَاسْتَلَبْتُ مَا حَوْلَهَا الْخَيْلُ حَتَّى أَصْبَحْتُ طَرَفًا
فَكَانَ الطَّرْفَيْنِ سِيَاحٌ لِلْوَسْطِ وَمَبْذُولَانِ لِلْعَوَارِضِ دُونَهُ ، وَلِذَلِكَ تَجِدُ الْإِعْلَالَ
عِنْدَ التَّصْرِيفِيِّينَ ، بِالْحَذْفِ مِنْهَا^(٣) ، فَحَذَفُوا الْفَاءَ فِي الْمَصَادِرِ مِنْ بَابِ وَعَدَ ، نَحْوَ الْعِدَّةِ وَالزَّيْنَةِ
وَالهَيْبَةِ وَاللَّامِ فِي نَحْوِ الْيَدِ وَالِدَمِ وَالْفَمِ وَالْأَبِ وَالْأَخِ ، وَقَلَّمَا تَجِدُ الْحَذْفَ فِي الْعَيْنِ لِمَا ذَكَرْنَا ،
وَبِهَذَا يَظْهَرُ لَطْفُ هَذِهِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

تنبيهات

الأول: قد توجب صناعة النحو التقدير وإن كان المعنى غير متوقف عليه؛ كما في قوله: « لا إله إلا الله » فإن الخبر محذوف ، وقد ربه النحاة بـ « موجود » أو « لنا » .
وأنكره الإمام فخر الدين ، وقال : هذا كلام لا يحتاج إلى تقدير ، وتقديرهم فاسد ،
لأن نفي الحقيقة المطلقة أعم من نفيها مقيدة ، فإنها إذا انتفت مطلقة كان ذلك دليلاً على سلب
الماهية مع القيد ، وإذا انتفت مقيدة بقيد مخصوص لم يلزم نفيها مع قيد آخر .
ولا معنى لهذا الإنكار ؛ فإن تقدير « في الوجود » ، يستلزم نفي كل إله غير الله قطعاً
فإن العدم لا كلام فيه ، فهو في الحقيقة نفي للحقيقة المطلقة لا مقيدة . ثم لا بد من تقدير
خبر لاستحالة مبتدأ بلا خبر ، ظاهراً أو مقدرأ ؛ وإنما يقدر النحوي القواعد
حقها وإن كان المعنى مفهوماً ، وتقديرهم هنا أو غيره ليروا صورة التركيب من حيث

(١) سورة الرعد ٤١

(٢) هو أبو تمام حبيب بن أوس ، ديوانه ٢ : ٣٧٤ .

(٣) أي من الأطراف .

اللفظ مثالا ، لا من حيث المعنى ، ولهم تقديران : إعرابى ، وهو الذى خفي على المعترض .
ومعنوى وهو الذى ألزمه ، وهو غير لازم .

ومن المنكر فى هذا أيضا قول ابن الطراوة : إن الخبر فى هذا « إلا الله » ، وكيف
يكون المبتدأ نكرة والخبر معرفة !

الثانى : اعتبر أبو الحسن فى الحذف التدرىج حيث أمكن ؛ ولهذا قال فى قوله تعالى
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾^(۱) : إن أصل الكلام : « يوم لا تجزى
فيه » فحذف حرف الجر ، فصار « تجزيه » ، ثم حذف الضمير فصار « تجزى » .
وهذا ملاطفة فى الصناعة ، ومذهب سيبويه أنه حذف فيه دفعة واحدة .

وقال أبو الفتح^(۲) فى « المحتسب » : وقول أبى الحسن أوثق فى النفس وآنس
من أن يحذف الحرفان معا فى وقت واحد .

الثالث : المشهور فى قوله تعالى : ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ﴾^(۳) ، أنه معطوف على جملة
محذوفة ، التقدير : « فضرب فانفجرت » ، وذن « انفجرت » على المحذوف ، لأنه يعلم
من الانفجار أنه قد ضرب .

وكذا : ﴿أَنْ اِضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾^(۴) ، إذ لا جائز أن يحصل الانفجار
والانفلاق دون ضرب .

وابن عصفور يقول فى مثل هذا : إن حرف العطف المذكور مع المعطوف هو الذى كان
مع المعطوف عليه ، وإن المحذوف هو المعطوف عليه ، وحذف حرف العطف من المعطوف ،

(۲) هو أبو الفتح عثمان بن جنى ؛ وكتابه

(۱) سورة البقرة ۴۸

المحتسب فى إعراب الشواذ ؛ نشر بالمجلس الأعلى للثقون الإسلامية - بمصر . (۳) سورة البقرة ۶۰

(۴) سورة الشعراء ۶۳

فالفاء في « انفلق » هو فاء الفعل المحذوف وهو « ضرب » فذكرت فاؤه وحذف فعلها
وذكر فعل « انفلق » وحذفت فاؤه ليدل المذکور على المحذوف ؛ وهو تحمیل غريب .

[أقسام الحذف]

الخامس في أقسامه :

الأول : الاقتطاع ، وهو ذكر حرف من الكلمة وإسقاط الباقي ، كقوله :

* دَرَسَ الْمَنَا بِمَتَالِعٍ فَأَبَانَ *^(۱)

أى المنازل ، وأنكر صاحب « المثل السائر »^(۱) ورود هذا النوع في القرآن العظيم ،
وليس كما قال .

وقد جعل منه بعضهم فوائح السور ؛ لأن كل حرف منها يدل على اسم من أسماء الله
تعالى ، كما روى ابن عباس « آلم » معناه : « أنا الله أعلم وأرى » ، و « آلمص » أنا الله
أعلم وأفضل ؛ وكذا الباقي .

وقيل في قوله : ﴿ وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾^(۲) : إن الباء هنا أول كلمة « بعض » ثم
حذف الباقي ، كقوله^(۳) :

* قلت لها قيني لنا قالت قاف *^(۳)

أى وقفت ، وفي الحديث : « كفى بالسيف شا » أى شاهدا .

(۱) المثل السائر لابن الأثير ۲ : ۱۱۳ : قال : « واعلم أن العرب قد حذفت من أصل الألفاظ شيئاً لا يجوز
القياس عليه ، كقول بعضهم [علقمة بن عبدة] :

كَأَنَّ لِأَبْرِيقَهُمْ ظَبِيَّ عَلَى شَرَفٍ مُقَدَّمٍ بِسَبَابِ السُّكْتَانِ مَلْثُومٌ

فقوله : « سباب السكتان » ، يريد : « سباب السكتان » ، وكذلك قول الآخر :

يُذْرِبِينَ جَنْدَلَ حَائِرٍ لَجْنُوِيَهَا فَسَكَّ مِمَّا تَذْكِي سَنَا بِكُمَا الْحَبَا

فهذا وأمثاله مما يقبح ولا يحسن ؛ وإن كانت العرب استعمته فإنه لا يجوز لنا أن نتعمله .

(۲) سورة المائدة ۶ (۳) هو الوليد بن عقبة ، وبعده :

* لَا تَحْسَبِينَا قَدْ نَسِينَا الْإِيحَافُ *^(۳)

وانظر شواهد الشافعية ۲۷۱ ، والخصائص ۱ : ۳۰ .

وقال الزمخشري في قوله : « من الله » في القسم : إنها « أيمن » التي تستعمل في القسم ، حذف نونها^(۱) .

ومن هذا الترخيم ، ومنه : قراءة بعضهم : ﴿ يَا مَالٍ ﴾^(۲) على لغة من يذتظر ، ولما سمعها بعض السلف قال : ما أشغل أهل النار عن الترخيم ! وأجاب بعضهم بأنهم لشدة ما هم فيه عجزوا عن إتمام الكلمة .

الثاني : الاكتفاء وهو أن يقتضى المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط ؛ فيكتفى بأحدهما عن الآخر ، ويخص بالارتباط العطف غالباً ؛ فإن الارتباط خمسة أنواع : وجودى ، ولزومى ، وخبرى ، وجوابى ، وعطفى .

ثم ليس المراد الاكتفاء بأحدهما كيف اتفق ؛ بل لأن فيه نكتة تقتضى الاقتصار عليه .

والمشهور فى مثال هذا النوع قوله تعالى : ﴿ سَرَّابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾^(۳) أى والبرد ، هكذا قدروه . وأوردوا عليه سؤال الحكمة من تخصيص الحر بالذكر . وأجابوا بأن الخطاب للعرب ، وبلادهم حارة ، والوقاية عندهم من الحر أهم ؛ لأنه أشد من البرد عندهم .

والحق أن الآية ليست من هذا القسم ، فإن البرد ذكر الامتنان بوقايته قبل ذلك صريحاً فى قوله : ﴿ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا ﴾^(۴) وقوله : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ

(۱) انظر الفصل ۳۴۴ ، وابن بغيث ۹ : ۹۲ (۲) هى قراءة ابن مسعود الآية ۷۷ الزخرف :

﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ ؛ وانظر الكشاف ۴ : ۲۰۸

(۴) سورة النحل ۸۰

(۳) سورة النحل ۸۱

الْجِبَالِ أَكُنَانًا^(۱) ، وقوله في صدر السورة : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾^(۲) .
فإن قيل : فما الحكمة في ذكر الوقيتين بعد قوله : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ
ظِلَالًا ﴾^(۱) ؛ فإن هذه وقاية الحر ، ثم قال : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكُنَانًا ﴾^(۱) ،
فهذه وقاية البرد على عادة العرب ؟

قيل : لأن ما تقدم بالنسبة إلى المساكن ، وهذه إلى الملابس ، وقوله : ﴿ وَجَعَلَ
لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكُنَانًا ﴾^(۱) لم يذكره^(۳) السهيلي ، وفيه الجوابان السابقان .
وأمثله هذا القسم كثيرة ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلَهُ مَأْسَكَنٌ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾^(۴)
فإنه قيل : المراد : « وما تحرك » ، وإنما آثر ذكر السكون لأنه أغلب الحالين على المخلوق
من الحيوان والجماد ، ولأن الساكن أكثر عدداً من المتحرك . أو لأن كل متحرك يصير
إلى السكون ، ولأن السكون هو الأصل ، والحركة طارئة .

وقوله : ﴿ بِرَبِّدِكَ الْخَيْرُ ﴾^(۵) تقديره « والشر » ، إذ مصادرُ الأمور كلها بيده جل جلاله ؛
وإنما آثر ذكر الخير ؛ لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم إليه ؛ أو لأنه أكثر وجوداً في العالم
من الشر ؛ ولأنه يجب في باب الأدب ألا يضاف إلى الله تعالى ، كما قال صلى الله عليه وسلم :
« والشر ليس إليك » .

وقيل : إن الكلام إنما ورد ردّاً على المشركين فيما أنكروه مما وعده الله به على لسان
جبريل ، من فتح بلاد الروم وفارس ؛ ووعد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك ؛
فلما كان الكلام في الخير خصه بالذكر باعتبار الحال .

(۲) سورة النحل ٥

(۴) سورة الأنعام ۱۳

(۱) سورة النحل ۸۱

(۳) م : « ولم ينقله » .

(۵) سورة آل عمران ۲۶

وقوله : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾^(١) أى والشهادة ؛ لأن الإيمان بكل منهما واجب ، وآثر الغيب لأنه أبداع^(٢) ، ولأنه يستلزم^(٣) الإيمان بالشهادة من غير عكس .
ومثله : ﴿ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا . عَالِمُ الْغَيْبِ ﴾^(٤) ، أى وَالشَّهَادَةِ ، بدليل التصريح به فى موضع^(٥) آخر .

وقوله : ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾^(٦) ؛ فإنه سبحانه ذكر أولاً الظلمات والرعد والبرق ، وطوى الباقي .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ﴾^(٧) أى والبر ، وإنما آثر ذكر البحر لأن ضرره أشد .

وقوله : ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾^(٨) ، أى والمغرب .

وقوله : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْثَافًا ﴾^(٩) ، أى ولا غير إلحاف .

وقوله : ﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾^(١٠) ، أى وأخرى غير قائمة .

وقوله : ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾^(١١) ، أى والمؤمنين .

وقوله : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(١٢) ، أى والكافرين . قاله ابن الأنبارى ، ويؤيده

قوله : ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾^(١٣) .

(٢) كذا فى ت ، وفى م : « أمدح » .

(١) سورة البقرة ٣

(٤) سورة الجن ٢٥ ، ٢٦

(٣) ت : « مستلزم » .

(٥) ذكر الغيب مع الشهادة فى القرآن فى أكثر من موضع ؛ منها قوله تعالى فى الأنعام ٧٣ :

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ ، وفى التوبة ٩٤ : ﴿ ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ ؛ و ١٠٥ ﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ وغير هذا كثير .

(٦) سورة البقرة ٢٠

(٨) سورة الصافات ٥

(٧) سورة الإسراء ٦٧

(١٠) آل عمران ١١٣

(٩) سورة البقرة ٢٧٣

(١٢) سورة البقرة ٢

(١١) سورة الأنعام ٥٥

(١٣) سورة البقرة ١٨٥

وقوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ ﴾^(١) ، قيل . المعنى وآخر كافر به ، فحذف المعطوف لدلالة قوة الكلام ، من جهة أن أول الكفر وآخره سواء ، وخصت الأولوية بالذكر لقبحها بالابتداء .

وقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُنَّ ﴾^(٢) ، أى ويسطن ، قاله الفارسي .

وحكى في « التذكرة »^(٣) عن بعض أهل التأويل في قوله تعالى : ﴿ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى ﴾^(٤) أن المعنى : « أكاد أظهرها أخفيها لتجزى » ، فحذف « أظهرها » لدلالة « أخفيها » عليه .

قال : وعندى أن المعنى : « أزيل خفاءها » ، فلا حذف .

وقوله : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾^(٥) ، أى بين أحد وأحد^(٦) .

وقوله : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾^(٧) ، أى ومن أنفق بعده وقاتل ، لأن الاستواء يطلب اثنين ؛ وحذف المعطوف لدلالة الكلام عليه ؛ ألا تراه قال بعده : ﴿ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ﴾^(٧) .

وقوله : ﴿ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾^(٨) ، أى ومن لا يستنكف ولا يستكبر ؛ بدليل التقسيم بعده بقوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾^(٩) ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا ﴾^(٩) .

(١) سورة البقرة ٤١

(٢) سورة الملك ١٩

(٣) كتاب التذكرة المعروف بتذكرة أبي علي ؛ ذكره صاحب كشف الظنون وقال : « وهو كبير في مجلدات لخصه أبو الفتح عثمان بن جني النجوى » .

(٤) سورة طه ١٥

(٥) سورة البقرة ٢٨٥

(٦) ت : « واحد وواحد » .

(٧) سورة الحديد ١٠

(٨) سورة النساء ١٧٢

(٩) سورة النساء ١٧٣

وقوله : ﴿ ثُمَّ لَا تَدْرِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾^(۱) ، فاكتفى هنا بذكر الجهات الأربع عن الجهتين .
 وقوله : ﴿ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾^(۲) ، الاكتفاء بجهتين عن سائرهما .

وقوله : ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾^(۳) ، أى ولم تعبدنى .
 وقوله : ﴿ إِنْ أَمْرُوهُ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَوَلَدٌ ﴾^(۴) ، أى ولا والد ؛ بدليل أنه أوجب للأخت النصف ؛ وإنما يكون ذلك مع فقد الأب ؛ فإن الأب يُسْقِطُهَا .

وقوله : ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾^(۵)
 ولم يذكر القسم الآخر الذى تقتضيه « أما » ؛ إذ وضعها لتفصيل كلام مجمل ؛ وأقل أقسامها قسمان ، ولا ينفك عنهما فى جميع القرآن إلا فى موضعين هذا أحدهما ؛ والتقدير :
 وأما من لم يتب ولا يؤمن ولم يعمل صالحاً فلا يكون من المفلحين . والثانى فى آل عمران :
 ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾^(۶) إلى قوله ﴿ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(۶) هذا أحد القسمين ، والقسم الثانى ما بعده ، وتقديره : وأما الراسخون فى العلم فيقولون .

وقوله : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾^(۷) ، أى وفعلاً غير الذى أمروا به ؛ لأنهم أمروا بشيئين : بأن يدخلوا الباب سُجَّداً ، و بأن يقولوا حطّة ، فبدّلوا القول فى « حنطة » « حطة » وبدّلوا الفعل بأن دخلوا يزحفون على أستاههم ؛ ولم يدخلوا ساجدين ؛ والمعنى : إرادتنا حطّة ، أى حط عنا ذنوبنا .

وقوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظُّلُّ

(۲) سورة فصلت ۱۴
 (۴) سورة النساء ۱۷۶
 (۶) سورة آل عمران ۷

(۱) سورة الأعراف ۱۷
 (۳) سورة الشعراء ۲۲
 (۵) سورة القصص ۶۷
 (۷) سورة البقرة ۵۹

وَلَا الْخُرُورُ^(١) ، قال ابن عطية : دخول « لا » على نية التكرار كأنه قال : ولا الظلمات والنور ، ولا النور والظلمات ، واستغنى بذكر الأوائل عن الثواني ؛ ودل بمذكور الكلام على متروكه .

وقوله : ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾^(٢) .

فإن قيل : ليس للفجر خيط أسود ، إنما الأسود من الليل .

فأجيب : إن ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ متصل بقوله : ﴿ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ ﴾ والمعنى : حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الفجر من الخيط الأسود من الليل ؛ لكن حذف « من الليل » لدلالة الكلام ثم عليه ولو وقع الفجر في موضعه ؛ لأنه لا يصح أن يكون ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ متعلقاً بالخيط الأسود ؛ ولو وقع ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ في موضعه متصلاً بالخيط الأبيض لضعفت الدلالة على المحذوف ؛ وهو « من الليل » فحذف « من الليل » للاختصار ، وأخر « من الفجر » للدلالة عليه .

الثالث : من هذا قسم يسمى الضمير والتمثيل ؛ وأعنى بالضمير أن يضم من القول المجاور لبيان أحد جزأيه ؛ كقول الفقيه : النبيذ مسكر فهو حرام ، فإنه أضمر « وكل مسكر حرام » .

ويكون في القياس الاستثنائي ، كقوله : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾^(٤) ، وقد شهد

الحسن والعيان أنهم ما انفضوا من حوله ؛ وهي المضمرة ؛ وانتفى عنه صلى الله عليه وسلم أنه فظ غليظ القلب .

(٢) سورة البقرة ١٨٧

(٤) سورة آل عمران ١٥٩

(١) سورة فاطر ١٩ - ٢١

(٣) سورة الأنبياء ٢٢

وقوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَا يَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾^(١)؛
المعنى لو أفهمتهم لما أجدى فيهم التفهيم ؛ فكيف وقد سلبوا القوة الفاهمة ! فعلم بذلك
أنهم مع انتفاء الفهم أحقُّ بفقد القبول والهداية .

الرابع : أن يستدلّ بالفعل لشيئين وهو في الحقيقة لأحدهما ؛ فيضمّر الآخر فعل
يناسبه ؛ كقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾^(٢) أى واعتقدوا الإيمان .
وقوله تعالى : ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾^(٣) ، أى وشموا لها زفيراً .
وقوله تعالى : ﴿لَهَدَمْتَ صَوَامِعُ وَبِيَعُ وَصَلَوَاتُ﴾^(٤) ، والصلوات لا تهدم ؛
فالتقدير : ولتركت صلوات .

وقوله : ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾^(٥) فالفاكهة ولحم الطير والخور العين
لا تطوف ، وإنما يُطاف بها .
وأما قوله تعالى : ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾^(٦) ، فنقل ابن فارس عن
البصريين أن الواو بمعنى «مع» أى شركاءكم ، كما يقال : لو تركت الناقة وفصيلاً أرضعها ؛
أى مع فصيلها .

وقال الآخرون : أجمعوا أمركم وادعوا شهداءكم ، اعتباراً بقوله تعالى : ﴿وَادْعُوا
مَنْ آسَاطَعْتُمْ﴾^(٧) .

واعلم أن تقدير فعل محذوف للثانى ليصح العطف هو قول الفارسي والفراء وجماعة
من البصريين والكوفيين لتعذر العطف . وذهب أبو عبيدة والأصمعي واليزيدي وغيرهم
إلى أن ذلك من عطف المفردات ، وتضمن العامل معنى ينتظم المعطوف والمعطوف عليه جميعاً ؛

(٢) سورة الحشر ٩
(٤) سورة الحج ٤٠
(٦) سورة يونس ٧١

(١) سورة الأنفال ٢٣
(٣) سورة الفرقان ١٢
(٥) سورة الواقعة ١٧
(٧) سورة هود ١٣

فيقدّر آثروا الدار والإيمان^(١)، ويبقى النظر في أنه: أيهما أولى؟ ترجيح الإضرار أو التضمين؟ واختار الشيخ أبو حيان^(٢) تفصيلاً حسناً وهو: إن كان العامل الأول تصحّ نسبه إلى الاسم الذي يليه حقيقة كان الثاني محمولاً على الإضرار؛ لأنه أكثر من التضمين؛ نحو «يجدع الله أنفه وعينه» ، أي ويفقأ عينيه ، فنسبة الجدع إلى الأنف حقيقة؛ وإن كان لا يصحّ فيه ذلك كان العامل مضمناً معني ما يصحّ نسبه إليه؛ لأنه لا يمكن الإضرار؛ كقولهم: * علفتها تبناً وماء بارداً^(٣) *

وجعل ابن مالك من هذا القبيل قوله تعالى: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(٤) قال: لأنّ فعل أمر المخاطب لا يعمل في الظاهر؛ فهو على معنى «اسكن أنت ولتسكن زوجك» ، لأن شرط المعطوف أن يكون صالحاً لأن يعمل فيه ما عمل في المعطوف عليه، وهذا متعذر هنا؛ لأنه لا يقال: «اسكن زوجك» .

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ﴾^(٥) ولا يصحّ أن يكون «مولود» معطوفاً على «والدة» لأجل تاء المضارعة، أو للأمر؛ فالواجب في ذلك أن نُقدّر مرفوعاً بمقدر من جنس المذكور؛ أي ولا يضارّ مولود له .

وقوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ﴾^(٦) ، قال الفراء: التقدير: «وسخرنا له الطير» عطفاً على قوله: ﴿فَضَلًّا﴾ وقيل: هو مفعول معه، ومن رفعه فقيل: على المضمرة في «آتى»،

(١) أي في قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ .
(٢) في التفسير الكبير المسمى: «البحر المحيط» ٨ : ٢٤٧ مع تصرف في العبارة .
(٣) لدى الرمة وقبائه :

* حَطَّطْتُ الرَّحْلَ عَنْهَا وَارداً *

وانظر الخزانة ١ : ٤٩٩

(٥) سورة البقرة ٢٣٣

(٤) سورة البقرة ٣٥

(٦) من قوله تعالى في سورة سبأ ١٠: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ

وَالطَّيْرَ وَالنَّالَةَ الْحَدِيدَ﴾ .

وجاز ذلك لطول الكلام بقوله : ﴿معه﴾ ، وقيل : بإضمار فعل أى ولتؤوب معه الطير .

الخامس : أن يقتضى الكلام شيتين فيقتصر على أحدهما؛ لأنه المقصود؛ كقوله تعالى
حكاية عن فرعون : ﴿فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾^(١) ، ولم يقل : « وهارون » لأن موسى
المقصود المتحمل أعباء الرسالة ، كذا قاله ابن عطية .

وغاص الزمخشري فقال : أراد أن يتم الكلام فيقول : « وهرون » ، ولكنه نكّل
عن خطاب هرون توقيا لفصاحته وحادّة جوابه ووقع خطابه ؛ إذ الفصاحة تنكّل الخصم
عن الخصم للجدل ، وتنكبه عن معارضته .

السادس : أن يذكر شيثان ، ثم يعود الضمير إلى أحدهما دون الآخر ، كقوله تعالى :
﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾^(٢) ، قال الزمخشري : تقديره : إذا رأوا تجارة
انفضوا إليها ، أو لهواً انفضوا إليه ؛ فحذف أحدهما للدلالة المذكور عليه .

ويبقى عليه سؤال ؛ وهو أنه : لم أوتر ذكر التجارة ؟ وهلا أوتر اللهو ؟

وجوابه ما قاله الراغب في تفسير سورة البقرة : إن التجارة لما كانت سبب انفضاض
الذين نزلت فيهم هذه الآية أعيد الضمير إليها . ولأنه قد تُشغل التجارة عن العبادة
ما لا يشغله اللهو .

واختلاف في مواضع : منها قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ
وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٣) ، فإنه سبحانه ذكر الذهب والفضة ، وأعاد الضمير

(٢) سورة الجمعة ١١

(١) سورة طه ٤٩

(٣) سورة التوبة ٣٤ :

على الفضة وحدها ؛ لأنها أقرب المذكورين ؛ ولأن الفضة أكثر وجودا في أيدي الناس ؛ والحاجة إليها أمس ، فيكون كمنزها أكثر ، وقيل أعاد الضمير على المعنى ؛ لأن المكنوز دنانير ودرهم وأموال .

ونظيره : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾^(١) ؛ لأن الطائفة جماعة . وقيل : من عادة العرب إذا ذكرت شيئين مشتركين في المعنى تكفي بإعادة الضمير على أحدهما استغناء بذكره عن الآخر اتسكالا على فهم السامع ، كقول حسان .

إِنْ شَرَّخَ الشَّبَابِ وَالشَّعْرَ الْأَسَدِ وَدَمَاءَ بَعِصٍ كَانَ جُنُونًا^(٢)
ولم يقل « بعاصا » .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾^(٣) وقد جعل ابن الأنباري في كتاب « الهاءات »^(٤) ضمير ﴿ لَمْ تَرَوْهَا ﴾ راجعا إلى الجنود .

ونقل عن قتادة قال : هم الملائكة . والأشبهه أن يأتي هنا بما سبق .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾^(٥) فقييل : « أحق » خبر عنهما ، وسهل إفراد الضمير بعدم إفراد « أحق » وأن إرضاء الله سبحانه إرضاء لرسوله .

وقيل : « أحق » خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحذف من الأول لدلالة الثاني عليه .

وقيل : العكس ، وإنما أفرد الضمير لئلا يجمع بين اسم الله ورسوله في ضمير واحد ،

كإجاء في الحديث : « قل ومن يعص الله ورسوله » قال الزمخشري : قد يقصدون ذكر الشيء

(٢) ديوانه ٤١٣

(١) سورة الحجرات ٩

(٣) سورة الأحزات ٩

(٤) كتاب الهاءات لأبي بكر محمد بن قاسم الأنباري النجوى ، ذكره صاحب كشف الظنون ١٤٧١

(٥) ... التوبة ٦٢

فيذكرون قبله ما هو سبب منه ، ثم يعطفونه عليه مضافاً إلى ضميره ، وليس لهم قصد إلى الأول كقوله : سرّني زيد وحسّن جاله ؛ والمراد حسن حاله . وفائدة هذا الدلالة على قوة الاختصاص بذكر المعنى ، ورسول الله أحق أن يرُضوه . ويدلُّ عليه ما تقدمه من قوله :

﴿ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾^(١) ؛ ولهذا وحده الضمير ، ولم يثن .

ومنها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا سِنِيهِ ﴾^(٢)

ومنها قوله : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾^(٣) ؛ فقيل : الضمير

للاصلاة لأنها أقرب المذكورين . وقيل : أعاده على المعنى ؛ وهو الاستعانة المفهومة من استعينوا .

وقيل : المعنى على التثنية ؛ وحذف من الأول لدلالة الثاني عليه .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا ﴾^(٤) ؛ وهو

نظير آية الجمعة كما سبق .

وفي هاتين الآيتين لطيفتان : وهما أن الكلام لما اقتضى إعادة الضمير على أحدهما

أعاده في آية الجمعة على التجارة ، وإن كانت أبعد ، ومؤنثة أيضاً ؛ لأنها أجذب للقلوب عن

طاعة الله من اللهو ؛ لأن المشتغلين بالتجارة أكثر من المشتغلين باللهو ؛ أو لأنها أكثر نفعاً

من اللهو ، أو لأنها كانت أصلاً واللهو تبعاً ، لأنه ضرب بالطبل لقدمه ، كما جاء في صحيح

البخاري : « أقبلت غير يوم الجمعة » ، وأعاده في قوله : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ﴾^(٥)

على الإثم رعاية لمرتبة القرب والتذكير ؛ فتدبر ذلك .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾^(٦) ، أي بذلك القول .

(٢) سورة الأنفال ٢٠

(٤) سورة النساء ١١٢

(٦) سورة يونس ٥٨

(١) سورة التوبة ٦١

(٣) سورة البقرة ٤٥

(٥) سورة النساء ١١٢

السابع الحذف المقابلي : وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان ، فيحذف من واحد منهما مقابله ؛ لدلالة الآخر عليه ، كقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾^(۱) ، الأصل : فإن افتريته فعلى إجرامي وأنتم برآء منه ، وعليكم إجرامكم وأنا برىء مما تجرمون ، فنسبة قوله تعالى : « إجرامي » ، وهو الأول إلى قوله : « وعليكم إجرامكم » - وهو الثالث - كنسبة قوله : « وأنتم برآء منه » - وهو الثاني - إلى قوله : « وعليكم إجرامكم » - وهو الثالث - كنسبة قوله : « وأنتم برآء منه » - وهو الثاني - وهو الثاني - إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾^(۱) ، وهو الرابع ، واكتفى من كل متناسبين بأحدهما .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴾^(۲) ، تقديره : إن أرسل فليأتنا بآية كما أرسل الأولون فأتوا بآية .

وقوله تعالى : ﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾^(۳) ، تقديره كما قال المفسرون : « ويعذب المنافقين إن شاء فلا يتوب عليهم ، أو يتوب عليهم فلا يعذبهم » ، عند ذلك يكون مطلق قوله : فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم مقيدا بمدة الحياة الدنيا . وقوله تعالى : ﴿ فَاغْتَسِزُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَ كُمْ اللَّهُ ﴾^(۴) ؛ فتقديره : لا تقربوهن حتى يَطْهُرْنَ وَيَطْهُرْنَ^(۵) ، فإذا طهرن وتطهرن فأتوهن ؛ وهو قول مركب من أربعة أجزاء ؛ نسبة الأول إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع ؛ ويحذف من أحدهما لدلالة الآخر عليه .

واعلم أن دلالة السياق قاطعة بهذه المحذوفات ؛ وبهذا التقدير يعترض القول بالمنع من وطء الحائض إلا بعد الطهر والتطهر جميعا ؛ وهو مذهب الشافعي .

(۱) سورة هود ۳۵

(۲) سورة الأنبياء ۵

(۳) سورة الأحزاب ۲۴

(۴) سورة البقرة ۲۲۲

(۵) يقال : طهرت المرأة ، إذا انقطع عنها الدم ؛ فإذا اغتسلت قبل : طهرت بتشديد الطاء .

(۹ - برهان - ثالث)

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ (١) ،
تقديره : « أدخل يدك تدخل ، وأخرجها تخرج » ؛ إلا أنه قد عَرَضَ في هذه المادة تناسب
بالطباق ؛ فلذلك بقي القانون فيه ، الذي هو نسبة الأول إلى الثالث ، ونسبة الثاني إلى الرابع
على حالة الأكثرية ؛ فلم يتغير عن موضعه ؛ ولم يجعل بالنسبة التي بين الأول والثاني ،
وبين الثالث والرابع وهي نسبة النظير ، كقوله :

وَإِنِّي لَتَعْرِوِي لِدِكْرَاكِ هِزَّةً كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطْرُ (٢)

أى هزة بعد انتفاضة ، كما انتفض العصفور بلله القطر ، ثم اهتز . كذا قاله جماعة .
وأنكره ابن الصائغ ، وقال : هذا التقدير لا يحتاج إليه ولو يكون لكان خلفاً ؛
وإمّا أوجههم إليه أنهم رأوا أنه لا يلزم من إدخالها خروجها ؛ و« يخرج » مجزوم على الجواب ،
فاحتاج أن تقدر جواباً لازماً ، وشرطاً ملزوماً ؛ حذفاً لأنهما نظير ما ثبت ؛ لكن وقع
في تقدير ما لا يفيد ؛ لأنه معلوم أنه إن أدخلها تدخل ، لكنه قد يقدره تقديراً بعيداً ؛
وهو : أدخلها تدخل كما هي ، وأخرجها تخرج بيضاء ؛ وهو بعد ذلك ضعيف ، فيقال له :
لا يلزم في الشرط وجوابه أن يكون اللزوم بينهما ضرورياً بالفعل ؛ فإذا قيل : إن جاءني
زيد أكرمه ؛ فهذا اللازم بالوضع ؛ وليس بالضرورة ، والإكرام لازم للهجيء ، بل لوضع
اللكم فالوضع هنا أن الإدخال سبب في خروجها بيضاء بقدره الله تعالى ؛ ألا ترى أنه
لا يلزم من إخراجها أن تخرج بيضاء لزوماً ضرورياً إلا بضرورة صدق الوعد . فإن قال :
لم أرد هذا ؛ وإمّا أردت أنها لا تخرج إلا حتى تخرج . قيل : هذا من المعلوم الذي لا معنى
للتنصيص عليه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَخْرُوجُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ (٣) ،

(٢) البيت لأبي صخر الهذلي ؛ أمالي القالي ١ : ١٤٩

(١) سورة النمل ١٢

(٣) سورة التوبة ١٠٢

أصل الكلام : خلطوا عملاً صالحاً بسيئاً ، وآخر شيئاً بصالحاً ؛ لأن الخلط يستدعي مخلوطاً ومخلوطاً به ؛ أي تارة أطاعوا وخلطوا الطاعة بكبيرة ، وتارة عصوا وتداركوا المعصية بالتوبة .
وقوله : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ . . . ﴾ (۱) الآية ، فإن مقتضى التقسيم اللفظي : من اتبع الهدى فلا خوف ولا حزن يلحقه ، وهو صاحب الجنة ، ومن كذب يلحقه الخوف والحزن وهو صاحب النار ؛ فحذف من كل ما أثبت نظيره في الأخرى .

قيل : ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ (۲) ، قال سيبويه (۳) في « باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى » : لم يشبهوا بالناعق ؛ وإنما شبهوا بالمنعوق به ؛ وإنما المعنى : ومثلكم (۴) ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع إلا دنا ؛ ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى . انتهى .

والذي أحوجه إلى هذا التقدير ، أنه لما شبه الذين كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا بناء على أن الناعق بمعنى الداعي ؛ وليس متممين ؛ لجواز ألا يراد به الداعي ؛ بل الناعق من الحيوان - شبههم في تألفهم وتأنيبهم بما ينطق من الغنم بصاحبه ؛ من أنهم يدعون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم ما يريد ، فيكون ثم حذف .

وقيل : ليس من هذا النوع إلا الاكتفاء من الأول بالثالث ؛ لنسبة بينهما ؛ وذلك أنه اكتفى بالذي ينطق - وهو الثالث المشبه به - عن المشبه ، وهو الكناية المضاف إليها في قوله : ومثلك ، وهو الأول وأقرب إلى هذا التشبيه المركب والمقابلة ؛ وهو الذي غلط من وضعه في هذا النوع ؛ وإنما هو من نوع الاكتفاء بالارتباط العطفی ؛ على ما ساف .

(۲) سورة البقرة ۱۷۱

(۱) سورة طه ۱۲۳

(۳) الكتاب ۱ : ۱۰۸

(۴) م « وملك » ؛ وما أثبتته عن ت والكتاب .

وقد قال الصّفار : هذا الذي صار إليه سيبويه - من أنه حذف من الأول المعطوف عليه ،
ومن الثاني المعطوف - ضعيف لا ينبغي أن يصار إليه إلا عند الضرورة ، لأن فيه حذفاً كثيراً
مع إبقاء حرف العطف ؛ وهو الواو . ألا ترى أن ما قبلها مستأنف ، والأصل مثلك ومثلهم ؛
إلا أن يدعى أن الأصل ومثلك ومثلهم ، ثم حذف « مثلك » والواو التي عطفت ما بعدها ،
وبقيت الواو الأولى ؛ ويزعم أن الكلام ربط مع ما قبله بالواو ؛ وليس بينهما ارتباط .
وفيه ما ترى .

وقال ابن الحجاج : عندي أنه لا حذف في الآية ، والقصد تشبيه الكفار في عبادتهم
لأصنام بالذي ينطق بما لا يسمع ؛ فهو تمثيل داعٍ بداعٍ محقق لا حذف فيه ؛ والكفار
على هذا داعون ؛ وعلى التأويل الأول مدعوون .

ونظيرها قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ
عِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾^(١) فإن فيه جملةين ؛ حذف نصف كل واحدة منهما اكتفاء بنصف
الأخرى . وأصل الكلام : أمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ مِمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ، أمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ أَهْدَىٰ مِمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا !^(٢)

وإنما قلنا : إن أصله هكذا ؛ لأن أفعال التفضيل لا بد في معناها من المفضل عليه .
وهاهنا وقع السؤال عمَّنْ في نفس الأمر : هل هذا أهدي من ذلك أم ذاك أهدي من هذا؟
فلا بد من ملاحظة أربعة أمور ، وليس في الآية إلا نصف إحدى الجملتين ونصف الأخرى ،
والذي حذف من هذه مذکور في تلك ، والذي حذف من تلك مذکور في هذه ، فحصل
المقصود مع الإيجاز والفصاحة . ثم ترك أمر آخر لم يتعرض له ؛ وهو الجواب الصحيح
لهذين الاستفهامين ، وأيهما هو الأهدى؟ لم يذكره في الآية أصلاً ، اعتماداً على أن العقل
يقول : الذي يمشي على صراط مستقيم أهدي ممن يمشي مكباً على وجهه .

(٢) ت : ممشى .

(١) سورة الملك ٢٢

وهذا كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾^(١). وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي
الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

فائدة

قد يحذف من الأول لدلالة الثاني عليه ، وقد يعكس ، وقد يحتمل اللفظ الأمرين .
فالأول كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾^(٣) في قراءة من رفع
« ملائكته » ، أي إن الله يصلي ، فحذف من الأول لدلالة الثاني عليه ، وليس عطفًا عليه .

والثاني كقوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾^(٤) ، أي ما يشاء .

وقوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيٌّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾^(٥) ، أي برى أيضًا .

وقوله: ﴿يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾^(٦) .

وقوله: ﴿يَتَسَنَّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْتَدَّتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ
وَاللَّائِي لَمْ يَحِيضْنَ﴾^(٧) ، أي كذلك .

وجعل منه أبو الفتح قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾^(٨) التقدير: وأبصر بهم؛

لكنه حذف لدلالة ما قبله عليه ؛ حيث كان بلفظ الفضلة ؛ وإن كان ممتنعًا في الفاعل .

وهذا التوجيه إنما يتم إذا قلنا: إن الجارَ والجرورَ ؛ في «أسمع بهم وأبصر» في محل الرفع؛

فإن قلنا في محل النصب فلا .

(٢) سورة الزمر ٩

(٤) سورة الزمر ٣٩

(٦) سورة إبراهيم ٤٨

(٨) سورة مريم ٣٨

(١) سورة النحل ١٧

(٣) سورة الأحزاب ٥٦ ؛ وهي قراءة . . .

(٥) سورة التوبة ٣

(٧) سورة الطلاق ٤

وقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾^(۱) ،

والتقدير خلقهن الله ، فحذف « خلقهن » لقربينة تقدمت في السؤال .

وقوله : ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ . كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾^(۲) ، ولم يقل :

« إنا كذلك » اختياراً واستغناء عنه بقوله فيما سبق : ﴿ إنا كذلك ﴾ .

والثالث كقولهم : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾^(۳) ، فقد قيل : إن « أحق »

خبر عن اسم الله تعالى ، وقيل بالعكس .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ

بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا ﴾^(۴) ، فالفائدة في إعادة الجار والمجرور ؛ أعني « بها » . لأنه لو حذف من

الثاني لم يحصل الربط لوجوب الضمير فيما وقع مفعولاً ثانياً ، أو كالمفعول الثاني لـ « سمعتم » ،

ولو حذف من الأول لم يكن نصاً على أن الكفر يتعلق بالإثبات ؛ لجواز أن يكون متعلق

الأول غير متعلق الثاني . .

الثامن الاختزال ؛ وهو الافتعال ؛ من خزله ، قطع وسطه ، ثم نقل في الاصطلاح إلى

حذف كلمة أو أكثر . وهي إما اسم ، أو فعل ، أو حرف .

(۲) سورة الصافات ۱۰۹ ، ۱۱۰

(۴) سورة النساء ۱۴۰

(۱) سورة الزمر ۳۸

(۳) سورة التوبة ۶۲

الأول الاسم
[حذف المبتدأ]

فمنه حذف المبتدأ ، كقوله تعالى : ﴿ ثَلَاثَةٌ ﴾ و ﴿ خَمْسَةٌ ﴾ ؛ و ﴿ سَبْعَةٌ ﴾^(١) ، أى هم ثلاثة ، وهم خمسة ، وهم سبعة .

وقوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ ﴾^(٢) ، أى إحداهما ، بدليل قوله بعده : ﴿ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ بَلَغَ فَمَا لِي بِهِ لَأْكَ ﴾^(٤) ، أى هذا بلاغ .

وقوله : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾^(٥) ، أى هم عباد .

وعلى هذا قال أبو علي : قوله تعالى : ﴿ بِشَرِّ مَن ذُلِكُمُ النَّارُ ﴾^(٥) ، أى هي النار .

وقوله : ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ . النَّارُ ﴾^(٦) ، أى هو النار .

ويمكن أن يكون « النار » في الآيتين مبتدأ والخبر الجملة التي بعدها، ويمكن في الثانية أن تكون النار بدلاً من « سوء العذاب » .

(١) من قوله تعالى في سورة الكهف ٢٢ :

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَذِبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَذِبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ
وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَذِبُهُمْ ﴾ .

(٢) سورة الأحقاف ٣٥

(٣) سورة آل عمران ١٣ ، وستأتي

(٤) سورة الأنبياء ٢٦

(٥) سورة الحج ٧٢ ؛ وتنتمها : ﴿ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبئسَ الْمَصِيرُ ﴾ .

(٦) سورة المؤمن ٤٥ ، ٤٦ ، وتنتمها : ﴿ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ .

وقوله : ﴿ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾^(١) ، أى ساحر .

وقوله : ﴿ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾^(٢) . ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾^(٣) .

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾^(٤) ، أى هذا الحق من ربكم ؛ وليس هذا كما يظنه

بعض الجهال ، أى قل القول الحق ؛ فإنه لو أريد هذا لَنَصَبَ « الحق » ؛ والمراد

إثبات أن القرآن حق ، ولهذا قال : ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ؛ وليس المراد هنا قول حق مطلق ؛

بل هذا المعنى مذکور في قوله : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْبُدُوا ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿ أَلَا يُوْخِذُ عَلَيْهِمْ

مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ﴾^(٧) ؛ أى هذه سورة .

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾^(٨) ، أى فعمله لنفسه وإساءته عليها .

وقوله : ﴿ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَتَوْسَّ قَنُوطًا ﴾^(٩) أى فهو يتوس .

﴿ لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾^(١٠) ، أى تقلبهم متاع ،

أو ذاك متاع .

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ . نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴾^(١١) ، أى والحطمة نار الله .

﴿ إِسْمَاءُ تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾^(١٢) ، أى كل واحدة منها كالقصر ؛ فيكون من باب

قوله : ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ نَمَائِينَ جَلْدَةً ﴾^(١٣) ، أى كل واحد^(١٤) منهم ، والحوج إلى ذلك

أنه لا يجوز أن يكون الشرر كله كقصر واحد ؛ والقصر هو البيت من آدم^(١٥) ، كان يضرب

(٢) سورة الذاريات ٥٢

(٣) سورة الكهف ٢٩

(٤) سورة الأعراف ١٩٦

(٥) سورة فصلت ٤٦

(٦) سورة آل عمران ١٩٦ ، ١٩٧

(٧) سورة المرسلات ٣٢

(٨-١٤) ساقط من ت .

(١) سورة المؤمن ٢٤

(١) سورة الفرقان ٥

(٥) سورة الأنعام ١٥٢

(٧) سورة النور ١

(٩) سورة فصلت ٤٩

(١١) سورة الحمزة ٥ ، ٦

(١٣) سورة النور ٤

على المال ، ويؤيده^(۱) قوله : ﴿ جَمَالَ صُفْرٌ ﴾^(۲) ، أفلا تراه كيف شبهه بالجماعة ! أى كل واحدة من الشرر كالجمل لجماعته ، فجماعته إذن مثل الجمالات الصفر ، وكذلك الأول ، شررة منه كالفصر . قاله أبو الفتح بن جنى .

وأما قوله : ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ﴾^(۳) ، فقيل : إن « ثلاثة » خبر مبتدأ محذوف تقديره : « آلهتنا ثلاثة » .

واعترض باستلزامه^(۴) إثبات الإلهية لانصراف النفي الداخل على المبتدأ أو الخبر إلى المعنى المستفاد من الخبر لا إلى معنى المبتدأ ، وحينئذ يقتضى نفي عدة الآلهة لا نفي وجودهم .

قيل : وهو مردود؛ لأن نفي كون آلهتهم ثلاثة يصدق بآلا يكون للآلهة الثلاثة وجود بالكلية ؛ لأنه من السالبة المحصلة^(۵) ، فمعناه : ليس آلهتكم ثلاثة ، وذلك يصدق بآلا يكون لهم آلهة وإنما حذف إيداناً بالنهي عن مطلق العدد المفهم للمساواة بوجه ما ؛ فما ظنك بمن صرح بالشركة ؛ كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ ﴾^(۶) ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾^(۷) ، فأفهم أنه لو وجد الإله يكون غيره معه خطأ لإفهامه مساواة ما ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾^(۸) ، ولزم من نفي الثلاثة لامتناع المساواة المعلومة عقلاً ، والمدلول عليها بقوله : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾^(۸) ، نفي الشركة مطلقاً ؛ فإن تخصيص النهى وقع في مقابلة الفعل ، ودليلاً عليه ؛ فإنهم كانوا يقولون في الله وعيسى وأمه : ثلاثة .

(۲) سورة المرسلات ۳۳
(۴) ت : « استلزامه » ؟؟
(۶) سورة المائدة ۷۳
(۸) سورة النساء ۱۷۱

(۱) ت : « ويؤكده » .
(۳) سورة النساء ۱۷۱
(۵) ت : « المحصلة » .
(۷) سورة الأنعام ۱

ونحوه في الخروج على السبب : ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَرْبَابًا أُضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ (۱) .

وقال صاحب « إسفار الصباح » (۲) : الوجه تقدير كون ثلاثة ، أو « في الوجود » ، ثم حذف الخبر الذي هو « لنا » ، أو « في الوجود » الحذف المطرد ، وما دل عليه توحيد لا إله إلا الله .

ثم حذف المبتدأ حذف الموصوف كالعدد ؛ إذا كان معلوما . كقولك : عندي ثلاثة .
أى دراهم ؛ وقد علم بقربينة قوله : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ (۳) .

وقد عورض هذا بأن نفي وجود ثلاثة لا ينفي وجود إلهين . وأجيب بأن تقديره « آلهتنا ثلاثة » يُوجب ثبوت الآلهة ؛ وتقدير « لنا آلهة » لا يوجب ثبوت إلهين .
فعورض بأنه كما لا يُوجبه فلا ينفيه .

فأجيب بأنه إذا لم ينفه فقد نفاه ما بعده من قوله : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ .

فعورض بأن ما بعده إن نفي ثبوت إلهين فكيف ثبوت آلهة !
فأجاب بأنه لا ينفيه ، ولكن يناقضه ، لأن تقدير آلهتنا ثلاثة يثبت وجود إلهين ؛
لانصراف النفي في الخبر عنه ، بخلاف تقدير : « لنا آلهة ثلاثة » ، فإنه لا يثبت وجود
إلهين لانصراف النفي إلى أصل الإثبات للآلهة .

وفي أجوبة هذه المقدمات نظر .

قلت : وذكر ابن جنى أن الآية من حذف المضاف ؛ أي ثالث ثلاثة لقوله في موضع

آخر : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ .

(۲) ذكره صاحب كشف الظنون .

(۱) سورة آل عمران ۱۳۰

(۳) سورة النساء ۱۷۱

حذف الخبر

نحو: ﴿أَكْذَبًا دَائِمًا وَظَلْمًا﴾^(١)، أى دائم .

وقوله فى سورة ص بعد ذكر من اقتص ذكره من الأنبياء، فقال: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾^(٢) ثم لما ذكر مصيرهم إلى الجنة وما أعد لهم فيها من النعيم قال: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرًّا مَّآبٍ جَهَنَّمِ يَصَلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ: هَذَا﴾^(٣) قد أشارت الآية إلى مآل أمر الطاغين، ومنه يفهم الخبر .

وقوله: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾^(٤) أى أهذا خير أمَّن جعل صدره ضيقاً حرجاً وقسا قلبه، فحذف بدليل قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٥) .

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾^(٥) .

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾^(٦) .

وقوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا﴾^(٧) قال سيبويه: الخبر^(٨) محذوف، أى فيما أتوه السارق والسارقة، وجاء ﴿فَاقْطَعُوا﴾ جملة أخرى . وكذا قوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾^(٩) فيما نقص لكم .

وقال غيره: السارق مبتدأ، فاقطعوا خبره؛ وجاز ذلك لأن الاسم عام؛ فإنه لا يريد

(١) سورة الرعد ٣٥

(٢) سورة ص ٤٩ ،

(٣) سورة ص ٥٥ - ٥٦

(٤) سورة الزمر ٢٢

(٥) سورة الشعراء ٥٠ والآية بتامها: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ .

قال الزجاجى فى معناه: «لا ضير علينا فى قتلك» .

(٦) سورة المائدة ٣٨

(٧) سورة سبأ ٥١

(٨) سورة النور ٢

(٩) الكتاب ١ : ٧١

به سارقاً مخصوصاً ، فصار كأسماء الشرط ؛ تدخل الفاء في خبرها لعمومها ؛ وإنما قدر سبويه ذلك لجعل الخبر أمراً ؛ وإذا ثبت الإضمار فالفاء داخلة في موضعها ، تربط بين الجملتين . ومما يدل على أنه على الإضمار إجماع القراء على الرفع ؛ مع أن الأمر الاختياري فيه النصب . قال : وقد قرأ ناس بالنصب^(١) ارتكباناً للوجه القوي في العربية ؛ ولكن أبت العامة إلا الرفع . وكذا قال في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾^(٢) : مثل ، هنا خبر مبتدأ محذوف ؛ أي فيما نقص عليكم مثل الجنة . وكذا قال أيضاً في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا ﴾ : إنه على الإضمار^(٣) .

وقد رد بأنه أي ضرورة تدعو إليه هنا ؟ فإنه إنما صرنا إليه في السارق ونحوه لتقديره دخول الفاء في الخبر ، فاحتيج للإضمار حتى تكون الفاء على بابها في الربط ؛ وأما هذا فقد وُصِلَ بفعل هو بمنزلة : الذي يأتيك فله درهم .

وأجاب الصفار بأن الذي حمه على هذا أن الأمر دائر مع الضرورة كيف كان ؛ لأنه إذا أضمر فقد تكلف ، وإن لم يضم كان الاسم مرفوعاً وبعده الأمر ، فهو قليل بالنظر إلى « للذين يأتيانها » فكيفما عمل لم يخل من قببح .

وإن قدر منصوباً ، وجاء القرآن بالألف على لغة من يقول « الزيدان » في جميع الأحوال وقع أيضاً في محذور آخر ؛ فلماذا قدره هذا التقدير ، لأن الإضمار مع الرفع يكافئ .

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾^(٤) ، الخبر محذوف ، أي يعذبون . ويجوز أن يكون الخبر : ﴿ أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾^(٥) .

(١) عبارة الكتاب : « وقد قرأ أناس ﴿ وَالسَّارِقِ وَالسَّارِقَةِ ﴾ ، و ﴿ الزَّانِيَةِ وَالزَّانِي ﴾

وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة .

(٣) سورة النساء ١٦

(٢) سورة الرعد ٣٥

(٥) سورة فصلت ٤٤

(٤) سورة فصلت ٤١

وقوله : ﴿لَوْ لَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾^(١) ؛ فأنتم مبتدأ والخبر محذوف ؛ أى حاضرين ؛ وهو لازم الحذف هنا .

وقوله تعالى : ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(٢) ؛ أى حل لكم كذلك .

وأما قوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾^(٣) ، أما على قراءة التنوين فلا حذف لأنه يجعله مبتدأ ؛ و «ابن الله» خبر ؛ حكاية عن مقالة اليهود ؛ وأما على قراءة من لم ينون ؛ فقيل : إنه صفة والخبر محذوف ؛ أى عزير ابن الله إلها ، وقيل : بل المبتدأ محذوف ، أى إلها عزير ، وابن صفة .

ورُدَّ بوجهين :

أحدهما : أنه لا يطابق : ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾^(٤) .

والثاني : أنه يلزم عليه أن يكون التكذيب ليس عائداً إلى الجنوة ، فكذب لأن صدق الخبر وكذبه راجع إلى نسبة الخبر لا إلى الصفة . فلو قيل : زيد القائم فقيه ، فكذب انصرف التكذيب لإستناد فقيه ؛ لا لوصفه بالقائم .

وفيه نظر ؛ لأن الصفة ليست إنشاءً فهي خبر ؛ إلا أنها غير تامة الإفادة ، فيصح تكذيبها . والأولى تقويته ، وأن يقال الصفة والإضافة ونحوها في المسند إليه لواحق بصورة الأفراد ؛ أى يريد أن يُصوره بهيئة خاصة ؛ ويحكم عليه كذلك ؛ لكن لا سبيل إلى كذبها ، مع أنها تصوّرت ، فالوجه أن يقال : إن كذب الصفة بإسناد مسندها إلى

(٢) سورة المائدة ٤

(١) سورة سبأ ٣١
(٣) سورة التوبة ٣٠

معدوم الثبوت . ونظير هذه المسألة في الفقه ما لو قال : والله لا أشرب ماء هذا الكوز ؛
ولا ماء فيه .

وقال بعضهم : ﴿عَزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ﴾ خبر الجملة ، أى حَكَى فيه لفظهم ، أى قالوا هذه
العبارة القبيحة ؛ وحينئذ فلا يقدر خبر ولا مبتدأ .

وقيل : « ابن الله » خبر وحذف التنوين من « عزير » للعجمة والعلمية .

وقيل : حذف تنوينه لا لتقاء الساكنين ؛ لأن الصفة مع الموصوف كشيء واحد ،
كقراءة : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ﴾^(١) ، على إيراد التنوين ؛ بل هنا أوضح ؛
لأنه في جملة واحدة .

وقيل : « ابن الله » نعت ولا محذوف ؛ وكان الله تعالى حَكَى أنهم ذكروا هذا
اللفظ إنكاراً عليهم ؛ إلا أن فيه نعماً ، لأن سيبويه قال : إن قلت وضعت العرب لتحكى به
ما كان كلاماً لا قولاً . وأيضاً إنه لا يطابق قوله : ﴿وَقَالَتِ الْنَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾^(٢) ،
والظاهر أنه خبر . والقولان منقولان .

والصحيح في هذه القراءة أنه ليس الغرض إلا أن اليهود قد بلغوا في رسوخ الاعتقاد
في هذا الشيء إلى أن يذكرون هذا النكر ، كما تقول في قومٍ تغالوا في تعظيم صاحبهم :
أراهم اعتقدوا فيه أمراً عظيماً ثابتاً ، يقولون : زيد الأمير !

ما يحتمل الأمرين

قوله تعالى : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾^(٣) يحتمل حذف الخبر ، أى أجمل^(٤) ، أو حذف المبتدأ ،
أى فأمرى صبر جميل . وهذا أولى لوجود قرينة حالية - هى قيام الصبر به - دالة على

(٢) سورة التوبة ٣٠

(٤) قدره صاحب الكشاف : « أمثل » .

(١) سورة الإخلاص ٢، ١

(٣) سورة يوسف ١٨

المحذوف ، وعدم قرينة حالية أو مقالية تدلّ على خصوص الخبر ، وأن الكلام مسوق للإخبار بحصول الصبر له واتصافه به ، وحذف المبتدأ يحصل ذلك دون حذف الخبر ؛ لأن معناه أن الصبر الجميل ؛ أجل ممن ^(١) لأن المتكلم متلبس به .

وكذلك يقوله من لم يكن وصفه ؛ ولأن الصبر مصدر ، والمصادر معناها الإخبار ؛ فإذا حمل على حذف المبتدأ فقد أجرى على أصل معناه ؛ من استعماله خبراً ، وإذا حمل على حذف الخبر فقد أخرج عن أصل معناه ^(٢) .

ومثاله قوله : ﴿ طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ ﴾ ^(٣) أي أمثل ، أو أولى لكم من هذا ، أو أمرم الذي يطلب منكم .

ومثله قوله : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ﴾ ^(٤) ؛ إما أن يقدر : فيما أوحينا إليك سورة ، أو هذه سورة .

وقد يحذفان جملة ، كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّائِي يَدْسُنَّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ ^(٥) الآية .

حذف الفاعل

المشهور امتناعه إلا في ثلاثة مواضع :

أحدها : إذا بنى الفعل للمفعول .

ثانيها : في المصدر ، إذا لم يذكر معه الفاعل ؛ مظهرأ يكون محذوفاً ، ولا يكون

مضمراً ، نحو ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ ﴾ ^(٦) .

(١) كذا في الأصول وموضع النقط بياض في ت . (٢) كذا وردت العارة في الأصلين ؛ وفيها غموض .

(٣) سورة النور ٥٣

(٤) سورة النور ١

(٥) سورة الطلاق ٤ وبقية الآية : ﴿ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ . . . ﴾

والتقدير فعدتھن ثلاثة أشهر ؛ قال صاحب الكشاف : « حذف لدلالة المذكور عليه » .

(٦) سورة البقرة البلد ١٤

ثالثها : إذا لاقى الفاعل ساكناً من كلمة أخرى ، كقولك للجماعة : اضربُ القوم ،
وللمخاطبة : اضربِ القوم .

وجوز الكسائي حذفه مطلقاً إذا وجد ما يدل عليه ؛ كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ
التَّرَائِقَ ﴾^(١) أي بلغت الروح .

وقوله : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾^(٢) أي الشمس .

﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ ﴾^(٣) يعني العذاب ، لقوله قبله : ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾^(٤) .

﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُدْيَمَانَ ﴾^(٥) تقديره : فلما جاء الرسول سليمان .

والحق أنه في المذكورات مضمّر لا محذوف ، وقد سبق الفرق بينهما .

أما حذفه وإفامة المفعول مقامه ، مع بناء الفعل للمفعول فله أسباب :
منها العلم به ، كقوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾^(٦) . ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ
ضَعِيفًا ﴾^(٧) ، ونحن نعلم أن الله خالقه .

قال ابن جنى : وضابطه أن يكون الغرض إنمّا هو الإعلام بوقوع الفعل بالمفعول ؛
ولا غرض في إبانة الفاعل من هو .

ومنها تعظيمه ، كقوله : ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾^(٨) ، إذ كان الذي
قضاه عظيم القدر .

وقوله : ﴿ وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾^(٩) .

(٢) سورة ص ٣٢

(٤) سورة الصافات ١٧٦

(٦) سورة الأنبياء ٣٧

(٨) سورة يوسف ٤١

(١) سورة القيامة ٢٦

(٣) سورة الصافات ١٧٧

(٥) سورة النمل ٣٦

(٧) سورة النساء ٢٨

(٩) سورة هود ٤٤

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾^(١) قال الزمخشري في كشافه القديم :
 هذا أدل على كبرياء المنزل وجلالة شأنه من القراءة الشاذة « أُنزِلَ »^(٢) مبنياً للفاعل ، كما
 تقول : الملك أمر بكذا ، ورسم بكذا ؛ وخاصة إذا كان الفعل فعلاً لا يقدر عليه إلا الله ،
 كقوله : ﴿ وَقَضَى الْأَمْرُ ﴾^(٣) قال : كأن طيَّ ذكر الفاعل كالواجب ؛ لأمرين :
 أحدهما : أنه إن تعين الفاعل وعُلم أن الفعل مما لا يتوَلَّاهُ إلا هو وحده ، كان ذكره
 فضلاً ولفواً .

والثاني : الإيدان بأنه منه ؛ غير مشارك ولا مدافع عن الاستئثار به والتفرد بإيجاده .
 وأيضاً فما في ذلك من مصير أن اسمه جدير بأن يسان ويرتفع به عن الابتذال والامتهان .
 وعن الحسن : لولا أني ماذون لي في ذكر اسمه لربأتُ به عن مسلك الطعام والشراب .
 ومنها مناسبة الفواصل ، نحو : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴾^(٤) ، ولم
 يقل يُجزئها .

ومنها مناسبة ما تقدمه ، كقوله في سورة براءة : ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ
 وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾^(٥) ؛ لأن قبلها : ﴿ وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ ﴾^(٦) على
 بناء الفعل للمفعول ؛ فجاء قوله : ﴿ وَطَبَعَ ﴾ ليناسب بالختام المطمع ، بخلاف قوله فيما بعدها :
 ﴿ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٧) ، فإنه لم يقع قبلها ما يقتضي البناء ، فجاءت
 على الأصل .

(٢) على لفظ ماسمي فاعله ؛ وهي قراءة يزيد بن

قطيب ، وانظر الكشاف .

(٥) سورة التوبة ٨٧

(٧) سورة التوبة ٩٣

(١) سورة البقرة ٤

(٣) سورة هود ٤٤

(٤) سورة الليل ١٩

(٦) سورة التوبة ٨٦

حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه

وهو كثير ، قال ابن جني : وفي القرآن منه زهاء ألف موضع . وأما أبو الحسن ، فلا يقيس عليه ؛ ثم رده بكثرة المجاز في اللغة ، وحذف المضاف مجاز . انتهى .

وشرط المبرد في كتاب « ما اتفق لفظه واختلف معناه » لجوازه وجود دليل على المحذوف من عقل أو قرينة ، نحو : ﴿ وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾^(١) ، أي أهلها ، قال^(٢) : ولا يجوز على هذا أن نقول : جاء زيد ، وأنت تريد غلام زيد ؛ لأن الجيء يكون له ، ولا دليل [في مثل هذا]^(٣) على المحذوف .

وقال الزمخشري في الكشاف القديم : لا يستقيم تقدير حذف المضاف في كل موضع ؛ ولا يُقدّم عليه إلا بدليل واضح وفي غير مُلبس ؛ كقوله : ﴿ وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾^(١) . وضعف بذلك قول من قدر في قوله : ﴿ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾^(٤) ، أنه على حذف مضاف . فإن قلت : كما لا يجوز مجيئه^(٥) لا يجوز خداعه ؛ فحين جرك إلى تقدير المضاف امتناع مجيئه ، فهلا جرك إلى مثله امتناع خداعه !

قلت : يجوز في اعتماد المنافقين تصور خداعه ؛ فكان الموضع ملبسا فلا يقدر . انتهى . فنه قوله تعالى : ﴿ لَعَنَ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾^(٦) ، أي رحمته ويخاف عذابه .

(٢) ما اتفق لفظه واختلف معناه ٣٢

(١) سورة يوسف ٨٢

(٤) سورة النساء ١٤٢

(٣) تكملة بما اتفق لفظه واختلف معناه

(٦) سورة الأحزاب ٢١

(٥) من قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾^(١) أى سدّ ياجوج وماجوج .
﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾^(٢) ، أى شعر الرأس .
﴿ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ﴾^(٣) ، أى بقراءة صلاتك ، ولا تخافت
بقراءتها .

﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾^(٤) ، أى برّ من آمن بالله .
﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ ﴾^(٥) أى ناحيتها ، والجهة التي هو فيها .
﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾^(٦) أى هل يسمعون دعاءكم ، بدليل الآية الأخرى
﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ﴾^(٧) .
﴿ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ ﴾^(٨) ، أى من آل فرعون .
﴿ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾^(٩) ، أى ضعف عذابهما .
﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ ﴾^(١٠) ، أى ومثل واعظ الذين كفروا
كنعاق الأنعام .

﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾^(١١) ، أى مثل أمهاتهم .
﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾^(١٢) ، أى شكر رزقكم . وقيل تجعلون
التكذيب شكر رزقكم .

وقوله : ﴿ وَأَتَيْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾^(١٣) ، أى على السنة رسلك .
وقوله : ﴿ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾^(١٤) أى ذوى أماناتكم ، كالمودع والمعيير والموكل

- (٢) سورة مريم ٤
(٤) سورة البقرة ١٧٧
(٦) سورة الشعراء ٧٢
(٨) سورة يونس ٨٣
(١٠) سورة البقرة ١٧١
(١٢) سورة الواقعة ٨٢
(١٤) سورة الأنفال ٢٧

- (١) سورة الأنبياء ٩٦
(٣) سورة الإسراء ١١٠
(٥) سورة طه ١١
(٧) سورة فاطر ١٤
(٩) سورة الإسراء ٧٥
(١١) سورة الأحزاب ٦
(١٣) سورة آل عمران ١٩٤

والشريك ، ومن يدك في ماله أمانة لا يد ضمان ، ويجوز أن لا حذف فيه ؛ لأن « خنت »

من باب « أعطيت » ؛ فيتعدى إلى مفعولين ، ويقتصر على أحدهما .

وقوله : ﴿ وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾^(١) ، أى أهل مدين ؛ بدليل قوله : ﴿ وَمَا كُنْتَ

ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدِينٍ ﴾^(٢) .

﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾^(٣) ، أى أهل القرية ؛ وأهل العير .

وقيل : فيه وجهان : أحدهما أن القرية يُراد بها نفس الجماعة ، والثانى أن المراد

الأبنية نفسها ؛ لأن المخاطب نبيّ صاحب معجزة .

﴿ الْحِجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾^(٤) ، ويجوز أن يقدر : الحج حج أشهر معلومات .

﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ ﴾^(٥) أى أمر ربك .

﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾^(٦) ، أى حب العجل ؛ قال الراغب^(٧) :

إنه على بابه ؛ فإن في ذكر العجل تنبيهاً على أنه كفرط محبتهم صار صورة العجل في قلوبهم

لا تمنحى .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ﴾^(٨) ؛ فإن اسم الموضع وهو في موضع

جر ؛ إلا أنه منع النصرف للعلمية والتأنيث ؛ أما العلمية فواضح ، وأما التأنيث فلقوله :

﴿ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ .

وقوله : ﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴾^(٩) أى بسؤالها ؛

فحذف المضاف ؛ ولم يكفروا بالسؤال ؛ إنما كفروا بربهم المسئول عنه ، فلما كان السؤالُ

سبباً للكفر فيما سألوا عنه نُسب الكفر إليه على الاتساع .

(٢) سورة القصص ٤٥

(٤) سورة البقرة ١٩٧

(٦) سورة البقرة ٩٣

(٨) سورة الفجر ٦ ، ٧

(١) سورة هود ٨٤

(٣) سورة يوسف ٨٢

(٥) سورة الفجر ٢٢

(٧) المفردات ٢٥٨ ؛ وهو أحد أقواله .

(٩) سورة المائدة ١٠٢

وقيل : الهاء عائدة على غير ما تقدم لقوة هذا الكلام ؛ بدليل أن الفعل تعدى بنفسه والأول بغيره ؛ وإنما هذه الآية كناية عما سأل قوم موسى ، وقوم عيسى من الآيات ، ثم كفروا ، فمعنى السؤال الأول والثاني ^(١) الاستفهام ، ومعنى الثالث طلب الشيء .

وقوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمُؤْتَمَةُ ﴾ ^(٢) ، أى تناولها ، لأن الأحكام لا تتعلق بالأجرام إلا بتأويل الأفعال .

وقيل : إن المؤتمة يعبر بها عن تناولها فلا حذف ؛ ولو كان ثم حذف لم يؤثف الفعل ؛ ولأن المركب إنما يحذف إذا كان للكلام دلالة غير الدلالة الإفرادية ؛ والمفهوم من هذا التركيب التناول من غير تقدير ؛ فيكون اللفظ موضوعاً له ، والمشهور في الأصول أنه من محال الحذف .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾ ؛ فها هنا إضمار ؛ لأن قائلها لو قال : « من عمل صالحاً جمعته في جملة الصالحين » لم يكن فائدة ؛ وإنما المعنى لندخلهم في زمرة الصالحين .

وقوله : ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِطِيسَ ﴾ ^(٣) ، أى ذا قرأطيس ، أو مكتوباً في قرأط ^(٤) ؛ ^(٤) ، أى تبدون مكتوبها .

وقوله : ﴿ وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ ^(٥) ؛ ليس المعنى تخفونها إخفاءً كثيراً ؛ ولكن التقدير : تخفون كثيراً من إنكار ذى القراطيس ؛ أى يكتمونه فلا يظهرونه ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَيْنَاهُ لِلنَّاسِ فِي

(١) من قوله تعالى في أول الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَسْمَاءَ إِن تُمَدَّ
أَكْمُ تَسْأَلُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ . . . ﴾ .

(٢) سورة المائدة ٣

(٣) سورة مَكْتُوبٌ ٩

(٤) سورة الأنعام ٩١

الْكِتَابِ ﴿١﴾ . وبدل له قوله : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ ﴿٢﴾ .

وقوله : ﴿ فَسَأَلْتُ أَوْدِيَةَ بِقَدَرِهَا ﴾ ﴿٣﴾ ؛ أى بقدر مياها .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ ﴿٤﴾ ؛ أى همّ بدفعها ، أى عن نفسه فى هذا التأويل بتنزيه يوسف صلى الله عليه وسلم عما لا يليق به ؛ لأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الصغائر والكبائر ، وعليه فينبغى الوقف على قوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ .

تنبية

[فى جواز حذف المضاف مع الالتفات إليه]

اعلم أن المضاف إذا علم جاز حذفه مع الالتفات إليه ؛ فيعامل معاملة المفلوظ به ؛ من عود الضمير عليه . ومع أطراحه بصير الحركم فى عود الضمير للقائم مقامه .
فمثال استهلاك حكمه وتناسى أمره قواه تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَفْشَاهُ مَوْجٌ ﴾ ﴿٥﴾ : فإن الضمير فى ﴿ يَفْشَاهُ ﴾ عائد على المضاف المحذوف بتقدير أو كذى ظلمات .

وقوله : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ ﴿٦﴾ أى كمثل ذوى صيب ؛ ولهذا رجع الضمير إليه مجموعاً فى قوله : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾ ﴿٦﴾ ؛ ولو لم يراع لأفرده أيضاً .

(٢) سورة المائدة ١٥

(٤) سورة يوسف ٢٤

(٦) سورة البقرة ١٩

(١) سورة البقرة ١٥٩

(٣) سورة الرعد ١٧

(٥) سورة النور ٤٠

وقوله : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾^(١) ، ولولا ذلك لحذفت التاء ؛ لأن القوم مذكور ،
ومنه قول حسان :

يَسْتَقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ بَرْدَى يُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ^(٢)
بالياء ، أى ماء بردى ، ولو راعى المذكور لآتى بالتاء .

قالوا : وقد جاء فى آية واحدة مراعاة التانيث والمحذوف ، وهى قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ
قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فِجَاءَهَا بِأَسْنَا بَيَاتَا أَوْهُمْ قَاتِلُونَ ﴾^(٣) أنت الضمير فى ﴿ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ ،
و﴿ فِجَاءَهَا ﴾ ، لإعادتهما على القرية المؤنثة ، وهى اثابثة ، ثم قال : ﴿ أَوْهُمْ قَاتِلُونَ ﴾
فأتى بضمير مَنْ يعقل حملا على « أهلهما » المحذوف .

وفى تأويل إعادة الضمير على التانيث وجهان : أحدهما أنه لما قام مقام المحذوف صارت
المعاملة معه . والثانى أن يقدر فى الثانى حذف المضاف ؛ كما قدر فى الأول . فإذا قلت :
سألت القرية وضربتها ، فمعناه : وضربت أهلها ، فحذف المضاف كما حذف من الأول
إذ وجه الجواز قائم .

وقيل : هنا مضاف محذوف ، والمعنى أهلهما أهلها . وبياتا ، حال منهم ، أى مبيتين
و﴿ أَوْهُمْ قَاتِلُونَ ﴾^(٣) جملة معطوفة عليها ، ومحلها نصب .

وأنكر الشلوبيين مراعاة المحذوف ، وأول ما سبق على أنه من باب الحمل على المعنى
ونقله عن المحققين ؛ لأن القوم جماعة ولهذا يؤنث تانيث الجمع ، نحو هى الرجال ؛ وجمع
التكسير عندهم مؤنث وأسماء الجموع تجرى مجراها ، وعلى هذا جاء التانيث ؛ لا على الحذف ؛
وكذا القول فى البيت .

(١) سورة الشعراء ١٠٥

(٢) ديوانه ٣٠٩ . البريص وبردى : نهران بدمشق . وبصفق : يمزج ، ولم يقل « تصفق » والرحيق :
الخر البيضاء . والسلسل : اللينة السمهاة .

(٣) سورة الأعراف ٤

وفي قراءة بعضهم : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾^(١) ، قدروه « عرض الآخرة » .
والأحسن أن يقدر: « ثواب الآخرة » ؛ لأن العَرَضَ لا يبقى ، بخلاف الثواب .

حذف المضاف إليه

وهو أقل استعمالاً ، كقوله : ﴿ كُلُّ فِي فَلَكَ يَسْبَحُونَ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾^(٣) .

وكذا كل ما قُطِعَ عن الإضافة ، مما وجبت إضافته معنى لا لفظاً ، كقوله تعالى :

﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾^(٤) ، أى من قبل ذلك ومن بعده .

حذف المضاف والمضاف إليه

قد يضاف المضاف إلى مضاف ؛ فيحذف الأول والثاني ويبقى الثالث ، كقوله تعالى :

﴿ وَتَجْمَعُونَ رِزْقَكُمْ ﴾^(٥) أى بدل شكر رزقكم .

وقوله : ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾^(٦) ، أى كدوران

عين الذى يغشى عليه من الموت .

وقيل : الرزق فى الآية الأولى الحظ والنصيب ؛ فلا حاجة إلى تقدير . وكذلك ،

قدرت فى الثانية « كالذى » حالا من الهاء والميم فى « أعينهم » ، لأن المضاف بعض

تقدير .

(٢) - سورة الأنبياء ٣٣

(٤) - سورة الروم ٤

(٦) - سورة الأحزاب ١٩

(١) - سورة الأنفال ٦٧

(٣) - سورة البقرة ٢٥٣

(٥) - سورة الواقعة ٨٢

وقوله : ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾^(١) ، وقدره أبو الفتح في « المحتسب » على أفعال أهل النار .

وأما قوله : ﴿ مِنْ أَلَمَاتٍ ﴾^(٢) فالتقدير من مداناة الموت أو مقاربتة ؛ ولا ينكر عُمره على الإنسان ولكن إذا دُفِعَ إلى أمرٍ هابه .

ومثله الآية الأخرى : ﴿ بِنَظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنْ أَلَمَاتٍ ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ فَتَقَبَّضْتُمْ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾^(٤) ، أى من أثر حافر فرس الرسول .

وقوله : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾^(٥) ، أى من أموال كفار أهل القرى .

وقوله : ﴿ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾^(٦) ، أى من أفعال ذوى تقوى القلوب .

وقوله : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ . . . ﴾^(٧) الآية ، فإن التقدير كمثل ذوى صيب ،

فحذف المضاف والمضاف إليه ، أما حذف المضاف فلقرينة عطفه على : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ

نَاراً ﴾^(٨) وأما المضاف إليه فللدلالة : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾^(٩) عليه فأعاد الضمير

عليه مجموعاً ، وإنما صير إلى هذا التقدير ؛ لأن التشبيه بين صفة المنافقين وصفة ذوى الصيب ،

لا بين صفة المنافقين وذوى الصيب .

حذف الجار والمجرور

كقوله : ﴿ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا ﴾^(١٠) ، أى بسبب ﴿ وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾^(١٠) أى بصالح .

(٢) سورة الأحزاب ١٩

(٤) سورة طه ٩٦

(٦) سورة الحج ٣٢

(٨) سورة البقرة ١٧

(١٠) سورة البقرة ١٠٢

(١) سورة البقرة ١٧٥

(٣) سورة القتال ٢٠

(٥) سورة المشر ٧

(٧) سورة البقرة ١٩٠

(٩) سورة البقرة ١٩

وكذا بعد أفعال التفضيل ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾^(١) ، أى من كل شيء .

﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾^(٢) أى من السرّ ، وكلام الزمخشريّ في المفصل يقتضى أنه مما قطع^(٣) فيه عن متعلّقه قصداً لنفي الزيادة ، نحو فلان يعطى ، ليكون كالفعل المتعدّى . إذا جعل قاصراً للمبالغة ؛ فعلى هذا لا يكون من الحذف ، فإنه قال : أفعال التفضيل له معنيان : أحدهما أن يراد أنه زائد على المضاف إليه في الجملة التي هو وهم فيها شركاء . والثاني أن يوجد مطلقاً له الزيادة فيها إطلاقاً ، ثم يضاف للتفضيل على المضاف إليه ؛ لكن بمجرد التخصيص كما يضاف مالا تفضيل فيه ؛ نحو قولك : الناقص والأشجع أعدلا بنى مروان كأنك قلت : عادلا . انتهى .

حذف الموصوف

يشترط فيه أمران :

أحدهما : كون الصفة خاصة بالموصوف ؛ حتى يحصل العلم بالموصوف ؛ فمتى كانت الصفة عامة امتنع حذف الموصوف . نص عليه سيبويه في آخر باب ترجمة « هذا باب مجارى أو آخر الكلم العربيّة » . وكذلك نص عليه أرسطاطا ليس في كتابه الخطابة .
الثاني : أن يعتمد على مجرد الصفة من حيث هي ، لتعلق غرض السياق ، كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾^(٤) . ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾^(٥) ؛ فإن الاعتماد في سياق القول على مجرد الصفة لتعلق غرض القول من المدح أو الذم بها .

(٢) سورة طه ٧

(٤) سورة آل عمران ١١٥

(١) سورة العنكبوت ٤٥

(٣) الفصل ص ٢٣٤

(٥) سورة البقرة ٩٥

- كقوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾^(١) ، أى حور قاصرات .
 وقوله : ﴿ وَدَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا ﴾^(٢) ، أى وجنة دانية .
 وقوله : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾^(٣) ، أى العبد الشكور .
 وقوله : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(٤) ، أى القوم المتقين .
 وقوله : ﴿ وَحَمَلْنَاہُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُوسِرٍ ﴾^(٥) ، أى سفينة ذات ألواح .
 وقوله : ﴿ ذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾^(٦) ، أى الأمة القيّمة .
 وقوله : ﴿ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ ﴾^(٧) ، أى دروعاً سابغات .
 وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ﴾^(٨) ، أى يا أيها الرجل الساحر .
 وقوله : ﴿ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٩) ، أى القوم المؤمنون .
 وقوله : ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾^(١٠) ، أى عملاً صالحاً .

حذف الصفة

- وأكثر ما يرد للتفخيم والتعظيم في الذكورات، وكان التنكير حينئذ علم عليه، كقوله تعالى :
 ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾^(١١) ، أى وزناً نافعاً .
 وقوله : ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾^(١٢) ، أى من جوع شديد
 وخوف عظيم .

وقوله : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾^(١٣) ، أى شىء نافع .

- (٢) سورة الإنسان ١٤
 (٤) سورة البقرة ٢
 (٦) سورة البينة ٥
 (٨) سورة الزخرف ٤٩
 (١٠) سورة القصص ٦٧
 (١٢) سورة قريش ٤

- (١) سورة الصافات ٨
 (٣) سورة سبأ ١٣
 (٥) سورة القمر ١٣
 (٧) سورة سبأ ١١
 (٩) سورة النور ٣١
 (١١) سورة الكهف ١٠٥
 (١٣) سورة المائدة ٦٨

وقوله : ﴿ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(١) ، أى سلطت عليه .

وقوله : ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾^(٢) ، أى جامعاً لأكمل كل صفات الرسل .

وقوله : ﴿ يَا خُذْ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾^(٣) ، أى صالحة . وقيل : إنها قراءة

أبن عباس . وفيه بحث وهو أن لا نسلم الإضمار ، بل هو عام مخصوص .

وقوله : ﴿ بِفَأَكْهَنَةً كَثِيرَةً وَشَرَابٍ ﴾^(٤) ، أى كثير ، بدليل ما قبله .

ويجىء فى العرف ، كقوله تعالى : ﴿ الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾^(٥) ، أى المبين .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾^(٦) ، أى الناس الذين يعادونكم

وقوله : ﴿ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾^(٧) ؛ أى الناجين .

وقوله : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ ﴾^(٨) ؛ أى قومك المعاندون .

ومنه : ﴿ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ﴾^(٩) ،

أى من أولى الضرر ، ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ ﴾ ؛ أى من غير أولى الضرر .

قاله ابن مالك وغيره ، وبهذا التقدير يزول إشكال التكرار من الآية .

وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَلَبَتْ فِيكُمْ عُمْرًا مِنْ قَبْلِهِ ﴾^(١٠) أى لم أتل عليكم فيه شيئاً ،

فحذفت الصفة أو الحال ، قيل والعمر هنا أربعون سنة .

حذف المعطوف

قوله تعالى : ﴿ أَوْ آءٍ يَنْظُرُوا ﴾^(١١) ، ﴿ أَلَمْ يَسِيرُوا ﴾^(١٢) ، ﴿ أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ﴾^(١٣)

التقدير : أعموا ! أمكثوا ! أكفرتم !

(١) سورة الذاريات ٤٢

(٢) سورة الكهف ٧٩

(٣) سورة البقرة ٧١

(٤) سورة هود ٤٦

(٥) سورة الأنعام ٦٦

(٦) سورة يونس ١٦

(٧) سورة يوسف ١٠٩

(٢) سورة النساء ٧٩

(٤) سورة ص ٥١

(٦) سورة آل عمران ١٧٣

(٩) سورة النساء ٩٥

(١١) سورة الأعراف ١٨٥

(١٣) سورة يونس ٥١

وقوله: ﴿ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ ﴾^(١)، أي ما شهدنا مهلك أهله ومهلكه، بدليل قوله: ﴿ لَنُبَيِّنَنَّ لَهُ وَأَهْلَهُ ﴾^(١)؛ وما روى أنهم كانوا عزموا على قتله وقتل أهله؛ وعلى هذا فقولهم: ﴿ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾^(١) كذب في الإخبار، وأوهموا قومهم أنهم قتلوه وأهله سرًا ولم يشعر بهم أحد؛ وقالوا تلك المقالة يوهمون أنهم صادقون، وهم كاذبون. ويحتمل أن يكون من حذف المعطوف عليه؛ أي ما شهدنا مهلكه ومهلك أهله. وقال بعض المتأخرين: أصله ما شهدنا مهلك أهلك بالخطاب؛ ثم عدل عنه إلى الغيبة، فلا حذف.

وقد يحذف المعطوف مع حرف العطف، مثل: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾^(٣)؛ أي أمرنا مترفيها، فخالفوا الأمر، ففسقوا. وبهذا التقدير يزول الإشكال من الآية؛ وأنه ليس الفسق مأموراً به. ويحتمل أن يكون: ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ صفة للقريه لا جواباً لقوله: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا ﴾، التقدير: وإذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها أنا أمرنا مترفيها ففسقوا فيها؛ ويكون إذا على هذا لم يأت لها جواب ظاهر استغناء بالسياق، كما في قوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾^(٤).

حذف المعطوف عليه

﴿ فَلَنُؤْتِيَنَّكَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ ﴾^(٥)، أي لو ملكك ولو افتدى به.

(٢) سورة الحديد ١٠

(٤) سورة الزمر ٧٣

(١) سورة النمل ٤٩

(٣) سورة الإسراء ١٦

(٥) سورة آل عمران ٩١

ويجوز حذفه مع حرف العطف ، كقوله : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾^(١) ، أى فافطر فعده .

وقوله : ﴿ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ ﴾^(٢) التقدير : فضرب فانفلق ، فحذف المعطوف عليه ، وهو « ضرب » ، وحرف العطف وهو الفاء المتصلة بـ « انفلق » فصار : ﴿ فانفلق ﴾ فالفاء الداخلة ، على « انفلق » هى الفاء التى كانت متصلة بـ ﴿ ضرب ﴾ وأما المتصلة بـ « انفلق » فمحذوفة .

كذا زعم ابن عصفور والأبديّ قالوا : والذى دل على ذلك أن حرف العطف إنما نوى به مشاركة الأول للثانى ؛ فإذا حذف أحد اللفظين - أعنى لفظ المعطوف أو المعطوف عليه - ينبغى ألا يؤتى به ليزول ما أتى به من أجله .

وقال ابن الضائع : ليس هذا من الحذف بل من إقامة المعطوف مقام المعطوف عليه ؛ لأنه سببه ، ويقام السبب كثيرا مقام سببه ؛ وليس ما بعدها معطوفاً على الجواب ؛ بل صار هو الجواب ؛ بدليل ﴿ فانبجست ﴾ هو جواب الأمر .

حذف المبدل منه

اختلفوا فيه ، وخرج عليه قوله : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ . هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ ﴾^(٣)

حذف الموصول

قوله : ﴿ آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾^(٤) ، أى والذى أنزل إليكم ؛ لأن « الذى أنزل إلينا » ليس هو الذى أنزل إلى من قبلنا ؛ ولذلك أعيدت « ما » بعد « ما »

(٢) سورة الشعراء ٦٣

(١) سورة البقرة ١٨٤

(٣) سورة النحل ١١٧ وقوله : ﴿ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ ﴾ بدل من الكذب .

(٤) سورة العنكبوت ٤٦

فی قوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(۱). وهو نظير قوله: ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾^(۲). وقوله: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾^(۳). وقوله: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾^(۴) أى من له.

وشرط ابن مالك فى بعض كتبه لجواب الحذف كونه معطوفاً على موصول آخر؛ ويؤيده هذه الآية. قال: ولا يحذف موصول حرفى إلا «أن»، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾^(۵).

حذف المخصوص فى باب نعم

إذا علم من سياق الكلام

كقوله تعالى: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(۶) التقدير: نعم العبد أيوب، أو نعم العبد هو، لأن القصة فى ذكر أيوب؛ فإن قدرت: نعم العبد هو؛ لم يكن «هو» عائداً على العبد بل على أيوب.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ﴾^(۷)، فسليمان هو المخصوص المدوح، وإنما لم يكرر لأنه تقدم منصوباً.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾^(۸)، أى نحن. وقوله تعالى: ﴿وَلِنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾^(۹)، أى الجنة، أو دارهم. ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(۱۰)، أى عقباهم.

(۲) سورة الفاء ۱۳۶

(۴) سورة الصافات ۶۴

(۶) سورة ص ۳۰

(۸) سورة المرسلات ۲۳

(۱۰) سورة الرعد ۲۴

(۱) سورة البقرة ۱۳۶

(۳) سورة الرعد ۱۰

(۵) سورة الروم ۲۴

(۷) سورة ص ۳۰

(۹) سورة النحل ۳۰

﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾^(١) ، أى أجرهم .

وقال : ﴿ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾^(٢) أى من ضره أقرب من نفعه .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ ﴾^(٣) ، أى إيمانكم بما أنزل عليكم ،

وكفركم بما وراءه .

وقد يحذف الفاعل والمخصوص ، كقوله تعالى : ﴿ بئس للظالمين بدلاً ﴾^(٤) ، أى

بئس البديل إبليس وذريته ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « فَبِهَا وَنِعْمَتْ » ، أى

نعمت الرخصة .

حذف الضمير المنصوب المتصل

يقع فى أربعة أبواب :

أحدها : الصلة ، كقوله تعالى : ﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾^(٥) .

الثانى : الصفة ، كقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾^(٦) ، أى

فيه ، بدليل قوله : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾^(٦) ولذلك يقدر فى الجمل

المعطوف على الأولى ؛ لأن حكمهن حكمها ، فالتقدير : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ

مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾^(٦) فيه .

ثم اختلفوا ، فقال الأخفش : حذف على التدرج ؛ أى حذف العطف فاتصل الضمير ،

فحذف . وقال سيبويه : حذفاً معاً لأول وهلة .

(١) سورة آل عمران ١٣٦

(٢) سورة الحج ١٣ ، وقبلها : ﴿ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ ... ﴾

(٤) سورة الكهف ٥٠

(٣) سورة البقرة ٩٣

(٥) سورة الفرقان ٤١ ، والتقدير : « بعثه » . (٦) سورة البقرة ٤٨

وقيل : عُدِّيَ الفعل إلى الضمير أولاً اتساعاً ، وهو قول الفارسي .
وجعل الواحدى من هذا قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً ﴾ (١) ،
أى منه . وقوله : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ ، (٢) أى ما للظالمين منه .
وفيه نظر ؛ أما الأولى فلأن ﴿ يُغْنِي ﴾ جملة قد أضيف إليها اسم الزمان ، وليست صفة .
وقد نصوا على أن عود ضمير إلى المضاف من الجملة التى أضيف إليها الظرف غير
جائز ؛ حتى قال ابن السراج : فإن قلت : أعجبنى يوم قتت فيه امتنعت الإضافة ؛ لأن الجملة
حينئذ صفة ، ولا يضاف موصوف إلى صفته . قال ابن مالك : وهذا مما خفي على أكثر
النحويين . وأما الثانية ؛ فكأنه يريد أن ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ صفة ليوم ، المضاف
إليها الأزمنة ؛ وذلك متعذر ؛ لأن الجملة لا تقع صفة للمعرفة ، والظاهر أن الجملة حال منه ،
ثم حذف العائد المجرور ؛ « فى » ، كما يحذف من الصفة .

الثالث : الخبر ، كقوله تعالى : ﴿ وَكُلٌّ وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ (٣) فى قراءة ابن عامر .
الرابع : الحال .

تنبيه

[عن ابن الشجرى فى تفاوت أنواع الحذف]

قال ابن الشجرى : أقوى هذه الأمور فى الحذف الصلة ، لطول الكلام فيها ؛
لأنه أربع كلمات ؛ نحو : جاء الذى ضربت ؛ وهو : الموصول ، والفعل ، والفاعل ، والمفعول .
ثم الصفة ؛ لأن الموصوف قائم بنفسه ، وإنما أتى بالصفة للتوضيح . ثم الخبر ؛ لانفصاله عن
المبتدأ باعتبار أنه محكوم عليه .

(٢) سورة المؤمن ١٨

(١) سورة الدخان ٣١

(٣) سورة النساء ٩٥

ووجه التفاوت أن الصفة رتبة متوسطة بين الصلة والخبر ؛ لأن الموصول وصلته كالكلمة الواحدة ، ولهذا لا يفصل بينهما ؛ والصفة دونها في ذلك ؛ ولهذا يكثر حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، والخبر دون ذلك ، فكان الحذف آكد في الصلة من الصفة ، لأن هناك شيئين يدلان على الحذف ؛ الصفة تستدعي موصوفاً ، والعامل يستدعيه أيضاً .

ويستحسن ابن مالك هذا الكلام ، ولم يتكلم على الحال لرجوعه إلى الصفة .

حذف المفعول

وهو ضربان :

أحدهما : أن يكون مقصوداً مع الحذف فينوي لدليل ؛ ويقدر في كل موضع ما يليق به ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴾^(١) أي يريد .
 ﴿ فَعَشَاهَا مَا عَشَى ﴾^(٢) أي غشاها إياه .
 ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾^(٣) .
 ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾^(٤) .
 ﴿ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ﴾^(٥) .
 ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾^(٦) .

وكل هذا على حذف ضمير المفعول ، وهو مراد ، حذف تخفيفاً لطول الكلام بالصفة ؛ ولولا إرادة المفعول - وهو الضمير - لحات الصلة من ضمير يعود على الموصول ؛ وذلك لا يجوز ؛

(٢) سورة النجم ٥٤
 (٤) سورة هود ٤٣
 (٦) سورة القصص ٦٢

(١) سورة البروج ١٦
 (٣) سورة الرعد ٢٦
 (٥) سورة النمل ٥٩

وكان في حكم المنطوق به ؛ فالدلالة عليه من وجهين : اقتضاء الفعل له ، واقتضاء الصلة إذا كان العائد .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾^(١) في قراءة حمزة والكسائي بغير هاء ، أى ما عملته ، بدليل قراءة الباقيين ، ف « ما » في موضع خفض للعطف على ﴿ ثَمَرِهِ ﴾ .

ويجوز أن تكون « ما » نافية ، والمعنى : لياكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم ؛ فيكون أبلغ في الامتنان . ويقوى ذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ . أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نَزَّرْنَا الْمَاءَ ﴾^(٢) ؛ وعلى هذا فلا تكون الهاء مرادة ، لأنها غير موصولة .

وجعل بعضهم منه قوله تعالى : ﴿ وَيشْرَبُ بِمِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾^(٣) ، وهو فاسد ، لأن « شرب » يتعدى بنفسه .

والغرض حينئذٍ بالحذف أمور :

منها : قصد الاختصار عند قيام القرائن ؛ والقرائن إما حالية كما في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾^(٤) ، لظهور أن المراد : أرني ذاتك . ويحتمل أن يكون هاباً لمواجهة بذلك ، ثم براه الشوق . ويجوز أن يكون آخر ليأتي به مع الأصرح ؛ لثلاثاً يتكرر هذا المطلوب العظيم على المواجهة إجلالاً .

ومنه قوله تعالى : ﴿ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ﴾^(٥) ؛ الظاهر أنه متعدي حذف مفعوله ؛ أى تأجرني نفسك .

وجعل منه السكاكي قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ كَمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ

(١) سورة يس ٣٥ ؛ وقوله : ﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ ﴾ .

(٢) سورة المؤمنون ٣٣

(٣) سورة القصص ٢٧

(٤) سورة الواقعة ٦٣ ، ٦٤

(٥) سورة الأعراف ١٤٣

الرَّعَاءُ ﴿١﴾ فمن قرأ بكسر الدال من ﴿يُصْدِرُ﴾ فإنه حذف المفعول في خمسة مواضع، والأقرب أنه من الضرب الثاني كما سنبينه فيه إن شاء الله تعالى .

وقوله : ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ ^(٢) ، أى أنفسكم .

وقوله : ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ ^(٣) ، أى فذوقوا العذاب .

وقوله : ﴿إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ ^(٤) ، أى ناسا أو فريقا .

وقوله : ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾ ^(٥) ، أى شيئا .

وقوله : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ ^(٦) ، أى غير السموات .

وقوله : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ ^(٧) ؛ على أن الدعاء بمعنى التسمية ؛

التي تتمدى إلى مفعولين ؛ أى سموه الله ، أو سموه الرحمن ؛ أيًا ما سمّوه ، فله الأسماء

الحسنى ؛ إذ لو كان المراد بمعنى الدعاء المتعمد لواحدٍ لزم الشرك إن كان مسمى الله غير

مسمى الرحمن ؛ وعطف الشيء على نفسه إن كان عينه .

ومنها قصد الاحتقار كقوله : ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغَابَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ ^(٨) ؛ أى الكفار .

ومنها قصد التعميم ؛ ولا سيما إذا كان في حيز النفي ، كقوله تعالى : ﴿وَمَا تُغْنِي

الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ^(٩) . وكذا ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ^(١٠) وكثيراً

ما يعترى الحذف في رؤوس الآي نحو : ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ^(١١) .

و ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ ^(١٢) .

- (٢) سورة البقرة ١٩٨
(٤) سورة إبراهيم ٣٧
(٦) سورة إبراهيم ٤٨
(٨) سورة المجادلة ٢١
(١٠) سورة الأعراف ٧٢
(١٢) سورة الأعراف ٥٨

- (١) سورة القصص ١٢٣
(٣) سورة السجدة ١٤
(٥) سورة البقرة ٦١
(٧) سورة الإسراء ١١٠
(٩) سورة يونس ١٠١
(١١) سورة البقرة ١٠٢

﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾^(١) .

﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾^(٢) .

﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾^(٣)

﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾^(٤) .

﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٥) .

وكذا كل موضع كان الغرض إثبات المعنى الذي دلّ عليه الفعل لفاعل غير

متعلق بغيره .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾^(٦) ، أى كل أحد ، لأن الدعوة عامة

والهداية خاصة .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾^(٧) ، فكال ووزن

يتعديان إلى مفعولين : أحدهما باللام ، والتقدير : كالوا لهم ووزنوا لهم ، وحذف المفعول الثانى

لقصد التعميم .

وما ذكرناه من كون « هم » منصوباً فى الموضع بعد اللام هو الظاهر ، وقرره

ابن السجرى فى أماليه ، قال : وأخطأ بعض المتأولين حيث زعم أن « هم » ضمير

مرفوع أكدت به الواو كالضمير فى قولك : « خرجوا هم » ، فـ « هم » على هذا التأويل

عائد على المطففين .

وبدل على بطلان هذا القول أمران :

(٢) سورة القصص ٧٢

(٤) سورة البقرة ١٤

(٦) سورة يونس ٢٥

(١) سورة القصص ٧١

(٣) سورة البقرة ٧٧

(٥) سورة البقرة ٢٢

(٧) سورة المطففين ٣

أحدهما : عدم ثبوت الألف في « كالوهم » و « وزنوهم » ؛ ولو كان كما قال لأثبتوها في خط المصحف ؛ كما أثبتوها في قوله تعالى : ﴿ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾^(١) ﴿ قَالُوا لَنَنْبِيَّ لَهُمْ ﴾^(٢) ونحوه .

والثاني أن تقدم ذكر « الناس » يدل على أن الضمير راجع إليهم ؛ فالمعنى : ﴿ إِذَا آكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾^(٣) وإذا كالوا للناس أو وزنوا للناس يخسرون . وجعل الزمخشري من حذف المفعول قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾^(٤) ؛ أي في المصر . وعند أبي علي أن الشهر ظرف ، والتقدير فمن شهد منكم المصر في الشهر .

ومنها تقدم مثله في اللفظ ؛ كقوله تعالى : ﴿ يَمْجُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾^(٥) ، أي ويثبت ما يشاء .

فلما كان المفعول الثاني بلفظ الأول في عمومه واحتياجه إلى الصلة جاز حذفه ، لدلالة ما ذكر عليه ، كقوله : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ ﴾^(٦) . وقوله : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾^(٧) أي غير السموات . وقوله : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾^(٨) ، أي ومن أنفق من بعده وقاتل ؛ بدليل ما بعده .

وقوله : ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾^(٧) أي أبصرهم ، بدليل قوله : ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ ﴾^(٨) . وسبق عن ابن ظفر السر في ذكر المفعول في الأول وحذفه في الثاني في هذه الآية الشريفة

(٢) سورة البقرة ٢٤٦
(٤) سورة البقرة ١٨٥
(٦) سورة المؤمنون ٩٦
(٨) سورة الحديد ١٠
(١٠) سورة الصافات ١٧٥

(١) سورة البقرة ٢٤٣
(٣) سورة المطففين ٢
(٥) سورة الرعد ٣٩
(٧) سورة إبراهيم ٤٨
(٩) سورة الصافات ١٧٩

أن الأولى اقتضت نزول العذاب بهم يوم بدر ، فلما تضمنت التشفي قيل : ﴿ أبصرهم ﴾ .
 وأما الثانية فالمراد بها يوم الفتح ؛ واقترن بها مع الظهور عليهم تأمينهم والدعاء إلى إيمانهم ؛
 فلم يكن وقتاً للتشفي بل للبروز ؛ فقيل له : ﴿ أبصر ﴾ ، والمعنى : فسيدبصرون منك عليهم .
 وقوله : ﴿ فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ ﴾ ^(١) ، أى وعدمكم ربكم ؛ فحذف لدلالة قوله
 قبله : ﴿ مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا ﴾ ^(١) ، قاله الزمخشري .

وقد يقال : أطلق ذلك ليتناول كل ما وعد الله من الحساب والبعث والثواب
 والعقاب وسائر أحوال القيامة ؛ لأنهم كانوا يكذبون بذلك أجمع ، ولأن الموعد كله
 مما ساءهم ؛ وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم ، فأطلق لذلك ليكون من الضرب الآتى .
 وقوله : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ
 لِلْقَاسِيَةِ ﴾ ^(٢) .

ومنها رعاية الفاصلة ، نحو : ﴿ وَالضُّحَىٰ . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ
 وَمَا قَلَىٰ ﴾ ^(٣) أى ما قلاك ، فحذف المفعول ، لأن فواصل الآى على الألف .
 ويحتمل أنه للاختصار لظهور المحذوف قبله ؛ أى أفمن شرح الله صدره للإسلام
 كمن أقسى قلبه ؛ فحذف لدلالة : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ ﴾ ^(٢) .

ومنها البيان بعد الإبهام كما فى مفعول المشيئة والإرادة ، فإنهم لا يكادون يذكرونه ،
 كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ ^(٤) .
 ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ ^(٥) .

(٢) - سورة الزمر ٢٢

(٤) - سورة البقرة ٢٠

(١) سورة الأعراف ٤٤

(٣) سورة الضحى ١ - ٣

(٥) سورة الأنعام ٣٥

﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(١) .

﴿ فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخَيِّمِ عَلَى قَلْبِكَ ﴾^(٢) .

﴿ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ ﴾^(٣) .

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾^(٤) .

التقدير : لو شاء الله أن يفعل ذلك لفعل .

وشرط ابن النحوية^(٥) في حذف دخول أداة الشرط عليه كما سبق من قوله : ﴿ فَإِنْ ﴾

يَشَأِ اللَّهُ يُخَيِّمِ عَلَى قَلْبِكَ ﴾^(٦) .

و ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ﴾^(٧) .

﴿ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٨) .

والحكمة في كثرة حذف مفعول المشيئة المستلزمة لمضمون الجواب لا يمكن أن تكون

إلا مثيلة الجواب ؛ ولذلك كانت الإرادة كالمشيئة في جواز أطراد حذف مفعولها ؛ صرح به

الزمخشري في تفسير سورة البقرة ، وابن الزملاكاني في البرهان^(٩) ، والتنوخي في الأقصى^(١٠) ؛

كقوله : ﴿ يَرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾^(١١) ، وإنما حذفه لأن في الآية قبلها

ما يدل على أنهم أمروا بالكذب ؛ وهو بزعمهم إطفاء نور الله ، فلو ذكر أيضاً لكان

(٢) سورة الشورى ٢٤

(٤) سورة السجدة ١٣

(٥) هو ابن يعقوب بن إلياس الدمشقي الإمام بدر الدين المعروف بابن النحوية ؛ اختصر المصباح لبدر

الدين بن مالك في المعاني ، وسماه ضوء المصباح وشرحه ؛ توفي سنة ٧١٨ . بغية الوعاة ١١٧

(٧) سورة الأنفال ٣١

(٦) سورة الشورى ٢٤

(٨) سورة الأنعام ٣٩

(٩) هو كمال الدين محمد بن علي بن الزملاكاني ، توفي سنة ٧٢٧ ؛ ذكره صاحب كشف الظنون .

(١٠) هو زين الدين محمد بن محمد التنوخي ؛ صاحب كتاب أقصى القرب في صناعة الأدب ؛ ذكره

صاحب كشف الظنون .

(١١) سورة الصف ٨

كالتكرار ؛ فحذف وفسر بقوله: ﴿لِيُظْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾^(١)؛ وكان في الحذف تنبيه على هذا المعنى الغريب .

وينبغي أن يتمهل في تقدير مفعول المشيئة؛ فإنه يختلف المعنى بحسب التقدير ؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾^(٢)؛ فإن التقدير كما قاله عبد القاهر الجرجاني: ولو شئنا أن نؤتي كل نفس هداها لآتيناهها، لا يصح إلا على ذلك؛ لأنه إن لم يقدر هذا المفعول أدى والعياذ بالله إلى أمر عظيم، وهو نفي أن يكون لله مشيئة على الإطلاق؛ لأن من شأن «لو» أن يكون الإثبات بعدها نفياً، ألا ترى أنك إذا قلت: لو جئتني أعطيتك، كان المعنى على أنه لم يكن مجيء ولا إعطاء؛ وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾^(٣)؛ فقدّره النحويون: فلم نشأ فلم نرفعه .

وقال ابن الخباز: الصواب أن يكون التقدير «فلم نرفعه فلم نشأ»، لأن نفي اللازم يوجب نفي الملزوم، فوجود الملزوم يوجب وجود اللازم؛ فيلزم من وجود المشيئة وجود الرفع، ومن نفي الرفع نفي المشيئة؛ وأما نفي الملزوم فلا يوجب نفي اللازم، ولا وجود اللازم وجود الملزوم . انتهى

ويؤيده قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٤)، فإن المقصود انتفاء وجود الآلهة لانتفاء لازمها وهو الفساد .

ويمكن توجيه كلام النحويين بأنهم جعلوا الأول شرطاً للثاني، لأنهم عدّوا «لو» من حروف الشرط، وانتفاء الشرط يوجب انتفاء المشروط . وقد يكون الشرط مساوياً للمشروط؛ بحيث يلزم من وجوده وجود المشروط، ومن عدمه عدمه . والمقصود في الآية تعليل عدم الرفع بعدم المشيئة لا العكس .

(١) سورة الصف ٨

(٢) سورة السجدة ١٣

(٣) سورة الأعراف ١٧٦

(٤) سورة الأنبياء ٢٢

وأوضح منه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَآلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١)، جعل انتفاء الملزوم سبباً لانتفاء اللازم؛ لأن «كذبوا» ملزوم عدم الإيمان والتقوى؛ فأخذهم بذلك ملزوم عدم فتح بركات السماء والأرض عليهم. والفاء في قوله ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ للسببية، وجعل التكذيب سبباً لأخذهم بكفرهم؛ ولعل ذلك يختلف باختلاف المواد ووقوع الأفراد، مع أن القول ما قاله ابن الخباز. وأماما جاء على خلافه فذلك من خصوص المادة، وذلك لا يقدح في القضية الكلية؛ ألا ترى أنا نقول: الموجبة الكلية لا تنعكس كلية مع أنها تنعكس كلية في بعض المواضع، كقولنا: كل إنسان ناطق، ولا يعد ذلك مبطلاً للقاعدة.

تنبيهان

التنبيه الأول

[متى يذكر مفعول المشيئة والإرادة]

يستثنى من هذه القاعدة ثلاثة أمور: أحدها ما إذا كان مفعول المشيئة عظيماً أو غريباً؛ فإنه لا يحذف، كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ...﴾^(٢) الآية، أراد رد قول الكفار: «اتخذ الله ولداً» بما يطابقه في اللفظ؛ ليكون أبلغ في الرد؛ لأنه لو حذفه فقال: «لو أراد الله لاصطفى» لم يظهر المعنى المراد؛ لأن الاصطفاء قد لا يكون بمعنى التبني، ولو قال: لو أراد الله لاتخذ ولداً لم يكن فيه ما في إظهاره من تعظيم جرم قائله.

ومثله صاحب كتاب «القول الوجيز في استنباط علم البيان من الكتاب

(٢) سورة الزمر ٤

(١) سورة الأعراف ٩٦

العزیز « بقوله تعالى : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ﴾^(١) . وقوله : ﴿ فَإِنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُخَيِّمِ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾^(٢) . و ﴿ مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٣) . وفيما ذكره نظر .

قلت : يجيء الذكر في مفعول الإرادة أيضا ، إذ كان كقوله تعالى : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا ﴾^(٤) .

الثاني : إذا احتيج لعود الضمير عليه ، فإنه يُذكر ، كقوله : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَا نَتَّخِذَنَاهُ ﴾^(٥) ، فإنه لو حذف لم يبق للضمير ما يرجع عليه .

وقد يقال : الضمير لم يرجع عليه وإنما عاد على معمول معموله .

الثالث : أن يكون السامع منكراً لذلك ، أو كالمنكر ، فيقصد إلى إثباته عنده ، فإن لم يكن منكراً ، فالحذف .

والحاصل أن حذف مفعول « أراد » و « شاء » لا يذكر إلا لأحد هذه الثلاثة .

التنبيه الثاني

[في إنكار أبي حيان للقاعدة السابقة]

أنكر الشيخ أبو حيان في باب عوامل الجزم من شرح « التسهيل » هذه القاعدة وقال : غلط البيانين في دعواهم لزوم حذف مفعول المشيئة ؛ إلا فيما إذا كان مستغربا ؛ وفي القرآن : ﴿ لَعِنَ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾^(٥) . ﴿ لَعِنَ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾^(٦) . ولهم أن يقولوا : إن المفعول هاهنا عظيم ؛ فلماذا صرح به فلا غلط

(٢) سورة الشورى ٢٤

(٤) سورة الأنبياء ١٧

(٦) سورة المدثر ٣٧

(١) سورة الأنفال ٣١

(٣) سورة الأنعام ٣٩

(٥) سورة التکویر ٢٨

على القوم ؛ وأما قوله تعالى : ﴿ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾^(١) ؛ فإذا جعلت « ما ذا » بمعنى « الذى » ؛ فمفعول « أَرَادَ » متقدّم عليه ، وإن جعلت « ذا » وحده بمعنى « الذى » فيكون مفعول « أَرَادَ » محذوفاً ؛ وهو ضمير « ذا » ولا يجوز أن يكون « مثلاً » مفعول « أَرَادَ » لأنه أحد معموليه ولا يمكنه حال .

فصل

وقد كثر حذف مفعول أشياء غير ما سبق ؛ منها الصبر ، نحو : ﴿ فَاصْبِرُوا وَأَوْلَا تَصْبِرُوا ﴾^(٢) .
﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾^(٣) .

وقد يذكر ، نحو : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾^(٤) قال الزمخشري^(٥) فى تفسير سورة الحجرات : قولهم : صبر عن كذا^(٦) ، محذوف منه المفعول ؛ وهو النفس .
ومنها مفعول « رأى » ، كقوله : ﴿ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوْا بِرَى ﴾^(٧) .

قال الفارسي : الوجه أن « يرى » هنا للتعدية لمفعولين ؛ لأن رؤية الغائب لا تكون إلا لعلماء ، والمعنى عليه قوله : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ ﴾^(٨) وذكره العلم ، قال : والمفعولان محذوفان ؛ فكأنه قال : فهو يرى الغائب حاضراً ، أو حذف ؛ كما حذف فى قوله : ﴿ أَيْنَ شَرَّ كَاوُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾^(٩) ، أى تزعمونهم إياهم .

(٢) سورة الطور ١٦
(٤) سورة الكهف ٢٨

(١) سورة البقرة ٢٦
(٣) سورة آل عمران ٢٠٠
(٥) الكشاف ٤ : ٢٨٥

(٦) فى الأصلين : « هذا » والأجود ما أثبتته عن الكشاف ٤ : ٢٨٥
(٧) سورة النجم ٣٥
(٨) سورة الجن ٢٦
(٩) سورة الأنعام ٢٢

وقال ابن خروف : هو من باب الحذف لدليل ، لأن المعنى دالّ على المفعولين ؛ أى فهو يعلم ما يفعله ويعتقده حقاً وصواباً ، ولا فائدة فى الآية مع الاقتصار ، لأنه لا يُعلم منه المراد . وقد ذهب إليه بعض المحققين وعدل عن الصواب .

ومنها وعدّ يتعدى إلى مفعولين ؛ ويجوز الاقتصار على أحدهما كأعطيت ، قال تعالى : ﴿ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ﴾^(١) ، فـ « جانب » مفعول ثان ، ولا يكون ظرفاً لاختصاصه . والتقدير : واعدناكم إنيانه أو مكثاً فيه .

﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴾^(٢) .

﴿ وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾^(٣) فأحدى الطائفتين فى موضع نصب ؛ بأنه المفعول الثانى ؛ وأنها لكم ، بدل منه ، والتقدير : وإذ يعدكم الله ثبات إحدى الطائفتين أو مذكها .

وقال تعالى : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٤) ، فلم يعدّ الفعل فيها إلا إلى واحد ، ﴿ وليستخلفنهم ﴾ تفسير للوعد ومبين له ، كقوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ﴾^(٥) ، فالجمله الثانية تبين للوصية ، لا مفعول ثان .

وأما قوله : ﴿ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا ﴾^(٦) ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ ﴾^(٧) فإن هذا ونحوه يحتمل أمرين : انتصاب الوعد بالمصدر ، وبأنه المفعول الثانى على تسمية الموعود به وعدا .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾^(٨) فمما تعدى فيه « وَعَدَّ »

(٢) سورة المائدة ٩

(٤) سورة النور ٥٥

(٦) سورة طه ٨٦

(٨) سورة البقرة ٥١

(١) سورة طه ٨٠

(٣) سورة الأنفال ٧

(٥) سورة النساء ١١

(٧) - سورة إبراهيم ٢٢

إلى اثنين ، لأن « الأربعين » لو كان ظرفاً لكان الوعد في جميعه ؛ يعني من حيث إنه معدود ، فيلزم وقوع المظروف في كل فرد من أفراده ، وليس الوعد واقعاً في « الأربعين » بل ولا في بعضها .

ثم قدر الواحدى وغيره محذوفاً مضافاً إلى « الأربعين » ، وجعلوه المفعول الثانى ، فقالوا : التقدير : وإذ واعدنا موسى انتضاء أربعين ، أو تمام أربعين ، ثم حذف وأقيم المضاف إليه مقامه .

قال بعضهم : ولم يظهر لى وجهُ عدولهم عن كون « أربعين » هو نفس المفعول إلى تقدير هذا المحذوف ؛ إلا أن يقال : نفس الأربعين ليلة لا توعد ؛ لأنها واجبة الوقوع ، وإنما المعنى على تعليق الوعد بابتدائها وتمامها ، ليترتب على الانتهاء شىء .

قلت : وقال أبو البقاء^(١) : ليس أربعين ظرفاً ؛ إذ ليس المعنى وَعَدَهُ فِي أَرْبَعِينَ . وقال غيره : لا يجوز أن يكون ظرفاً ؛ لأنه لم يقع الوعد في كل من أجزائه ، ولا في بعضه .

ومنها « اتخذ » تعدى لواحد أو لائنين ، فمن الأول قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوْاً لَاتَّخِذْنَا مِنْ لَدُنَّا ﴾^(٢) ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾^(٣) ﴿ أُمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾^(٤) ﴿ يَا كَيْدِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾^(٥) . ومن الثانى : ﴿ اتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾^(٦) ، ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾^(٧) ، ﴿ فَاتَّخِذُوا لَهُمْ سِخْرِيّاً ﴾^(٨) والثانى من المفعولين هو الأول فى المعنى .

(٢) سورة الأنبياء ١٧

(٤) سورة الزخرف ١٦

(٦) سورة المنافقون ٢

(٨) سورة المؤمنون ١١٠

(١) املاء مامن به الرحمن ٢١

(٣) سورة الفرقان ٣

(٥) سورة الفرقان ٢٧

(٧) سورة المتحنه ١

قال الواحدى فأما قوله تعالى : ﴿ تُمْمُّ اتَّخَذْتُمْ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾^(١) وقوله : ﴿ بِاتَّخَاذِكُمْ الْعِجْلَ ﴾^(٢) ﴿ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾^(٣) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ ﴾^(٤) ، فالتقدير فى هذا كله : اتخذوه إليها ، فحذف المفعول الثانى .

والدليل على ذلك أنه لو كان على ظاهره ؛ لكان من صاغ عجلاً أو نحوه ، أو عمله بضرب من الأعمال ، استحق الغضب من الله ، لقوله : ﴿ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾^(٥) . وفيما قاله نظر ؛ لأن الواقع أن أولئك عبدوه ؛ فالتقدير على هذا فى المتعدى لواحد أن الذين اتخذوا العجل وعبدوه ؛ ولهذا جوز الشيخ أثير الدين فى هذه الآيات كلها أن تكون « اتخذ » فيها متعدية إلى واحد ، قال : ويكون ثم جملة محذوفة ؛ تدل على المعنى ؛ وتقديره : « وعبدتموه إليها » ورجحه على القول الآخر بأنها لو كانت متعدية فى هذه القصة لاثنين لصرح بالثانى ولو فى موضع واحد .

الضرب الثانى :

ألا يكون المفعول مقصوداً أصلاً ؛ وينزل الفعل المتعدى منزلة القاصر ؛ وذلك عند إرادة وقوع نفس الفعل فقط ؛ وجعل المحذوف نسياً منسياً ، كما ينسى الفاعل عند بناء لفعل ، فلا يُذكر المفعول ، ولا يُقدر ؛ غير أنه لازم الثبوت عقلاً لموضوع كل فعل متعد ؛ لأن الفعل لا يدرى تعيينه .

وبهذا يعلم أنه ليس كل ما هو لازم من موضوع الكلام مقدرأ فيه ، كقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَآنَ تَفْعَلُوا ﴾^(٦) .

(١) سورة البقرة ٥١

(٢) سورة الأعراف ١٤٨

(٣) سورة الأعراف ١٥٢

(٤) سورة البقرة ٥٤

(٥) سورة الأعراف ١٥٢

(٦) سورة البقرة ٢٤

وقوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾^(١) ، لأنه لم يرد الأكل من معين ، وإنما أراد وقوع

هذين الفعلين .

وقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) ، ويسمى المفعول

حينئذٍ مماتا .

ولما كان التحقيق أنه لا يعد هذا من المحذوف ، فإنه لا حذف فيه بالكلية ؛ ولكن تبعناهم في العبارة ؛ نحو فلان يعطى ؛ قاصداً أنه يفعل الإعطاء . وتوجد هذه الحقيقة إيهاما للمبالغة بخلاف ما يقصد فيه تعميم الفعل ؛ نحو : هو يعطى ويمنع ؛ فإنه أعم تناولا ؛ من قولك : يعطى الدرهم ويمنعه ؛ والغالب أن هذا يستعمل في النفي ، كقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا لَهُمُ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾^(٣) ، والآخر في الإثبات ، كقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٤) .

ومن أمثلة هذا الضرب قوله تعالى: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾^(٥) .

وقوله: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾^(٦) .

وقوله: ﴿وَأَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ﴾^(٧) الخ الآية ؛ حذف منها

المفعول خمس مرات ؛ لأنه غير مراد ؛ وهو قوله ﴿يسقون﴾ ، وقوله ﴿تذودان﴾ ،

وقوله: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءَ﴾^(٧) مواشيهم ، ﴿فسقى لهما﴾ غنمهما .

وقوله: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ﴾^(٨) قيل: لو ذكر المفعول فيها نقص المعنى ؛ والمراد

(٢) سورة الزمر ٩
(٤) سورة الروم ٢٤
(٦) سورة مريم ٤٢
(٨) سورة الأعراف ٨٨

(١) سورة البقرة ٦٠
(٣) سورة البقرة ١٧
(٥) سورة البقرة ٢٥٨
(٧) سورة القصص ٢٣

أن الله تعالى له الإحياء والإماتة؛ وأن إلههم ليس له سمع ولا بصر، وأن موسى عليه السلام وجد قوماً يعانون السقي، وامرأتين تعانيان الذؤد، وأخبرناه أننا لانستطيع السقي؛ فوجدنا من موسى عليه السلام لهما السقي، ووجدنا من أبيهما مكافأة على السقي. وهذا مما حذف لظهور المراد؛ وأن القصد^(١) الإعلام بأنه كان من الناس في تلك الحالة سقي، ومن المرأتين ذؤد، وأنهما قالتا: لا يكون منا سقي حتى يُصدِر الرعاء، وأن موسى سقى بعد ذلك؛ فأما أن المسقي غنم أو إبل أو غيره فخارج عن المقصود؛ لأنه لو قيل: يدودان غنمهما لجاز أن يكون الإنكار لم يتوجه من موسى على الذؤد من حيث هو ذؤد؛ بل من حيث هو ذؤد غنم؛ حتى لو كان ذؤد إبل لم ينكره.

واعلم أننا جعلنا هذا من الضرب الثاني موافقة للزخشرى؛ فإنه قال: تُركَ المفعول لأن الغرض هو الفعل لا المفعول، ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذباد وهم على السقي، ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل، وكذلك قولها: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ﴾، المقصود منه^(٢) السقي لا المسقي.

وجعله السكاكي من الضرب الأول؛ أعني مما حذف فيه للاختصار مع الإرادة. والأقرب قول الزخشرى، ورجح الجزري قول السكاكي أنه للاختصار، فإن الغنم ليست ساقطة عن الاعتبار بالأصالة؛ فن فيها ضعفا عن المزاحمة، والمرأتان فيهما ضعف، فإذا انضم إلى ضعف المسقي ضعف الساق، كان ذلك أدعى للرحمة والإعانة.

وكقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾^(٣).

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾^(٤).

(٢) الكشاف: «فيه».

(٤) سورة النجم ٤٨

(١) ت: «المقصود».

(٣) سورة الليل ٥

وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى . وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾^(۱) .

وإنما ذكر المفعول في قوله : ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ ﴾^(۲) ؛ لأن المراد جنس الزوجين فكأنه قال : يخلق كل ذكر وكل أنثى ، وكان ذكره هنا أبلغ ليدل على عموم ثبوت الخلق له بالتصريح .

وليس منه قوله تعالى : ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾^(۳) ، لوجود العوض من المفعول به لفظاً ، أو هو المفعول به وهو قوله : ﴿ فِي ذُرِّيَّتِي ﴾ ، ومعنى الدعاء به قصر الإصلاح له على الذرية ؛ إشعاراً بعنايته بهم .

وقوله : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾^(۴) ، أى عاقبة أمركم ، لأن سياق القول في التهديد والوعيد .

واعلم أن الغرض حينئذ بالحذف في هذا الضرب أشياء :

منها البيان بعد الإبهام كما في فعل المشيئة على ما سبق ؛ نحو : أمرته فقام ؛ أى بالقيام . وعليه قوله تعالى : ﴿ أَمْرًا نَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾^(۵) أى أمرناهم بالفسق ؛ وهو مجاز عن تمكينهم وإقذارهم .

ومنها : المبالغة بترك التقييد ؛ نحو : ﴿ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾^(۶) ، وقوله : ﴿ فَهَمُّ لَا يُبْصِرُونَ ﴾^(۷) ونفى الفعل غير متعلق بأبلغ من نفيه متعلقاً به ؛ لأن المنفى في الأول نفس الفعل ، وفي الثاني متعلقه .

(۲) سورة النجم ۴۵
(۴) سورة التكاثر ۳ ، ۴
(۶) سورة يونس ۵۶

(۱) سورة النجم ۴۳ ، ۴۴
(۳) سورة الأحقاف ۱۵
(۵) سورة الإسراء ۱۶
(۷) سورة يس ۹

تنبیه

قد يلحظ الأمران ؛ فيجوز الاعتباران ؛ كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾^(١) أجاز الزمخشري^(٢) في حذف المفعول منه الوجهين .

وكذلك في قوله في آخر سورة الحج : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ ﴾^(٣) .

حذف الحال

كقوله تعالى : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾^(٤) ،
أى قائلين سلام عليكم .

قال ابن أبي الربيع : اعلم أن العرب قد تحذف الحال إذا كانت بالفعل لدلالة مصدر الفعل عليه ؛ فتقول : قتلتُه صبراً ، وأتيتُه ركضاً ، قال تعالى : ﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا ﴾^(٥) ، فدأباً يقدر بالفعل ؛ تقديره : « تدأبون » في موضع الحال .

قال أبو علي : لا خلاف بين سيبويه وأبي العباس في الحال المحذوف الذي المصدر منصوب به ، وإنما الخلاف بينهما في القياس ، فسيبويه يذهب إلى السماع ولا يقيس ، والأخفش والمبرد يقيسان .

(١) سورة الحجرات ١

(٢) الكشاف ٤ : ٢٧٧ ، وعبارته : وفي قوله تعالى : ﴿ لَا تَقَدَّمُوا ﴾ من غير ذكر مفعول وجهان : أحدهما أن يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم . والثاني ألا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ؛ ويتوجه بالنفي إلى نفس التقدمة ؛ كأنه قيل : لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ؛ ولا تجعلوه منكم بسبيل ، كقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ .

(٢) سورة الرعد ٢٣ ، ٢٤

(٣) سورة الحج ٧٨

(٥) سورة يوسف ٤٧

حذف المنادى

قوله تعالى : ﴿ أَلَا يَأْسُجُدُوا ﴾^(١) على قراءة الكسائي بتخفيف « ألا » على أنها تنبيه و « يا » نداء ، والتقدير ألا ياهولاء اسجدوا لله . ويجوز أن يكون « يا » تنبيهاً ولا منادى هناك ، وجمع بينهما تأكيذاً ؛ لأن الأمر قد يحتاج إلى استعطاف المأمور واستدعاء إقباله على الأمر .

وأما على قراءة الأكثر بالتشديد ؛ فعلى أن أن الناصبة للفعل دخلت عليها لا النافية ، والفعل المضارع بعدها منصوب ؛ وحذفت النون علامة النصب ، فالفعل هنا معرب ، وفي تلك القراءة مبنى ، فاعرفه .

فائدة

[في حذف الياء من المنادى المضاف إلى ياء المتكلم]

كثُر في القرآن حذفُ الياء من المنادى المضاف إلى ياء المتكلم ؛ نحو ياربُّ ، يا قوم ؛ وعلل ذلك بأن النداء باب حذف ؛ ألا ترى أنه يحذف منه التنوين وبعض الاسم للترخيم ؛ وجاء فيه إثباتها ساكنة ، كقراءة مَنْ قرأ : ﴿ يَا عِبَادِيَ فَاتَّقُونِ ﴾^(٢) ، ومحركة بالفتح ؛ كقراءة مَنْ قرأ : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾^(٣) ، ومنقابة عن الياء في قوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ ﴾^(٤) .

حذف الشرط

﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾^(٥) ؛ أي إن قلت لهم : أقيموا يقيموا .

(٢) سورة الزمر ١٦

(٤) سورة الزمر ٥٦

(١) سورة النمل ٢٥

(٣) سورة الزمر ٥٣

(٥) سورة إبراهيم ٣١

وجعل منه الزمخشري: ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ﴾^(۱) .
 وجعل أبو حيان منه قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(۲) ، أى إن كنتم آمنتم بما أنزل إليكم فلم تقتلوا؟ وجواب «إن كنتم» محذوف دل عليه ما تقدم ، أى فلم فعلتم؟ وكرر الشرط وجوابه مرتين للتأكيد ، إلا أنه حذف الشرط من الأول وبقى جوابه ، وحذف الجواب من الثانى وبقى شرطه انتهى .
 وهو حسن ، إلا أنه قد كان خالف الزمخشري؛ وأنكر قوله بحذف الشرط فى: ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾^(۳) وفى: ﴿ فَأَنْفَجَرْتُمْ ﴾^(۴) ، وقال: إن الشرط لا يحذف فى غير الأجوبة ،
 والآن قد رجع إلى موافقته .

وقوله: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(۵) ، تقديره: إن كنتم منكرين فهذا يوم البعث؛ أى فقد تبين بطلان إنكاركم .

وقوله: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾^(۶) ، بمعنى إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوه ، فعدل عن الافتخار بقتلهم ، فحذف لدلالة الفاعلية .
 وقوله: ﴿ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ ﴾^(۷) ؛ تقديره: إن أرادوا أولياء فالله هو الولي بالحق ، لا ولي سواه .

حذف جواب الشرط

قوله: ﴿ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ

(۲) سورة البقرة ۹۱

(۳) سورة البقرة ۶۰

(۶) سورة الأنفال ۱۷

(۱) سورة البقرة ۸۰

(۳) سورة البقرة ۵۴

(۵) سورة الروم ۶۵

(۷) سورة الشورى ۹

عَلَىٰ مِثْلِهِ . فَأَمَّنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ﴿١﴾ ؛ أَى أَفْلَسْتُمْ ظَالِمِينَ ؟ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ عَقِبَهُ : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١﴾ وَقَدَّرَهُ البَغْوِيُّ : مَنْ المَحْقُ مَنْهَا وَمَنْ المَبْطَلُ ؟ وَنَقَلَهُ عَنِ أَكْثَرِ المَفْسَرِينَ .

وَمَنْ حَذَفَ جَوَابَ الفِعْلِ : ﴿أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ﴾ ﴿٢﴾ ، تَقْدِيرُهُ : « فَذْهَبَا إِلَيْهِمْ فَكَذَّبُوهُمَا فَدَمَّرْنَاهُمْ » ، وَالفَاءُ العَاطِفَةُ عَلَى الجَوَابِ المَحذُوفِ هِيَ المَسْمُومَةُ عِنْدَهُمْ بِالفَاءِ الفَصِيحَةِ .

وَقَالَ صَاحِبُ المِفْتَاحِ : وَانظُرْ إِلَى الفَاءِ الفَصِيحَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿٣﴾ ، كَيْفَ أَفَادَتْ : « فَعَلْتُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ » !

وَقَوْلُهُ : ﴿أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ ﴿٤﴾ ؛ تَقْدِيرُهُ : فَضْرِبُوهُ فِحْيِي ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ المَوْتَى﴾ .

وَقَالَ صَاحِبُ الكَشَافِ ﴿٥﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾ ﴿٦﴾ تَقْدِيرُهُ : فَعَمَلًا بِهِ وَعِلْمًا بِهِ ، وَعَرَفَا حَقَّ النِّعْمَةِ فِيهِ وَالفَضِيلَةَ ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ .

وَقَالَ السَّكَاكِيُّ : هُوَ إِخْبَارٌ عَمَّا صَنَعَ بِهِمَا وَعَمَّا قَالَاهُ ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِيلَ : نَحْنُ فَعَلْنَا إِيتَاءَ العِلْمِ ؛ وَهُمَا فَعَمَلَا الحَمْدِ ، تَعْرِيفًا لِاسْتِثْنَاءِ الحَمْدِ عَلَى إِيتَاءِ العِلْمِ إِلَى فَهْمِ السَّامِعِ ، مِثْلُهُ « قَمِ يَدْعُوكَ » بِدَلِّ « قَمِ فَإِنَّهُ يَدْعُوكَ » .

(٢) سورة الفرقان ٣٦

(٤) سورة البقرة ٧٣

(٦) سورة النمل ١٥

(١) سورة الأحقاف ١٠

(٣) سورة البقرة ٥٤

(٥) الكشاف ٣ : ٢٧٨

حذف الأجوبة

ويكثر ذلك في جواب لو، ولولا، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ النَّارِ﴾^(١) وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾^(٢) .
 وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٣) .
 وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾^(٤) .
 وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٥) .
 وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ﴾^(٦) ، تقديره في هذه المواضع «لرأيت عجباً» أو «أمراً عظيماً» ، «ولرأيت سوء منقلبهم» ، أو «لرأيت سوء حالهم» .
 والسر في حذفه في هذه المواضع أنها لما ربطت إحدى الجملتين بالأخرى حتى صارتا جملة واحدة ، أوجب ذلك لها فضلاً وطولاً ؛ فخفف بالحذف ؛ خصوصاً مع الدلالة على ذلك .

قالوا: وحذف الجواب يقع في مواقع التفخيم والتعظيم ، ويجوز حذفه لعلم المخاطب ، وإنما يحذف لقصد المبالغة ، لأن السامع مع أقصى تخيله يذهب منه الذهن كل مذهب ، ولو صرح بالجواب لوقف الذهن عند المصريح به فلا يكون له ذلك الوقع ، ومن ثم لا يحسن تقدير الجواب مخصوصاً إلا بعد العلم بالسياق ، كما قدر بعض النحويين في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ . . .﴾^(٧) الآية ، فقال : تقديره : لكان هذا القرآن

(٢) سورة الأنعام ٣٠

(٤) سورة الأنفال ٥٠

(٦) سورة الأنعام ٩٣

(١) سورة الأنعام ٢٧

(٣) سورة سبأ ٣١

(٥) سورة السجدة ١٢

(٧) سورة الرعد ٣١

وحكاه أبو عمرو الزاهد في « الياقوتة » عن ثعلب والمبرد ، وهو مردود ، لأن الآية ما سقت لتفضيل القرآن ، بل سقت في معرض ذم الكفار ، بدليل قوله قبلها : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾^(١) ، وبعدها : ﴿ أَفَلَمْ يَبَيِّنْ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾^(٢) فلو قدر الخبر « لما آمنوا به » لكان أشد .

ونقل الشيخ محي الدين النووي في كتاب « رموس المسائل » كون الجواب « كان هذا القرآن » ، عن الأكثرين . وفيه ما ذكرت .

وقيل تقديره : لو قضيت أنه لا يقرأ القرآن على الجبال إلا سارت ورأوا ذلك ، لما آمنوا :

وقيل : جواب « لو » مقدم ، معناه : يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال ، وهذا قول الفراء .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾^(٣) ، محذوف ، والتقدير : لنفدت هذه الأشياء وما نفدت كلمات الله . ويحتمل أن يكون « ما نفدت » هو الجواب مبالغة في نفي النفاذ ؛ لأنه إذا كان نفي النفاذ لازما على تقدير كون ما في الأرض من شجرة أقلاما والبحر مدادا لكان لزومها على تقدير عدمها أولى .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضَاوُكَ ﴾^(٤) .

(١) سورة الرعد ٣٠

(٣) سورة لقمان ٢٧

(٢) سورة الرعد ٣١

(٤) سورة النساء ١١٣

فإنه قد قيل : ظاهره نفي وجودهم باضلاله ، وهو خلاف الواقع ؛ فإنهم هموا وردوا القول .

وقيل : قوله : ﴿ لَهَمَّتْ ﴾ ليس جواب « لو » بل هو كلامٌ تقدم على « لو » ، وجوابها مقول على طريق القسم ، وجواب « لو » محذوف تقديره ﴿ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ ﴾^(١) ، لولا فضل الله عليك لأضلوك .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾^(٢) ، أى همت بمخالطته ، وجواب « لولا » محذوف ؛ أى لولا أن رأى برهان ربه لخالطها^(٣) .

وقيل : لولا أن رأى برهان ربه لهم بها ؛ والوقف على هذا ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ ، والمعنى أنه لم يهَمَّ بها^(٤) .

ذكره أبو البقاء . والأول للزمخشرى .

ولا يجوز تقديم جواب « لو » عليها لأنه في حكم الشرط ، وللشرط صدر الكلام . وقوله : ﴿ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾^(٥) جواب الشرط محذوف ؛ يدل عليه قوله : ﴿ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴾ أى إن شاء الله اهتدينا . وقد توسط الشرط هنا بين جزأى الجملة بالجزاء ؛ لأن التقديم على الشرط ، فيكون دليل الجواب متقدما على الشرط ؛ والذي حسن تقديم الشرط عليه الاهتمام بتعليق الهداية بمشيئة الله تعالى .

وقوله تعالى : ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ ﴾^(٦) ، تقديره : لما استعجلوا فقالوا متى هذا الوعد .

(٢) سورة يوسف ٢٤

(١) سورة النساء ١١٣

(٣) الكشاف ٢ : ٣٥٥

(٤) إملأه ما من به الرحمن لأبي البقاء العكبري ٢٨

(٦) سورة الأنبياء ٣٩

(٥) سورة البقرة ٧٠

وقال الزجاج : تقديره « لعلوا صدق الوعد » لأنهم قالوا : متى هذا الوعد ، وجعل الله الساعة موعدهم فقال تعالى : ﴿ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً ﴾^(١) .

وقيل : تقديره : « لما أقاموا على كفرهم ولندموا أو تابوا » .

وقوله في سورة التكاثر : ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾^(٢) تقديره لا : ﴿ أَلَيْسَ لَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ .

وقيل : تقديره : لشغلكم ذلك عما أنتم فيه .

وقيل : لرجعتكم عن كفركم أو لتحققتم مصداق ما تحذرونه .

وقوله : ﴿ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْا كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا ﴾^(٣) ، أى لا يتبعونهم .

وقوله : ﴿ قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٤) تقديره : « لآمنتم » أو « لما كفرتم » أو « لزهدت في الدنيا » أو « لتأهبت للقائنا » .

ونحوه : ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأُوا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾^(٥) ، أى يهتدون في الدنيا لما رأوا العذاب في الآخرة ، أو لما اتبعوهم .

وقوله : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾^(٦) ، قال محمد بن إسحاق : معناه لو أن لي قوة لخلت بينكم وبين المعصية .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ ﴾^(٧) ، أى رأيت ما يعتبر به عبرة عظيمة .

(٢) سورة التكاثر ١ ، ٥

(٤) سورة المؤمنون ١١٤

(٦) سورة هود ٨٠

(١) سورة الأنبياء ٤٠

(٣) سورة البقرة ١٧٠

(٥) سورة القصص ٦٤

(٧) سورة سبأ ٥١

وقوله عقب آية اللعان : ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾^(١) ، قال الواحدي : قال الفراء : جواب « لو » محذوف لأنه معلوم المعنى ، وكل ما علم فإن العرب تكفي بترك جوابه ؛ ألا ترى أن الرجل يشتم الرجل ، فيقول المشتوم : أما والله لولا أبوك . . . فيعلم أنك تريد : لستمتك .

وقال المبرد : تأويله والله أعلم : هلكتم ، أو لم يبق لكم باقية ، أو لم يصلح أمركم ، ونحوه من الوعيد الموجه ، فحذف لأنه لا يشكّل .

وقال الزجاج : المعنى لنال الكاذب منكم أمر عظيم ؛ وهذا أجود مما قدره المبرد . وكذلك « لولا » التي بعدها في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾^(٢) ، جوابها محذوف ؛ وقدره بعضهم في الأولى : لا فتضح فاعل ذلك ؛ وفي الثانية : لعجل عذاب فاعل ذلك ؛ وسوغ الحذف طول الكلام بالمعطوف ، والطول داع للحذف .

وقوله : ﴿ وَلَوْ لَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ ﴾^(٣) جوابها محذوف ، أي لولا احتجاجهم بترك الإرسال إليهم لما جئناهم بالعقوبة .

وقال مقاتل : تقديره لأصابتهم مصيبة .

وقال الزجاج : لولا ذلك لم يحتج إلى إرسال الرسول ومواترة الاحتجاج .

وقوله : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾^(٤) ، أي لأبدت .

(٢) سورة النور ٢٠

(٤) سورة القصص ١٠

(١) سورة النور ١٠

(٣) سورة القصص ٤٧

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾ (۱) ، تقديره : لو تملكون ، [تملكون] (۲) ، فأضمر « تملك » الأولى على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل ، الذي هو « الواو » ضمير منفصل ، وهو « أنتم » لسقوط ما يتصل به من الكلام ، ف « أنتم » فاعلُ الفعل المضمر ، « وتملكون » تفسيره .

قال الزمخشري (۳) : هذا ما يقتضيه (۴) الإعراب ؛ فأما ما يقتضيه علم البيان ، فهو أن [أنتم] (۵) تملكون فيه دلالة على الاختصاص ، وأن الناس هم المختصون بالشح المتتابع (۶) ؛ وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر .

ومن حذف الجواب قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (۷) ، أى أعرضوا ؟ بدليل قوله بعده : ﴿ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ (۷) .

وقوله في قصة إبراهيم في الحجر : ﴿ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴾ (۸) ، وفي غيرها من السور : ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (۹) ﴿ قَالَ سَلَامٌ ﴾ (۱۰) ، قال الكرماني : لأن هذه السورة متأخرة عن الأولى ، فاكتفى بما في هذه ؛ ولو ثبت تعدد الوقائع لنزلت على واقعيتين

(۲) تكملة من الكشاف ۲ : ۵۴۳

(۱) سورة الإسراء ۱۰۰

(۳) الكشاف ۲ : ۵۴۳

(۴) عبارة الزمخشري في الكشاف : « وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب » .

(۶) في الكشاف بعده : نحو قول حاتم :

(۵) من الكشاف .

* لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي *

وقول المتلمس :

* وَلَوْ غَيْرُ أَخْوَالِي أَرَادُوا نَقِيصَتِي *

(۸) سورة الحجر ۵۲

(۷) سورة يس ۴۵ ، ۴۶

(۱۰) سورة الذاريات ۲۵

(۹) سورة الفرقان ۶۳

وكقوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾^(١) ، قال الزمخشري^(٢) : حذف الجواب ،
وتقديره مصرح به في سورتي التكوير والانفطار ، وهو قوله : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ ﴾^(٣) .

وقال في : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾^(٤) : الجواب محذوف ، أى أنهم ملعونون ،
يدل عليه قوله : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾^(٥) .

وكقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾^(٥) ، أى « حتى إذا جاءوها
وقد فتحت أبوابها » ، والواو واو حال ، وفي هذا ما حكي أنه اجتمع أبو علي الفارسي
مع أبي عبد الله الحسين بن خالويه في مجلس سيف الدولة ، فسئل ابن خالويه عن قوله تعالى :
﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾^(٦) ، في النار بغير واو ، وفي الجنة بالواو ! فقال
ابن خالويه : هذه الواو تسمى واو الثمانية لأن العرب لا تعطف الثمانية إلا بالواو ، قال :
فنظر سيف الدولة إلى أبي علي وقال : أحق هذا ! فقال أبو علي : لا أقول كما قال ؛ إنما
تركت الواو في النار ، لأنها مغلقة ، وكان مجيئهم شرطاً في فتحها ، فقوله : ﴿ فَتِحَتْ ﴾ فيه
معنى الشرط ، وأما قوله : ﴿ وَفُتِحَتْ ﴾ في الجنة ، فهذه واو الحال ، كأنه قال : جاءوها
وهي مفتحة الأبواب ؛ أو هذه حالها .

وهذا الذي قاله أبو علي هو الصواب ، ويشهد له أمران :
أحدهما : أن العادة مطردة شاهدة في إهانة المعذبين بالسجون ، من إغلاقها حتى يردوا
عليها ، وإكرام المنعمين بإعداد فتح الأبواب لهم مبادرة واهتماماً .

(١) سورة الانشقاق ١

(٢) الكشاف ٤ : ٥٧٩ ، والعبارة هناك : « حذف جواب إذا ليذهب المقدر كل مذهب ، أو
اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار » .

(٣) سورة التكوير ١٤ : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضِرَتْ ﴾ والانفطار ٥ : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ

(٤) سورة البروج ١ ، ٤

(٥) سورة الزمر ٧٣

مَّا قَدَّمَتْ وَأُخْرَتْ ﴾ .

(٥) سورة الزمر ٧٣

والثاني : النظير في قوله : ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمْ الْأَبْوَابُ ﴾^(١) .

وللنحويين في الآية ثلاثة أقوال :

أحدها : أن الواو زائدة ، والجواب قوله « فتحت » وهو لاء قيمان : منهم من جعل

هذه الواو مع أنها زائدة واو الثمانية ، ومنهم من لم يثبتها .

والثاني : أن الجواب محذوف عطف عليه قوله : ﴿ وَفُتِحَتْ ﴾ كأنه قال « حَتَّى إِذَا جَاءَ وَهَآ

[جاءوها]^(٢) وَفُتِحَتْ » قال الزجاج وغيره : وفي هذا حذف المعطوف وإبقاء المعطوف عليه .

والثالث : أن الجواب محذوف آخر الكلام ؛ كأنه قال بعد الفراغ : استقروا ،

أو خلدوا ، أو استقروا ؛ مما يقتضيه المقام ؛ وليس فيه حذف معطوف . ويحتمل أن يكون

التقدير : إذا جاءوها أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ؛ المجيء ليس سببا مباشرا للفتح ؛

بل الإذن في الدخول هو السبب في ذلك .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ

أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾^(٣) أي رحمتهم

ثم تاب عليهم ؛ وهذا التأويل أحسن من القول بزيادة « ثم » .

وحذف المعطوف عليه وإبقاء المعطوف سائغ ، كقوله تعالى : ﴿ فَفَلَمَّا أَذْهَبْنَا إِلَى الْقَوْمِ

الَّذِينَ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاَهُمْ تَدْمِيرًا ﴾^(٤) ، التقدير والله أعلم : فذهبنا فبلغنا ، فكذبوا

فدمرناهم ؛ لأن المعنى يرشد إلى ذلك .

وكذا قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾^(٥) ،

أي فامثلتكم ، أو فعلتم فتاب عليكم .

(٢) تكملة من الكشاف ٤ : ١١٤

(٤) سورة الفرقان ٣٦

(١) سورة س ٥٠

(٣) سورة التوبة ١١٨

(٥) سورة البقرة ٥٤

وقوله : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾^(١) ، أى رُحِمَا وَسُعِدَا وتله . وابن عطية يجعل

التقدير : فلما أسلما أسلما ؛ وهو مشكل .

وقوله : ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا

يَا وَيْلَنَا ﴾^(٢) ، المعنى : حتى إذا كان ذلك ندم الذين كفروا ولم ينفعهم إيمانهم ؛ لأنه من

الآيات والأشراط .

وقد يجىء فى الكلام شرطان ؛ ويحذف جواب أحدهما اكتفاء بالآخر كقوله تعالى :

﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾^(٣) فى الاعتراض به مجرى الظرف ؛ لأن الشرط

وإن كان جملة ؛ فإنه لما لم يقم بنفسه جرى مجرى الجزء الواحد ، ولو كان عنده جملة لما جاز الفصل به

بين « أما » وجوابها ، لأنه لا يجوز . أما زيد فمنطلق ؛ وذهب الأخفش إلى أن الفاء جواب لهما .

ونظيره : ﴿ وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ

مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا

مِنْهُمْ ﴾^(٤) ، فقوله : ﴿ لَعَذَّبْنَا ﴾^(٤) جواب للولا ولو جميعا .

واختار ابن مالك قول سيبويه أن الجواب « لأما » واستغنى به عن جواب « إن »

لأن الجواب الأول الشرطين المتواليين فى قوله : ﴿ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ

يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾^(٥) ونظائره .

فإذا كان أول الشرطين « أما » كانت أحق بذلك لوجهين :

أحدهما : أن جوابها إذا انفردت لا يحذف أصلا ؛ وجواب غيرها إذا انفرد يحذف

كثيراً لدليل ؛ وحذف ما عهد حذفه أولى من حذف ما لم يعهد .

(٢) سورة الأنبياء ٩٧

(٤) سورة الفتح ٢٥

(١) سورة الصافات ١٠٣

(٣) سورة الواقعة ٩٠

(٥) سورة هود ٣٤

والثاني : أن « أما » قد التزم معها حذف فعل الشرط، وقامت هي مقامه ، فلو حذف جوابها لكان ذلك إجحافاً ، وإن ليست كذلك . انتهى .

والظاهر أنه لا حذف في الآية الكريمة ، وإنما الشرط الثاني وجوابه جواب الأول ، والمحذوف إنما هو أحد الفاءين .

وقال الفارسي في قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ . . . ﴾^(١) الآية : إنه حذف منه : أعزنا ولا تدلنا .

وقال في قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾^(٢) ، تقديره : « فكيف تجدونهم مسرورين » أو « محزونين » ، فـ « كيف » في موضع نصب بهذا الفعل المضمر ، وهذا الفعل المضمر قد سد مسدّ جواب إذا .

حذف جواب القسم

لعلم السامع المراد منه ، كقوله تعالى : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا . وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا . وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا . فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا . فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا . يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾^(٣) ، تقديره : لتبعثن ولتجاسبن ، بدليل إنكارهم للبعث في قولهم : ﴿ أَأَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾^(٤) .

وقيل : القسم وقع على قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى ﴾^(٥) .
وكقوله تعالى : ﴿ لَن نُّؤْتِرَكَ ﴾^(٦) وحذف لدلالة الكلام السابق عليه .

(٢) سورة النساء ٦٢
(٤) سورة النازعات ١٠
(٦) سورة طه ٧٢

(١) سورة آل عمران ٢٦
(٣) سورة النازعات ١ - ٦
(٥) سورة النازعات ٢٦

واختلف في جواب القسم في : ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾^(١) فقال الزجاج :
﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾^(٢) ، واستبعده الكسائي .

وقال الفراء : قد تأخر كثيراً ، وجرت بينهما قصص مختلفة ، فلا يستقيم ذلك
في العربية .

وقيل : ﴿ كم أهلكنا ﴾^(٣) ، ومعناه : لكم أهلكنا ، وما بينهما اعتراض ، وحذفت
اللام لطول الكلام .

وقال الأخفش : ﴿ إِنَّ كُلٌّ إِلَّا كَذَبَ الرَّسُلَ ﴾^(٤) ، والمعتز بينهما قصة واحدة .
وعن قتادة : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾^(٥) ، مثل : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ .
بَلْ عَجِبُوا ﴾^(٦) .

وقال صاحب النظم في هذا القول : معنى « بل » توكيد الأمر بعده ؛ فصار مثل أن
الشديدة تُثبت ما بعدها ، وإن كان لها معنى آخر في نفي خبر متقدم ؛ كأنه قال : إن الذين
كفروا في عزة وشقاق .

وقال أبو القاسم الزجاجي : إن النحويين قالوا : إن « بل » تقع في جواب القسم
كما تقع « إن » لأن المراد بها توكيد الخبر ؛ وذلك في ﴿ ص وَالْقُرْآنِ . . . ﴾ الآية . وفي
﴿ ق وَالْقُرْآنِ . . . ﴾ الآية ؛ وهذا من طريق الاعتبار ، ويصلح أن يكون بمعنى « إن »
لأنه سائغ في كلامهم ؛ أو يكون « بل » جواباً للقسم ؛ لكن لما كانت متضمنة رفع خبر
وإتيان خبر بعده كانت أوكد من سائر التوكيدات ، فحُسن وضعها موضع « إن » .

(٢) سورة ص ٦٤

(٤) سورة ص ١٤

(٦) سورة ق ١ ، ٢

(١) سورة ص ١

(٣) سورة ص ٣

(٥) سورة ص ٢

وقيل : الجواب محذوف ، أى والقرآن المجيد ، ما الأمر كما يقول هؤلاء . أو الحق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الفراء فى قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾^(١) جوابه محذوف ؛ أى فى يومئذ يلاقى حسابه .

وعن قتادة أن جوابه : ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّت ﴾^(١) يعنى أن الواو فيها بمعنى السقوط ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ ﴾^(٢) ، أى ناديناه .

حذف الجملة

هى أقسام : قسم هى مسببة عن المذكور ، وقسم هى سبب له ، وقسم خارج عنها ؛ فالأول : كقوله تعالى : ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ ﴾^(٣) فإن اللام الداخلة على الفعل لا بد لها من متعلق ، يكون سبباً عن مدخول اللام ، فلما لم يوجد لها متعلق فى الظاهر وجب تقديره ضرورة ، فيقدر : فعل ما فعل ليحِقَّ الحق .

والثانى : كقوله تعالى : ﴿ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾^(٤) ؛ فإن الفاء ، إنما تدخل على شىء مسبب عن شىء ، ولا مسبب إلا له سبب ، فإذا وجد المسبب - ولا سبب له - ظاهراً - أوجب أن يقدر ضرورة ، فيقدر : فضر به فانفجر .

والثالث : كقوله تعالى : ﴿ فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾^(٥) ، أى نحن هم ، أو هم نحن . وقد يكون المحذوف أكثر من جملة كقوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا يُونُسَ . يُونُسَ ... ﴾^(٦) الآية ، فإن التقدير : « فأرسلنا إلى يوسف لأستعبره الرؤيا ، فأرسلوه إليه لذلك ، فجاء فقال له :

(٢) سورة الصافات ١٠٣ ، ١٠٤

(٤) سورة البقرة ٦٠

(٦) سورة يوسف ٤٥ ، ٤٦

(١) سورة الانشقاق ١ ، ٢

(٣) سورة الأنفال ٨

(٥) سورة الذاريات ٤٨

يا يوسف « ، وإنما قلنا : إن هذا الكل محذوف ؛ لأن قوله : ﴿ أَرْسِلُونِ ﴾ يدل لا محالة على المرسل إليه ، فثبت أن « إلى يوسف » محذوف . ثم إنه لما طُلب الإرسال إلى يوسف عند العجز الحاصل للمعبرين عن تعبير رؤيا الملك دل ذلك على أن المقصود من طلب الإرسال إليه استعباره الرؤيا التي عجزوا عن تعبيرها ومنه قوله تعالى : ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَىٰ إِلَيْهِمْ . . . ﴾^(۱) الآية ، فأعقب بقوله حكاية عنها : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَىٰ كِتَابِ كَرِيمٍ ﴾ ، تقديره : فأخذ الكتاب فألقاه إليهم ، فرأته بلقيس ، وقرأته ، و﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ ﴾^(۱) .

وقوله : ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾^(۲) ، حذف بطول ، تقديره : فلما ولد يحيى ونشأ وترعرع قلنا : ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾^(۲) .
ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم موسى : ﴿ لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ . قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا . أَلَا تَتَذَكَّرُ أَلَمْ يَأْمُرِي ﴾^(۳)
وقوله : ﴿ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ﴾^(۴) إلى قوله ﴿ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا ﴾^(۴) .
وقوله : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾^(۵) أى كمن قسا قلبه ترك على ظلمه وكفره ؛ ودل على المحذوف قوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾^(۵) .
ومن حذف الجملة قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾^(۶) قيل : المعنى جاعلٌ في الأرض خليفة يفعل كذا وكذا ؛ وإلا فمن أين علم الملائكة أنهم يفسدون ؛ وبقى الكلام يدل على المحذوف .
وقوله : ﴿ أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾^(۷) ، قال

(۲) سورة مريم ۱۲

(۴) سورة النمل ۴۰ ، ۴۱

(۶) سورة البقرة ۳۰

(۱) سورة النمل ۲۸ ، ۲۹

(۳) سورة طه ۹۱ - ۹۳

(۵) سورة الزمر ۲۲

(۷) سورة الحجرات ۱۲

الفارسي : المعنى فكما كرهتموه فاكرهوا الغيبة : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ ، عطف على قوله : « فاكرهوا » وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَانفَجَرَتْ ﴾^(١) ، أى فضرب فانفجرت . فقوله : ﴿ كرهتموه ﴾ كلام مستأنف ، وإنما دخلت الفاء لما فى الكلام من معنى الجواب ؛ لأن قوله : ﴿ أَيْحَبُّ أَحَدِكُمْ ﴾ كأنهم قالوا فى جوابه : لا ، فقال : فكرهتموه ؛ أى فكما كرهتموه فاكرهوا الغيبة .

قال ابن الشجرى : وهذا التقدير بعيد ؛ لأنه قدر المحذوف موصولا ، وهو « ما » المصدرية ، وحذف الموصول ، وإبقاء صلته ضعيف ؛ وإنما التقدير : فهذا كرهتموه ؛ والجملة المقدره المحذوفة ابتدائية لأمرية ، والمعنى : فهذا كرهتموه ، والغيبة مثله ؛ وإنما قدرها أمرية ليعطف عليها الجملة الأمرية فى قوله : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ .

حذف القول

قد كثر فى القرآن العظيم حتى إنه فى الإضمار بمنزلة الإظهار ، كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾^(٢) ، أى يقولون : ما نعبدهم إلا للقربة .

ومنه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا ﴾^(٣) ، أى وقلنا كلوا ، أوقائلين .

وقوله : ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾^(٤) ، أى قلنا .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ﴾^(٥) ، أى وقلنا : خذوا .

(٢) سورة الزمر ٣

(٤) سورة البقرة ٦٠

(١) سورة البقرة ٦٠

(٣) سورة طه ٨٠ ، ٨١

(٥) سورة البقرة ٦٣

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾^(۱) ،
 أى وقلنا : اتخذوا .

وقوله : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا ﴾^(۲) ، أى
 يقولان : ربنا . وعليه قراءة عبد الله .

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آسَوْدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ ﴾^(۳) ؛ أى فيقال لهم ، لأن « أما »
 لا بد لها فى الخبر من فاء ، فلما أضمر القول أضمر الفاء .

وقوله : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ . هَذَا مَا تُوَعَدُونَ ﴾^(۴) ،
 يقال لهم هذا .

وقوله : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾^(۵) ، أى
 يقولون سلامٌ .

وقوله : ﴿ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾^(۶) ، أى يقولون لهم ذلك .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ ﴾^(۷) ، أى يقولون ما نعبدهم .

وقوله : ﴿ فَظَلَّمْتُمْ تَفَكَّهُونَ . إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴾^(۸) ؛ أى يقولون إنا لمعرمون .
 أى معذبون ، وتفكّهون : تندمون .

وقوله : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا
 وَسَمِعْنَا ﴾^(۹) أى يقولون ربنا .

(۲) سورة البقرة ۱۲۷
 (۴) سورة ص ۵۲ ، ۵۳
 (۶) سورة الأنبياء ۱۰۳
 (۸) سورة الواقعة ۶۵ ، ۶۶

(۱) سورة البقرة ۱۲۵
 (۳) سورة آل عمران ۱۰۶
 (۵) سورة الرعد ۲۳ ، ۲۴
 (۷) سورة الزمر ۳
 (۹) سورة السجدة ۱۲

وقوله : ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ ﴾^(١) ، أى قالوا : قال الحق .

مذرف الفعل

وينقسم إلى عام وخاص :

[الخاص]

فالخاص نحو « أعنى » مضمراً ، وينتصب المفعول به فى المدح ؛ نحو ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾^(٣) ، أى أمدح .

واعلم أنه إذا كان المنعوت متعیناً لم يجوز تقدير ناصب نعتيه بأعنى ؛ نحو الحمد لله الحميد ؛ بل المقدّر فيه ، وفى نحوه أذكر أو أمدح ، فأعرف ذلك . والذم نحو قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرًا أَنَّهُ سَمَّالَةَ أَحْطَبٍ ﴾^(٤) ، فى قراءة النصب ، والأخفش ينصب فى المدح بأمدح ، وفى الذم بأذم .

واعلم أن مراد المادح إبانة المدوح من غيره ، فلا بدّ من إبانة إعرابه عن غيره ، ليدلّ اللفظ على المعنى المقصود ، ويجوز فيه النصب بتقدير أمدح ، والرفع على معنى « هو » ؛ ولا يظهران لثلاثاً بصيراً بمنزلة الخبر .

والذى لا مدح فيه فاخترال العامل فيه واجبٌ ، كاختراله فى « والله لأفعلن » ؛ إذ لو قيل : « أحلف بالله » لكان عدّة لا قسماً .

(٢) سورة البقرة ١٧٧

(٤) سورة الذهب ٤

(١) سورة سبأ ٢٣

(٣) سورة النساء ١٦٢

[العام]

والعام كل منصوب دل عليه الفعل لفظاً ، أو معنى ، أو تقديراً . ويحذف لأسباب :

أحدها : أن يكون مفسراً ، كقوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾^(١) ، ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾^(٢) .

ومنه : ﴿ أَبشراً مِنا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ ﴾^(٣) . ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا ﴾^(٤) . ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾^(٥) . ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ﴾^(٦) . ﴿ إِنْ طَائِفَتَانِ ﴾^(٧) فإنه ارتفع بـ « اقتتل » مقدرًا .

قالوا : ولا يجوز حذف الفعل مع شيء من حروف الشرط العاملة ، سوى « إن » لأنها الأصل .

وجعل ابن الزملاكانى هذا مما هو دائر بين الحذف والذكر ؛ فإن الفعل المفسر كالتسلط على المذكور ؛ ولكن لا يتعين إلا بعد تقدم إبهام ولقد يزيد الإضمار إبهاماً ، إذا لم يكن المضمرة من جنس الملفوظ به ؛ نحو : ﴿ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾^(٨) .

الثاني : أن يكون هناك حرف جرّ ؛ نحو ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾^(٩) فإنه يفيد

(٢) سورة البقرة ٤٠

(٤) سورة الرحمن ٧

(٦) سورة التوبة ٦

(٨) سورة الدهر ٣١

(١) سورة الانشقاق ١

(٣) سورة القمر ٢٤

(٥) سورة التكوير ١

(٧) سورة الحجرات ٩

(٩) سورة الفاتحة ١

أن المراد : بسم الله أقرأ أو أقوم ، أو أقعد عند القراءة ، وعند الشروع في القيام أو القعود ،
أى فعل كان .

واعلم أن النحاة اتفقوا على أن « بسم الله » بمض جملة ، واختلفوا .

فقال البصريون : الجملة اسمية ؛ أى ابتدأت بسم الله .

وقال الكوفيون : الجملة فعلية ، وتابعهم الزمخشري في تقدير الجملة فعلية ؛ ولكن

خالفهم في موضعين : أحدهما أنهم يُقدِّرون الفعل مقدِّماً ، وهو يقدره مؤخراً . والثاني :

أنهم يقدرونه فعل البداية ، وهو يقدره في كل موضع بحسبه ، فإذا قال الذابح : بسم الله ،

كان التقدير : بسم الله أذبح ، وإذا قال القارىء : بسم الله ، فالتقدير : بسم الله أقرأ .

وما قال أجود مما قالوا^(١) ؛ لأن مراعاة المناسبة أولى من إهمالها ، ولأن اسم الله

أهم من الفعل ، فكان أولى بالتقديم ؛ وما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

« باسمك ربى وضعت جنبي » ، فقدم اسم الله على الفعل المتعلق ثم الجار ، وهو

« وضعت » .

الثالث : أن يكون جواباً لسؤال وقع ، كقوله تعالى : ﴿ وَآيِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ وَآيِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا

لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾^(٤) أى بل نتبع .

(٢) سورة لقمان ٢٥

(١) كذا في م ، وفي ت : « مما قالوه » .

(٤) سورة البقرة ١٣٥

(٣) سورة العنكبوت ٦٣

أو جواباً لسؤال مقدر ؛ كقراءة : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ . رِجَالٌ ﴾^(١)
 يبناء الفعل للمفعول ؛ فإن التقدير : يُسَبِّحُهُ رِجَالٌ .

وفيه فوائد : منها الإخبار بالفعل مرتين . ومنها جعل الفضلة عمدة .

ومنها : أن الفاعل فُتِرَ بعد اليأس منه كضالة وجدها بعد اليأس ، ويصح أن

يكون « يُسَبِّحُ » بدل من « يُذَكِّرُ »^(٢) على طريقة : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾^(٣)
 و « له فيها » خبر مبتدأ هو « رجال » .

مثله قراءة من قرأ : ﴿ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلُوا أَوْلَادِهِمْ
 شُرَكَاءَهُمْ ﴾^(٤) ، قال أبو العباس : المعنى زينته شركاؤهم ؛ فيرفع الشركاء بفعل مضمر
 دل عليه « زين » .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾^(٥) إن جعلنا قوله « لله شركاء » مفعولى
 « جعلوا » ، لأن « لله » فى موضع الخبر المنسوخ ، وشركاء نصب فى موضع المبتدأ .
 وعلى هذا فيحتمل وجهين : أحدهما أن يكون مفعولا بفعل محذوف دل عليه سؤال مقدر ،
 كأنه قيل : أ جعلوا لله شركاء ؟ قيل : جعلوا الجن ، فيفيد الكلام إنكار الشركاء مطلقاً ،
 فدخل اعتقاد الشرك من غير الجن فى إنكار دخول اتخاذهم من الجن .

والثانى : ذكره الزمخشري أن الجن بدل من « شركاء » ، فيفيد إنكار الشركاء
 مطلقاً ، كما سبق ، وإن جعل « لله » صلة كان « شركاء الجن » مفعولين ، قدم ثانيهما
 على أولهما ؛ وعلى هذا فلا حذف .

فأما على الوجه الأول فقيل : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ ﴾^(٥) ، ولم يقل : « وجعلوا

(١) سورة النور ٣٦ ، ٣٧

(٢) من قوله تعالى قبلها فى الآية : ﴿ وَيُذَكِّرُ فِيهَا اسْمَهُ يُسَبِّحُ ... ﴾ .

(٣) سورة الأعلى ١

(٤) سورة الأنعام ١٣٧

(٥) سورة الأنعام ١٠٠

الجنّ شركاء لله « تعظيماً لاسم الله تعالى ؛ لأنّ شأن الله أعظمُ في النفوس ؛ فإذا قدم « الله » والكلام فيه يستدعى طلب المجمعول له ما هو ؟ فقيل : شركاء وقع في غاية التشنيع ؛ لأنّ النفس منتظرة لهذا المهمّ المعلق بهذا المعظم نهاية التعظيم ؛ فإذا علم أنه علق به هذا المستبشع في النهاية ، كان أعظم موقِعاً من العكس ؛ لأنّه إذا قيل : وجعلوا شركاء لم يعطه تشوف النفوس ؛ لجواز أن يكون : جعلوا شركاء في أموالهم وصدقاتهم أو غير ذلك .
الثالث : أنّ الجمل غالباً لا يتعلق بالله ويُنخَبِرُ به إلا وهو جعل مستقبّح كاذب ؛ إذ لا يستعمل جعل الله رحمة ومشیئة وعلماً ؛ ونحوه ، لاسيما بالاستقراء القرآني ؛ كـ ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ ﴾ (۱) ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ (۲) إلى غير ذلك .

الرابع : أن أصل الجمل وإن جاز وإسناده إلى الله فيما إذا كان الأمر لاثقا ، فإن بابه مهول ؛ لأن الله تعالى قد علمنا عظيم خطره ، وألا نقول فيه إلا بالعلم ، كقوله : ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (۳) ، ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴾ (۴) ، إلى غير ذلك ، مع ما دلّ عليه الأدب عقلاً ، وكان نفس الجمل مستنكراً إن لم يتبع بمجمعول لائق ، فإذا أتبع بمجمعول غير لائق منهم ثم فسّر بخاص مستنكر ، صار قوله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ ﴾ في قوة إنكار ذلك ثلاث مرات : الأوّل جسارتهم في أصل الجمل ، الثاني في كون المجمعول شركاء ، الثالث في أنهم شركاء جنّ .

الخامس : أن في تقديم « الله » إفادة تخصيصهم إياه بالشركة على الوجه الثالث ، دون جميع ما يعبدون ، لأنه الإله الحق .

السادس : أنه جيء بكلمة « جعلوا » لا « اعتقدوا » ولا « قالوا » لأنه أدلّ على

إثبات المعتقد ، لأنه يستعمل في الخلق والإبداع .

(۲) سورة النحل ۶۲

(۴) سورة النجم ۲۸

(۱) سورة النحل ۵۷

(۳) سورة البقرة ۱۶۹

السابع : كلمة « شركاء » ولم يقل « شريكاً » وفاقاً لمزيد ما فتحوا من اعتقادهم .
الثامن : لم يقل « جنّاً » ، وإنما قال « الجن » ، دلالة على أنهم اتخذوا الجن كلها جعلوه من حيث هو صالح لذلك ؛ وهو أقبح من التنكير الذى وضعه للمفردات المعدولة .

الرابع : أن يدلّ عليه معنى الفعل الظاهر ؛ كقوله تعالى : ﴿ اٰتَوْا خَيْرًا لَّكُمْ ﴾^(۱) ،
أى واثقوا أمراً خيراً لكم ؛ فعند سيبويه أن « خيراً »^(۲) انتصب بإضمار « ائت » لأنه
لانهاء علم أنه يأمره بما هو خير ؛ فكأنه قال : « واثقوا خيراً » ؛ لأن النهى عن الشيء
أمرٌ بضده ؛ ولأن النهى تكليف ، وتكليف العدم محال ؛ لأنه ليس مقدوراً ، فثبت أن
متعلق التكليف أمر وجودى ، ينافى النهى عنه وهو الضد .

وحمله الكسائى على إضمار « كان » أى يكن الانتهاء خيراً لكم . ويمنعه إضمار
كان ، ولا تضر في كل موضع ، ومن جهة المعنى إذ من ترك ما نهى عنه فقد سقط عنه
اللوم وعلم أن ترك النهى عنه خير من فعله ، فلا فائدة في قوله « خيراً » .

وحمله الفراء على أنه صفة لمصدر محذوف ، أى انتهوا انتهاء خيراً لكم . وقال : إن
هذا الحذف لم يأت إلا فيما كان أفعال ، نحو خير لك ، وأفعل .

ورد مذهبه ومذهب الكسائى بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً اٰتَوْا خَيْرًا
لَّكُمْ ﴾^(۳) ، لو حُجِلَ على ما قال لا يكون خيراً ، لأن من انتهى عن التثليث وكان معطلا
لا يكون خيراً له . وقول سيبويه : واثت خيراً يكون أمراً بالتوحيد الذى هو خير .
فله در الخليل وسيبويه ، ما أطلعهما على المعانى !

(۲) الكتاب ۱ : ۱۴۳

(۱) سورة النساء ۱۷۱

(۳) سورة النساء ۱۷۱

وقوله : ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾^(١) ، إن لم يجعل مفعولاً معه ، أى وادعوا شركاءكم ، وبإظهار « ادعوا » قرأ أ. ، وكذلك هو مثبت فى مصحف ابن مسعود .
 وقوله تعالى : ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾^(٢) ، قال ابن السجري : معناه مال عليهم يضربهم ضرباً . ويجوز نصبه على الحال ؛ نحو أتته مشياً ، أى ماشياً .
 ﴿ثُمَّ أَدْعُنَّ يَا تُبْنَكَ سَعِيًّا﴾^(٣) أى ساعيات . وقوله : « باليمين » إما اليد أو القوة .
 وجوز ابن السجري إرادة القسم والباء للتعليل ؛ أى لليمين التى حلفها ، وهى قوله تعالى :
 ﴿لَا كَيْدَنَّا أَصْنَامَكُمُ﴾^(٤) .
 وزعم النووى فى قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا تَقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةَ﴾^(٥) ، أن التقدير
 ليكن منكم طاعة معروفة .

الخامس : أن يدل عليه العقل كقوله تعالى : ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ﴾^(٦) ، أى فضرب فانفجرت .
 وقوله : ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ . . . فَفَتَحْنَا﴾^(٧) ، قال النحاس : التقدير فنصرناه ففتحنا أبواب السماء ؛ لأن ما ظهر من الكلام يدل على ما حذف .
 وقوله : ﴿يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَمْجُرٍ﴾^(٨) أى يكتب بذلك كلمات الله مانفدت ،
 قاله أبو الفتح .

وقوله : ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾^(٩) .
 فقوله : « ثم أحياهم » معطوف على فعل محذوف تقديره فماتوا ثم أحياهم ، ولا يصح

(٢) سورة الصافات ٩٣

(٤) سورة الأنبياء ٥٧

(٦) سورة البقرة ٦٠

(٨) سورة لقمان ٢٧

(١) سورة يونس ٧١

(٣) سورة البقرة ٢٦٠

(٥) سورة النور ٥٣

(٧) سورة القمر ١٠ ، ١١

(٩) سورة البقرة ٢٤٣

عطف قوله : « ثم أحييهم » على قوله : موتوا » لأنه أمر ، وفعل الأمر لا يعطف على الماضي .

وقوله : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ ﴾^(١) ، أى فاختلّفوا فبعث ، وحذف لدلالة قوله : ﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾^(١) ، وهى فى قراءة عبد الله كذلك^(٢) .

وقيل : تقديره كان الناس أمة واحدة كفاراً ، فبعث الله النبيين ، فاختلّفوا . والأول أوجه .

وقوله : ﴿ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾^(٣) ، فالهمزة للإنكار ، والواو للعطف ، والمعطوف عليه محذوف تقديره : أ كذبتُم وعجبتم أن جاءكم .

وقوله : ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾^(٤) ، هو معطوف على محذوف سد مسدّه حرف الإيجاب ؛ كأنه قال إيجاباً لقولهم : ﴿ إِنْ لَنَا لَأَجْرًا ﴾^(٥) ، نعم إن لكم أجراً وإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾^(٦) ، أى فافطر فعده ، خلافاً للظاهرية حيث أوجبوا الفطر على المسافر أخذاً من الظاهر .

وقوله : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ ﴾^(٧) ، أى فخلق ففدية .

وقوله : ﴿ فَكُلْنَا مِنْ ثَمَرِهِمْ وَبَعَضَ مِنْهُمُ الْيَهُودَ ﴾^(٨) ، قال الزمخشري : التقدير فضرّبوه فحبي ،

(١) سورة البقرة ٢١٣

(٢) أى « كان الناس أمة واحدة فاختلّفوا فبعث الله » وانظر الكشاف ٢ : ١٩٤

(٣) سورة الأعراف ٦٣

(٤) سورة الأعراف ١١٣

(٥) سورة البقرة ١٨٤

(٦) سورة البقرة ١٩٦

(٧) سورة البقرة ٧٣

فحذف ذلك لدلالة قوله : ﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾ (١) .
وزعم ابن جنى أن التقدير في قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ (٢)
أن التقدير فكيف يكون إذا جئنا .

السادس : أن يدلّ عليه ذكره في موضع آخر ، كقوله : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾ (٣) ،
قال الواحدى : هو بإضمار « اذكر » ، ولهذا لم يأت لإذ بجواب . ومثله قوله تعالى :
﴿ وَإِلَىٰ أُمُودٍ أَهْلُهُمْ صَالِحًا ﴾ (٤) ، وليس شيء قبله تراه ناصبال « صالحًا » ، بل علم
بذكر النبي والمرسل إليه أن فيه إضمار « أرسلنا » .

وقوله : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ ﴾ (٥) أى وسخرنا .

ومثله : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾ (٦) ﴿ وَذَا النُّونِ ﴾ (٧) .

وكذا : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ﴾ (٨) ، أى واذا كر .

قال : ويدل على « اذكر » في هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ
قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٩) ، ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾ (١٠) .

وما قاله ظاهر ، إلا أن مفعول « اذكر » يكون محذوفاً أيضاً تقديره : ﴿ واذكروا
أخالكم » ونحوه إذا كان كذا ، وذلك ليكون « إذ » في موضع نصب على الظرف ،
ولو لم يقد ذلك المحذوف لزم وقوع « إذ » مفعولاً به ؛ والأصح أنها لا تفارق الظرفية .

- (٢) سورة النساء ٤١
(٤) سورة هود ٦١
(٦) سورة الأنبياء ٧٦
(٨) سورة الأنبياء ٧٨
(١٠) سورة الأعراف ٨٦

- (١) سورة البقرة ٧٣
(٣) سورة البقرة ٧٢
(٥) سورة الأنبياء ٨١
(٧) سورة الأنبياء ٨٧
(٩) سورة الأنفال ٢٦

السابع : المشاكلة ، كحذف الفاعل في « بسم الله » لأنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه سوى ذكر الله ؛ فلو ذكر الفعل وهو لا يستغنى عن فاعله كان ذلك مناقضاً للمقصود ، وكان في حذفه مشاكلة اللفظ للمعنى ؛ ليكون المبدوء به اسم الله كما تقول في الصلاة : الله أكبر ، ومعناه « من كل شيء » ، ولكن لا تقول هذا المقدّر ليكون اللفظ في اللسان مطابقاً لمقصود الجنان ؛ وهو أن يكون في القلب ذكر الله وحده . وأيضاً فلأن الحذف أعم من الذكر ؛ فإن أي فعل ذكرته كان المحذوف أعم منه ؛ لأن التسمية تشرع عند كل فعل .

الثامن : أن يكون بدلا من مصدره ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَضْرَبَ الرَّقَابِ ﴾^(١) ، وقوله : ﴿ فَأَيُّ مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءً ﴾^(٢) ؛ أي فإما أن تمنؤا ، وإما أن تفادوا .

وقد اختلف في نصب « السلام » في قوله تعالى في سورة هود : ﴿ وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا ﴾^(٣) وفي الذاريات : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ﴾^(٤) ؛ وفي نصبها وجهان :

أحدهما : أن يكون منصوباً بالقول ، أي يذكرون قولاً « سلاماً » فيكون من قلت حقا وصدقا .

الثاني : أن يكون منصوباً بفعل محذوف تقديره : فقالوا سلمنا سلاما ، أي سلمنا تسليما ؛ فيكون قد حكى الجملة بعد القول ، ثم حذفها واكتفى ببعضها .

والحاصل أنه هل هو منصوب بالقول ، أو بكونه مصدرا لفعل محذوف ؟

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾^(٥) ،

(٢) سورة القتال ٤

(٤) سورة الذاريات ٢٤ ، ٢٥

(١) سورة القتال ٤

(٣) سورة هود ٦٩

(٥) سورة النحل ٣٠

منصوب ، « بقالوا » كقولك فقلت حقاً ، أو منصوب بفعل مضمرة أى قالوا: أنزل خيراً ، من باب حذف الجملة المحكيّة وتبقيّة بعضها .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾^(١) فمرفوع ؛ لأنه لا يمكن نصبه على تقدير « قالوا أساطير الأولين » ، لأنهم لم يكونوا يرونه من عند الله حتى يقولوا ذلك ، ولا هو أيضاً من باب : قلت حقاً وصدقاً ، فلم يبق إلا رفعه .

تنبيه

قد يشتبه الحال في أمر المحذوف وعدمه لعدم تحصيل معنى الفعل ، كما قالوا في قوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾^(٢) ، فإنه قد يظن أن الدعاء فيه بمعنى النداء ؛ فلا يقدر في الكلام حذف ، وليس كذلك ، وإلا لزم الاشتراك إن كانا متفاوتين ، أو عطف الشيء على نفسه ؛ وإنما الدعاء هنا بمعنى التسمية التي تتعدى لمفعولين ، أى سموه الله أو الرحمن .

وقد يشتبه في تعيين المحذوف لقيام قرينتين ، كقوله تعالى : ﴿ بَلَى قَادِرِينَ ﴾^(٣) قدره سيبويه بـ « بلى نجمها قادرين » ، فقادرين حال وحذف الفعل لدلالة : ﴿ أَنْ لَنْ نَجْمَعَنَّ ﴾^(٤) عليه^(٥) .

وقدره الفراء « نحسب » لدلالة ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ ﴾^(٤) أى بلى نحسبنا قادرين .

(٢) سورة الإسراء ١١٠

(٤) سورة القيامة ٣

(١) سورة النحل ٢٤

(٣) سورة القيامة ٤

(٥) الكتاب ١ : ١٧٣

وتقدير سيبويه أولى؛ لأن «بلى» ليس جواباً لـ «يحسب» وإنما هو جواب لـ «أن لن يجمع»
وقدره بعضهم: بلى تقدر قادرين .

وقيل: منصوب، لوقوعه موقع الفعل، وهو باطل؛ لأنه ليس من نواصب الاسم ووقوعه
موقع الفعل .

تنبیه آخر

إن الحذف على ضربين: أحدهما ألا يقام شيء مقام المحذوف كما سبق. والثاني: أن
يقام مقامه ما يدل عليه، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ
إِلَيْكُمْ﴾^(۱)؛ ليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على قولهم؛ فالتقدير: فإن تولوا
فلا ملام على، لأنى قد أبلغتكم .

وقوله: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(۲) فلا تحزن واصبر.
وقوله: ﴿وَإِنْ يَعْزُبُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾^(۳)، أى بصيبتهم ما أصاب الأولين.

حذف الحرف

قال أبو الفتح في «المحتسب»: أخبرنا أبو علي قال: قال أبو بكر بن السراج:
حذف الحرف ليس يقاس، وذلك لأن الحرف نائب عن الفعل بفاعله، ألا تراكم إذا قلت:
ما قام زيد، فقد نابت «ما» عن «أننى» كما نابت «إلا» عن «أستثنى»، وكان نابت الهمزة
وهل عن «أستفهم»، وكان نابت حروف العطف عن «أعطف»، ونحو ذلك. فلو ذهبت

(۲) سورة فاطر ۴

(۱) سورة هود ۵۷

(۳) سورة الأنفال ۳۸

تُحذف الحرف ؛ لكان ذلك اختصاراً ، واختصارُ المختصرِ إجحافٌ به ؛ إلا إذا صحَّ التوجُّه إليه ، وقد جاز في بعض الأحوال حذفه لقوة الدلالة عليه . انتهى .

فمنه الواو ، تُحذف لقصد البلاغة ؛ فإن في إثباتها ما يقتضى تغيير المتعاطفين فإذا حذفت أشعر بأن الكل كالواحد : كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مِن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِن أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾^(١) ؛ تقديره : ولا يألونكم خبالاً .

وقوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَرْمِئُونَ نَاعِمَةً ﴾^(٢) ، أى ووجوه :

وخرج عليه الفارسي قوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا . . . ﴾^(٣) الآية . وقال : تقديره : « وقلت لا أجد » فهو معطوف على قوله : « أتوك » لأن جواب « إذا » قوله : ﴿ تَوَلَّوْا ﴾ .

ومنه ابن الشجري في أماليه ؛ وعلى هذا فلا موضع له من الإعراب ، لأنه معطوف على الصلة ؛ والصلة لا موضع لها من الإعراب ، فكذلك ما عطف عليها .

وقال الزمخشري : هي حال من الكاف في « أتوك » ، « وقد » قبله مضمرة كافي قوله : ﴿ وَأَوْ جَاءُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾^(٤) ، أى إذا ما أتوك قائلاً : لا أجد تَوَلَّوْا^(٥) . وعلى هذا فله موضع من الإعراب لأنه حال .

قال السهيلي في أماليه : ليس معنى الآية كما قالوا ؛ لأن رفع الحرج عن القوم ليس مشروطاً بالبكاء عند التولى ؛ وإنما شرطه عدم الجدة ، ونزلت في السبعة الذين سمي أبو إسحاق ؛ ولو كان جواب « إذا أتوك » في قوله : ﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ ﴾^(٦) لكان مَنْ لَمْ تَفِضْ عَيْنَاهُ مِنَ الدَّمْعِ هُوَ الَّذِي حَرَجَ وَأَثِمَ ؛ وما رفع الله الحرج عنهم إلا لأن الرسول

(٢) سورة الفاشية ٨

(٤) سورة النساء ٩٠

(٦) سورة التوبة ٩٢

(١) سورة آل عمران ١١٨

(٣) سورة التوبة ٩٢

(٥) الكشاف ٢ : ٢٣٦

لم يجد ما يحملهم عليه . وإذا عطفت « قلت لا أجد » على « أتوك » كان الحرج غير مرفوع عنهم حتى يقال : ﴿ وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ ﴾^(۱) ، فجواب « إذا » في قوله « لا أجد » ، وما بعد ذلك خبر ونبأ على هؤلاء السبعة الذين كانوا سبب نزول هذه الآية ، ففضيلة البكاء مخصوصة بهم ، ورفع الحرج بشرط عدم الجدة عام فيهم وفي غيرهم .

وقال الواحدى في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾^(۲) : آية البقرة في مصاحف الشام بغير واو - يعنى قراءة ابن عامر - لأن هذه الآية ملايسة لما قبلها من قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾^(۳) لأن القائلين : « اتخذ الله ولداً » من جملة المتقدم ذكرهم ، فيستغنى عن ذكر الواو لاتباس الجملة بما قبلها ، كما استغنى عنها في نحو قوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(۴) ، ولو كان « وهم » كان حسناً ؛ إلا أن التباس إحدى الجملتين بالأخرى وارتباطها بها أغنى عن الواو .

ومثله : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْبُهُمْ ﴾^(۵) ولم يقل : « ورابعهم » كما قال : ﴿ وَثَامِنُهُمْ ﴾^(۵) ولو حذف الواو منها كما حذف من التي قبلها واستغنى عن الواو بالملايسة التي بينهما كان حسناً . ويمكن أن يكون حذف الواو لاستثناف الجملة ، ولا يهذف على ما تقدم . انتهى .

وحصل من كلامه أنه عند حذف الواو يجوز أن يلاحظ معنى العطف ، ويكتفى للربط بينهما وبين ما قبلها بالملايسة كما ذكر . ويجوز ألا يلاحظ ذلك ؛ فتكون الجملة مستأنفة .

قال ابن عمرون : وحذف الواو في الجمل أسهل منه في المفرد ، وقد كثر حذفها في الجمل

(۲) سورة البقرة ۱۱۶

(۴) سورة البقرة ۳۹

(۱) سورة التوبة ۹۲

(۳) سورة البقرة ۱۱۴

(۵) سورة الكهف ۲۲

في الكلام المحمول بعضه على بعض، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ . قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ . قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ . قَالَ إِنْ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ . قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾^(۱) كله محمول بعضه على بعض، والواو مزيدة، حذف لاستقلال الجمل بأنفسها بخلاف المفرد؛ ولأنه في المفرد ربما أوقع لبساً في نحو « رأيت زيدا ورجلا عاقلا »؛ ولو^(۲) جاز حذف الواو احتمال أن يكون «رجلا» بدلا بخلاف الجملة .

وقريب منه قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ﴾^(۳) ،
أى : وقال .

ومنه الفاء في جواب الشرط على رأى ، وخرج عليه قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾^(۴) أى فالوصية .

والفاء في العطف كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا اتَّخَذْنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(۵) ، تقديره « فقال أعوذ بالله » ، ذكره ابن السجري في أماليه .

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾^(۶) حذف حرف العطف من قوله: ﴿قال﴾ ولم يقل: « فقال » كما في قصة^(۷) نوح؛ لأنه على تقدير سؤال سائل قال: ما قال لهم هود؟ فقيل: قال يا قوم اعبدوا الله واتقوه .

(۲) ت : « فلو » .

(۱) سورة الشعراء ۲۳ - ۲۸

(۴) سورة البقرة ۱۸۰

(۳) سورة القصص ۷۹

(۶) سورة الأعراف ۶۵

(۵) سورة البقرة ۶۷

(۷) من قوله تعالى في الأعراف ۵۹: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ ...﴾

ومنه حذف همزة الاستفهام ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا
قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾^(١) ، أى أهداربي ؟

وقوله : ﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾^(٢) أى أفمن نفسك^(٣) !

وقوله : ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمَّتْهَا عَلَيَّ ﴾^(٤) أى أو تلك نعمة !

وقوله : ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ﴾^(٥) على قراءة ابن كثير بكسر الهمزة ، على خلاف

في ذلك جميعه .

ومنه حذف ألف ما الاستفهامية مع حرف الجر للفرق بين الاستفهامية والخبرية كقوله

تعالى : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُونِ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ ﴾^(٦) ، ﴿ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ﴾^(٧) ، ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾^(٨) ،
و ﴿ مِمَّ خَلِقَ ﴾^(٩) .

ومنه حذف الياء في ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾^(١٠) للتخفيف ورعاية الفاصلة .

ومنه حذف حرف النداء ، كقوله : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ ﴾^(١١) ، أى يا هؤلاء .

وقوله : ﴿ يُوْسُفُ ﴾^(١٢) ، أى يا يوسف .

وقوله : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ ﴾^(١٣) ، أى يا رب .

ويكثر في المضاف نحو : ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ ﴾^(١٤) . ﴿ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً ﴾^(١٥)

وكثر ذلك في نداء الرب سبحانه ؛ وحكمة ذلك دلالة على التعظيم والتنزيه ؛ لأن

النداء يتشرب معنى الأمر ؛ لأنك إذا قلت : يا زيد ، فمعناه أدعوك يا زيد ، فحذفت «يا»

من نداء الرب ؛ ليزول معنى الأمر ، ويتمحض التعظيم والإجلال .

- | | |
|---|-----------------------|
| (١) سورة الأنعام ٧٦ | (٢) سورة النساء ٧٩ |
| (٣) ذكره أبو حيان في البحر ٣ : ٣٠١ ، والقرطبي ٥ : ٢٨٥ | (٤) سورة الشعراء ٢٢ |
| (٥) سورة يوسف ٩٠ | (٦) سورة البقرة ٩١ |
| (٦) سورة البقرة ٩١ | (٧) سورة النازعات ٤٣ |
| (٧) سورة البقرة ٩١ | (٨) سورة النبأ ١ |
| (٨) سورة النبأ ١ | (٩) سورة الطارق ٥ |
| (٩) سورة النبأ ١ | (١٠) سورة الفجر ٤ |
| (١٠) سورة الفجر ٤ | (١١) سورة آل عمران ٦٦ |
| (١١) سورة يوسف ٢٩ | (١٢) سورة يوسف ٢٩ |
| (١٢) سورة يوسف ٢٩ | (١٣) سورة مريم ٤ |
| (١٣) سورة يوسف ٢٩ | (١٤) سورة يوسف ١٠١ |
| (١٤) سورة يوسف ١٠١ | (١٥) سورة المائدة ١١٤ |

وقال الصفار: يجوز حذف حرف النداء من المنادى، إلا إذا كان المنادى نكرة مقبلا عليها؛ إذ لا دليل عليه؛ وإلا إذا كان اسم إشارة.

ومنه حذف «لو» في قوله تعالى: ﴿مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(۱)، تقديره: لو كان معه إله لذهب كل إله بما خلق.

وقوله: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَنْ لَأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾^(۲)، معناه لو كان كذلك لارتاب المبطلون.

ومنه حذف «قد» في قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ﴾^(۳)، أى وقد اتبعك؛ لأن الماضى لا يقع موقع الحال إلا و «قد» معه ظاهرة أو مقدره.

ومثلها: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَانًا﴾^(۴) أى وقد كنتم.

وقوله: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾^(۵) قيل معناه «قد حصرت» بدلالة قراءة يعقوب. «حَصِرَةٌ صُدُورُهُمْ». وقال الأخفش: الحال محذوفة، و «حصرت

صدورهم» صفتها؛ أى جاءوكم يوماً حصرت؛ دعاء عليهم بأن تُحصِرَ صدورهم عن قتالهم لقومهم طريقته قاتلهم الله. وردّه أبو عليّ بقوله أى قاتلوا قومهم فلا يجوز أن يدعى

عليهم بأن تحصر صدورهم عن قتالهم لقومهم؛ لكن بقول: اللهم ألق بأسهم بينهم.

ومنه حذف «أن» في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْآبِقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾^(۶)،

المعنى أن يريكم.

(۲) سورة العنكبوت ۴۸

(۴) سورة البقرة ۲۸

(۶) سورة الروم ۲۴

(۱) سورة المؤمنون ۹۱

(۳) سورة الشعراء ۱۱۱

(۵) سورة النساء ۹۰

وحذف « لا » في قوله : ﴿ تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذٰكُرُ ﴾^(١) ، أى لا تفقأ ، لأنها ملازمة للنفي ومعناها لا تبرح .

قوله : ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًۭا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾^(٢) ، أى لا تميد .

وقوله : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ﴾^(٣) ، أى لا تبوء .

وبهذا يزول الإشكال من الآية : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ ﴾^(٤) أى

لا يطيقونه ، على قول .

قائده

[في حذف الجار ثم إيبصال الفعل إلى المجرور]

كثر في القرآن حذف الجار ، ثم إيبصال الفعل إلى المجرور به ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ ﴾^(٥) ، أى من قومه .

﴿ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَاجَاتٍ ﴾^(٦) .

﴿ لَا تَعَزِمُوا عَقْدَةَ النَّكَاحِ ﴾^(٧) ، أى على عقدة .

﴿ إِنَّمَا ذٰلِكُمُ الشَّيْطٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ ﴾^(٨) ، أى يخوفكم بأوليائه ، ولذلك قال :

﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ ﴾^(٨) .

﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾^(٩) ، أى يبغون لها .

- (٢) سورة النحل ١٥
(٤) سورة البقرة ١٨٤
(٦) سورة البقرة ٢٥٣
(٨) سورة آل عمران ١٧٥

- (١) سورة يوسف ٨٥
(٣) سورة المائدة ٢٩
(٥) سورة الأعراف ١٥٥
(٧) سورة البقرة ٢٣٥
(٩) سورة الأعراف ٤٥

﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَا هُ ﴾^(۱) أى قدرنا له .

﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ﴾^(۲) أى على سيرتها .

فصل

[فيما حذف في آية وأثبت في أخرى]

من الأنواع ما حذف في آية ، وأثبت في أخرى ؛ وهو قسمان :

أحدهما : أن يكون ما حذف منه محمولا على المذكور ؛ كالمطلق في الرقبة^(۳) في كفارة

لظهار ، مقيدا بالمؤمنة في كفارة القتل^(۴) .

وكقوله : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾^(۵) ، قيدت بالتشبيه في موضع آخر^(۶) .

ومنه قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنْ

الغمامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾^(۷) وقوله في سورة النحل : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ

أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ ﴾^(۸) ، فإن هذه تقتضى أن الأولى على حذف مضاف .

(۳) - سورة طه ۲۱

(۱) سورة يس ۳۹

(۲) وذلك قوله تعالى في سورة المجادلة ۳ : ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ

إِلَيْهَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ﴾ .

(۴) وذلك قوله تعالى في سورة النساء ۹۲ : ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ ﴾ .

(۵) سورة آل عمران ۱۳۳

(۶) وذلك قوله تعالى في سورة الحديد ۲۱ : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

(۸) النحل ۳۳

(۷) سورة البقرة ۲۱۰

والقسم الثاني : لا يكون مرادا . فمنه قوله تعالى في سورة المؤمنين : ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾^(١) ، وفي الزخرف : ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾^(٢) .

وقوله في البقرة : ﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٣) وفي سورة الأعراف : ﴿ أُولَئِكَ كَانُوا لَنَا نَعِيمًا بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾^(٤) .

وحكمته أنه قد اختلف الخبران في سورة البقرة ؛ فلذلك دخل العاطف ، بخلاف الخبرين في الأعراف ؛ فإنهما متفقان لأن التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم واحد ؛ فكانت الجملة الثالثة مقررة ما في الأولى فهي من العطف بمعزل .

ومنه قوله تعالى في البقرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴿٥﴾ وَقَالَ فِي يَس : ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾^(٦) مع العاطف ، وحكمته أن ما في يس وما بعده جملة معطوفة على جملة أخرى ، فاحتاجت إلى العاطف . والجملة هنا ليست معطوفة ، فهي من العطف بمعزل .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ﴾^(٧) فأثبت الواو في الأعراف ، وحذفها في الكهف ، فقال : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْهُدَىٰ ﴾^(٨) والفرق بينهما أن الذي في الأعراف خطاب لجمع ، وأصله « تدعونهم » ، حذف للجزم ، والتي في الكهف خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو واحد ، وعلامة الجزم فيه سقوط الواو . ومنه في آل عمران : ﴿ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾^(٩) وفي فاطر :

(٢) سورة الزخرف ٧٣
(٤) سورة الأعراف ١٧٩
(٦) سورة يس ١٠
(٨) سورة الكهف ٥٧

(١) سورة المؤمنون ١٩
(٣) سورة البقرة ٥
(٥) سورة البقرة ٦
(٧) سورة الأعراف ١٩٣
(٩) سورة آل عمران ١٨٤

﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾^(١) والفرق أن الأولى حذف الباء ففيها للاختصار استغناء بالتي قبلها ، وخرجت عن الأصل للتوكيد ، وتقدير المعنى كما تقول : مررت بك وبأخيك وبأبيك ؛ إذا اختصرت .

ومنه قوله في قصة ثمود : ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾^(٢) ، وفي قصة شعيب : ﴿وَمَا أَنْتَ﴾^(٣) بالواو ، والفرق أن الأولى جرى على انقطاع الكلام عند النحويين ، واستثناف ﴿مَا أَنْتَ﴾ ، فاستغنى عن الواو لما تقرر من الابتداء ، وفي الثانية جرى في العطف ، وأن يكون قوله : ﴿وَمَا أَنْتَ﴾ معطوفا على ﴿إِنَّمَا أَنْتَ﴾^(٤) .

ومنه قوله تعالى في سورة النحل : ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾^(٥) ، وفي سورة النمل ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ﴾^(٦) ، بإثبات النون ، وحكمته أن القصة لما طالت في سورة النحل ناسب التخفيف بحذف النون ، بخلافه في سورة النمل ؛ فإن الواو استثنائية ، ولا تعلق لها بما قبلها .

وقوله في البقرة : ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفْتَرِينَ﴾^(٧) ، وفي آل عمران : ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُفْتَرِينَ﴾^(٨) ؛ وحكمته أن الخطاب في البقرة لليهود وهم أشد جدالا .

ومنه قوله في الأعراف : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾^(٩) وفي الأنعام : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾^(١٠) .

(٢) سورة الشعراء ١٥٤

(١) سورة فاطر ٢٥

(٣) سورة الشعراء ١٨٦

(٤) في الآية التي قبل من سورة الشعراء ١٨٥ ، وهي : ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ .

(٦) سورة النمل ٧٠

(٥) سورة النحل ١٢٧

(٨) سورة آل عمران ٦٠

(٧) سورة البقرة ١٤٧

(١٠) سورة الأنعام ١٣٠

(٩) سورة الأعراف ١٧٢

ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(۱)، وفي سورة آل عمران: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾^(۲). والحكمة فيه أن الجملة في آل عمران خرجت مخرج الشرط، وهو عام، فناسب أن يكون النفي بصيغة التنكير؛ حتى يكون عاما، وفي سورة البقرة جاء عن أناس معهودين؛ وهو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، فناسب أن يؤتى بالتعريف، لأن الحق الذي كان يستباح به قتل الأنفس عندهم كان معروفا، كقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾^(۳)، فالحق هنا الذي تقتل به الأنفس معهود معروف، بخلاف ما في سورة آل عمران.

ومنه قوله تعالى في هود حاكيا عن شعيب: ﴿وَيَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(۴)، وأمر نبينا صلى الله عليه وسلم أن يقول لقريش: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(۵).

ويمكن أن يقال: لما كررت مراجعته لقومه، ناسب اختصاص قصته بالاستئناف الذي هو أبلغ في الإنذار والوعيد؛ وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فكانت مدة إنذاره لقومه قصيرة، فعقب عملهم على مكافاتهم بوعيدهم بالفاء؛ إشارة إلى قرب نزول الوعيد لهم بخلاف شعيب، فإنه طالت مدته في قومه، فاستأنف لهم ذكر الوعيد.

ولعل قوم شعيب سألوه السؤال المتقدم، فأجابهم بهذا الجواب، والفاء لا تحسن فيه، والنبى صلى الله عليه وسلم لم يقل ذلك جوابا للسؤال، ولا يحسن معه الحذف.

ومنه أنه تعالى قال في خطاب المؤمنين: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ

(۲) سورة آل عمران ۲۱

(۴) سورة هود ۹۳

(۱) سورة البقرة ۶۱

(۳) سورة المائدة ۴۵

(۵) سورة النحل ۵۵

عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١﴾ ، إلى أن قال : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ ﴿٢﴾ ، وقال في خطاب الكافرين : ﴿ يَدْعُواكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ ﴿٣﴾ ، ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ ﴿٤﴾ .

قال الزمخشري في تفسير سورة إبراهيم (٥) : ما علمته جاء الخطاب هكذا في القرآن إلا في خطاب الكافرين ، وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ، ولثلا يسوى بين الفريقين في الميعاد .

واعترض الإمام فخر الدين بأن هذا التبعيض إن حصل فلا حاجة إلى ذكر هذا الجواب ، وإن لم يحصل كان هذا الكلام فاسداً .

وقال الشيخ أمير الدين أبو حيان في تفسيره (٦) : ويقال : ما فائدة الفرق في الخطاب والمعنى مشترك ؟ إذ الكافر إذا آمن والمؤمن إذا تاب مشتركان في الغفران ، وما تخيلات فيه مغفرة بعض الذنوب من (٧) الكافر إذا هو آمن (٨) ، موجود في المؤمن إذا تاب . وسيأتي بسط الكلام على ذلك في آخر الكتاب .

الإيجاز

وهو قسم من الحذف ، ويسمى إيجاز القصر ؛ فإن الإيجاز عندهم قسمان : وجيز

بلفظ ، وجيز بحذف .

(٢) سورة الصف ١٢

(٥) سورة الأحقاف ٣١

(٦) البحر المحيط ٦ : ٤٠٩

(٨) البحر : « الذي هو آمن » .

(١) سورة الصف ١٠

(٣) سورة إبراهيم ١٠

(٥) الكشاف ٢ : ٤٢٣

(٧) البحر : « في » .

فالوجيز باللفظ أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقلّ من القدر^(١) المهور عادة ؛
وسبب حسنه أنه يدلُّ على التمكن في الفصاحة ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « أوتيت
جوامع الكلم » .

واللفظ لا يخلو إما أن يكون مساويا لمعناه وهو المقدر ؛ أو أقل منه وهو المقصور .
أما المقدر فكقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ... ﴾^(١) الآية .
وقوله : ﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾^(٢) ، وهو كثير .

وأما المقصور ؛ فإما أن يكون نقصان لفظه عن معناه لا حتمال لفظه لمعان كثيرة ، أو لا

الأول كاللفظ المشترك الذي له مجازان ، أو حقيقة ومجاز إذا أريد معانيه ؛ كما في قولا
تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾^(٣) ؛ فإن الصلاة من الله مغايرة للصلاة
من الملائكة ، والحق أنه من القدر المشترك وهو الاعتناء والتعظيم .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ ... ﴾^(٤) الآية ؛
فإن السجود في الكل يجمعه معنى واحد ؛ وهو الانقياد .

والثاني كقوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٥) .
وقوله : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾^(٦) .

(٢) سورة عبس ١٧
(٣) سورة الحج ١٨
(٦) سورة الأنعام ٨٢

(١) سورة النحل ٩٠
(٣) سورة الأحزاب ٥٦
(٥) سورة الأعراف ١٩٩

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾^(۱) ، إذ معناه كبير ، ولفظه يسير .

وقد نُظِرَ لقول العرب : «القتل أنفى للقتل» ؛ وهو بنون ثم فاء ، ويروى بباء ثم قاف ويروى «أوقى» . والمعنى أنه إذا أقيم وتحقق حكمه خاف من يريد قتل أحد أن يقتص منه ، وقد حكاها الحوفي في تفسيره عن علي بن أبي طالب ، وقال : قولُ علي في غاية البلاغة ؛ وقد أجمع الناس على بلاغته وفصاحته ؛ وأبلغ منه قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾^(۲) وقد تكلموا في وجه الأبلغية ، انتهى .

وقد أشار صاحب «المثل السائر» إلى إنكار ذلك ، وقال : لانسبة بين كلام الخالق عز وجل وكلام المخلوق ؛ وإنما العلماء يقدحون أذهانهم فيما يظهر لهم من ذلك . وهو كما قال ، وكيف يقابل المعجز بغيره مفاضلة ، وهو منه في مرتبة العجز عن إدراكه :

وَمَاذَا يَقُولُ الْقَائِلُونَ إِذَا بَدَأَ جَمَالُ خَطَابٍ فَاتَ فَعَهُمَ الْخَلَّائِقُ

وجملة ما ذكروا في ذلك وجوه :

أحدها أن قوله : ﴿الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أوجز ؛ فإن حروفه عشرة ، وحروف «القتل أنفى للقتل» أربعة عشر حرفاً ، والتاء وألف الوصل ساقطان لفظاً ، وكذا التنوين لتمام الكلام المقتضى للوقف .

الثاني : أن قولهم فيه كلفة بتكرير القتل ، ولا تكرير في الآية .

الثالث : أن لفظ «القصاص» فيه حروف متلازمة ؛ لما فيه من الخروج من القاف إلى الصاد ، إذ القاف من حروف الاستعلاء ، والصاد من حروف الاستعلاء والإطباق ؛

(۱) سورة البقرة ۱۷۹

(۲) انظر الجزء الثاني ص ۱۲۵ من كتاب المثل السائر .

بجلاف الخروج من القاف إلى التاء ، التي هي حرف منخفض ، فهو غير ملائم ، وكذا الخروج من الصاد إلى الحاء أحسن من الخروج من اللام إلى الهمزة ، لبعدها دون طرف اللسان وأقصى الحلق .

الرابع : في النطق بالصاد والحاء والتاء حسن الصوت ، ولا كذلك تكرير القاف والفاء .

الخامس : تكرير ذلك في^(١) كلمتين متماثلتين بعد فصل طويل ، وهو ثقل في الحروف أو الكلمات .

السادس : الإثبات أول والنفي ثان عنه ؛ والإثبات أشرف .

السابع : أن القصاص المبني على المساواة أوزن في المعادلة من مطلق القتل ، ولذلك يلزم التخصيص ، بجلاف الآية .

الثامن : الطباع أقبل للفظ « الحياة » من كلمة « القتل » ، لما فيه من الاختصار ، وعدم تكرار الكلمة ، وعدم تنافر الحروف ، وعدم تكرار الحرفين ؛ وقبول الطبع للفظ « الحياة » وصحة الإطلاق .

التاسع : أن نفي القتل لا يستلزم الحياة ، والآية ناصّة على ثبوتها التي هي الغرض المطلوب منه .

العاشر : أن قولهم لا يكاد يفهم إلا بعد فهم أن القصاص هو الحياة ، وقوله : ﴿ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ مفهوم لأول وهلة .

الحادي عشر : أن قولهم خطأ ؛ فإن القتل كله ليس نافياً للقتل ؛ فإن القتل العدواني لا ينفى القتل ، وكذا القتل في الردّة والزنا لا ينفيه ؛ وإنما ينفيه قتل خاص

(١) ت : « من » ، وما أثبتته من م .

وهو قتل القصاص ؛ فالذى فى الآية تنصيص على المقصود ، والذى فى المثل لا يمكن
حملة على ظاهره .

الثانى عشر : فيه دلالة على ربط المقادير بالأسباب ، وإن كانت الأسباب أيضاً
بالمقادير ، وكلام العرب يتضمنه ؛ إلا أن فيه زيادة وهى الدلالة على ربط الأجل فى الحياة ؛
بالسبب ، لا من مجرد نفي القتل .

الثالث عشر : فى تنكير « حياة » نوع تعظيم ؛ يدل على أن فى القصاص حياة
متطاولة ، كقوله : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصِينَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾^(١) ولا كذلك المثل ؛
فإن اللام فيه للجنس ؛ ولهذا فسروا الحياة فيها بالبقاء .

الرابع عشر : فيه بناء أفعال التفضيل من متعد ، والآية سالمة منه .
الخامس عشر : أن « أفعال » فى الغالب تقتضى الاشتراك ؛ فيكون ترك
القصاص نافياً للقتل ؛ ولكن القصاص أكثر نفياً ، وليس الأمر كذلك ، والآية
سالمة من هذا .

السادس عشر : أن اللفظ المنطوق به إذا توالى حركاته تمكّن اللسان من النطق ،
وظهرت فصاحته ، بخلافه إذا تعقب كل حركة سكون ، والحركات تنقطع بالسكنات نظيره :
إذا تحركت الدابة أدنى حركة ، فخنست ، ثم تحركت فخنست ، لا يتبين انطلاقها ،
ولا تتمكن من حركتها على ما نختاره ؛ وهى كالمقيدة ، وقولهم : « القتل أنفى للقتل » ،
حركاته متعاقبة بالسكون بخلاف الآية .

السابع عشر : الآية اشتملت على فنّ بديع ؛ وهو جعل أحد الضدين الذى هو الفناء
والموت محلاً ومكاناً لصدّه الذى هو الحياة ، واستقرار الحياة فى الموت مبالغة عظيمة . ذكره
فى الكشاف .

(١) سورة البقرة ٩٦

الثامن عشر : أن في الآية طباقاً ؛ لأن القصاص مُشعر بضد الحياة ، بخلاف المثل .
 التاسع عشر : القصاص في الأعضاء والنفوس ، وقد جعل في الكل حياة ؛ فيكون
 جمعاً بين حياة النفس والأطراف ، وإن فرض قصاص بالاحياء فيه كالسن ؛ فإن مصلحة
 الحياة تنقص بذهابه ، ويصير كنوع آخر ؛ وهذه اللطيفة لا يتضمنها المثل .
 العشرون : أنها أكثر^(۱) فائدة لتضمنه القصاص في الأعضاء ، وأنه نبه على حياة
 النفس من وجهين : من وجه به القصاص صريحاً ، ومن وجه القصاص في الطرف ؛ لأن
 أحد أحوالها أن يسرى إلى النفس فيزيلها ، ولا كذلك المثل .
 وقد قيل غير ذلك .

وأما زيادة ﴿ اَكْم ﴾ ففيها لطيفة ؛ وهي بيان العناية بالمومنين على الخصوص ،
 وأنهم المراد حياتهم لا غيرهم ، لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده فيمن سواهم .
 والحاصل أن هذا من البيان الموجز الذي لا يقترن به شيء .

ومن بدیع الإيجاز قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . . . ﴾^(۲) الآية ،
 فإنها نهاية التنزيه .

وقوله : ﴿ كَمْ تَرَ كُوفًا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾^(۳) ، وهذا
 بيان عجيب يوجب التحذير من الاغترار بالإمهال .

وقوله : ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(۴) .

وقوله : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾^(۵) ، وهذا من أحسن الوعد والوعيد .

(۲) سورة الإخلاس ۱ ، ۲

(۴) سورة الدخان ۴۰

(۱) ت : « أكبر » .

(۳) سورة الدخان ۲۶

(۵) سورة الدخان ۵۱

وقوله : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ ^(۱) ، فهذه ثلاث كلمات اشتملت على جميع

ما في الرسالة .

وقوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ^(۲) ، فهذه جمعت

مكارم الأخلاق كلها ؛ لأن في ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ صلة القاطعين ، والصفح عن الظالمين ، وفي الأمر بالمعروف تقوى الله وصلة الأرحام ، وصرف اللسان عن الكذب ، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم ، وتنزيه النفس عن ممارسة السفية .

قوله : ﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴾ ^(۳) ، معناه مسودتان من شدة الخضرة .

وقوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ ^(۴) .

وقوله : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ ^(۵) ، فدلّ بأمرين على جميع ما أخرجه

من الأرض قوتا ومتاعا للأنام ، من العشب ، والشجر ، والحب ، والتمر ، والعصف ، والخطب ، واللباس ، والنار ، والملح ؛ لأن النار من العيدان ، والملح من الماء .

وقوله : ﴿ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَّضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي آثَانِ كَلْبٍ ﴾ ^(۶) ، فدلّ

على نفسه ولطفه ووحدايته وقدرته ، وهدى للحجة على من ضلّ عنه ؛ لأنه لو كان ظهور الثمرة بالماء والتربة ، لوجب في القياس ألا تختلف الطعوم والروائح ، ولا يقع التفاضل في الجنس الواحد إذا نبت في مفرس واحد ؛ ولكنه صنع اللطيف الخبير .

وقوله : ﴿ لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴾ ^(۷) ، كيف نفى بهذين جميع عيوب

الخمر ، وجمع بقوله : ﴿ لَا يُنْزِفُونَ ﴾ ^(۷) عدم العقل وذهاب المال ونفاد الشراب .

(۲) سورة الأعراف ۱۹۹

(۴) سورة البقرة ۲۸۶

(۶) سورة الرعد ۴

(۱) سورة الحجر ۹۴

(۳) سورة الرحمن ۶۴

(۵) سورة النازعات ۱

(۷) سورة الواقعة ۱۹

وقوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الْعُمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ .
 وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴾^(۱) فدل على
 فضل السمع والبصر ، حيث جعل مع الصمم فقدان العقل ، ولم يجعل مع العمى إلا فقدان
 البصر وحده .

وقوله : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ
 وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودَىٰ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾^(۲) كيف أمر ونهى ، وأخبر
 ونادى ، ونعت وسمى ، وأهلك وأبقى ، وأسعد وأشقى ، قص من الأنباء ما لو شرح
 ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان لجفت الأقلام
 وانحسرت الأيدي .

وقوله تعالى عن النملة : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَاكِنِكُمْ ﴾^(۳) فجمع في هذه
 اللفظة أحد عشر جنسا من الكلام ، نادت ، وكنت ، ونهيت وسمعت ، وأمرت ، وقضت
 وحذرت ، وخصت ، وعمت ، وأشارت ، وغدرت ؛ فالنداء « يا » ، والكنابة « أئى » ،
 والتنبيه « ها » ، والتسمية النمل ، والأمر ، « ادخلوا » ، والتخصص « مساكنكم » ،
 والتحذير « لا يحطمنكم » ، والمخصص سليمان ؛ والتعميم جنوده ، والإشارة « وهم » ،
 والقدر لا يشعرون . فأدت خمس حقوق : حق الله ، وحق رسوله ، وحقها ، وحق رعيته
 وحق جنود سليمان . فحق الله أنها استرعت على النمل فقامت بحقهم ، وحق سليمان أنها
 نهته على النمل ، وحقها إسقاطها حق الله عن الجنود في نصحتهم^(۴) ، وحق الجنود
 بنصحتهم لهم ليدخلوا مساكنهم ، وحق الجنود إعلاها إياهم وجميع الخلق أن من

(۲) سورة هود ٤٤ :

(۴) ت : « نصيحتهم » .

(۱) سورة يونس ٤٢ ، ٤٣ :

(۳) سورة النمل ١٨ :

استرعاه رعيّة فوجب^(١) عليه حفظها والذبّ عنها ؛ وهو داخل في الخبر المشهور : « كُنْكُمْ رَاعٍ وَكُلِّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »

ويقال : إن سليمان عليه السلام لم يضحك في عمره إلا مرة واحدة ، وأخرى حين أشرف على وادي النمل فرآها على كبر الثعالب ، لها خراطيم وأنياب ، فقال رئيسهم : ادخلوا مساكنكم ، فخرج كبير^(٢) النمل في عظم الجواميس ، فلما نظر إليه سليمان هاله ، فأراه الخاتم ، فخضع له ، ثم قال : أهذه كلها نمل ؟ فقال : إن النمل لكبير ، إنها ثلاثة أصناف : صنف في الجبال ، وصنف في القرى ، وصنف في المدن . فقال سليمان عليه السلام : اعرضها عليّ ، فقال له : قف . فبقى سليمان عليه السلام تسعين يوما واقفا ، يمرّ عليه النمل ؛ فقال : هل انقطعت عساكركم ، فقال ملك النمل : لو وقفت إلى يوم القيامة ما انقطعت . فذكر الجنيد أن سليمان عليه السلام قال لعظيم النمل : لمّ قلت للنمل : ادخلوا مساكنكم ؟ أخفت عليهم من ظلمنا ؟ قال : لا ، ولكن خفت أن يفتنوا بها رأوا من ملكك ، فيشفاهم ذلك عن طاعة الله .

وقوله : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾^(٣) ، وهذا أشدّ ما يكون من الحجاج .
وقوله : ﴿ وَإِنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾^(٤) ، وهذا أعظم ما يكون من التحسير .

وقوله : ﴿ الْآخِلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾^(٥) ، وهذا أشدّ ما يكون من التنفير عن الخلّة إلا على التقوى .

(٢) م : « كبير » .

(٤) سورة الزخرف ٣٩

(١) ت : « فوجب » .

(٣) سورة يس ٧٨ ، ٧٩

(٥) سورة الزخرف ٦٧

وقوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾^(١)، وهذا أشدُّ

ما يكون من التحذير من التفريط .

وقوله: ﴿أَفَمَنْ يُبْلَغُ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٢)، وهذا أشدُّ

ما يكون من التباعد .

وقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(٣)؛ فهذا أعظم ما يكون من التخيير^(٤) .

وقوله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ . لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ

هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٥)، وهذا أبلغ ما يكون

من التذكير .

وقوله: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِن رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ

أَتَوْا صَوَابَهُ بِبَلِّ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ﴾^(٦)، وهذا أشدُّ ما يكون في التقريع على التماذى

في الباطل .

وقوله: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ . يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ

أَحْسِمِ آتِينَ﴾^(٧)، وهذا أشدُّ ما يكون من التقريع .

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(٨)، وهذا غاية الترهيب .

وقوله: ﴿وَالَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنفُسُكُمْ وَلكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾^(٩)، وهذه

غاية الترغيب .

(٢) سورة فصلت ٤٠

(٤) في حاشية لإحدى النسخ: «المعروف عند

الأصوليين أن الأمر فيه للتهديد لا للامباحة والتخيير - كذا من الأصل » . ووت : «التحجير» .

(٦) سورة الذاريات ٥٢ : ٥٣

(٨) سورة آل عمران ١٨٥

(١) سورة الزمر ٥٦

(٣) سورة فصلت ٤٠

(٥) سورة ق ٢١ ، ٢٢

(٧) سورة الرحمن ٤٣ ، ٤٤

(٩) سورة فصلت ٣١

وقوله: ﴿ مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ نَزَلَ بِرَبِّهِمَا خَلْقَ وَكَلَامًا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾^(١).

وقوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾^(٢)، وهذا أبلغ ما يكون من الحجاج؛ وهو الأصل الذي عليه أثبتت دلالة التمانع في علم الكلام.

وقوله: ﴿ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٣)، وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بكل ما تميل إليه النفس من الشهوات، وتلذذ الأعين من المرثيات، ليعلم أن هذا اللفظ القليل جدًا، حوى معاني كثيرة لا تنحصر عدداً.

وقوله: ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَادُونَ ﴾^(٤)، وهذا أشد ما يكون من الخوف.

وقوله: ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾^(٥).

وقوله: ﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ ﴾^(٦).

وقوله: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَافَوْتَ وَأَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾^(٧).

وقوله: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(٨).

وقوله: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾^(٩).

وقوله: ﴿ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾^(١٠)، معناه قابِلهم بما يفعلونه معك، وعاملهم مثل

معاملتهم لك سواء، مع ما يدل عليه « سواء » من الأمر بالعدل.

وقوله: ﴿ وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾^(١١)، فإنه أشار به إلى انقطاع مدة الماء النازل

(٢) سورة الأنبياء ٢٢

(٤) سورة المنافقون ٤

(٦) سورة يونس ٢٣

(٨) سورة البقرة ٢

(١٠) سورة الأنفال ٥٨

(١) سورة المؤمنون ٩١

(٣) سورة الزخرف ٧١

(٥) سورة فاطر ٤٣

(٧) سورة سبأ ٥١

(٩) سورة غافر ١٨

(١١) سورة هود ٤٤

من السماء والنابع من الأرض . وقوله : ﴿ وَوُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ أى هلك من قضي هلاكه ، ونجا من قدرت نجاته ، وإنما عدل عن لفظه إلى لفظ التمثيل ؛ لأمرين : اختصار اللفظ ، وكون الهلاك والنجاة كانا بأمر مطاع ، إذ الأمر يستدعى أمرا ومطاعا ، وقضاؤه يدل على قدرته .

ومن أقسام الإيجاز الاقتصار على السبب الظاهر للشيء ؛ اكتفاء بذلك عن جميع الأسباب ، كما يقال : فلان لا يخاف الشجعان ، والمراد لا يخاف أحداً .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ﴾^(۱) ، ولا شك أن من فسخت النكاح أيضاً تتربص ، لأن السبب الغالب للفراق الطلاق .

وقوله : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾^(۲) ، ولم يذكر النوم وغيره ؛ لأن السبب الضروري الناقض خروج الخارج : فإن النوم الناقض ليس بضروري ، فذكر السبب الظاهر ، وعلم منه الحكم في الباقي .

ومنه قوله : ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾^(۳) ، أى وهو مالم يقع في وهم الضمير من الهواجس ، ولم يحظر على القلوب من مخيلات الوسوس .

ومنه : ﴿ إِنْ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾^(۴) ، ونظائره .

وكذلك زيد وعمرو قائم ، على القول بأن « قائم » خبر عن أحدهما ، واستغنى به عن خبر الآخر .

ومنها الاقتصار على المبتدأ وإقامة الشيء مقام الخبر نحو : أقام الزيدان ، فإن « قائم » مبتدأ لا خبر له .

(۲) سورة الفاء ۳

(۴) سورة الأحزاب ۵۶

(۱) سورة البقرة ۲۲۸

(۳) سورة طه ۷

ومنها باب « علمت أنك قائم » ، إذا جعلنا الجملة سادة مسدّ المفعولين ؛ فإن الجملة
محلّة لاسم واحد سدّ مسدّ اسمين مفعولين من غير حذف .
ومنه باب النائب عن الفاعل ، في « ضُرب زيد » ، ف « زيد » دلّ على الفاعل بإعطائه
حكمه ، وعلى المفعول بوضعه .

ومنها جميع أدوات الاستفهام والشرط ؛ فإن « كم مالك » ؟ يفنى عن عشرين
أو ثلاثين ، و « من يقيم أكرمه ^(١) » يفنى عن زيد وعمرو ، قاله ابن الأثير
في « الجامع » .

ومنه الألفاظ اللازمة للعموم ، مثل أحد ودَيّار ، قاله ابن الأثير أيضاً .

ومنه لفظ الجمع ؛ فإن « الزيدين » يفنى عن زيد وزيد وزيد ، وكذا التثنية أصلها
رجل ورجل ، فحذفوا العطف والمعطوف ، وأقاموا حرف الجمع والتثنية مقامهما اختصاراً
وصحّ ذلك لاتفاق الذاتين في التسمية بلفظ واحد ، فإن اختلف لفظ الاسمين رجعوا إلى
التكرار بالعطف ؛ نحو مررت بزيد وبكر .

ومنه باب الضمائر على ما سيأتى بيانه ؛ في قاعدة الضمير .

ومنه لفظ « فعل » فإنه يجيء كثيراً كناية عن أفعال متعددة ؛ قال تعالى : ﴿ لَبِئْسَ
مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ^(٢) ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ ﴾ ^(٣) .
﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ ^(٤) ، أي فإن لم تأتوا بسورةٍ من مثله ، ولن تأتوا
بسورةٍ من مثله .

(٢) - سورة المائدة ٧٩

(٤) - سورة البقرة ٢٤

(١) - ساقطة من ت .

(٣) - سورة النساء ٦٦

القول في التقديم والتأخير

هو أحد أساليب البلاغة؛ فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكهم في الكلام وانقياده لهم. وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق. وقد اختلف في عدّه من المجاز؛ فمنهم من عدّه منه؛ لأنه تقديم ما رتبته التأخير، كالمفعول، وتأخير ما رتبته التقديم، كالفاعل، نُقِلَ كلُّ واحد منهما عن رتبته وحقه. والصحيح أنه ليس منه؛ فإن المجاز نُقِلَ ما وضع له إلى ما لم يوضع. ويقع الكلام فيه في فصول:

الفصل الأول

[في أسباب التقديم والتأخير]

الأول: في أسبابه، وهي كثيرة:

أحدها: أن يكون أصله التقديم، ولا مقتضى للعدول عنه، كتقديم الفاعل على المفعول، والمبتدأ على الخبر، وصاحب الحال عليها؛ نحو جاء زيد راكباً.

والثاني: أن يكون في التأخير إخلالٌ ببيان المعنى، كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾^(١)، فإنه لو أخر قوله: ﴿ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾، فلا يفهم أنه منهم.

وجعل السكاكي^(٢) من الأسباب كون التأخير مانعاً، مثل الإخلال بالمقصود،

(٢) انظر مفتاح العلوم ١٢٩

(١) سورة غافر ٢٨

كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلقاءِ الآخِرَةِ وَأَنزَلْنَاهُمْ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾^(١) ، بتقديم الحال أعني ﴿ من قَوْمِهِ ﴾ على الوصف، أعني ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾
 ولو تأخر^(٢) لتوهم أنه من صفة الدنيا ؛ لأنها هاهنا اسم تفضيل ؛ من الدنو، وليست اسماً،
 والدنو يتعدى بـ « مِنْ » ، وحينئذ يشبه الأمر في القائلين أنهم أهم : من قومه أم لا ؟ فقدّم
 لاشتمال التأخير على الإخلال ببيان المعنى المقصود ؛ وهو كون القائلين من قومه . وحين
 أمِنَ هذا الإخلال بالتأخير قال تعالى في موضع آخر من هذه السورة : ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ
 الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ ﴾^(٣) ، بتأخير المجرور عن
 صفة المرفوع

الثالث : أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب ، فيقدّم^(٤) لمشاكلة الكلام
 ولرعاية الفاصلة ، كقوله : ﴿ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِبَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾^(٥) ،
 بتقديم « إياه » على « تعبدون » لمشاكلة رموس الآي ، وكقوله : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ
 خِيفَةً مُوسَى ﴾^(٦) ، فإنه لو أخر ﴿ في نفسه ﴾ عن ﴿ موسى ﴾ ؛ فأت تناسب الفواصل ؛
 لأن قبله : ﴿ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِجْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى ﴾^(٦) ، وبعده : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ
 الْأَعْلَى ﴾^(٦) .

وكقوله : ﴿ وَتَنَفَّسْ أَوْجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾^(٧) ؛ فإن تأخير الفاعل عن المفعول
 لمناسبة لما بعده .

وكقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾^(٧) ، وهو أشكل بما قبله ، لأن قبله :
 ﴿ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾^(٨) .

(٢) ت : « إذ » .

(٤) م : « فقدم » .

(٦) سورة طه ٦٦ ، ٦٨

(٨) سورة إبراهيم ٤٩

(١) سورة المؤمنون ٣٣

(٣) سورة المؤمنون ٢٤

(٥) سورة فصلت ٣٧

(٧) سورة إبراهيم ٥٠ ، ٥١

وجعل منه السكاكي^(۱) : ﴿ آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴾^(۲) ، بتقديم ﴿ هَارُونَ ﴾ مع أن ﴿ موسى ﴾ أحقُّ بالتقديم .

الرابع : لعظمه والاهتمام به ؛ وذلك أن من عادة العرب الفصحاء ، إذا أُخبرت عن مخبرٍ ما - وأناطت به حكماً - وقد يشركه غيره في ذلك الحكم ، أو فيما أُخبر به عنه ؛ وقد عطف أحدهما على الآخر بالواو المقتضية عدم الترتيب - فإنهم مع ذلك إنما يبدؤون بالأهم والأولى . قال سيبويه : كأنهم يقدمون الذي شأنه أهمُّ لهم ، وهم يبيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهتمانهم ويعنيانهم . انتهى .

قال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾^(۳) ، فبدأ بالصلاة لأنها أهم .

وقال سبحانه : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾^(۴) .

وقال تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^(۵) ؛ فقدم العبادة للاهتمام بها .

ومنه تقدير المحذوف في بسم الله مؤخرًا .

وأوردوا : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾^(۶) ؛ وأجيب بوجهين :

أحدهما : أن تقديم الفعل هناك أهم ، لأنها أولُ سورة نزلت .

والثاني أن : ﴿ باسمِ رَبِّكَ ﴾ متعلق بـ ﴿ اقرأ ﴾^(۶) الثاني ، ومعنى الأول : أوجد

القراءة ، والقصد التعميم .

الخامس : أن يكون الخاطر ملتفتًا إليه والهمة معقودة به ؛ وذلك كقوله تعالى :

(۲) سورة طه ۷۰

(۴) سورة التغابن ۱۲

(۶) سورة العلق ۱ ، ۳

(۱) انظر مفتاح العلوم ۱۲۹

(۳) سورة البقرة ۴۳

(۵) سورة فاتحة الكتاب ۵

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾^(۱) ، بتقديم المجرور على المفعول الأول ؛ لأن الإنكار متوجهٌ إلى الجعل لله ، لا إلى مطلق الجعل .

السادس : أن يكون التقديم لإرادة التبكيث والتعجيب من حال المذكور ؛ كتقديم المفعول الثاني على الأول في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ ﴾^(۱) ، والأصل « الجنُّ شركاء » ؛ وقدم ، لأن المقصود التوبيخ ، وتقديم الشركاء أبلغ في حصوله .
ومنه قوله تعالى في سورة يس : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾^(۲) ، وسند كره .

السابع : الاختصاص ، وذلك بتقديم المفعول ، والخبر ، والظرف ، والجار والمجرور ، ونحوها على الفعل ، كقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾^(۳) ، أى نخصك بالعبادة فلا نعبد غيرك .
وقوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾^(۴) ، أى إن كنتم تخصونه بالعبادة .
والخبر كقوله : ﴿ قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ آيَاتِي ﴾^(۵) ، وقوله : ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَا نَعْتَمُهُمْ حُصُونَهُمْ مِنَ اللَّهِ ﴾^(۶) .

وأما تقديم الظرف ؛ ففيه تفصيل ، فإن كان في الإثبات دلٌّ على الاختصاص ، كقوله تعالى : ﴿ إِنْ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ . ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾^(۷) ، وكذلك : ﴿ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ﴾^(۸) ، فإن ذلك يفيد اختصاص ذلك بالله تعالى : وقوله : ﴿ لِإِلَهِ اللَّهِ مُخْشَرُونَ ﴾^(۹) .

(۲) سورة يس ۲۰

(۴) سورة النحل ۱۱۴

(۶) سورة الحشر ۲

(۸) سورة التغابن ۱

(۱) سورة الأنعام ۱۰۰

(۳) سورة فاتحة الكتاب ۵

(۵) سورة مريم ۴۶

(۷) سورة الفاشية ۲۵ ، ۲۶

(۹) سورة آل عمران ۱۵۸

أى لا إلى غيره ، وقوله : ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾^(١) ، أخرت صلة الشهادة في الأول وقدمت في الثانى ؛ لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم على الأمم ، وفي اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم .

وقوله : ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾^(٢) ، أى لجميع الناس من العجم والعرب ، على أن التعريف للاستغراق .

وإن كان في النفي فإن تقديمه يفيد تفضيل المنفى عنه ، كما في قوله تعالى : ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾^(٣) ، أى ليس في خمر الجنة ما في خمر غيرها من الغول . وأما تأخيرها فإنها تفيد النفي فقط ، كما في قوله : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٤) فكذلك إذا قلنا لا عيب في الدار ؛ كان معناه : نفي العيب في الدار ، وإذا قلنا لا في الدار عيب ، كان معناه : أنها تفضل على غيرها بعدم العيب .

تنبيه

ما ذكرناه من أن تقديم الممول يفيد الاختصاص ، فهمه الشيخ أبو حيان في كلام الزمخشري وغيره ، والذي عليه محققو البيانين أن ذلك غالب لا لازم ، بدليل قوله تعالى : ﴿كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾^(٦) ، إن جعلنا ما بعد الظرف مبتدأ .

وقد ردّ صاحب « الفلك^(٧) الدائر » القاعدة بالآية الأولى ، وكذلك ابن الحاجب والشيخ أبو حيان ، وخالفوا البيانين في ذلك ، وأنت إذا علمت أنهم

(٢) سورة النساء ٧٩

(٤) سورة البقرة ٢

(٦) سورة إبراهيم ١٠

(١) سورة البقرة ١٤٣

(٣) سورة الصافات ٤٧

(٥) سورة الأنعام ٨٤

(٧) هو عز الدين بن أبي الحديد، صاحب كتاب الفلك الدائر على المثل السائر؛ نقد فيه كتاب ابن الأثير

وطبع في الهند سنة ١٣٠٩ هـ .

ذكروا في ذلك قيد الغلبة سهّل الأمر . نعم له شرطان :

أحدهما ألا يكون المعمول مقدما بالوضع ؛ فإن ذلك لا يسمى تقديمًا حقيقة ، كاسم الاستفهام ، وكالمبتدأ عند من يجعله معمولا لخبره .

والثاني : ألا يكون التقديم لمصلحة التركيب ، مثل : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودَ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾^(١)

على قراءة النصب .

وقد اجتمع الاختصاص وعدمه في آية واحدة ؛ وهي قوله : ﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ . بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ ﴾^(٢) ، التقديم في الأول قطعًا ليسر .

للاختصاص ، بخلاف الثاني .

الفصل الثاني

في أنواعه

وهي إما أن يُقدّم والمعنى عليه ، أو يُقدّم وهو في المعنى مؤخر ، أو بالعكس .

النوع الأول

ما قدم والمعنى عليه

ومقتضياته كثيرة ، قد يسّر الله منها خمسًا وعشرين ، والله درّ ابن عبدون في قوله :

سَقَاكَ الْحَيَا مِنْ مَعَانٍ سِفَاحٍ فَكَمْ لِي بِهَا مِنْ مَعَانٍ فِصَاحٍ

(١) سورة فصلت ١٧

(٢) سورة الأنعام ٤٠ ، ٤١

أحدها

السبق

وهو أقسام : منها السبق بالزمان والإيجاد ، كقوله تعالى : ﴿ إِن أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾^(١) قال ابن عطية : المراد بالذين اتبعوه في زمن الفترة .

وقوله : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْعَالَمِينَ لَكُمْ رَسُولًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾^(٢) ؛ فإن مذهب أهل السنة تفضيل البشر ، وإنما قدم الملك لسبقه في الوجود .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكِ وَبَنَاتِكِ ﴾^(٣) ؛ فإن الأزواج أسبق بالزمان ؛ لأن البنات أفضل منهن ، لكونهن بضعة منه صلى الله عليه وسلم .
وقوله : ﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾^(٤) .

واعلم أنه ينضم إليه مع ذلك التشریف ، كقوله : ﴿ إِن اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾^(٦) .

﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾^(٧) .

وأما قوله : ﴿ أُمَّ لَمْ يُنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى . وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾^(٨) فإنما قدم ذكر موسى لوجهين : أحدهما أنه في سياق الاحتجاج عليهم بالترك وكانت صحف موسى منتشرة أكثر انتشاراً من صحف إبراهيم ، وثانيهما مراعاة رءوس الآي .

- | | |
|----------------------|------------------------|
| (١) سورة آل عمران ٦٨ | (٢) سورة الحج ٧٥ |
| (٣) سورة الأحزاب ٥٩ | (٤) سورة الفرقان ٧٤ |
| (٥) سورة آل عمران ٣٣ | (٦) سورة الأحزاب ٧ |
| (٧) سورة الأعلى ١٩ | (٨) سورة النجم ٣٦ ، ٣٧ |

وقد ينضم إليه التحقير ، كما في قوله : ﴿ غَيْرِ الْمَفْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾^(١) ؛
تقدم اليهود لأنهم كانوا أسبق من النصارى ، ولأنهم كانوا أقرب إلى المؤمنين بالمجاورة .

وقد لا يلاحظ هذا كقوله تعالى : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مِيسَاكِئِهِمْ ﴾^(٢)
وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴾^(٣) .

ومن التقديم بالإيجاد تقديم السنّة على النوم في قوله : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^(٤)
لأن العادة في البشر أن تأخذ العبد السنّة قبل النوم ، فجاءت العبارة على حسب
هذه العادة .

ذكره السهيلي وذكر معه وجهها آخر ؛ وهو أنها وردت في معرض التمدح والثناء
وافتراد السنّة أبلغ في التنزيه فبديء بالأفضل ؛ لأنه إذا استحالت عليه السنّة فأحرى أن
يستحيل عليه النوم .

ومنه تقديم الظلمة على النور في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾^(٥) فَإِنَّ
الظلمات سابقة على النور في الإحساس ، وكذلك الظلمة المعنوية سابقة على النور المعنوي ؛
قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ
السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾^(٦) فانقضاء العلم ظلمة ، وهو متقدم بالزمان على
نور الإدراكات .

ومنه تقديم الليل على النهار : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ ﴾^(٧) ﴿ سِيرُوا فِيهَا
لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾^(٨) . ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾^(٩) . ﴿ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ

(٢) سورة العنكبوت ٣٨

(٤) سورة البقرة ٢٥٥

(٦) سورة النحل ٧٨

(٧) سورة سبأ ١٨

(١) سورة الفاتحة ٧

(٣) سورة النجم ٥٠ ، ٥١

(٥) سورة الأنعام ١

(٧) سورة الإسراء ١٢

(٩) سورة سبأ ٣٣

تُصَبِّحُونَ ﴿١﴾ ولذلك اختارت العرب التاريخ بالليالي دون الأيام ؛ وإن كانت الليالي مؤنثة والأيام مذكرة ، وقاعدتهم تغليب المذكر إلا في التاريخ .

فإن قلت : فما تصنع بقوله تعالى : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾ (٢) .

قلت : استشكل الشيخ أبو محمد بن عبد السلام في قواعده (٣) بالإجماع على سبق الليلة على اليوم . وأجاب بأن المعنى : تُدْرِكُ الْقَمَرَ فِي سُلْطَانِهِ ، وهو الليل ، أى لا تجىء الشمس في [أثناء] (٤) الليل ، فقوله بعده : ﴿ وَلَا لَاحَ اللَّيْلِ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٥) ، أى لا يأتى في بعض سلطان الشمس وهو النهار . وبين الجملتين مقابلة .

فإن قيل : قوله تعالى : ﴿ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ (٥) مُشْكِلٌ عَلَى هَذَا ؛ لِأَنَّ الْإِبْلَاجَ إِدْخَالَ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ ، وَهَذَا الْبَحْثُ يَنَافِيهِ .

قلت : المشهور في معنى الآية أن الله يزيد في زمن الشتاء مقداراً من النهار، ومن النهار في الصيف مقداراً من الليل ؛ وتقدير الكلام : يُولِّجُ بَعْضَ مَقْدَارِ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ ، وَبَعْضَ مَقْدَارِ النَّهَارِ فِي اللَّيْلِ . وَعَلَى غَيْرِ الْمَشْهُورِ ، يَجْعَلُ اللَّيْلَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ النَّهَارَ وَيَجْعَلُ النَّهَارَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ اللَّيْلَ ، وَالتَّقْدِيرُ : يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي مَكَانِ النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي مَكَانِ اللَّيْلِ .

ومنه تقديم المكان على الزمان في قوله : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ

(٢) سورة يس ٢٠

(١) سورة الروم ١٧

(٣) القواعد الكبرى، في فروع الشافعية للشيخ عز الدين بن عبد السلام، ذكره صاحب كشف الظنون،

وقال : ليس لأحد مثله . وكثير منه مأخوذ من شعب الإيمان للجليمي ، وله القواعد الصغرى أيضا .

(٥) سورة الحديد ٦

(٤) تكملة من م .

(٦) م : « في » .

وَالنُّورَ ﴿١﴾ ، أى الليل والنهار ، وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ . وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٢) .

وهذه مسألة مهمة قلَّ مَنْ تعرَّض لها ، أعنى سبق المسكان على الزمان ، وقد صرح بها الإمام أبو جعفر الطبرى فى أول تاريخه ، واحتج (٣) على ذلك بحديث ابن عباس : إن الله خلق التربة يوم السبت ، وخلق الشمس والقمر ؛ وكان ذلك كله ولا ليل ولا نهار ؛ إذ كانا إنما هما أسماء لساعات معلومة من قطع الشمس والقمر [دَرَجَ الفلك] (٤) وإذا كان ذلك صحيحاً وأنه لا شمس ولا قمر ، كان معلوماً أنه لا ليل ولا نهار . قال : وحديث أبي هريرة - يعنى فى صحيح مسلم - صريح فيه ؛ فإن فيه : « وخلق [الله] (٥) النور يوم الأربعاء » ، قال : ويعنى به (٥) الشمس إن شاء الله .

والحاصل أن تأخر خلق الأيام عن بعض الأشياء المذكورة فى الخبر لازم .
فإن قلت : الحديث كالمصرح بخلافه ؛ فإنه قال : خلق الله التربة يوم السبت ، حين خلق البرية وهى أول المخلوقات المذكورة ، فلا يمكن أن يكون خلق الأيام كلها متأخراً عن ذلك .

قلت : قد نبه الطبرى على جواب ذلك بما حاصله : أن الله تعالى سَمَّى أسماء الأيام قبل خلق التربة ، وخلق الأيام كلها ، ثم قدر كل يوم مقداراً ، فخلق التربة فى مقدار يوم السبت قبل خلقه يوم السبت ، وكذا الباقى .

وهذا وإن كان خلاف الظاهر لكن أوجبه ما قاله الطبرى ؛ من أنه يتعين تأخير الأيام لما ذكرناه من الدليل المستفاد من الخبرين .

والحاصل أن الزمان قسمان : تحقيقى وتقديرى ؛ والمذكور فى الحديث التقديرى .

(٢) سورة الأنبياء ٣٢ ، ٣٣

(٤) من تاريخ الطبرى

(١) سورة الأنعام ١

(٣) تاريخ الطبرى ١ : ١٣

(٥) الطبرى : يعنى بالنور .

ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾^(١) . ﴿ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ﴾^(٢) ؛ ولذلك لما استغنى عن أحدهما ذكر المشرق فقط ، فقال : ﴿ وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾^(٣) . ﴿ إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا ﴾^(٤) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾^(٥) ، وإقوله : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴾^(٦) . ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾^(٦) .

ويمكن فيه وجوه آخر :

منها أن فيه قهراً للخلق ، والمقام يقتضيه .

ومنها أن حياة الإنسان كالحياة ، ومآله إلى الموت ، ولا حياة إلا بعد الموت .

ومنها أن الموت تقدم في الوجود ، إذ الإنسان قبل نفخ الروح فيه كان ميتاً لعدم الروح وهذا إن أريد بالموت عدم الوجود ؛ بدليل : ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ ، وإن أريد به

بعد الوجود ، فالناس منتازعون في الموت : هل هو أمر وجودي كالحياة أولاً ؟

وقيل بالوقف ، فقالت الفلاسفة : الموت عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حياً .

والجمهور على أنه أمر وجودي يصاد الحياة ، محتجين بقوله : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ ، والحديث في الإتيان بالموت في صورة كبش وذبحه .

وأجيب عن الآية بأن الخلق بمعنى التقدير ، ولا يجب في المقدر أن يكون وجودياً ،

وعن الثاني بأن ذلك على طريق التمثيل ؛ لبيان انقطاع الموت وثبوت الخلود .

فإن قلنا : عدمي ، فالتقابل بينه وبين الحياة تقابل العدم والملاكمة ، وعلى الصحيح

تقابل التضاد . وعلى القول بأنه وجودي يجب أن يقال : تقديم الموت الذي هو عدم الوجود ؛

(١) سورة الرحمن ١٧

(٢) سورة الأعراف ١٣٧

(٣) سورة الصافات ٥ ، ٦

(٤) سورة الملك ٢

(٥) سورة النجم ٤٤

(٦) سورة البقرة ٢٨

لكونه سابقاً أو معدوم الحياة ، الذي هو مفارقة الروح البدني يجوز أن يكون لكونه الغاية التي يساق إليها في دار الدنيا ؛ فهي العلة الغائبة بعدم تحقيقها ، لتحقيقه^(١) ، فخص العلة العامة كما وقع تأكيده في قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾^(٢) ، أو ترهيداً في الدار الفانية ، وترغيباً فيما بعد الموت .

فإن قيل : فما وجه تقدم « الحياة » في قوله : ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ ﴾^(٣) وقوله : ﴿ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٤) ؟

قلنا : إن كان الخطاب لآدم وحواء ، فلأن حياتهما في الدنيا سبقت الموت ، وإن كان للخلق بالخطاب لمن هو حي يعقبه الموت ، فما التقديم بالترتيب ، وكذا الآية بعده .
فإن قيل : فما وجه تقدم الموت على الحياة في الحكاية عن منكر البعث : ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾^(٥) ؟
قلت : لأجل مناسبة رءوس الآي .

فإن قلت : فما وجه تقدم التوفي على الرفع في قوله : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾^(٦) مع أن الرفع سابق ؟

قيل : فيه جوابان :

أحدهما : المراد بالتوفي النوم ، كقوله تعالى : ﴿ يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾^(٧) .
وثانيهما : أن التاء في « مُتَوَفِّيكَ » زائدة ، أي موفيك عملاً .

ومنها سبق إنزال ، كقوله : ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾^(٨) . وقوله : ﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾^(٩)

(١) الكلام غير واضح في الأصلين .

(٢) سورة المؤمنون ١٥

(٣) سورة الأعراف ٢٥

(٤) سورة الأنعام ١٦٢

(٥) سورة آل عمران ٥٥

(٦) سورة آل عمران ٤ ، ٣

(٧) سورة الأعراف ٢٥

(٨) سورة المؤمنون ٣٧

(٩) سورة الأنعام ٦٠

(١٠) سورة الأعراف ١٥٧

وأما قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾^(١)، فإنما قدم القرآن مُنْبَهًا له على فضيلة المنزل إليهم .

ومنها سبق وجوب ، كقوله تعالى: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾^(٢) ، وقوله: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾^(٣) .

فإن قيل : فقد قال : ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ .

قيل : يحتمل أنه كان في شريعتهم السجود قبل الركوع ، ويحتمل أن يراد بالركوع ركوع الركعة الثانية .

وقيل : المراد بـ « اركعي » اشكري .

وقيل : أراد بـ « اسجدي » صلى وحدك ، وبـ « اركعي » صلى في جماعة ، ولذلك قال : ﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ .

ومنها سبق تنزيه ، كقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ ، فبدأ بالرسول قبل المؤمنين ، ثم قال: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾ ، فبدأ بالإيمان بالله ؛ لأنه قد يحصل بدليل العقل ، والعقل سابق في الوجود على الشرع ، ثم قال : « وملائكته » مراعاة لإيمان الرسول ، فإنه يتعلق بالملك الذي هو جبريل أولاً ، ثم بالكتاب الذي نزل به جبريل ، ثم بمعرفة نفسه أنه رسول . وإنما عرف نبوة نفسه بعد معرفته بجبريل عليه السلام وإيمانه ، فترتب الذكر المنزل عليه بحسب ذلك ، فظهرت الحكمة والإعجاز ، فقال: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ ؛ لأن الملك هو النازل بالكتاب ، وإن كان الكتاب أقدم من الملك ، ولكن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للملك كانت قبل سماعه الكتاب . وأما إيماننا نحن بالعقل ، آمنا بالله ، أى

(٢) سورة الحج ٧٧

(١) سورة آل عمران ١٩٩

(٣) سورة الفتح ٢٩

بوجوده ، ولكن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عرفنا اسمه ووجوب النظر المؤدى إلى معرفته ، فآمنا بالرسول ثم بالكتاب المنزل عليه ، وبالملاك النازل به ، فلو ترتب اللفظ على حسب إيماننا لبدأ بالرسول قبل الكتاب ؛ ولكن إنما ترتب على حسب إيمان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، الذى هو إمام المؤمنين . ذكره السهلبلى فى أماليه .

وقال غيره : فى هذا الترتيب سرّ لطيف ، وذلك لأن النور والكمال والرحمة والخير كله مضاف إلى الله تعالى ، والوسائط فى ذلك الملائكة ، والمقابل لتلك الرحمة هم الأنبياء والرسول ، فلا بدّ أولاً من أصل ، وثانياً من وسائط ، وثالثاً من حصول تلك الرحمة ، ورابعاً من وصولها إلى المقابل لها ؛ والأصل المقتضى للخيرات والرحمة هو الله ، ومن أعظم رحمة رَحِمَ بها عباده إنزال كتبه إليهم ، والموصل لها هم الملائكة ، والمقابل لها المنزلة عليهم هم الأنبياء ؛ فجاء الترتيب على ذلك بحسب الوقائع .

الثانى

بالذات

كقوله تعالى : ﴿ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۗ ﴾^(١) . ونحوه ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَذِبُهُمْ ﴾^(٣) وكذلك جميع الأعداد كل مرتبة هى متقدمة على ما فوقها بالذات .
وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ ﴾^(٤) فوجه تقديم المثنى أن المعنى حسُّهم على القيام بالنصيحة لله ، وترك الهوى ، مجتمعين متساويين أو منفردين متفكرين . ولا شك أن الأهم حالة الاجتماع فبدأ بها .

(١) سورة النساء ٣

(٣) سورة الكهف ٢٢

(٢) سورة المجادلة ٧

(٤) سورة سبأ ٤٦

الثالث

بالعلة والسببية

كتقديم « العزيز » على « الحكيم » ، لأنه عزّ فحكم ، وتقديم « العليم » على « الحكيم » ، لأن الإتيان ناشئ عن العلم ، وكذا أكثر ما في القرآن من تقديم وصف العلم على الحكمة : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾^(١) .

ويجوز أن يكون قدم وصف العلم هنا ليتصل بما يناسبه ، وهو ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا ﴾ ، وفي غيره من نظائره ، لأنه صفات ذات فيكون من القسم قبله .
ومنه قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^(٢) ، قدمت العبادة لأنها سبب حصول الإعانة .

وقوله : ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا اللَّهُ يُحِبُّ الْعَوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾^(٣) ؛ فإن التوبة سبب الطهارة .

وكذا : ﴿ وَبِئْسَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾^(٤) لأن الإفك سبب الإثم .

وكذا : ﴿ وَمَا يُكْذِبُ بِهِ إِلَّا كَلٌّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا . لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْبِيَ كَثِيرًا ﴾^(٦) قدم إحياء الأرض ؛ لأنه سبب إحياء الأنعام والأناسي ، وقدم إحياء الأنعام ؛ لأنه مما يحيا به الناس ، بأكل لحومها وشرب ألبانها .

(٢) سورة الفاتحة ٥

(٤) سورة الجاثية ٧

(٦) سورة الفرقان ٤٨ ، ٤٩

(١) سورة البقرة ٣٢

(٣) سورة البقرة ٢٢٢

(٥) سورة المطففين ١٢

وكذا كل علة مع معلولها، كقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (١)،
 قيل: قدم الأموال من باب تقديم السبب؛ فإنه إنما شرع النكاح عند قدرته على
 مؤونته، فهو سبب التزويج، والتزويج سبب للتناسل؛ ولأن المال سبب للتنعيم بالولد،
 وفقده سبب لشقائه.

وكذا تقديم البنات على البنين في قوله تعالى: ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ
 النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾ (٢)، وأخر ذكر الذهب
 والفضة عن النساء والبنين لأنهما أقوى في الشهوة الجبيلية من المال، فإن الطبع يحث
 على بذل المال، فيحصل النكاح، والنساء أقعد من الأولاد في الشهوة الجبيلية، والبنون
 أقعد من الأموال، والذهب أقعد من الفضة، والفضة أقعد من الأنعام؛ إذ هي وسيلة إلى
 تحصيل النعم، فلما صدرت الآية بذكر الحب، وكان المحبوب مختلف المراتب، اقتضت
 حكمة الترتيب أن يقدم ما هو الأهم فالأهم، في رتبة المحبوبات.

وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ (٣)،
 قدم (٤) الشكر على الإيمان؛ لأن العاقل ينظر [إلى] (٥) ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه
 وتعريضة للمنافع، فيشكر شكرا مبهما؛ فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به،
 ثم شكر شكرا متصلا (٦) فكان الشكر متقدما على الإيمان؛ وكأنه أصل التكليف
 ومداره. انتهى.

وجعله غيره من عطف الخاص على العام؛ لأن الإيمان من الشكر، وخص
 بالذكر لشرفه.

(٢) سورة آل عمران ١٤
 (٤) الكشاف ١: ٤٥١
 (٦) الكشاف: «منفصلا».

(١) سورة الأنفال ٢٨
 (٣) سورة النساء ١٤٧
 (٥) من الكشاف.

الرابع بالرتبة

كتقديم « سميع » على « عليم » فإنه يقتضى التخويفَ والتهديد، فبدأ بالسميع لتعلقه بالأصوات ، وإن من سَمِعَ حَسَكَ فقد يكونُ أقربَ إليك في العادة ممن يعلم ، وإن كان علمُ الله تعلق بما ظهر وما بطن .

وكقوله : ﴿ غُفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(١) ، فإن المغفرة سلامة ، والرحمة غنيمة ، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة ؛ وإنما تأخرت في آية سبأ في قوله : ﴿ الرَّحِيمُ الْغُفُورُ ﴾^(٢) ؛ لأنها منتظمة في سلك تعداد أصناف الخلق من المكلفين وغيرهم ، وهو قوله : ﴿ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغُفُورُ ﴾^(٣) ، فالرحمة شملتهم جميعا ، والمغفرة تخصّ بعضا ، والعموم قبل الخصوص بالرتبة .

وقوله تعالى : ﴿ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾^(٤) فإن الهمّاز هو المغتاب ؛ وذلك لا يفتقر إلى شيء بخلاف النميمة .

وقوله : ﴿ يَا تُوكَّ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ﴾^(٥) فإن الغالب أن الذين يأتون رجالا من مكان قريب ، والذين يأتون على الضامر من البعيد . ويحتمل أن يكون من التقديم بالشرف ؛ لأن الأجر في المشي مضاعف .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾^(٥) مع أن الراكب متمكن من الصلاة أكثر من الماشي ، فجبراله في باب الرخصة .

(١) سورة البقرة ١٧٣ وآيات كثيرة .

(٢) سورة سبأ ٢

(٤) سورة الحج ٢٧

(٣) سورة القلم ١١

(٥) سورة البقرة ٢٣٩

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَنْ طَهَّرْنَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾^(١) ،
فقدّم الطائفين لقربهم من البيت ؛ ثم ثنى بالقائمين وهم العاكفون ؛ لأنهم يخصّون موضعاً
بالعكوف والطواف بخلافه فكان أعمّ منه ، والأعمّ قبل الأخصّ ، ثم ثلث بالركوع ،
لأنّ الركوع لا يلزم أن يكون في البيت^(٢) ولا عنده .

ثم في هذه الآية ثلاثة أسئلة :

الأول : كيف جمع الطائفين والقائمين جمع سلامة ، والركع جمع تكسير ؟ والجواب
أنّ جمع السلامة أقرب إلى لفظ الفعل ، فطائفون بمنزلة يطوفون ، ففي لفظه إشعار بصلة التطهير ،
وهو حدوث الطواف وتجديده ، ولو قال : بالطواف لم يفد ذلك ، لأن لفظ المصدر يخفى
ذلك ؛ وكذا القول في القائمين ، وأمّا الراكعون فلما سبق أنه لا يلزم كونه في البيت
ولا عنده ؛ فهذا لم يجمع جمع سلامة ؛ إذ لا يحتاج فيه إلى بيان الفعل الباعث على التطهير ،
كما احتيج فيما قبله .

الثاني : كيف وصف الركع بالسجود ، ولم يعطف بالواو ؟

والجواب ، لأنّ الركع هم السجود ، والشيء لا يعطف على نفسه ؛ لأنّ السجود
يكون عبارة عن المصدر ، وهو هنا عبارة عن الجمع ، فلو عطف بالواو لأوهم إرادة
المصدر دون اسم الفاعل ؛ لأنّ الراكع إن لم يسجد فليس براكع شرعاً ، ولو عطف
بالواو لأوهم أنه مستقل ، كالذي قبله .

الثالث : هلا قيل : السجّد كما قيل الركع ، وكما جاء في آية أخرى : ﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا
سُجَّدًا ﴾^(٣) ، والركوع قبل السجود ؛ والجواب أنّ السجود يُطلق على وضع الجبهة
بالأرض وعلى الخشوع ، فلو قال : السجّد ، لم يتناول إلا المعنى الظاهر ، ومنه : ﴿ تَرَاهُمْ

(٢) ت : « بالبيت » .

(١) سورة البقرة ١٢٥

(٣) سورة الفتح ٢٩

رُكْعًا سُجَّدًا ﴿١﴾ ، وهو من رؤية العين ، ورؤية العين لا تتعلق إلا بالظاهر ، فقصد بذلك الرمز إلى السجود المعنوي والصورى ؛ بخلاف الركوع ، فإنه ظاهر في أعمال الظاهر التي يشترط فيها البيت كما في الطواف والقيام المتقدم ، دون أعمال القلب ، فجعل السجود وصفاً للركوع وتعميماً له ؛ لأن الخشوع روح الصلاة وسرّها الذي شرعت له .

الخامس

بالداعية

كتقدم الأمر بغضّ الأبصار على حفظ الفروج في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾^(١) ، لأن البصر داعية إلى الفرج ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « العينان تزنيان والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » .

السادس

التعظيم

كقوله : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾^(٢) .
 وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾^(٣) .
 ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾^(٤) .
 ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾^(٥) .

(٢) سورة النساء ٦٩

(٤) سورة آل عمران ١٨

(١) سورة النور ٣٠

(٣) سورة الأحزاب ٥٦

(٥) سورة المائدة ٥٥

السابع الشرف وهو أنواع

منها شرف الرسالة ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾^(١) ،
فإن الرسول أفضل من النبي ؛ خلافا لابن عبد السلام .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾^(٢) . ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾^(٣)
ومنها شرف الذكورة :

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾^(٤) .

وقوله : ﴿ أَلَكُمْ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾^(٦) .

وأما تقديم الإناث في قوله تعالى : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا ﴾^(٧) ، فلجبرهن ، إذ هن
موضع الانكسار ، ولهذا جبر الذكور بالتعريف ، للإشارة إلى ماقاتهم من فضيلة التقديم .
ويُحْتَمَلُ أَنْ تَقْدِمَ الْإِنَاثَ ، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بَيَانُ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، لَا عَلَى
وَفَقْ غَرَضِ الْعِبَادِ .

ومنها شرف الحرية ، كقوله تعالى : ﴿ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ﴾^(٨) ، ومن الغريب
حكاية بعضهم قولين في أن الحرّ أشرف من العبد أم لا ، حكاه القرطبي ، في تفسير سورة
النساء فليُنظَرُ فِيهِ .

(٢) سورة الأعراف ١٥٧

(٤) سورة الأحزاب ٣٥

(٦) سورة النساء ١

(٨) سورة البقرة ١٧٨

(١) سورة الحج ٥٢

(٣) سورة مريم ٥٤

(٥) سورة النجم ٢١

(٧) سورة الشورى ٤٩

ومنها شرف العقل ، كقوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ (٢) .

وأما تقديم الأنعام عليهم في قوله : ﴿ تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ﴾ (٣) ، فمن باب تقديم السَّبَب ، وقد سبق .

ومنها شرف الإيمان ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴾ (٤) ، وكذلك تقديم المسلمين على الكافرين في كل موضع ، والطائع على العاصي ، وأصحاب اليمين عن أصحاب الشمال .

ومنها شرف العلم ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) .

ومنها شرف الحياة ، كقوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ (٦) .

وقوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾ (٧) . وأما تقديم الموت في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ (٨) ، فمن تقدم سبق بالوجود ، وقد سبق . ومنها شرف المعلوم ؛ نحو : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ (٩) ، فإن علم الغيبات أشرف من المشاهدات .

ومنه : ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ (١٠) . ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ (١١)

(٢) سورة النازعات ٣٣

(٤) سورة الأعراف ٨٧

(٦) سورة الروم ١٩

(٨) سورة الملك ٢

(١٠) سورة الأنعام ٦

(١) سورة النور ٤١

(٣) سورة السجدة ٢٧

(٥) سورة الزمر ٩

(٧) سورة فاطر ٢٢

(٩) سورة المؤمنون ٩٢

(١١) سورة التغابن ٤

وأما قوله : ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾^(١) ، أى من السرّ ، فعن ابن عباس وغيره :
السرّ : ما أسررت في نفسك ، وأخفى منه ما لم تحدث به نفسك ، مما يكون في عدّ علم الله
فيهما سواء ، ولا شك أن الآتى أبلغ ، وفيه وجهان :

أحدهما : أنه أفل تفضيل يستدعى مفضلا عليه ، علم حتى يتحقق في نفسه ، فيكون
حينئذ تقديم السرّ من النوع الأول .
وثانيهما : مراعاة رءوس الآى .

ومنها شرف الإدراك ، كتقديم السّمع على البصر ، والسميع على البصير ؛ لأن السمع
أشرف على أرجح القولين عند جماعة ، وقدم القلب عليهما في قوله تعالى : ﴿ خَمَّ اللَّهُ
عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾^(٢) ، لأن الحواسّ خدّمة القلب ،
وموصّلة إليه ؛ وهو المقصود ؛ وأما قوله : ﴿ وَخَمَّ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ﴾^(٣) ، فأخر
القلب فيها ؛ لأن العناية هناك بدمّ المتصامنين عن السماع ؛ ومنهم الذين كانوا يجعلون القطن
في آذانهم حتى لا يسموا ، ولهذا صدرت السورة بذكرهم في قوله : ﴿ وَيَلْبَسُوا لِكُلِّ أَفَّاكٍ
أَثِيمٍ . يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾^(٤) .
ومنها شرف المجازاة ، كقوله : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ
بِالسَّيِّئَةِ ﴾^(٥) .

ومنها شرف العموم ؛ فإنّ العامّ أشرف من الخاص ، كتقديم العفو على الغفور ؛
أى عفو عمّا لم يؤخذنا به مما نستحقّه بذنوبنا ، غفور لما واخذنا به في الدنيا ، قبلنا
ورجعنا إليه ؛ فتقدم العفو على الغفور ، لأنه أعمّ ، وأخرت المغفرة لأنها أخصّ .

(٢) سورة البقرة ٧

(٤) سورة الجاثية ٧ ، ٨

(١) سورة طه ٧

(٣) سورة الجاثية ٢٣

(٥) سورة الأنعام ٦٠

ومنها شرف الإباحة للإذن بها، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصِفُ أَلْسِنَتِكُمُ
الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾^(١)، وإنما تقديم الحرام في قوله: ﴿فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ
حَرَامًا وَحَلَالًا﴾^(٢) فلزيادة في التشنيع عليهم، أو لأجل السياق؛ لأن قبله: ﴿فَكُلُوا
مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾^(٣). ثم ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾^(٤).

ومنها الشرف بالفضيلة، كقوله تعالى: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾^(٥).

وقوله: ﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوْحٍ﴾^(٦).

وقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ
بَيْنَهُمْ...﴾^(٧) الآية.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾^(٨).

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى وَهَارُونَ﴾^(٩).

وقوله: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾^(١٠) في الأعراف والشعراء، فإن موسى استأثر

باصطفائه تعالى له بتكليمه، وكونه من أولى العزم.

فإن قلت: فقد جاء هارون وموسى في سورة طه بتقديم هارون؟

قلنا: لتناسب رموس الآي.

ومنه تقديم جبريل على ميكائيل في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ

وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾^(١١) لأن جبريل صاحب الوحي والعلم، وميكائيل

(٢) سورة يونس ٥٩

(٤) سورة البقرة ١٧٣

(٦) سورة الأحزاب ٧

(٨) سورة الأنبياء ٤٨

(١٠) سورة الأعراف ١٢٢، والشعراء ٤٨

(١) سورة النحل ١١٦

(٣) سورة النحل ١١٤

(٥) سورة النساء ٢٣

(٧) سورة الفتح ٦٩

(٩) سورة يونس ٧٥

(١١) سورة البقرة ٩٨

صاحب الأرزاق ، والخيرات النفسانية أفضل من الخيرات الجسمانية .
ومنه تقديم المهاجرين في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ ﴾^(١) .

وقوله : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾^(٢) ، ويدل على فضيلة
الهجرة قوله صلى الله عليه وسلم : « لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار » ، وبآية احتج
الصدِّيق على تفضيلهم وتعيين الإمامة فيهم .

ومنه قوله : ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾^(٣) ، فإن الصلاة أفضل من السلام .
وقوله : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ ﴾^(٤) ، قدم
القريب لأن الصدقة عليه أفضل من الأجنبي .

ومنه تقديم الوجه في قوله تعالى : ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾^(٥) .
وتقديم اليمين على الشمال في نحو : ﴿ جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾^(٦) ، ﴿ عَنْ الْيَمِينِ
وَعَنِ الشَّمَالِ ﴾^(٧) .

ومنه تقديم الأنفس على الأموال في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾^(٨) . وأما تقديم الأموال في سورة الأنفال في قوله : ﴿ وَجَاهِدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(٩) ، فوجه التقديم أن الجهاد يستدعى تقديم إنفاق
الأموال ، فهو من باب السبق بالسببية .

ومنه : ﴿ مُخَلَّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾^(١٠) ، فإن الخلق أفضل من التقصير .

(٢) سورة التوبة ١٠٠

(٤) سورة البقرة ١٧٧

(٦) سورة سبأ ١٥

(٨) سورة التوبة ١١١

(١٠) سورة الفتح ٢٧

(١) سورة التوبة ١١٧

(٣) سورة الأحزاب ٥٦

(٥) سورة المائدة ٦

(٧) سورة المعارج ٣٧

(٩) سورة الأنفال ٧٢

ومنه تقديم السموات على الأرض ، كقوله : ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾^(١) وهو كثير ، وكذلك كثيرا ما يقع « السموات » بلفظ الجمع ، و « الأرض » لم تقع إلا مفردة .

وأما تأخيرها عنها في قوله : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾^(٢) ؛ فلأنه لما ذكر المخاطبين ، وهو قوله : ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾^(٣) ، وهو خطاب لأهل الأرض ، وعملهم يكون في الأرض ؛ وهذا بخلاف الآية التي في سبأ ؛ فإنها منتظمة في سياق علم الغيب .

وكذلك قوله : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾^(٤) .
وأما تأخيرها عنها في قوله : ﴿ وَالْأَرْضُ كُلُّهَا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾^(٥) ؛ فلأن الآية في سياق الوعد والوعيد ؛ وإنما هو لأهل الأرض .
وكذا قوله : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾^(٦) .

ومنه تقديم الإنس على الجن في قوله : ﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ... ﴾^(٧) الآية .

وقوله : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾^(٨) :

وقوله : ﴿ لَمْ يَطْمِئِنَّ مِنْ إِنْسٍ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾^(٩) .

وقوله : ﴿ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾^(١٠) .

(٢) سورة يونس ٦١

(٤) سورة الزمر ٦٧

(٦) سورة الإسراء ٨٨

(٨) سورة الرحمن ٥٦

(١) سورة العنكبوت ٤٤

(٣) سورة آل عمران ٥

(٥) سورة إبراهيم ٤٨

(٧) سورة الرحمن ٣٩

(٩) سورة الجن ٥

وقوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ . وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾^(١) .

وأما تقديم الجن في مواضع آخر، كقوله : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾^(٢) ؛ فلأنهم أقدم في الخلق ، فيكون من النوع^(٣) الأول - أعني التقديم بالزمان - ولهذا لما أُخِّرَ في آية الحجر صرَّحَ بالقبلية بذكر الإنسان ، ثم قال : ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ ﴾^(٤) .

ويجوز أن يكون في الأمثلة السالفة من باب تقديم الأعجب ؛ لأنَّ خلقها أغرب ، كقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾^(٥) .

أو لأنهم أقوى أجساماً ، وأعظم أقداماً ولهذا قدِّموا في : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٦) ، وفي : ﴿ وَحَشِيرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ ﴾^(٧) .

ومنه تقديم السُّجَّدِ عَلَى الرَّكَعَيْنِ في قوله : ﴿ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾^(٨) ، وسبق فيه شيء آخر .

ومنه تقديم الخليل على البغال ، والبغال على الحمير في قوله تعالى : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾^(٩) .

ومنه تقديم الذهب على الفضة في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾^(١٠) .

(٢) سورة الأنعام ١٣٠

(١) سورة الرحمن ١٤ ، ١٥

(٣) سبق الكلام عليه في ص ٢٣٩ من هذا الجزء . (٤) سورة الحجر ٢٧

(٦) سورة الرحمن ٣٣

(٥) سورة النور ٤٥

(٨) سورة آل عمران ٤٣

(٧) سورة النمل ١٧

(١٠) سورة التوبة ٣٤

(٩) سورة النحل ٨

فإن قلت : فهل يجوز أن يكون من تقديم المذكر على المؤنث ؟

قلت : هيئات ، الذهب أيضاً مؤنث ، ولهذا بصغر على ذهبية كـ « قدم » .

ومنه تقديم الصوف في قوله : ﴿ وَمِنْ أَضْوَأِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا ﴾^(١) ؛ ولهذا احتج به بعض الصوفية على اختيار لبس الصوف على غيره من الملابس ؛ وأنه شعار الملائكة في قوله : ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾^(٢) قيل : سيامهم يومئذ الصوف . وعن عليّ : الصوف الأبيض ؛ رواه أبو نعيم في مدح الصوف ، وقال : إنه شعار الأنبياء . وقال ابن مسعود : كانت الأنبياء قبلكم يلبسون الصوف ؛ وفي الصحيح في موسى عليه السلام : « عليه عباءة » .

ومنه تقديم الشمس على القمر في قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾^(٣) ، وقوله : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾^(٤) ، ولهذا قال تعالى : ﴿ جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾^(٥) ؛ والحكماء يقولون : إن نور القمر مستمد من نور الشمس ، قال الشاعر :

يَا مُفْرَدًا بِالْحُسْنِ وَالشَّكْلِ مَنْ دَلَّ عَيْنَيْكَ عَلَى قَتْلِي
الْبَدْرُ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نُورُهُ وَالشَّمْسُ مِنْ نُورِكَ تَسْتَمَلِي

وأما قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِيقًا . وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴾^(٦) فيحتمل وجهين : مناسبة ، وس الآية أو أن ارتفاع أهل السموات به أكثر . قال ابن الأنباري : يقال : إن القمر وجهه بضيء لأهل الشمس ،

(١) سورة النحل ٨٠

(٢) سورة آل عمران ١٢٥ من قوله تعالى . ﴿ يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ .

(٣) سورة الحج ١٨ من قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ... ﴾ . (٤) سورة الفرقان ٦١

(٦) سورة نوح ١٥ ، ١٦

(٥) سورة يونس ٥

وظهره إلى الأرض ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فِيهِنَّ ﴾ لما كان أكثر نوره يضيء إلى أهل السماء .

الثامن

الغلبة والكثرة

كقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ﴾^(١) ، قدم الظالم لكثرة ، ثم المقتصد ، ثم السابق .

وقوله : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾^(٢) .

﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾^(٣) .

﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ﴾^(٤) .

وجعل منه الزمخشري : ﴿ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾^(٥) يعني بدليل قوله :

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾^(٦) وحديث بعث النار .

وأما قوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾^(٧) ، قدم ذكر العذاب

لكون الكلام مع اليهود الذين كفروا بعمى وراموا قتله .

وجعل من هذا النوع قوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ ﴾^(٨) ؛ لأن السرقة

في الذكور أكثر .

وقدم في الزنى المرأة في قوله : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴾^(٩) لأن الزنى فيهن أكثر . وأما قوله :

(٢) سورة هود ١٠٥

(٤) سورة النور ٢٦

(٨) سورة المائدة ٣٨

(١) سورة فاطر ٣٢

(٣) سورة آل عمران ١٥٢

(٥) سورة التغابن ٢

(٦) سورة يوسف ١٠٣ ؛ وانظر الكشاف : ٤٣٧

(٧) سورة آل عمران ٥٦

(٩) سورة النور ٢

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةَ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾^(١) .
 فقال الزمخشري: سبقت الآية التي قبلها لعقوبتهما على ما جنيا؛ والمرأة هي المادة التي نشأت منها
 الخيانة^(٢)؛ لأنها لو لم تطمع الرجل، [ولم تومض له]^(٣) وتمكنه لم يطمع ولم يتمكن،
 فلما كانت أصلا وأولا في ذلك بدأ بذكرها، وأما الثانية فسوقة لذكر النكاح، والرجل
 أصل، [فيه]^(٤) لأنه هو الراغب والخطاب يبدأ الطلب^(٥) .

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾^(٥)، قال
 الزمخشري: قدم غضّ البصر؛ لأن النظر يريد الزنى، ورائد الفجور، والبلوى به أشدّ
 وأكثر، ولا يكاد يُقدّر على الاحتراس منه^(٦) .

ومنه تقديم الرحمة على العذاب حيث وقع في القرآن، ولهذا ورد: «إن رحمتي
 غلبت غضبي» .

وأما تقديم التعذيب على المغفرة في آية المائدة^(٧) فللسياق .

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾^(٨)، قال
 ابن الحاجب في أماليه: إنما قدم الأزواج لأن المقصود الإخبار أن فيهم أعداء، ووقوع
 ذلك في الأزواج أقدم منه في الأولاد؛ فكان أقعد في المعنى المراد فقدم، ولذلك قدمت
 الأموال في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾^(٩)، لأن الأموال لا تكاد
 تفارقها الفتنة: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾^(١٠) . ﴿أَمْ رَأَىٰ مَا تُغْنِيهَا فَفَسَقُوا
 فِيهَا﴾^(١١)، وليست الأولاد في استلزام الفتنة مثلها، وكان تقدمها أولى .

(٢) الكشاف: «الجنابة» .

(٤) الكشاف ٣ : ١٦٨

(٦) الكشاف ٣ : ١٨١

(٧) وهو قوله تعالى في الآية ١١٨ : ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ

(٨) سورة التغابن ١٤

(١٠) سورة العلق ٦ ، ٧

(١) سورة النور ٣

(٣) من الكشاف .

(٥) سورة النور ٣٠

أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

(٩) سورة التغابن ١٥

(١١) سورة الإسراء ١٦

التاسع

سبق ما يقتضى تقديمه

وهو دلالة السياق ، كقوله تعالى : ﴿ وَلكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ ^(١) ؛ لما كان إسراحها وهى خِصاص ، وإيراحتها وهى بَطَّان ، قدم الإراحة لأنّ الجمال بها حينئذ أنخر .

وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢) ، لأن السياق فى ذكر مريم فى قوله : ﴿ وَآلَتِي أَحْصَنَتُ فَرَجَهَا ﴾ ^(٢) ، ولذلك قدم الابن فى غير هذا المكان ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ فَفَقَّهْمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ ^(٤) ؛ فإنه قدم الحكم مع أن العلم لا بدّ من سبقه للحكم ؛ ولكن لما كان السياق فى الحكم قدمه ، قال تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ ^(٥) ، ويحتمل أن المراد بالحكم الحكمة ، وبها فسر الزمخشري قوله تعالى فى سورة يوسف : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ ^(٦) ؛ وأما تقديم الحكيم على العليم فى سورة الأنعام ^(٧) ، فلا أنه مقام تشريع الأحكام ، وأما فى أول سورة يوسف فقدّم العليم على الحكيم ^(٨) ، لقوله فى آخرها : ﴿ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ .

(٢) سورة الأنبياء ٩١

(٤) سورة الأنبياء ٧٩

(٦) سورة يوسف ٢٢

(١) سورة النحل ٦

(٣) سورة المؤمنون ٥٠

(٥) سورة الأنبياء ٧٨

(٧) وهو قوله تعالى فى آية ٨٣ : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ .

(٨) وهو قوله تعالى فى آية ٦ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

ومنه تقديم المحو على الإثبات في قوله : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ﴾^(١) ، فإن قبله : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾^(٢) . ويمكن أن يقال : ما يقع عليه المحو أقل مما يقع عليه غيره ، ولا سيما على قراءة تشديد « يُثَبِّتُ » ؛ فإنها ناصئة على الكثرة ، والمراد به الاستمرار لا الاستئناف .

وقوله : ﴿ وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾^(٣) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا ﴾^(٤) ، قدم « رسلا » هنا على « مِنْ قَبْلِكَ » وفي غير هذه^(٥) بالعكس ؛ لأن السياق هنا في الرسل .
ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ ﴾^(٥) ، قدم القبض لأن قبله ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾^(٥) ، وكان هذا بسطا ، فلا يناسب تلاوة البسط ، فقدم القبض لهذا ، وللترغيب في الإنفاق ؛ لأن الممتنع منه سببه خوف القلة ، فبين أن هذا لا ينجيه ، فإن القبض مقدر ولا بد .

العاشر

مراعاة اشتقاق اللفظ

كقوله : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾^(٦) .
﴿ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾^(٧) .
﴿ يُنَبِّأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾^(٨) .

(٢) سورة الرعد ٣٨

(١) سورة الرعد ٣٩

(٣) سورة الشورى ٢٤

(٤) وهو قوله تعالى في سورة الروم ٤٧ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ ﴾

(٦) سورة المدثر ٣٧

(٥) سورة البقرة ٢٤٥

(٨) سورة القيامة ١٣

(٨) سورة الانفطار ٧

﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ . إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾^(١) .

﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ . وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾^(٢) .

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾^(٣) .

وأما قوله : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾^(٤) ، فقدم

نفي التأخير ؛ لأنه الأصل في الكلام ، وإنما ذكر التقديم مع عدم إمكان التقدم ، نفياً لأطراف الكلام كله .

وكقوله : ﴿ إِنَّهُ هُوَ بِيَدِي وَيُعِيدُ ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾^(٦) .

﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾^(٧) .

﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ﴾^(٨) .

وقوله : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾^(٩) .

﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾^(١٠) .

فإن قلت قد جاء : ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴾^(١١) . أم للإنسان

مَا تَعْنَىٰ . فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴾^(١٢) .

قلت : لمناسبة رؤوس الآي .

(٢) سورة الواقعة ٣٩ ، ٤٠

(٤) سورة النحل ٦١

(٦) سورة الأعراف ٢٩

(٨) سورة القصص ٧٠

(١٠) سورة البقرة ٢٢٠

(١٢) سورة النجم ٢٤ ، ٢٥

(١) سورة الواقعة ٤٩ ، ٥٠

(٣) سورة الحجر ٢٤

(٥) سورة البروج ١٣

(٧) سورة الروم ٤

(٩) سورة الحديد ٣

(١١) سورة النازعات ٣٥

ومثله : ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴾ ^(١) ، ولأن الخطاب لهم ، فقدّموا .

الحادى عشر

للحث عليه خيفة من التهاون به

كتقديم تنفيذ الوصية على وفاء الدين ، فى قوله : ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي بُوَصِي بِهَا أَوْ دِينٍ ﴾ ^(٢) ، فإن وفاء الدين سابق على الوصية ، لكن قدم الوصية ، لأنهم كانوا يتساهلون بتأخيرها ، بخلاف الدين .

ونظيره : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً ﴾ ^(٣) ، قدم الإناث حثاً على الإحسان إليهم .

وقال السهيلي فى « النتائج » ^(٤) : إنما قدّمت الوصية لوجهين :

أحدهما : أنها قرّبة إلى الله تعالى ، بخلاف الدين الذى تعوّد الرسل منه ،

فبدي بها للفضل .

والثانى : أن الوصية للميت ، والدين لغيره ، ونفسك قبل نفس غيرك ، تقول : هذا

لى وهذا لغيرى ، ولا تقول فى فصيح الكلام : هذا لغيرى وهذا لى

الثانى عشر

لتحقق ما بعده واستغناؤه هو عنه فى تصوّره

كقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ^(٥) .

(٢) سورة النساء ١١

(١) سورة المرسلات ٣٨

(٤) نتائج الفكر فى علل النجوى : ذكر فيه أن الإعراب

(٣) سورة الشورى ٤٩

مرقاة لى علوم الكتاب ، ورتبه على ترتيب أبواب الجمل . قاله صاحب كشف الظنون .

(٥) سورة مريم ٩٦

وقوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾^(١) .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا ﴾^(٢) .

الثالث عشر

الاهتمام عند المخاطب

كقوله : ﴿ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾^(٣) .

ونظيره قوله عليه السلام : « وأن تقرأ السلام على من عرفته ومن لم تعرفه » .

وقوله : ﴿ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ ﴾^(٤) لفضل الصدقة على القريب .

وكقوله : ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿ وَدِيَّةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ ﴾^(٥) ، فقدم الكفارة على الدية ، وعكس في قتل

المعاهد حيث قال : ﴿ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ

وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾^(٥) .

قال الماوردي في « الحاوي »^(٦) : ووجهه أن المسلم يرى تقديم حق الله على نفسه

والكافر يرى تقديم نفسه على حق الله ، قال : وقال ابن أبي هريرة^(٧) : إنما خالف بينهما

ولم يجعلهما على نسق واحد ؛ لئلا يلحق بهما ما بينهما من قتل المؤمن في دار الحرب ، في

قوله : ﴿ فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾^(٥) ، فضم إليه

الدية إلحاقاً بأحد الطرفين ، فأزال هذا الاحتمال باختلاف اللفظين .

(٢) سورة الأعراف ١٥٣

(٤) سورة الأنفال ٤١

(١) سورة فصلت ٣٣

(٣) سورة النساء ٨٦

(٥) سورة النساء ٩٢

(٦) الحاوي الكبير في الفروع للقاضي أبي الحسن علي بن محمد الماوردي البصري الشافعي المتوفى سنة

٤٥٠ ، ذكره صاحب كشف الظنون . وقال : « وهو كتاب عظيم في عشرة مجلدات . ويقال : إنه

ثلاثون مجلداً لم يؤلف في المذهب مثله » .

(٧) هو أبو علي الحسن بن الحسين الشافعي ، عرف بابن أبي هريرة ، شرح مختصر الزني ؛ ومات

سنة ٣٤٥ . طبقات الشافعية ٢ : ٢٠٦

وقال الفقيه نجم الدين بن الرُّفعة^(١) : يحتمل أن يقال : إنه لما كان الكفر يهدر الدماء وهو موجود ، كان الغاية ببذل الدم عند العصمة لأجل الميثاق أتم ، لأنه يُغْمَضُ حُكْمُهُ ، فلذلك قدمت الدية فيه ، وأخرت الكفارة ، لأن حكمها قد سبق . ولما كانت عصمة المسلم ثابتة ، وقياس الأصول أنه لا تجب الكفارة في قتل الخطأ ، لأنه لا إثم فيه ، خصوصا على المسلمين لرفع القلم عن الخطأ ، كانت العناية بذكر الكفارة فيه أتم ؛ لأنها التي تغمض ، فقدّمت .

ومن هذا النوع قوله تعالى : ﴿ فَاتَّبِعْ سَبِيلًا . حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ﴾^(٢) قيل : لماذا بدأ بالمغرب قبل المشرق ، وكان مسكن ذى القرنين من ناحية المشرق ؟ قيل : لقصد الاهتمام ، إما لتمرّد أهله وكثرة طغيانهم في ذلك الوقت ، أو غير ذلك مما لم ينته إلينا علمه . ومن هذا أن تأخر المقصود بالمدح والذم أولى من تقدّمه ؛ كقوله : نعم الرجل زيد ، أحسن من قولك : زيد نعم الرجل ، لأنهم يقدّمون الأهم ، وهم في هذا بذكر المدح والذم أهم . فأما تقديمه في قوله تعالى : ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾^(٣) ، فإن المدوح هنا بـ « نعم العبد » هو سليمان عليه السلام ، وقد تقدّم ذكره . وكذلك أيوب في الآية الأخرى والمخصوص بالمدح في الآيتين ضمير سليمان وأيوب ، وتقديره : نعم العبد هو إنه أَوَّابٌ .

الرابع عشر

للتنبيه على أنه مطلق لا مقيد

كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ ﴾^(٤) ، على القول بأن « الله » في موضع المفعول الثاني لـ « جعل » ، و « شركاء » مفعول أول ، ويكون « الجن » في كلامه إن مقدر ،

(١) هو أحمد بن علي ، المعروف بابن الرُّفعة إمام الشافعية في عصره . وانظر ترجمته في طبقات

(٢) سورة الكهف ٨٥ ، ٨٦

(٤) سورة الأنعام ١٠٠

الشافعية ٥ : ١٧٧ - ١٧٨

(٣) سورة ص ٣٠ ، ٤٤

كأنه قيل : فمن جعلوا شركاء ؟ قيل : الجن ؛ وهذا يقتضى وقوع الإنكار على جعلهم « لله شركاء » على الإطلاق ، فيدخل مشرِكَةُ غير الجن ولو أُخِرَّ فقيل : وجعلوا الجن شركاء لله ، كان الجن مفعولا أولا ، وشركاء ثانيا ، فتكون الشركة مقيدة غير مطلقة ؛ لأنه جرى على الجن ، فيكون الإنكار توجه لجعل المشاركة للجن خاصة ، وليس كذلك وفيه زيادة سبقت .

الخامس عشر

للتنبية على أن السبب مرتب

كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾^(١) قدم الجباه ثم الجنوب ؛ لأن مانع الصدقة في الدنيا كان يصرف وجهه أولا عن السائل ، ثم ينوء بجانبه ، ثم يتولى بظهره .

السادس عشر

التنقل

وهو أنواع : إما من الأقرب إلى الأبعد ، كقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾^(٢) قدم ذكر المخاطبين على من قبلهم ، و قدم الأرض على السماء . وكذلك قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾^(٣) ، لقصد الترقى .

(٢) سورة البقرة ٢١ ، ٢٢

(١) سورة التوبة ٣٥

(٣) سورة آل عمران ٥

- وقوله : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾^(١) .
وإما بالعكس كقوله في أول الجاثية : ﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ . وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ﴾^(٢) .
وإما من الأعلى ، كقوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾^(٣) .
وقوله : ﴿ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ ﴾^(٤) .
وإما من الأدنى ، كقوله : ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾^(٥) .
وقوله : ﴿ مَالٍ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾^(٦) .
وقوله : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^(٧) .

فإن قلت : لم لا اكتفى بنفى الأدنى ، ليعلم منه نفي الأعلى بطريق الأولى ؟ قلت :
جوابه مما سبق من التقديم بالزمان .

وكقوله : ﴿ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ . . . ﴾^(٨) الآية ،
وبهذا يتبين فساد استدلال المعتزلة على تفضيل الملك على البشر بقوله : ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ
الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ﴾^(٩) فإنهم زعموا أن سياقها يقتضى الترقى من الأدنى إلى
الأعلى ، إذ لا يحسن أن يقال : لا يستنكف فلان عن خدمتك ، ولا من دونه بل ولا
من فوقه .

وجوابه أن هؤلاء لما عبدوا المسيح ، واعتقدوا فيه الولدية لما فيه من القدرة على الخوارق

(٢) سورة الجاثية ٣ ، ٤

(٤) سورة هود ٤٩

(٦) سورة الكهف ٤٩

(٨) سورة المدثر ٣١

(١) سورة المؤمنون ٨٦

(٣) - سورة آل عمران ١٨

(٥) سورة التوبة ١٢١

(٧) سورة البقرة ٢٥٥

(٩) سورة النساء ١٧٢

والمعجزات ، من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص وغيره ؛ ولكونه خُلق من غير
تراب . والتزهيدُ في الدنيا وغالب هذه الأمور هي للملائكة أتم ، وهم فيها أقوى ، فإن
كانت هذه الصفات أوجبت عبادته ، فهو مع هذه الصفات لا يستنكف عن عبادة الله ،
بل ولا مَنْ هو أكبر منه في هذه الصفات ، للترقى من الأدنى إلى الأعلى في المقصود ،
ولم يلزم منه الشرف المطلق والفضيلة على المسيح .

السابع عشر

الترقى

كقوله : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا . . . ﴾^(١) الآية ؛
فإنه سبحانه بدأ منها بالأدنى لغرض الترقى ؛ لأن منفعة الرابع أهم من منفعة الثالث ، فهو
أشرف منه ، ومنفعة الثالث أعم من منفعة الثاني ، ومنفعة الثاني أعم من منفعة الأول ،
فهو أشرف منه .

وقد قرِنَ السمع بالعقل ولم يقرن به البصر في قوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ
أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي
الْعُمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴾^(٢) ، وما قرِنَ بالأشرف كان أشرف ؛ وحكى ذلك
عن علي بن عيسى الربعي .

قال الشيخ أبو الفتح القشيري :

فإن قيل : قد كان الأولى أن يقدم الوصف الأعلى ، ثم مادونه ، حتى ينتهي
إلى أضعفها ؛ لأنه إذا بدا بسلب الوصف الأعلى ، ثم بسبب مادونه ، كان ذلك أبلغ في الذم ؛

(١) سورة الأعراف ١٩٥

(٢) سورة يونس ٤٢

لأنه لا يلزم من سلب الأعلى سلب ما دونه ، كما تقول : ليس زيد بسلطان ، ولا وزير ، ولا أمير ، ولا والٍ . والافرض من الآية المبالغة في الذم .

قلت : ما ذكرته طريقة حسنة في علم المعاني ، والمقصود من الآية طريقة أخرى ، وهي أنه تعالى أثبت أن الأصنام التي تعبدها الكفار أمثال الكفار ، في أنها مقهورة مربوبة ، ثم حطها عن درجة المثلية بنفي هذه الصفات الثابتة للكفار عنها . وقد علمت أن المماثلة بين الذوات المتناهية إنما تكون باعتبار الصفات الجامعة بينهما ؛ إذ هي أسباب في ثبوت المماثلة بينها ، وتقوى المماثلة بقوة أسبابها ، وتضعف بضعفها ، فإذا سلب وصف ثابت لإحدى الذاتين عن الأخرى انتفى وجه من المماثلة بينهما ، ثم إذا سلب وصف من الأول انتفى وجه من المماثلة أقوى من الأول ، ثم لا يزال يسلب أسباب المماثلة ، أقواها فأقواها ؛ حتى تنتفى المماثلة كلها بهذا التدرج . وهذه الطريقة ألطف من سلب أسباب المماثلة ؛ أقواها ثم أضعفها فأضعفها .

الثامن عشر

مراعاة الأفراد

فإن المفرد سابق على الجمع ، كقوله تعالى : ﴿ أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ ﴾^(١) . وقوله : ﴿ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنِينَ ﴾^(٢) ؛ ولهذا لما عتبر عن المال بالجمع أخرج عن البنين في قوله : ﴿ زُبْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾^(٣) .

(٢) سورة المؤمنون ٥٥

(١) سورة الكهف ٤٦

(٣) سورة آل عمران ١٤

ومنه تقديم الوصف بالمفرد على الوصف بالجملة ، في قوله : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾^(١) ، وقوله : ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴾^(٢) .

التاسع عشر

التحذير منه والتنفير عنه

كقوله تعالى : ﴿ الزَّانِ لَا يَنْسَكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾^(٣) ، قرن الزنى بالشرك وقدمه .

وقوله : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ الدُّسَاءِ وَالْبَيْنِ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ﴾^(٤) ، قدمهن في الذِّكْر ؛ لأنَّ المحنة بهن أعظم من المحنة بالأولاد ، وفي صحيح مسلم^(٥) : « مَا تَرَكَتُ بَعْدِي [فِي النَّاسِ] ^(٦) فِتْنَةٌ أَضْرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ » . ومن الحكمة العظيمة أنه بدأ بذكر النساء في الدنيا ، وختم بـ « الْحَرْثِ » وهما طرفان متشابهان ، وفيهما الشهوة والمعاش الدنيوي ، ولما ذكر بعد ذلك ما أعدّه للمتقين آخر ذكر الأزواج كما يجب في الترتيب الأخرى ، وختم بالرضوان . وكم في القرآن من مثل هذا العجب إذا حضر له الذهن ، وفرغ له الفهم !
ومنه تقديم نفي الولد على نفي الوالد ، في قوله : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾^(٧) ؛ فإنه لما وقع في الأول منازعة الكفرة وتقوُّلم اقتضت الرتبة بالطبع تقديمه في الذكر ، اعتناء به ، قبل التنزيه عن الوالد الذي لم يَنَازِعَ فيه أحد من الأمم .

العشرون

التخويف منه

كقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾^(٨) ، ونظائره السابقة في الثامن .

(٢) سورة الأنبياء ٥٠
(٤) سورة آل عمران ١٤
(٦) تكملة من صحيح مسلم
(٨) سورة هود ١٠٥

(١) سورة غافر ٢٨
(٣) سورة النور ٣
(٥) صحيح مسلم ٤ : ٢٩٨
(٧) سورة الإخلاص ٣

الحادى والعشرون

التمجيب من شأنه

كقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾^(١) .

قال الزمخشري : قدم^(٢) الجبال على الطير ؛ لأن تسخيرها له وتسبيحها أعجب وأدلّ

على القدرة ، وأدخل في الإعجاز ؛ لأنها جماد ، والطير حيوان ناطق .

قال ابن النحاس^(٣) : وليس مراد الزمخشري بـ « ناطق » ما يراد به في حدّ الإنسان .

الثانى والعشرون

كونه أدلّ على القدرة

كقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ﴾^(٤) .

والثالث والعشرون

قصد الترتيب

كما في آية الوضوء ، فإن إدخال المسح بين الغسلين ، وقطع النظر عن النظائر مع مراعاة

ذلك في لسانهم ، دليل على قصد الترتيب .

(٢) سورة الأنبياء ٧٩

(٣) الكشاف ٣ : ١٠١

(٤) لعله محمد بن إبراهيم بهاء الدين بن النحاس الحلبي شيخ الديار المصرية ، المتوفى سنة ٦٩٨

(٤) سورة النور ٤٥

وانظر بنية الوعاء ٦

وكذلك البداءة في الصفا بالسعي . ومثله الكفارة المرتبة في الظهر والقتل .
وهنا قاعدة ذكرها أصحابنا ، وهي أن الكفارة المرتبة بدأ الله فيها بالأغظ ، والمخيرة
بدأ فيها بالأخف ، كما في كفارة اليمين ، ولهذا حملوا آية المحاربة في قوله : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ
الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا . . . ﴾^(١) ، الآية
على الترتيب لا التخيير ؛ لأنه بدأ فيها بالأغظ طرداً للقاعدة ، خلافاً للمالك حيث جعلها
على التخيير .

الرابع والعشرون

خفة اللفظ

كما في قولهم : ربيعة ومضر ؛ مع أن مضر أشرف لكون النبي صلى الله عليه وسلم منهم ،
لأنهم لو قدموا مضر لتوالى حركات كثيرة ، وذلك يثقل ، فإذا قدموا ربيعة ووقفوا
على مضر ، بسكون الراء ، نقص الثقل لقلّة الحركات المتوالية .
وقد يكون تقديم الإنس على الجن من ذلك ؛ فالإنس أخف لمكان النون
والسين المهموسة .

الخامس والعشرون

رعاية الفواصل

كتأخير الغفور في قوله : ﴿ لَعَفُوْا غُفُوْرًا ﴾^(٢) ، وقوله ﴿ وَكَانَ رَسُوْلًا نَّبِيًّا ﴾^(٣) ،

(٢) سورة الحج ٦٠

(١) سورة المائدة ٣٣

(٣) سورة مريم ٥٤

وإن كانت القاعدة في علم البيان تأخير ما هو الأبلغ، فإنه يقال: عالم نحرير، وشجاع باسل، وسبق له نظائر.

وكقوله: ﴿ خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه ﴾^(١)، ولو قال: صلوه الجحيم لأفاد المعنى، ولكن يفوت الجمع.

وقيل: فائدته الاختصاص.

وقوله: ﴿ إن كنتم إياه تعبدون ﴾^(٢)، فقدم « إياه » على « تعبدون » لمشكلة رموس الآي.

تنبيه

قد يكون في كل واحد مما ذكرنا من الأمثلة سببان فأكثر للتقديم، فإما أن يُعتقد إعادة الكل، أو يرجح بعضها لكونه أهم في ذلك المحل. وإن كانت الأخرى أهم في محل آخر. وإذا تعارضت الأسباب روعي أقواها، فإن تساوت كان المتكلم بالخيار في تقديم أي الأمرين شاء.

النوع الثاني

مما قدم النية به التأخير

فمنه ما يدل على ذلك الإعراب، كتقديم المفعول على الفاعل في نحو قوله له: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(٣)، و ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا ﴾^(٤)، و ﴿ إِذِ ابْتَلَى

(٢) سورة النحل ١١٤

(٤) سورة الحج ٣٧

(١) سورة الحاقة ٣٠ ، ٣١

(٣) سورة فاطر ٢٨

إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ ﴿١﴾ .

ونحوه مما يجب في الصناعة النحوية كذلك ، ولكن ذلك لقصد الحصر .
كتقديم المفعول . كقوله : ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ ﴾ (٢) . ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ ﴾ (٣) .

وكتقديم الخبر على المبتدأ في قوله : ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَا نَعْتُهُمْ حُصُونَهُمْ مِنَ اللَّهِ ﴾ (٤)
ولو قال « وظنوا أن حصونهم مانعتهم » لما أشعر بزيادة وثوقهم بمنعها إياهم .

وكذا : ﴿ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنِ آلِهَتِي ﴾ (٥) ، ولو قال : « أنت راغب عنها » ؟ ما أفادت

زيادة الإنكار على إبراهيم .

وكذلك : ﴿ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (٦)

ولم يقل : « فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة » ، وكان يستغنى عن الضمير ، لأن هذا
لا يفيد اختصاص الذين كفروا بالشخص .

ومنه ما يدل على المعنى ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ (٧) ،

قال البغوي : هذا أول القصة ، وإن كانت مؤخرة في التلاوة .

وقال الواحدى : كان الاختلاف في القاتل قبل ذبح البقرة ، وإنما أُوخِر في الكلام

لأنه سبحانه لما قال : ﴿ إِنْ أَلَّ اللَّهُ بِأَمْرِكُمْ . . . ﴾ (٨) الآية علم المخاطبين أن البقرة لا تذبح

إلا للدلالة على قاتل خفيت عينه عليهم ، فلما استقرت علم هذا في نفوسهم أتبع بقوله :

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ على جهة التوكيد ، لا أنه عرفهم الاختلاف

في القاتل بعد أن دأبهم على ذبح البقرة . وقيل : إنه من المؤخر الذي يراد به التقدم ،

(٢) سورة الزمر ٦٤

(٤) سورة الحشر ٢

(٦) سورة الأنبياء ٩٧

(٨) سورة البقرة ٦٧

(١) سورة البقرة ١٢٤

(٣) سورة الزمر ١٤

(٥) سورة مريم ٤٦

(٧) سورة البقرة ٧٢

وتأويله : وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها فسأتم موسى فقال لكم : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا بِأَمْرِ كُمْ أَنْ تَذَبْحُوا بَقْرَةً ﴾ .

وأما الزمخشري ففي كلامه ما يدلّ على أن إيرادها إنما كان يتأتى على الوجه الواقع في القرآن ، لمعنى حسن لطيف استخرجه وأبداه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ ^(١) ، وأصل الكلام : « هواه إلهه » ، كما تقول : اتخذ الصنم معبوداً ، لكن قدّم المقعول الثاني على الأول للعناية ، كما تقول : علمت منطلقاً زيداً ، لفضل عنايتك بانطلاقه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ . . . ﴾ ^(٢) الآية ، أى أنزله قيماً ولم يجعل له عوجاً . قاله جماعة منهم الواحدى .

ورده نجر الدين في تفسيره بأن قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قِيَمًا ﴾ ^(٣) ، معناه أنه كامل في ذاته ، وأن « قِيَمًا » ، معناه أنه مكمل لغيره ، وكونه كاملاً في ذاته ، سابق على كونه مكتملاً لغيره ؛ لأن معنى كونه « قِيَمًا » أنه قائم بمصالح الغير . قال : فثبت بالبرهان العقلى أن الترتيب الصحيح ما ذكر في الآية ، وما ذكر من التقديم والتأخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب إليه . انتهى .

وهذا فهم عجيب من الإمام ، لأن القائل بالتقديم والتأخير لا يقول بأن كونه غير ذى عوج متأخر عن كونه « قِيَمًا » في المعنى ، وإنما الكلام في ترتيب اللفظ لأجل الإعراب . وقد يكون أحد المعنيين ثابتاً قبل الآخر ويذكر بعده .

وأيضاً فإن هذا البحث إنما هو على تفسير القيم بالمستقيم ، فأما إذا فسّر بالقيام على غيره فلا نسلم أن القائل يقول بالتقديم والتأخير .

وهاهنا أمران :

أحدهما : أن الأظهر جعل هذه الجملة - أعنى قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قَيِّمًا ﴾ - من جملة صلة « الذى » وتمامها ، وعلى ^(١) هذا لا موضع لها من الإعراب لوجهين ^(٢) : أحدهما أنها فى حيز الصلة ؛ لأنها معطوفة عليها . والثانى أنها اعتراض بين الحال وعاملها . ويجوز فى الجملة المذكورة أن يكون موضعها النصب ؛ على أنها حال من « الكتاب » ، والعامل فيها « أنزل » .

قاله جماعة ، وفيه نظر .

وأما قوله : « قَيِّمًا » فيجوز فى نصبه وجوه :

أحدها - وهو قول الأكثر - أنه منصوب على الحال من « الكتاب » والعامل فيه « أنزل » ، وفى الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره : « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب قَيِّمًا ، ولم يجعل له عوجًا » ، فتكون الجملة على هذا اعتراضاً .
والثانى أن يكون منصوباً بفعل مقدر ، وتقديره : « ولكن جعله قَيِّمًا » ، فيكون مفعولاً للفعل المقدر .

والثالث أن يكون حالاً من الضمير فى قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ ، وتكون حالاً مؤكدة .

واختار صاحب الكشاف أن يكون ^(٣) « قَيِّمًا » مفعولاً لفعل مقدر كما ذكرناه ؛ لأن الجملة التى قبلها عنده معطوفة على الصلة ، و « قَيِّمًا » من تمام الصلة ، وإذا كان حالاً يكون فيه فصلٌ بين بعض الصلة وتمامها ، فكان الأحسن جعله مفعولاً مقدر .

وقال جماعة منهم ابن المنير فى تفسير البحر بعد نقله كلام الزمخشري : وعجيب من كونه لم يجعل الفاصل المذكور حالاً أيضاً ، ولا فصل ، بل هما حالان متواليان من شىء واحد ، والتقدير : أنزل الكتاب غير معوج .

(٢) ت : « بوجهين » .

(١) م : « وهذه » .

(٣) انظر الكشاف ٢ : ٥٤٨

وهذا القول - وهو جعل الجملة حالا - قد ذكره جماعة قبل ابن المنير . والظاهر أن الزمخشري لم يرتضِ هذا القول ، لأنَّ جَعَلَ الجملة حالا لا يفيد ما يفيد العطف ، من نفي العوج عن الكتاب مطلقا ، غير مقيد بالإنزال وهو المقصود . فالفائدة التي هي أتمّ إنما تكون على تقدير استقلال الجملة ، كيف والقول بالتقديم والتأخير منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما ! نقله الطبري وغيره .

وقال الواحدى : هو قول جميع أهل اللغة والتفسير . والزمخشري ربما لاحظ هذا المعنى ، ولم يمنع جواز غير ما قال ، لكن ما قال هو الأحسن .

وقال غير ابن المنير فى الاعتراض على الزمخشري : إن الجملة وإن كانت مستقلة فهى فى حيز الصلة للعطف ، فلم يقع فصل ، ويؤيد ما ذكره صاحب الكشاف أن بعض القراء يسكت عند قوله : « عَوْجًا » ويفصل بينه وبين « قِيمًا » بسكتة لطيفة ، وهى رواية حفص عن عاصم ، وذلك محتمل أن يكون لما ذكرنا من تقدير الفصل وانقطاع الكلام عما قبله . قال ابن المنير : وتحتل السكتة وجهها آخر ، وهو أن يكون ذلك لرفع توهم أن يكون « قِيمًا » نعتا للعوج ؛ لأن النكرة تستدعى النعت غالبا ، وقد كثر فى كلامهم إيلاء النكرة الجامدة نعتها ، كقوله : ﴿ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ ، و ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ، فإذا ولى النكرة الجامدة اسم مشتق نكرة ظهر فيه معنى الوصف ، فربما خيف اللبس فى جعل « قِيمًا » نعتا لـ « عَوْج » فوق اللبس بهذه السكتة .

وهذا أيضا فيه نظر ، لأن ذلك إنما يتوهم فيما يصلح أن يكون وصفا ، ولا يصلح « قِيمًا » أن يكون وصفا لـ « عَوْج » فإنَّ الشيء لا يوصف بضده ؛ لأن العوج لا يكون قِيمًا ، والأولى ما ذكرناه أولا .

الثانى : نقل الإمام عن بعضهم أن « قِيَّماً » بدل من قوله : « عَوَجاً » ، وهو مُشْكِل ، لأنه لا يظهر له وجه .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾^(١) ، قيل : التقدير : لقد همت به لولا أن رأى برهان ربه وهم بها . وهذا أحسن ؛ لكن فى تأويله قلق ، ولا يُحتاج إلى هذا التأويل إلا على قول من قال : إن الصغائر يجوز وقوعها منهم .

وقوله : ﴿ فَضَحِكْتَ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ﴾^(٢) قيل : أصله : فبشرناها بإسحاق فضحكت . وقيل : ضحكت أى حاضت بعد الكبر عند البُشرى ، فعادت إلى عادات النساء من الحيض والحمل والولادة .

وقوله : ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾^(٣) ، قدّم على ما بعده ، وهو مؤخر عنه فى المعنى ؛ لأن ذلك يحصل للتوافق .

وقوله : ﴿ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾^(٤) ، أى أحوى غثاء ، أى أخضر ، يعيل إلى السواد ، والموجب لتأخير ﴿ أَحْوَى ﴾ رعاية الفواصل .

وقوله : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً ﴾^(٥) ، قال ابن برهان النحوى : أصله : ومن يبتغ ديناً غير الإسلام .

وقوله : ﴿ وَغَرَّابِيبُ سُودٌ ﴾^(٦) ، قال أبو عبيد : الغريب : الشديد السواد ، فى الكلام تقديم وتأخير . وقال صاحب^(٧) « العجائب والفرائب » : قال ابن عيسى :

(٢) سورة هود ٧١

(٤) سورة الأعلى ٥

(٦) سورة فاطر ٢٧

(١) سورة يوسف ٢٤

(٣) سورة الكهف ٧٩

(٥) سورة آل عمران ٨٥

(٧) هو محمود بن حمزة الكرماني المعروف بتاج القراء ؛ قال صاحب كشف الظنون : « أورد بعض

الوجوه فى الآية ، وذكر كل عجيب وغريب » .

الغريب: الذى لونه لون الغراب ، فصار كأنه غراب . قال : والغراب يكون أسوداً وغير أسود ، وعلى هذا فلا تقديم ولا تأخير فيه .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾^(۱) على قول من يقول : إن الذِّكْرَ هنا القرآن .

وقوله : ﴿ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾^(۲) .

وقوله : ﴿ أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾^(۳) .

وقوله : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾^(۴) أى فعقروها ثم كذبوه فى عقرها وفى إجابتهم .

وقوله : ﴿ نُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾^(۵) ، تقديره : ثم قضى أجلاً وعنده

أجل مسمى ، أى وقت مؤقت .

وقوله : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾^(۶) أى الأوثان من الرجس .

﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾^(۷) ، أى يرهبون ربهم .

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْئُوتِهِمْ حَافِظُونَ ﴾^(۸) ، أى الذين هم حافظون لأفئوتهم .

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفًا وَعَدْدِهِ رُسُلُهُ ﴾^(۹) أى مخلف رسله وعده .

﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾^(۱۰) ، أى بل الإنسان بصيرٌ على نفسه فى

شهود جوارحه عليه .

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ﴾^(۱۱) ، خلق العجل من الإنسان .

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾^(۱۲) ، أى ولولا

(۲) سورة النور ۲۷

(۴) سورة الشمس ۱۴

(۶) سورة الحج ۳۰

(۸) سورة المؤمنون ۵

(۱۰) سورة القيامة ۱۴

(۱۲) سورة طه ۱۲۹

(۱) سورة الأنبياء ۱۰۵

(۳) سورة القمر ۱

(۵) سورة الأنعام ۲

(۷) سورة الأعراف ۱۵۴

(۹) سورة إبراهيم ۴۷

(۱۱) سورة الأنبياء ۳۷

كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان العذاب لازماً لهم .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾^(۱) ، أى كيف مده ربك .

﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾^(۲) أى لشديد حب الخير .

﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾^(۳) أى زين

للمشركين شركائهم قتل أولادهم ؛ لأن الشياطين كانوا يحسنون لهم قتل بناتهم خشية العار .

وقوله : ﴿ لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَأَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾^(۴) .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾^(۵) ، أى فلا تعجبك

أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليُعَذِّبَهُمْ بِهَا فى الآخرة .

وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ ﴾^(۶) ،

تقديره : مثل الذين كفروا بربهم كرماد اشتدت به الريح .

وقوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾^(۷) ، أى فانا عدو آلهتهم وأصنامهم ،

وكل معبود يعبدونه من دون الله .

وقوله : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا ﴾^(۸) ، أى فزعوا وأخذوا ،

فلا فوت ، لأن الفوت يكون بعد الأخذ .

وقوله : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ ، يعنى القيامة . ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾^(۹) ؛

(۲) سورة العاديات ۸

(۴) سورة النساء ۸۳

(۶) سورة إبراهيم ۱۸

(۸) سورة سبأ ۵۱

(۱) سورة الفرقان ۴۵

(۳) سورة الأنعام ۱۳۷

(۵) سورة التوبة ۵۵

(۷) سورة الشعراء ۷۷

(۹) سورة الغاشية ۱ ، ۲

وذلك يوم القيامة . ثم قال : ﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾^(١) ، والنصب والعمل يكونان في الدنيا ، فكأنه على التقديم والتأخير ، معناه : وجوه عاملة ناصبة ويوم القيامة خاشعة ، والدليل عليه قوله : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾^(٣) ، تقديره : لمقت الله إياكم في الدنيا حين دعيتم إلا الإيمان فكفرتم ، ومقته إياكم اليوم أكبر من مقتكم أنفسكم إذ دعيتم إلى النار .
وقوله : ﴿ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾^(٤) ، لأن الفجر ليس له سواد ، والتقدير : حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الفجر من الخيط الأسود من الليل ؛ أي حتى يتبين لكم بياض الصباح من بقية سواد الليل .

وقوله : ﴿ وَلَئِنِ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿ كَأَن لَّمْ تَكُن ﴾ منظوم بقوله : ﴿ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ ﴾^(٦) ، لأنه موضع الشماتة .

وقوله : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾^(٧) ، أي اثنين إلهين ، لأن اتخاذ اثنين يقع على ما يجوز وما لا يجوز ، و « إلهين » لا يقع إلا على ما لا يجوز ، ف « إلهين » أخص ، فكان جعله صفة أولى .

(٢) سورة الفاشية ٨

(٤) سورة البقرة ١٨٧

(١) سورة الفاشية ٣

(٣) سورة غافر ١٠

(٥) سورة الناز ٧٣

(٦) من قوله تعالى في سورة النساء ٧٢ : ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَن لَّيَبْطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ ﴾ .

(٧) سورة النحل ٥١

مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ ﴾ .

النوع الثالث

ما قدم في آية وآخر في أخرى

فمن ذلك قوله في فاتحة الفاتحة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ وفي خاتمة الجاثية ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ ﴾^(١) ، فتقديم « الحمد » في الأول جاء على الأصل ، والثاني على تقدير الجواب ، فكأنه قيل عند وقوع الأمر : لمن الحمد ؟ ومن أهله ؟ فجاء الجواب على ذلك ، نظيره : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ ، ثم قال : ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾^(٢) .

وقوله في سورة يس : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾^(٣) ، قدم المجرور على المرفوع ، لاشتمال ما قبله من سوء معاملة أصحاب القرية الرسل ، وإصرارهم على تكذيبهم ، فكان مظنة التتابع على مجرى العبارة ، تلك القرية ، ويبقى مخيلاً في فكره : أ كانت كلها كذلك ، أم كان فيها ...^(٤) على خلاف ذلك ، بخلاف ما في سورة القصص^(٥) .

ومنها قوله في سورة النمل : ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ﴾^(٦) ، وفي سورة المؤمنین : ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ ﴾^(٧) ، فإن ما قبل الأولى ﴿ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا ﴾^(٨) ، وما قبل الثانية : ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا ﴾^(٩) ، فالجهة المنظور فيها هناك كون أنفسهم وآبائهم تراباً ، والجهة المنظور فيها هنا كونهم تراباً وعظاماً ، ولا شبهة أن الأولى أدخل عندهم في تبعيد البعث .

(١) سورة الجاثية ٣٦

(٣) سورة يس ٢٠

(٢) سورة غافر ١٦

(٤) موضع النقطة ثلاث كلمات غامضة غير واضحة

(٥) سورة القصص ٢٠ ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ ...

(٦) سورة النمل ٦٨

(٧) سورة المؤمنون ٨٣

(٨) سورة النمل ٦٧

(٩) سورة المؤمنون ٨٢

ومنها قوله في سورة المؤمنين : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(١) ، فقدّم
 المجرور على الوصف ؛ لأنه لو أخبر عنه - وأنت تعلم أن تمام الوصف بتمام ما يدخل عليه
 الموصوف ، وتماهه : ﴿ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾^(١) - لاحتمل أن يكون من نعيم
 الدنيا. واشتبه الأمر في القائلين : أهم من قومه، أم لا؟ بخلاف قوله في موضع آخر منها :
 ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾^(٢) ؛ فإنه جاء على الأصل .
 ومنها قوله في سورة طه : ﴿ آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾^(٣) .
 بخلاف قوله في سورة الشعراء : ﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾^(٤) .

ومنها قوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾^(٥) ،
 وقال في سورة الإسراء : ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾^(٦) ، قدم المخاطبين في الأولى
 دون الثانية ، لأن الخطاب في الأولى في الفقراء ، بدليل قوله : ﴿ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾ ، فكان
 رزقهم عندهم أهم من رزق أولادهم ، فقدّم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم ، والخطاب
 في الثانية للأغنياء ؛ بدليل ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ فإن الخشية إنما تكون مما لم يقع ، فكان
 رزق أولادهم هو المطلوب ، دون رزقهم ، لأنه حاصل ، فكان أهم ، فقدّم الوعد برزق
 أولادهم على الوعد برزقهم .

ومنها ذكر الله في أواخر سورة الملائكة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ ﴾^(٧) ، فقدّم ذكر السموات ؛ لأن معلوماتها أكثر ، فكان تقديمها أدل على
 صفة العالمية ، ثم قال : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي
 مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ﴾^(٨) فبدأ بذكر الأرض ، لأنه في

(٢) سورة المؤمنين ٢٤

(٤) سورة الشعراء ٤٨

(٦) سورة الإسراء ٣١

(٨) سورة فاطر ٢٠

(١) سورة المؤمنون ٣٣

(٣) سورة طه ٧٠

(٥) سورة الأنعام ١٥١

(٧) سورة فاطر ٣٨

سياق تعجيز الشركاء عن الخلق والمشاركة ، وأمر الأرض في ذلك أيسر من السماء بكثير ؛ فبدأ بالأرض مبالغة في بيان عجزهم ؛ لأن من عجز عن أيسر الأمور بن كان عن أعظمها أعجز ، ثم قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾^(١) ، فقدم السموات تنبيها على عظم قدرته سبحانه ؛ لأن خلقها أكبر من خلق الأرض ، كما صرح به في سورة المؤمن^(٢) ؛ وَمَنْ قَدَّرَ عَلَىٰ إِمْسَاكِ الْأَعْظَمِ كَانَ عَلَىٰ إِمْسَاكِ الْأَصْغَرِ أَقْدَرُ .

فإن قلت : فهلا اكتفى من ذكر الأرض بهذا التنبية البين ، الذي لا يشك فيه أحد !

قلت : أراد ذكرها مطابقة ؛ لأنه على كل حال أظهر وأبين ؛ فانظر أيها العاقل حكمة القرآن ، وما أودعه من البيان والتبيان ، تحمد عاقبة النظر ، وتنتظر خير مُنتظر !

ومن أنواعه أن يقدم اللفظ في الآية ويتأخر فيها ؛ لقصد أن يقع البداءة والختم به ، للاعتناء بشأنه ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ... ﴾^(٤) إلى قوله : ﴿ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التَّجَارَةِ ﴾^(٥) .

وكذلك قوله : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾^(٥) فإنه لولا ما أسلفناه ، لقليل : ما تكتمون وتبدون ؛ لأن الوصف بعلمه

(٢) وهو قوله تعالى في الآية ٥٧ ﴿ لَخَلْقُ

(١) سورة فاطر ٤١

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ .

(٤) سورة الجمعة ١١

(٣) سورة آل عمران ١٠٦

(٥) سورة البقرة ٣٣

أمدح ، كما قيل : ﴿ بَعَلْمُ سِرِّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾^(١) ، و ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾^(٢)
﴿ وَاللَّهُ بَعَلْمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾^(٣) .

فإن قلت : فقد قال تعالى : ﴿ بَعَلْمُ السَّرِّ وَأَخْفَى ﴾^(٤) .

قلت لأجل تناسب رءوس الآي .

ومنها أن يقع التقديم في موضع والتأخير في آخر ، واللفظ واحد ، والقصة واحدة ؛
للتفنن في الفصاحة ، وإخراج الكلام على عدة أساليب ، كما في قوله تعالى :
﴿ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةً وَأَدْخُلُوا الْبَابَ
سُجَّدًا ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾^(٧) ، وقوله : ﴿ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ
وَقَلْبِهِ ﴾^(٨) ، قال الزمخشري في كشافه القديم : علم بذلك أن كلا الطريقين داخل تحت
الحسن ؛ وذلك لأن العطف في المختلفين ، كالتثنية في المتفقين ، فلا عليك أن تقدم
أيهما شئت ، فإنه حسن مؤدب إلى الغرض . وقد قال سيبويه : ولم يجعل الرجل منزلة بتقديتك
إياه ، بكونه أولى بها من الجأئي ؛ كأنك قلت : مررت بهما ، يعني في قولك : مررت
برجل وجاءني ، إلا أن الأحسن تقديم الأفضل ، فالقلب رئيس الأعضاء ، والبضفة لها
الشان ، ثم السمع طريق إدراك وحى الله ، وكلامه الذي قامت به السماوات والأرض ،
وسائر العلوم التي هي الحياة كلها .

قلت : وقد سبق توجيه كل موضع بما ورد فيه من الحكمة .

(٢) سورة الرعد ٩
(٤) سورة طه ٧
(٦) سورة الأعراف ١٦١
(٨) سورة الجاثية ٢٣

(١) سورة الأنعام ٣
(٣) سورة النحل ١٩
(٥) سورة البقرة ٥٨
(٧) سورة البقرة ٧

القلب *

وفي كونه من أساليب البلاغة خلاف ، فأنكره جماعة ، منهم حازم في كتاب « منهاج البلغاء » وقال : إنه مما يجب أن ينزهه كتاب الله عنه ؛ لأن العرب إن صدر ذلك منهم فبقصد العبث أو التهكم أو المحاكاة أو حال اضطرار ، والله منزه عن ذلك . وقبله جماعة مطلقا ، بشرط عدم اللبس كما قاله ^(١) المبرد في كتاب « ما اتفق لفظه واختلف معناه » .

وفصل آخرون بين أن يتضمن اعتبارا لطيفا ، فبليغ وإلا فلا ؛ ولهذا قال ابن الضائع : يجوز القلب على التأويل ، ثم قد يقرب التأويل فيصح في فصيح الكلام ، وقد يبعد فيختص بالشعر .

وهو أنواع :

أحدها

قلب الإسناد

وهو أن يشمل الإسناد إلى شيء والمراد غيره ، كقوله تعالى : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ ﴾ ^(٢) ، إن لم تجعل الباء للتعدي ؛ لأن ظاهره أن المفاتيح تنوء بالعصبة ، ومعناه أن العصبة تنوء بالمفاتيح لثقلها ، فأسند « لتنوء » إلى « المفاتيح » ، والمراد إسناده إلى العصبة

* هو الأسلوب الرابع من الأساليب ، التي أوردتها المؤلف ؛ والأول أسلوب التوكيد في الجزء الثاني ص ٣٨٤ وما بعدها ، والثاني في هذا الجزء ص ١٠٢ وما بعدها . والثالث أسلوب التقديم والتأخير في هذا الجزء ص ٢٢٣ وما بعدها .

(١) ص ٣٨ ، وعبارته : « ويقولون : أدخلت الفلنسة في رأسي ، وأدخلت الحف في رجلي ؛ وإنما يكون هذا فيما لا يكون فيه لبس ولا إشكال » .

(٢) سورة القصص ٧٦

لأن الباء للحال والعُصبة مستصحبة المفتح ، لا تستصحبها المفتح . وفائدته المبالغة ، يجعل المفتح كأنها مستتعبة للعُصبة القوية بثقلها .

وقيل : لا قلبَ فيه ، والمراد - والله أعلم - أن المفتح تنوء بالعصبة ، أي تميلها من ثقلها . وقد ذكر هذا الفراء وغيره .

وقال ابن عصفور : والصحيح ما ذهب إليه الفارسي أنها بالنقل ولا قاب ، والفعل غير متعدٍ ، فصار متعدياً بالباء ، لأن « ناء » غير متعدٍ ، يقال : ناء النجم ، أي نهض ، ويقال : ناء ، أي مال للسقوط . فإذا نقلت الفعل بالباء قلت : نوت به ، أي أنهضته وأملته للسقوط ، فقوله : ﴿ لَتَنوُءَ بِالْعُصْبَةِ ﴾ ، أي تميلها المفتح للسقوط لثقلها .

قال : وإنما كان مذهب الفارسي أصح ، لأن نقل الفعل غير المتعدى بالباء مقيس ، والقلب غير مقيس ، فحمل الآية على ما هو مقيس أولى .

ومنه قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾^(۱) ، أي خُلِقَ العجل من الإنسان . قاله ثعلب وابن السكيت .

قال الزجاج : ويدل على ذلك : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾^(۲) .

قال ابن جنِّي : والأحسن أن يكون تقديره : خُلِقَ الإنسان من العجلة ، لكثرة فعله إياه ، واعتماده له ، وهو أقوى في المعنى من القلب ، لأنه أمر قد اطرَد واتسع ، فحمله على القلب يبعد في الصنعة ، ويضعف المعنى .

ولما خفي هذا على بعضهم قال : إن العجل هاهنا الطين ، قال : ولعمري إنه في اللغة كما ذكر ، غير أنه ليس هنا إلا نفس العجل ، ألا ترى إلى قوله عقبه : ﴿ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾^(۳) ، ونظيره قوله : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾^(۴) ، ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ

(۲) سورة الإسراء ۱۱

(۴) سورة الإسراء ۱۱

(۱) سورة الأنبياء ۳۷

(۳) سورة الأنبياء ۳۷

ضَعِيفًا ﴿١﴾ لَأَنَّ الْعَجَلَةَ ضَرَبَ مِنَ الضَّعْفِ ، لِمَا تُؤْذَنُ بِهِ الضَّرُورَةُ وَالْحَاجَةُ .
 وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ (٢) ، أَيْ إِنَّهُ مِنَ الْمَقْلُوبِ ، وَأَنَّهُ
 ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ ﴾ ، وَهَكَذَا فِي قِرَاءَةِ أَبِي بَكْرٍ (٣) .
 وَمِثْلُهُ : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (٤) ، قَالَ الْفَرَّاءُ : أَيْ لِكُلِّ أَمْرٍ كَتَبَهُ اللَّهُ
 أَجَلٌ مُؤَجَّلٌ .

وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ ﴾ (٥) : هُوَ مِنَ الْمَقْلُوبِ ، أَيْ يَرِيدُ بِكَ الْخَيْرَ ،
 وَيُقَالُ : أَرَادَهُ بِالْخَيْرِ وَأَرَادَ بِهِ الْخَيْرَ .
 وَجَعَلَ ابْنُ الضَّائِعِ مِنْهُ : ﴿ فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ (٦) ، قَالَ : فَآدَمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ
 عَلَى نَبِينَا وَعَلَيْهِ هُوَ الْمُتَلَقَّى لِلْكَلِمَاتِ حَقِيقَةً ، وَيَقْرَبُ أَنْ يَنْسَبَ التَّلَقَّى لِلْكَلِمَاتِ ؛ لِأَنَّ
 مَنْ تَلَقَّى شَيْئًا ، أَوْ طَلَبَ أَنْ يَتَلَقَّاهُ فَلَقِيَهُ كَانَ الْآخِرُ أَيْضًا قَدْ طَلَبَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ لَقِيَهُ ، قَالَ :
 وَلَقْرَبَ هَذَا الْمَعْنَى قَرَى بِالْقَلْبِ (٧) .

وَجَعَلَ الْفَارَسِيُّ مِنْهُ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ فَعَمَّيْتَ عَلَيْكُمْ ﴾ (٨) ، أَيْ فَعَمَيْتُمْ عَلَيْهَا .
 وَقَوْلُهُ : ﴿ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ﴾ (٩) .
 وَقَوْلُهُ : ﴿ وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ (١٠) ، ﴿ وَقَدْ بَلَغَنِ الْكِبَرِ ﴾ (١١) ،
 أَيْ بَلَغْتَ الْكِبَرِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ آخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ (١٢) ، وَقَوْلُهُ : ﴿ فَأَيُّهَا عَدُوِّي لِي

(١) سورة النساء ٢٨	(٢) سورة ق ١٩
(٣) وهي أيضا قراءة ابن مسعود ؛ على إضافة الكسرة إلى الحق . وانظر الكشاف ٤ : ٣٠٦	(٥) سورة يونس ١٠٧
(٤) سورة الرعد ٣٨	(٧) أي بنصب آدم ورفع الكلمات ؛ وهي
(٦) سورة البقرة ٣٧	(٨) سورة هود ٢٨ . قال الزمخشري :
قراءة ابن كثير . وانظر تفسير القرطبي ١ : ٣٢٦	(١٠) سورة مريم ٨
ومعنى «عَمَّيْتَ» خَفَيْتَ . وقَرَى : ﴿ فَعَمَّيْتَ ﴾ ، بمعنى أَخْفَيْتَ ، وفي قراءة أبي ﴿ فَعَمَّاهَا عَلَيْكُمْ ﴾	(١٢) سورة الجاثية ٢٣
(٩) سورة يونس ٢٤	
(١١) سورة آل عمران ٤٠	

إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ ؛ فَإِنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَعَادِي ، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى : فَإِنِّي عَدُوٌّ لَهُمْ ، مُشْتَقٌّ مِنْ عَدَوْتُ الشَّيْءَ ، إِذَا جَاوَزْتَهُ وَخَلَفْتَهُ ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا فِيمَنْ لَهُ إِرَادَةٌ ، وَأَمَّا «عَادِيَّتُهُ» فَمُفَاعَلَةٌ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ اثْنَيْنِ .

وَجَعَلَ مِنْهُ بَعْضُهُمْ : ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (٢) ، أَيْ إِنْ حَبَّه لِلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ . وَقِيلَ : لَيْسَ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهُ أَنَّهُ لِحُبِّ الْمَالِ لَبِيْخِيلٌ ، وَالشَّدَّةُ : الْبَخْلُ ، أَيْ مِنْ أَجْلِ حَبِّهِ لِلْمَالِ يَبْخُلُ .

وَجَعَلَ الزَّمْحَشَرِيَّ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ (٣) ، كَقَوْلِهِ : عَرَضْتُ النَّاقَةَ عَلَى الْحَوْضِ ، لِأَنَّ الْمَعْرُوضَ لَيْسَ لَهُ اخْتِيَارٌ ، وَإِنَّمَا الْاِخْتِيَارُ لِلْمَعْرُوضِ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَفْعَلُ وَيُرِيدُ ؛ وَعَلَى هَذَا فَلَا قَابَ فِي الْآيَةِ ؛ لِأَنَّ الْكُفَّارَ مَقْهُورُونَ فَكَاثِرُهُمْ لَا اخْتِيَارَ لَهُمْ ، وَالنَّارُ مُتَصَرِّفَةٌ فِيهِمْ ، وَهُوَ كَالْمَتَاعِ الَّذِي يَقْرَبُ مِنْهُ مَنْ يَعْزُضُ عَلَيْهِ ، كَمَا قَالُوا : عَرَضْتُ الْجَارِيَةَ عَلَى الْبَيْعِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ (٤) ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّحْرِيمَ لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَى الْمَكَّافِ ، فَالْمَعْنَى : وَحَرَّمْنَا عَلَى الْمَرَاضِعِ أَنْ تَرْضَعَهُ . وَوَجْهٌ تَحْرِيمِ إِرْضَاعِهِ عَلَيْهِنَّ أَلَّا يَقْبَلَ إِرْضَاعَهُنَّ حَتَّى يَرُدَّ إِلَى أُمَّه .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ (٥) ، وَقِيلَ : الْأَصْلُ وَمَا تَخْدَعُهُمْ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ، لِأَنَّ الْأَنْفُسَ هِيَ الْمُخَادَعَةُ وَالْمَسْؤَلَةُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿بَلْ سَوَّاتْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ (٦) .

وَرُدُّ بَأَنَّ الْفَاعِلَ فِي مِثْلِ هَذَا هُوَ الْمَفْعُولُ فِي الْمَعْنَى ، وَأَنَّ التَّغَايِيرَ فِي الِئْتِظَافَةِ ، فَعَلَى هَذَا يَصِحُّ إِسْنَادُ الْفِعْلِ إِلَى كُلِّ مِنْهُمَا ؛ وَلَا حَاجَةَ إِلَى الْقَلْبِ .

(٢) سورة العاديات ٨

(١) سورة الشعراء ٧٧

(٣) سورة الأحقاف ٢٠ ، وانظر الكشاف ٤ : ٢٤٢ (٤) سورة القصص ١٢

(٥) سورة البقرة ٩ ، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو . (٦) سورة يوسف ١٨

الثاني

قلب المعطوف

إما بأن تجعل المعطوف عليه معطوفا والمعطوف معطوفا عليه ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَلْقَاهُ إِلَىٰ يَمِينِهِمْ ثُمَّ تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾^(١) ، حقيقة : فانظر ماذا يرجعون ثم تولى عنهم ، لأن نظره ما يرجعون من القول غير متأت مع توليه عنهم . وما يفسر به التولى من أنه يتوارى في الكوة التي ألقى منها الكتاب مجاز والحقيقة راجحة عليه .

وقوله : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾^(٢) ، أي تدلى فدنا ؛ لأنه بالتدلى ، نال الدنو والقرب إلى المنزلة الرفيعة وإلى المسكنة ، لا إلى المكان .

وقيل : لا قلب ، والمعنى : ثم أراد الدنو ، وفي صحيح البخاري^(٣) : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ ﴾^(٤) ، المعنى فإذا استعدت فاقرأ .

وقوله : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا ﴾^(٥) ، وقال صاحب الإيضاح : لا قلب فيه ؛ لعدم تضمنه اعتبارا لطيفا .

ورد بتضمنه المبالغة في شدة سورة البأس ؛ يعني هلكت بمجرد توجه الناس إليها ، ثم جاءها .

الثالث

العكس

العكس ؛ وهو أمر لفظي ، كقوله : ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٦) .

(٢) سورة النجم ٨

(٤) سورة النحل ٩٨

(٦) سورة الأنعام ٥٢

(١) سورة النمل ٢٨

(٣) كتاب التفسير ، سورة النحل ٣ : ١٤٨

(٥) سورة الأعراف ٤

وقوله : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾^(١) .
﴿ لَا هُنَّ حِجَابٌ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِجُّونَ لَهُنَّ ﴾^(٢) .
﴿ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾^(٣) .

الرابع

المستوى

وهو أن الكلمة أو الكلمات تقرأ من أولها إلى آخرها ، ومن آخرها إلى أولها ،
لا يختلف لفظها ولا معناها ، كقوله : ﴿ رَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴾^(٤) .
﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ ﴾^(٥) .

الخامس

مقلوب البعض

وهو أن تكون الكلمة الثانية مركبة من حروف الكلمة الأولى ، مع بقاء بعض
حروف الكلمة الأولى ، كقوله تعالى : ﴿ فَرَّقْتُ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾^(٦) ، « بِنِي »
مركب من حروف « بين » وهو مفرق ، إلا أن الباقي بعضها في الكلمتين ،
وهو أولها .

(٢) سورة المتحنة ١٠

(٤) سورة طه ٩٤

(٦) سورة طه ٩٤

(١) سورة البقرة ١٨٨

(٣) سورة الحج ٦١

(٥) سورة الأنبياء ٣٣

المدرج

هذا النوع سميته بهذه التسمية ، بنظير المدرج من الحديث^(١) ، وحقيقته في أسلوب القرآن أن تجيء الكامة إلى جنب أخرى كأنها في الظاهر معها ، وهي في الحقيقة غير متعلقة بها ، كقوله تعالى ذا كرا عن بلقيس : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾^(٢) ، هو من قول الله لا من قول المرأة . ومنه قوله تعالى : ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٣) . انتهى قول المرأة^(٤) ، ثم قال يوسف عليه السلام : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾^(٥) ، معناه ليعلم الملك أني لم أخنه .

ومنه : ﴿ يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾^(٦) ، تم الكلام ، فقالت الملائكة : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾^(٧) فهذه صفة لأتقياء المؤمنين ، ثم قال : ﴿ يَمُدُّوْنَهُمْ فِي الْغَيِّ ﴾^(٨) ، فهذا يرجع إلى كفار مكة تمدهم إخوانهم من الشياطين في الغي .

(١) المدرج من الحديث كما في كتب المصطلح : أن تزداد لفظة في متن الحديث من كلام الراوي ، فيحسبها من يسمعا مرفوعة في الحديث فيرويها كذلك . وانظر الباعث الحديث ٨٠

(٢) سورة النمل ٣٤ (٣) سورة يوسف ٥١

(٤) كذا في الأصول ؛ والحقيقة أن قول المرأة ينتهي عند قوله تعالى حكاية عنها : ﴿ وَمَا أُبْرِيءُ

نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ آية ٥٣ .

(٥) سورة يوسف ٥٢ ؛ وهو من قول المرأة . (٦) سورة يس ٥٢

(٧) سورة الأعراف ٢٠١ (٨) سورة الأعراف ٢٠٢

وقوله: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾^(۱)، ثم أخبر عن فرعون
متصلاً: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ .

وقوله: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَأْمَرَهُ حَبَابٌ بِرِيمٍ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾^(۲)، فالظاهر
أن الكلام كله من كلام الزبانية، والأمر ليس كذلك .

وقوله: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبِ سَلِيمٍ﴾^(۳) من كلامه تعالى، وقال: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ
بِقَلْبِ سَلِيمٍ﴾^(۴) .

(۲) سورة ص ۵۹

(۴) سورة الشعراء ۸۹

(۱) سورة الشعراء ۳۵

(۳) سورة الصافات ۸۲

الشرطي

كقوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^(١) ، ﴿ لَا يُفَادِرُ صَغِيرَةً
وَلَا كَبِيرَةً ﴾^(٢)

فإن قيل : فقد ورد : ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾^(٣) ، والغالب أن يقدم فيه القليل
على الكثير ؛ مع أن الظلم منع للحق من أصله ، والهضم ممنوع له من وجه كالتطيف ؛
فكان يناسبه^(٤) تقديم الهضم .

قلت : لأجل فواصل الآي ؛ فإنه تقدم قبله : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾^(٥) ،
فعدل عنه في الثاني ، كيلا يكون أبطأ ، وقد سيقت أمثلة الترقى في أسباب التقديم .

(٢) سورة الكهف ٤٩

(٤) م : « قياسه » .

(١) سورة البقرة ٢٥٥

(٣) سورة طه ١١٢

(٥) سورة طه ١١١

الاقْتِصَاصُ

ذكره أبو الحسين بن فارس^(١)، وهو أن يكون كلام في سورة مقتصاً من كلام في سورة أخرى، أو في السورة نفسها، ومثله بقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢)، والآخرة دار ثواب لا عمل فيها، فهذا مقتصٌ من قوله: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ العُلَى﴾^(٣).
ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّ لَكُنْتُ مِنَ المَحْضَرِينَ﴾^(٤)، مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ فِي العَذَابِ مُخَضَّرُونَ﴾^(٥).
وقوله: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا﴾^(٦).
فأما قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾^(٧)، فيقال: إنها مقتصة من أربع آيات؛ لأنَّ الأَشْهَادَ أربعة:

الملائكة عليهم السلام في قوله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾^(٨).
والأنبياء عليهم السلام لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٩).
وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(١٠).

(٢) سورة العنكبوت ٢٧

(٤) سورة الصافات ٥٧

(٦) سورة مريم ٦٨

(٨) سورة ق ٢١

(١٠) سورة البقرة ١٤٣

(١) الصحابي ٢٠١

(٣) سورة طه ٨٥

(٥) سورة الروم ١٦

(٧) سورة غافر ٥١

(٩) سورة النساء ٤١

والأعضاء لقوله : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ (٢) ، وقرئت مخففة ومثقلة (٣) ، فمن شدد فهو من « نَدَّ » إذا نفر ؛ وهو مقتص من قوله : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . . . ﴾ (٤) الآية (٥) ، ومن خفف فهو تفاعل من النداء ، مقتص من قوله تعالى : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ﴾ (٦) .

(٢) سورة غافر ٣٢

(٤) سورة عبس ٣٤

(٦) سورة الأعراف ٤٤ ، وبعدها في

الصاحبي ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ﴾ ، ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ ﴾ ،

وما أشبه هذا من الآي التي فيها ذكر النداء .

(١) سورة النور ٢٤

(٣) الصاحبي : « مشددة » .

(٥) الصاحبي : « إلى آخر القصة » .

الايغاز

واللغز الطريق المنحرف ، سُمِّيَ به لانحرافه عن نمط ظاهر الكلام ؛ ويسمى أيضا أحجية ؛ لأن الحِجَى هو العقل ؛ وهذا النوع يقوِّى العقل عند التمرن والارتماض بحلِّه والفكر فيه .

وذكر بعضهم أنه وقع في القرآن العظيم ، وجعل منه ما جاء في أوائل السور من الحروف المفردة والمركبة التي جهل معناها ، وحارت العقول في منتهائها .

ومنه قوله تعالى في قصة إبراهيم لما سئل عن كسر الأصنام ، وقيل له : أنت فعلته ؛ فقال : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾^(١) ، قابلهم بهذه المعارضة ليقم عليهم الحججة ، ويوضح لهم الحججة .

وكذلك قول نمرود : ﴿ أَنَا أَحْسِبُ وَأُمِيتُ ﴾^(٢) ، أتى باتنين فقتل أحدهما ، وأرسل الآخر ، فإن هذا مغالطة .

الاستطراد

وهو التعريض بعيب إنسان بذكر عيب غيره ، كقوله تعالى : ﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ

الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾^(۱) .

وكقوله : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾^(۲)

وقوله : ﴿ أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتِ ثَمُودُ ﴾^(۳) .

(۲) سورة فصلت ۱۳

(۱) سورة إبراهيم ۵۴

(۳) سورة هود ۹۵

الِشْرُوبُ

وهو أن يعلق المتكلم لفظه من الكلام ثم يردّها بعينها، ويعلقها بمعنى آخر، كقوله: ﴿حَتَّىٰ نُؤْتِيَٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَٰ رُسُلُ اللَّهِ أَنَّهُ أَكْبَرُ...﴾^(١)، الآية؛ فإن الأول مضاف إليه، والثاني مبتدأ.

وقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿^(٢).

وقوله: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ﴾^(٣).

وقد يحذف أحدها ويضم، أو لا يلاحظ^(٤)؛ على الخلاف في قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٥).

(٢) سورة الروم ٦ ، ٧

(٤) ت « لا يلاحظ. » .

(١) سورة الأنعام ١٢٤

(٣) سورة التوبة ١٠٨

(٥) سورة البقرة ٢

التغليب

وحقيقته إعطاء الشيء حكم غيره . وقيل ترجيح أحد المغلوبين على الآخر ، أو إطلاق لفظة عليهما ؛ إجراء للمختلفين مجرى المتفقين .
وهو أنواع :

الأول

تغليب المذكر

كقوله تعالى : ﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾^(١) غلب المذكر ؛ لأن الواو جامعة ؛ لأن لفظ الفعل مقتض ^(٢) ، ولو أردت العطف امتنع .

وقوله : ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَائِنِينَ ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ إِلَّا أَمْرًا أَنَّهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾^(٤) ، والأصل « من القائنت والغابرات » فعدت الأنثى من المذكر بحكم التغليب .

هكذا قالوا ؛ وهو عجيب ؛ فإن العرب تقول : نحن من بني فلان ؛ لا تريد إلاموالآتهم ، والتصويب لطريقتهم ؛ وفي الحديث الصحيح في الأشعريين : « هم مني وأنا منهم » فقوله سبحانه : ﴿ مِنَ الْقَائِنِينَ ﴾ ولم يقل : « من القائنت » ؛ إيدانا بأن وضعها في العباد جدا واجتهادا ، وعلمها وتبصرا ورفعة من الله لدرجاتها في أوصاف الرجال القائنين وطريقتهم . ونظيره ، ولكن بالعكس قول عتبة بن أبي معيط لأمية بن خلف لما أجمع القعود

(١) سورة القيامة ٩

(٣) سورة التحريم ١٢

(٢) ت « يقتضى » .

(٤) سورة الأعراف ٨٣

عن وقعة بدر؛ لأنه كان شيخا فجا بمجمرة، فقال: يا أبا علي استجمر، فإنما أنت من النساء؛ فقال: قبحك الله وقبح ما جئت به أتم تجهز .
ونازع بعضهم في ذلك من وجه آخر، فقال: يحتمل ألا يكون « من » للتبويض بل لا ابتداء الغاية، أي كانت ناشئة من القوم القانتين، لأنها من أعقاب، هارون أخى موسى عليه السلام .

الثاني

تغليب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب

فيقال: أنا وزيد فعلنا، وأنت وزيد تفعلان . ومنه قوله تعالى: ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾^(١)، بناء الخطاب، غلب جانب « أنتم » على جانب « قوم »، والقياس أن يجيء بالياء؛ لأنه وصف القوم، وقوم اسم غيبة، ولكن حسن آخر الخطاب، وصفا « قوم » لوقوعه خبرا عن ضمير المخاطبين . قاله ابن الشجري .

ولو قيل: إنه حال لـ ﴿ فَتَلَّكَ بِيُوتِهِمْ خَاوِيَةً ﴾^(٢)، لأن في الضمير الخطاب معنى الإشارة لملازمته لها، أو لعناها لكان متجها وإن لم تساعد الصناعة، لكن يبعد أن المراد وصفهم بجهل مستمر، لا مخصوص بحال الخطاب، ولم يقل « جاهلون »، إيدانا بأنهم يتجددون عند كل مصيبة لطلب آيات جهلهم .

وقال أبو البركات بن الأنباري: ولو قيل: إنما قال: ﴿ تجهلون ﴾ بالتاء - لأن « قوم » هو « أنتم » في المعنى فلذلك، قال: « تجهلون » حملا على المعنى - لكان حسنا، ونظيره قوله:

* أنا الذي ستمتني أمي حيدرة^(٣) *

(٢) سورة النمل ٥٢

(١) سورة النمل ٥٥

(٣) من رجز لعل بن أبي طالب؛ أشده حين برز للقتال يوم خيبر وبقيته .

لَيْتُ غَابَ كَرِيهُهُ الْمَنْظَرَةُ أَوْ فِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ

وانظر الرياض النضرة ٢ : ١٨٦

بالياء حملا على « أنا » لأن « الذي » هو « أنا » في المعنى .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾^(١) ، غلب فيه جانب « أنت » على جانب « مَنْ » فأسند إليه الفعل ، وكان تقديره : فاستقيموا ، فغلب الخطاب على الغيبة ، لأن حرف العطف فصل بين المسند إليهم الفعل ، فصار كما ترى . قال صاحب الكشاف : تقديره^(٢) : فاستقم كما أمرت وليستقم كذلك من تاب معك .

وما قلنا أقل تقديرا من هذا فاختر أيهما شئت .

وقوله تعالى : ﴿ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ ﴾^(٣) ، فأعاد الضمير بلفظ الخطاب ، وإن كان « من تبعك » يقتضى الغيبة ، تغليبا للخطاب وجعل الغائب تبعاله ، كما كان تبعاله في المعصية والعقوبة ، فحسن أن يجعل تبعاله في اللفظ ، وهو من محاسن ارتباط اللفظ بالمعنى .

وكقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(٤) ، فإن الخطاب في ﴿ لعلكم ﴾ متعلق بقوله : ﴿ خلقكم ﴾ لا بقوله : ﴿ اعبدوا ﴾ حتى يختص بالناس المخاطبين ، إذ لا معنى لقوله : « اعبدوا لعلكم تتقون » . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^(٥) ، فيمن قرأ بالتاء . ويجوز أن يكون المراد بـ « ما تعملون » الخلق كلهم ، والمخاطب النبي صلى الله عليه وسلم وكل سامع أبدا ، فيكون تغليبا ، ولا يجوز أن يعتبر خطاب من سواه بدونه من غير اعتبار التغليب ، لامتنان أن يخاطب في كلام واحد اثنان أو أكثر من غير عطف أو ثنية أو جمع .

ومنه قوله تعالى^(٦)

(٢) الكشاف ٢ : ٣٢٨ ؛ مع تغيير

(٣) سورة الإسراء ٦٣

(٥) سورة هود ١٢٣

(١) سورة هود ١١٢

في العبارة .

(٤) سورة البقرة ٢١

(٦) كذا في الأصول .

الثالث

تغليب العاقل على غير

بأن يتقدم لفظ *يَعْمَ مَنْ يَعْقِلُ وَمَنْ لَا يَعْقِلُ* ، فيُطْلَقُ اللفظ المختص بالعاقل على الجميع ، كما تقول : « خَلَقَ اللهُ النَّاسَ وَالْأَنْعَامَ وَرَزَقَهُمْ » ، فإن لفظ « هم » مختص بالعقلاء . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾^(١) ، لما تقدم لفظ الدابة ، والمراد بها عموم مَنْ يَعْقِلُ وَمَنْ لَا يَعْقِلُ غَلَبَ مَنْ يَعْقِلُ ، فقال : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي ﴾^(١) .

فإن قيل : هذا صحيح في « فَمِنْهُمْ » لأنه لمن يعقل ؛ وهو راجع إلى الجميع ، فلم قال : « مَنْ » وهو لا يقع على العام ، بل خاص بالعاقل ؟

قلت : « مَنْ » هنا بعض « هُمْ » ، وهو ضمير من يعقل .

فإن قلت : فكيف يقع على بعضه لفظ ما لا يعقل ؟

قلت : مَنْ هنا قال أبو عثمان : إنه تغليبٌ من غير عموم لفظ متقدّم ، فهو بمنزلة من يقول : رأيت ثلاثة : زيداً وعمراً وحماراً .

وقال ابن الضائع : « هُمْ » لا تقع إلا على مَنْ يَعْقِلُ ، فلما أعاد الضمير على كل دابة غَلَبَ مَنْ يَعْقِلُ ، فقال : « هم » ، و« مَنْ » بعضُ هذا الضمير ؛ وهو للعاقل ، فلزم أن يقول « مَنْ » فلما قال : بوقوع التغليب في الضمير ، صار ما يقع عليه حكمه حُكْمَ العاقلين ؛ فتعم ذلك بأن أوقع « مَنْ » .

وقوله تعالى حاكياً عن السماء والأرض : ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾^(٢) ، إنما جمعهما جمع

(١) - سورة النور ٤٥

(٢) - سورة فصلت ١١

السلامة ، ولم يقل « طائعين » ولا « طائعات » ، لأنه أراد: اثتيا بمن فيكم من الخلائق طائعين ، فخرجت الحال على لفظ الجمع ، وغلب من يعقل من الذكور .

وقال بعض النحويين : لما أخذت عنهما أنهما يقولان كما يقول الآدميون أشبهتا

الذكور من بني آدم . وإنما قال : « طائعين » ولم يقل : « مطيعين » ، لأنه من طِعنا أى انقَدْنَا ، وليس من أطعنا ؛ يقال : طاعت الناقة تطوع طوعاً ، إذا انقادت .

وقوله تعالى : ﴿ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾^(١) ، قيل : أوقع

« ما » لأنها تقع على أنواع من يعقل ؛ لأنه إذا اجتمع من يعقل وما لا يعقل فغلب ما لا يعقل ؛ كان الأمر بالعكس ؛ ويناقضه : ﴿ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾^(١) .

وقال الزمخشري : جاء بـ « ما » تحقيراً لشأنهم وتصغيراً ، قال :

« له قانتون » تعظيم .

ورد عليه ابن الضائع بصحة وقوعها على الله عز وجل ، قال : وهذا غاية الخطأ ؛

وقوله في دعاء الأصنام : ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ وَقَالُوا لِيَجُلُدِيهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾^(٣) .

وأما قوله : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾^(٤) ، وقوله : ﴿ فِي فَلَكَ يَسْبَحُونَ ﴾^(٥)

﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾^(٦) .

﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾^(٧) .

﴿ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُّوهَا ﴾^(٨) . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾^(٩)

(١) سورة البقرة ١١٦

(٢) سورة الشعراء ٧٢

(٤) سورة الشعراء ٤

(٦) سورة الأنبياء ٦٥

(٨) سورة الأنبياء ٩٩

(٣) سورة فصلت ٢١

(٥) سورة يس ٤٠

(٧) سورة يوسف ٤

(٩) سورة النمل ١٨

لما أخبر عنها بأخبار الآدميين جرى ضميرها على حدّ من يعقل ، وكذا البواقي .
 فإن قيل : فقد غلب غير العاقل على العاقل في قوله : ﴿ وَ لِلّٰهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ ^(١) فإنه لو غلب العاقل على غير العاقل لآتى بـ « من » .
 فالجواب أن هذا الموضع غلب فيه من يعقل ، وعبر عن ذلك بـ « ما » ، لأنها واقعة
 على أجناس من يعقل خاصة ، كهذه الآية .

قوله : ﴿ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ﴾ ^(٢) ، ولم يقل « ومن فيهن »
 قيل : لأن كلمة « ما » تتناول الأجناس كلها تناولا عاما بأصل الموضع ، و « من »
 لا تتناول غير العقلاء بأصل الموضع ، فكان استعمال « ما » هنا أولى .

وقد يجتمع في لفظ واحد تغليب المخاطب على الغائب ، والعقلاء على غيرهم ، كقوله :
 ﴿ جَعَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ ﴾ ^(٣) ، أى خلق
 لكم أيها الناس من جنسكم ذكورا وإناثا ، وخلق الأنعام أيضا من أنفسها ذكورا وإناثا ،
 يذروكم ، أى ينبتكم ويكثركم أيها الناس والأنعام ، في هذا التدبير والجعل ، فهو خطاب
 للجميع ؛ للناس المخاطبين وللأنعام المذكورة بلفظ الغيبة ، فقيه تغليب المخاطب على
 الغائب ، وإلا لما صح ذكر الجميع - أعنى الناس والأنعام - بطريق الخطاب ؛ لأن الأنعام
 غيب ، و [فيه] تغليب العقلاء على غيرهم ؛ وإلا لما صح خطاب الجمع بلفظ « كم » المختص
 بالعقلاء ، ففي لفظ « كم » تغليب ، ولولا التغليب لكان القياس أن يقال : يذروكم وإياها .
 هكذا قرره السكاكي والزمخشري .

ونوزعا فيه ؛ بأن جعل الخطاب شاملا للأنعام تكلف لا حاجة إليه ؛ لأن الغرض
 إظهار القدرة وبيان الألفاف في حق الناس ؛ فالخطاب مختص بهم ، والمعنى : يكثركم

(٢) سورة المائدة ١٢٠

(١) سورة النحل ٤٩

(٣) سورة الشورى ١١

أيها الناس في التدبير حيث مكنكم من التوالد والتناسل ، وهياً لكم من مصالحكم ما تحتاجون إليه في ترتيب المعاش وتدبير التوالد ، وجعلها أزواجاً تبقى ببقائكم ، وعلى هذا يكون التقدير : وجعل لكم من الأنعام أزواجاً ؛ وهذا أنسب بنظم الكلام مما قرروه ، وهو جعل الأنعام أنفسها أزواجاً .

وقوله : ﴿ يَذُرُوكُمْ فِيهِ ﴾^(١) أي في هذا التدبير ؛ كأنه محلّ لذلك ، ولم يقل « به » كما قال : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾^(٢) ؛ لأنه مسوق لإظهار الاقتدار مع الوجدانية ، فأسقط السببية ، وأثبت « في » الظرفية ، وهذا وجه من إعجاز قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ ؛ لأن الحياة من شأنها الاستناد إليه سبحانه لا إلى غيره ، فاختيرت « في » على « الباء » ؛ لأنه مسوق لبيان الترغيب والمعنى مفهوم ، والقصاص مسوق للتجويز وحسن المشروعية ، ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾^(٣) .

الرابع

تغليب المتّصف بالشئ على ما لم يتصف به

كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾^(٤) ، قيل : غلب غير المرتابين على المرتابين ، واعترض بقوله تعالى : ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، وهذا خطاب للكفار فقط قطعاً ، فهم المخاطبون أولاً بذلك ؛ ثم « إن كنتم صادقين » لا يتميز فيها التغليب ، ثم هي شهادة بأن المتكلم معهم يخصّ

(٢) سورة البقرة ١٧٩

(٤) سورة البقرة ٢٣

(١) سورة الشورى ١١

(٣) سورة البقرة ٢٣٧

الجاحدين بقوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(١) ، وإذا لم يكن الخطاب إلا فيهم ، فتغليب حال مَنْ لم يدخل في الخطاب ، لا عهد به في مخاطبات العرب .

الخامس

تغليب الأكثر على الأقل

بأن ينسب إلى الجميع وصف يختص بالأكثر ، كقوله تعالى : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾^(٢) ، أدخل شعيب عليه السلام في قوله : ﴿ لَتَعُوذُنَّ ﴾ بحكم التغليب ؛ إذ لم يكن في ملتهم أصلاً حتى يعود إليها . ومثله قوله : ﴿ إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ ﴾^(٣) ، واعترض بأن « عاد » بمعنى « صار » لفة معروفة ، وأنشدوا :

فإن تكن الأيام أحسن مرةً إلى فقد عادت لهنَّ ذُنُوبُ

ولا حجة فيه ؛ لجواز أن يكون ضمير « الأيام » فاعل « عادت » ؛ وإنما الشاهد في قول أمية :

تلك المكارم لا قعبانٍ من لبنٍ شيباً بماءٍ فعادا بعدُ أبوالآ

ويحتمل جواباً ثالثاً ؛ وهو أن يكون قولهم لشعيب ذلك ، من تعنتهم وبهتانهم وادعائهم أن شعيباً كان على ملتهم ، لا كما قال فرعون لموسى . وقوله : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا ﴾^(٤) كناية عن أتباعه لجرد فائدتهم ، وأنه صلى الله عليه وسلم إن قال ذلك عن نفسه وأتباعه فقد استثنى ، والمعلق بالمشيئة لا يلزم إمكانه شرعاً تقديراً ، والاعتراف بالقدرة والرجوع لعلمه سبحانه ، وأن علم العبد عصمة نفسه أدباً مع ربه لا شكاً .

(٢) سورة الأعراف ٨٨

(٤) سورة الأعراف ٨٩

(١) سورة البقرة ٢٥

(٣) سورة الأعراف ٨٩

ويجوز أن يراد بالعود في ملتهم مجرد المساكنة والاختلاط، بدليل قوله: ﴿إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾^(١). ونظيره: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٢)، ويكون ذلك إشارة إلى الهجرة عنهم، وترك الإجابة لهم، لا جواباً لهم. وفيه بُعد.

السادس

تغليب الجنس الكثير الأفراد على فرد من غير هذا الجنس

مغموز فيما بينهم، بأن يطلق اسم الجنس على الجميع

كقوله: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّا إِبْلِيسَ﴾^(٣)، وأنه عد منهم؛ مع أنه كان من الجن، تغليباً لكونه جنياً واحداً فيما بينهم، ولأن حمل الاستثناء على الاتصال هو الأصل. ويدل على كونه من غير الملائكة ما رواه مسلم في صحيحه: «خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَالْجِنُّ مِنَ النَّارِ»^(٤).

وقيل: إنه كان ملكاً فسلب الملكية، وأجيب عن كونه من الجن بأنه اسم لنوع من الملائكة.

قال الزمخشري: كان مختلطاً بهم، فحينئذ عمته الدعوة بالخلطة لا بالجنس؛ فيكون من تغليب الأكثر.

هذا إن جعلنا الاستثناء متصلاً؛ ولم يجعل «إلا» بمعنى «لكن».

وقال ابن جنى في «القد»: قال أبو الحسن في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ

(٢) سورة آل عمران ٥٥

(١) الأعراف ٨٩

(٣) سورة ص ٧٣، ٧٤

(٤) لفظ الحديث في صحيح مسلم ٤: ٢٢٩٤: «خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ

نار، وخلق آدم مما وصف لكم»، بسنده عن عائشة.

آبْنِ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ الْهَيْبِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿١﴾ ، وَإِنَّمَا اتَّخَذَ
عِيسَى دُونَ أُمِّهِ ؛ فَهُوَ مِنْ بَابِ :

* لَنَا قَمَرَاهَا وَالنَّجُومِ الطَّوَالِعِ ﴿٢﴾ *

السابع

تغليب الموجود على ما لم يوجد

كقوله : ﴿بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ ﴿٣﴾ قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ : فَإِنَّ ﴿٤﴾ الْمُرَادُ : الْمَنْزَلُ كُلَّهُ ، وَإِنَّمَا
عَبَّرَ عَنْهُ بِلَفْظِ الْمَضِيِّ وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُ مُتَرَقِّبًا ، تَغْلِيْبًا لِلْمَوْجُودِ عَلَى مَا لَمْ يَوْجُدْ .

الثامن

تغليب الإسلام

كقوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ﴾ ﴿٥﴾ قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ ﴿٦﴾ : لِأَنَّ الدَّرَجَاتِ لِلْعُلُوِّ
وَالدَّرَكَاتِ لِلسُّفْلِ ، فَاسْتَعْمَلَ الدَّرَجَاتِ فِي الْقَسْمِينَ تَغْلِيْبًا .

التاسع

تغليب ما وقع بوجه مخصوص على ما وقع بغير هذا الوجه

كقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ ﴿٧﴾ ، ذَكَرَ الْأَيْدِيَ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْأَعْمَالِ

(٢) صدره :

(١) سورة المائدة ١١٦

* أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ *

(٣) سورة البقرة ٤

وهو للفرزدق ، ديوانه ٢ : ٥١٩

(٥) سورة الأحقاف ١٩

(٤) الكشاف ١ : ٣٣

(٦) الكشاف ٤ : ٢٤١ ؛ وعبارته هناك :

﴿وَلِكُلِّ﴾ مِنَ الْجَنَّةِ الْمَذْكُورِينَ ﴿دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ ؛ أَي مَنَازِلَ وَمَرَاتِبَ مِنْ جِزَاءِ مَا عَمِلُوا

مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ؛ وَمَنْ أَجَلَ مَا عَمِلُوا مِنْهُمَا . فَإِنَّ قُلْتَ : كَيْفَ قِيلَ ﴿دَرَجَاتٍ﴾ ، وَقَدْ جَاءَ :

الجنة درجات ، والنار دركات ؟ قلت : يجوز أن يقال ذلك على وجه التغليب ، لا شمال كل على الفريقين .

(٧) سورة آل عمران ١٨٢

تزاوُل بها، فحصل الجمع بالواقع بالأيدى، تغليباً أشار إليه الزمخشري في آخر آل عمران^(١).
 ويشاكله ما أنشده الغزنوي في « العامريات » لصفية بنت عبد المطلب :
 فلا والعادياتِ غداةَ جَمْعٍ بأيديها إذا سطم الغُبَارُ^(٢)

العاشر

تغليب الأشهر

كقوله تعالى : ﴿ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ﴾^(٣) أراد المشرق والمغرب ،
 فغلب المشرق ، لأنه أشهر الجهتين ، قاله ابن السجري وسيأتي فيه وجه آخر .

فائدتان

إحداها :

جميع باب التغليب من المجاز، لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له، ألا ترى أن القاضين
 موضوع للذكور الموصوفين بهذا الوصف، فإطلاقه على الذكور والإناث على غير ما
 وضع له، وقس على هذا جميع الأمثلة السابقة .

الثانية :

الغالب من التغليب أن يراعى الأشرف كما سبق ، ولهذا قالوا في ثنية الأب والأم :
 أبوان ، وفي ثنية المشرق والمغرب : المشرقان ، لأن المشرق دال على الوجود ، والغرب
 دال على العدم ، والوجود لا محالة أشرف ، وكذلك القمران ، قال :

* لنا قراها والنجوم الطوالع *

أراد الشمس والقمر، فغلب القمر لشرف التذكير . وأما قولهم سنة العمرين ، يريدون

(٢) تفسير البحر لأبي حيان ٨ : ٥٠٣

(١) في الكشاف ١ : ٣٤٤

(٣) سورة الزخرف ٣٨

أبا بكر وعمر ، قال ابن سيده في « المحكم » : إنما فعلوا ذلك إيثاراً للخفة ، أى
غذب الأخف على الأثقل ، لأن لفظ « عمر » مفرد ولفظ أبي بكر مركب .
وذكر أبو عبيد في « غريب الحديث » أن ذلك للشهرة وطول المدة .
وذكر غيرها أن المراد به عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ، وعلى هذا
فلا تغليب .

وردّ بأنهم نطقوا بالعمرين قبل أن يعرفوا عمر بن عبد العزيز ، فقالوا يوم الجمل
لعلي بن أبي طالب : سُنَّةَ العمرين .

الإلتفات

وفيه مباحث :

الأول : في مقيفة

وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر نظريةً واستدراجاً للسامع، وتجديداً لنشاطه، وصيانة لخاطره من الملل والضجر، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه، كما قيل :

لَا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِنْ كَانَتْ مَصْرِفَةً إِلَّا التَّنْقُلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
قال حازم في « منهاج البلغاء » : وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب، فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة. وكذلك أيضاً يتلاعب المتكلم بضميره، فتارة يجعله تاء على جهة الإخبار عن نفسه، وتارة يجعله كافاً فيجعل نفسه مخاطباً وتارة يجعله هاء، فيقيم نفسه مقام الغائب. فذلك كان الكلام المتوالى فيه ضمير المتكلم والمخاطب لا يستطاب؛ وإنما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض، وهو نقل معنوي لالفظي، وشرطه أن يكون الضمير في المتنقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى الملتفت عنه، ليخرج^(١) نحو « أكرم زيداً، وأحسن إليه، فضمير « أنت » الذي هو في « أكرم » غير الضمير في « إليه » .

واعلم أن للتكلم والخطاب والغيبة مقامات، والمشهور أن الالتفات هو الانتقال من أحدها إلى الآخر بعد التعبير بالأول.

(١) ساقطة من م .

وقال السكاكي : إما ذلك ، وإما التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره .

البحث الثاني : في أقسام

وهي كثيرة :

الأول

الالتفات من التكلم إلى الخطاب

ووجهه حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه ، وأنه أعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَالِيَ لَأَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(١) ، الأصل : « وإليه أرجع » ، فالتفت من التكلم إلى الخطاب ، وفائدته أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه ، وهو يريد نصح قومه ، تلطفا وإعلاما بأنه يريد نفسه ، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله .

وأيضاً فإن قومه لما أنكروا عليه عبادته لله ، أخرج الكلام معهم بحسب حالهم ، فاحتج عليهم بأنه يقبح منه أنه لا يعبد فاطره ومبدعه ؛ ثم حذرهم بقوله : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(١) .

لذا جعلوه من الالتفات ، وفيه نظر ، لأنه إنما يكون منه إذا كان القصد الإخبار عن نفسه في كلتا الجملتين ، وهاهنا ليس كذلك ، لجواز أن يكون أراد بقوله : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(١) مخاطبين ؛ ولم يرد نفسه ، ويؤيده ضمير الجمع ، ولو أراد نفسه لقال : « أرجع » .

(١) - سورة يس ٢٢

وأيضاً فشرط الالتفات أن يكون في جملتين ، و « فطرنى » و « وإليه ترجعون »
كلام واحد .

وأجيب بأنه لو كان المراد بقوله : ﴿ تَرْجِعُونَ ﴾ ظاهره لما صح الاستفهام الإنكارى ؛
لأن رجوع العبد إلى مولاه ليس بمعنى أن يعبد غيره ذلك الراجع . فالعنى : كيف أعبد
مَنْ إِلَيْهِ رَجُوعِي ؛ وإنما ترك « وإليه أرجع » إلى ﴿ وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ﴾ لأنه داخل فيهم .
ومع ذلك أفاد فائدة حسنة ؛ وهى أنه نبههم أنهم مثله فى وجوب عبادة مَنْ إِلَيْهِ الرَّجُوعُ ؛
فعلى هذا ، الواو للحال ، وعلى الأول واو العطف .

ومنه قوله : ﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾^(١) عدل عن قوله : « رَحْمَةً مِنَّا » إلى قوله :
﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ ؛ لما فيه من الإشعار بأن ربوبيته تقتضى رحمته ؛ وأنه رحيم بعبده ،
كقوله : ﴿ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ ﴾^(٣) ، ﴿ وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾^(٤) . وهو كثير .

وقوله : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴾^(٥) ولم يقل : « لنغفر لك »
تعليقاً لهذه المغفرة العامة باسمه المتضمن لسائر أسمائه الحسنى ، ولهذا علق به النصر ، فقال :
﴿ وَيَنْصُرْكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾^(٦) .

الثانى

من التكلم إلى الغيبة

ووجهه أن يفهم السامع أن هذا نمط المتكلم وقصده من السامع ، حضر أو غاب ،

(٢) سورة سبأ ١٥

(٣) سورة الحج ٧٧

(٦) سورة الفتح ٣

(١) سورة الكهف ٨٢

(٣) سورة الأعراف ٥٥

(٥) سورة النج ١ ، ٢

وأنه في كلامه ليس يَمُنُّ بتلون ويتوجه ، فيكون في المضمرة ونحوه ذا لَوْنَيْنِ ، وأراد بالانتقال إلى الغيبة الإبقاء على المخاطب ؛ من قرعه في الوجه بسهام الهجر ، فالغيبة أرواح له ، وأبقى على ماء وجهه أن يفوت ، كقوله : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾^(١) ، حيث لم يقل « لنا » تحريضا على فعل الصلاة لحق الربوبية .

وقوله : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً . . . ﴾^(٣) إلى قوله : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾^(٤) ، ولم يقل : « بي » .

وله فائدتان : إحداهما دفع التهمة عن نفسه بالعصبية لها ، والثاني تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما أنصف به من الصفات المذكورة ، من النبوة والامية ، التي هي أكبر دليل على صدقه ، وأنه لا يستحق الاتباع لذاته ، بل لهذه الخصائص .

الثالث

من الخطاب إلى التكلم

كقوله : ﴿ فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا ﴾^(٥) ؛ وهذا إنما يتمشى على قول من لم يشترط أن يكون المراد بالالتفات واحدا ؛ فأما من اشترطه فلا يحسن أن يمثل به ، ويمكن أن يمثل بقوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنْ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾^(٥) على أنه سبحانه نَزَّلَ نَفْسَهُ منزلة المخاطب .

(٢) سورة الدخان ٤ - ٦

(٤) سورة طه ٧٢ ، ٧٣

(١) سورة الكوثر ١ ، ٢

(٣) سورة الأعراف ١٥٨

(٥) سورة يونس ٢١

الرابع

من الخطاب إلى الغيبة

كقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَحْرِهِمْ ﴾^(۱) ، فقد التفت عن
(كُنْتُمْ ﴾ إلى ﴿ جَرِينَ بَحْرِهِمْ ﴾ ، وفائدة العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم ،
تعجبه من فعلهم وكفرهم ، إذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة .

وقيل : لأن الخطاب أولاً كان مع الناس : مؤمنهم وكافرهم ؛ بدليل قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي
بُسِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾^(۱) ، فلو قال : « وجرين بكم » لَلَزِمَ الذَّمُّ لِلْجَمِيعِ ، فالتفت
عن الأول للإشارة إلى الاختصاص بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية ،
فعدل عن الخطاب العام إلى الذم الخاص ببعضهم ، وهم الموصوفون بما أخبر به عنهم .
وقيل : لأنهم وقت الركوب حصروا ، لأنهم خافوا الهلاك وتقلب الرياح ، فناداهم
نداء الحاضرين . ثم إن الرياح لما جرت بما تشتهي النفوس ، وأمنت الهلاك لم يبق
حضورهم كما كان على ما هي عادة الإنسان ؛ أنه إذا أمن غاب ، فلما غابوا عند جريه بريح
طيبة فكّرهم الله بصيغة الغيبة ؛ فقال : ﴿ وَجَرِينَ بَحْرِهِمْ ﴾ .

وقوله : ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾^(۲) ثم قال : ﴿ يُطَافُ
عَلَيْهِمْ ﴾^(۳) ، فانتقل عن الخطاب إلى الغيبة ، ولو ربط بما قبله لقال : « يطاف عليكم » ،
لأنه مخاطب لا مخبر ، ثم التفت فقال : ﴿ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(۳) فكرر الالتفات .
وقوله : ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾^(۴)

(۲) سورة الزخرف ۷۰

(۴) سورة الروم ۳۹

(۱) سورة يونس ۲۲

(۳) سورة الزخرف ۷۱

وقوله: ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (١)
وقوله: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ . وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ
بَيْنَهُمْ ﴾ (٢) ، والأصل « فقطعتم » عطفًا على ما قبله ، لكن عدل من الخطاب إلى الغيبة ،
فقيل ؛ إنه سبحانه نعى عليهم ما أفسدوه من أمر دينهم إلى قوم آخرين ، ووبخهم عليه
قائلًا : ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله لم ا
وجعل منه ابن الشجری : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (٣) ، وقد سبق أنه على
حذف المفعول ، فلا التفات .

الخامس

من الغيبة إلى التكلم

كقوله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ
الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ (٤) .

﴿ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا ﴾ (٥) .

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾ (٦) .

وقوله: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ ﴾ (٧) وفائدته أنه لما كان

(٢) سورة الأنبياء ٩٢ ، ٩٣

(٤) سورة الإسراء ١

(٦) سورة مريم ٨٨ ، ٨٩

(١) سورة الحجرات ٧

(٣) سورة الضحى ٣

(٥) سورة فصلت ١٢

(٧) سورة فاطر ٩

سَوَّقُ السَّحَابِ إِلَى الْبَلَدِ إِحْيَاءٌ لِلأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا بِالْمَطَرِ ، دَالًّا عَلَى الْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ ، وَالآيَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَا يَتَدَّرُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ ، عَدَلًا عَنْ لَفْظِ الْغَيْبَةِ إِلَى التَّكْلِيمِ ؛ لِأَنَّهُ أُدْخِلُ فِي الْإِخْتِصَاصِ ، وَأَدْلُّ عَلَيْهِ وَأَنْحَمُ .

وفيه معنى آخر ، وهو أن الأقوال المذكورة في هذه الآية ، منها ما أخبر به سبحانه بسببه ؛ وهو سَوَّقُ السَّحَابِ ، فإنه يسوق الرياح ، فتسوقه الملائكة بأمره ، وإحياء الأرض به بواسطة إنزاله ، وسائر الأسباب التي يقتضيها حكمه وعلمه . وعادته سبحانه في كل هذه الأفعال أن يخبر بها بنون التعميم ، الدالة على أن له جنداً وخلقاً قد سخرهم في ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ (١) ، أي إذا قرأه رسولنا جبريل . وقوله : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ (٢) .

وأما إرسال السحاب فهو سحاب يأذن في إرسالها ، ولم يذكر له سببها ، بخلاف سوق السحاب ، وإنزال المطر فإنه قد ذكر أسبابه : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾ (٣) . ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ (٤) .

وجعل الزمخشري منه قوله : في سورة طه : ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾ (٥) : وزعم الجرجاني أن في هذه الآية التفاتاً ، وجعل قوله : ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ (٥) آخر كلام موسى ، ثم ابتداء الله تعالى فأخبر عن نفسه بأوصافه لمعالجتها .

وأشار الزمخشري (٦) إلى أن فائدة الالتفات إلى التكلم في هذه المواضع التنبيه على

(٢) سورة طه ١٠٢

(٤) سورة النحل ٦٠

(٦) الكشاف ٣ : ٥٣

(١) سورة القيامة ١٨

(٣) سورة فاطر ٢٧

(٥) سورة طه ٥٣

التخصيص بالقدرة ؛ وأنه لا يدخل تحت قدرة واحد، وهو معنى قول غيره: إن الإشارة إلى حكاية الحال واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة . وكذا يفعلون لكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب، أو تهتم المخاطب؛ وإنما قال: ﴿ فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً ﴾^(١)، لإفادة بقاء المطر زماناً بعد زمان .

ومثله: ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَّا السَّمَاءَ الْأَدْنَىٰ بِمَصَابِيحَ ﴾^(٢)، عدل عن الغيبة في « قضاهن » و « سواهن » إلى التكلم في قوله: ﴿ وَزَيْنَّا ﴾^(٣)، فقيل للاهتمام بذلك، والإخبار عن نفسه، بأنه جعل الكوكب زينة السماء الدنيا، وحفظاً؛ تكديباً لمن أنكر ذلك .

وقيل: لما كانت الأفعال المذكورة في هذه الآية نوعين :

أحدهما: وجه الإخبار عنه بوقوعه في الأيام المذكورة، وهو خلق الأرض في يومين، وجعل الرواسي من فوقها وإلقاء البركة فيها، وتقدير الأقوات في تمام أربعة أيام؛ ثم الإخبار بأنه استوى إلى السماء، وأنه أتمها وأكملها سبعمائة في يومين؛ فأتى في هذا النوع بضمير الغائب، عطفاً على أول الكلام في قوله: ﴿ قُلْ أَتِنِّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي ﴾^(٤) إلى قوله: ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ . . . ﴾^(٥) الآية .

والثاني: قصد به الإخبار مطلقاً، من غير قصد مدة خلقه، وهو تزئين السماء الدنيا بمصابيح، وجعلها حفظاً؛ فإنه لم يقصد بيان مدة ذلك؛ بخلاف ما قبله؛ فإن نوع الأول يتضمن إيجاداً لهذه المخلوقات العظيمة في هذه المدة اليسيرة، وذلك من أعظم آثار قدرته . وأما تزئين

(٢) سورة فصلت ١٢

(٤) سورة فصلت ١٢

(١) سورة الحج ٦٣

(٣) سورة فصلت ٩ ، ١٠

السماء الدنيا بالمصاييح فليس المقصود به الإخبار عن مدة خلق النجوم ، فالتفت من الغيبة إلى التـكلم ، فقال : ﴿ زَيْنًا ﴾ .

فائدة

[في تكرار الالتفات في موضع واحد]

وقد تكرر الالتفات في قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(١) في أربعة مواضع ؛ فانتقل عن الغيبة في قوله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ ، إلى التـكلم في قوله : ﴿ بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ ، ثم عن التـكلم إلى الغيبة في قوله : ﴿ لِنُرِيَهُ ﴾ ، بالياء على قراءة الحسن ، ثم عن الغيبة إلى التـكلم في قوله : ﴿ آيَاتِنَا ﴾ ؛ ثم عن التـكلم إلى الغيبة في قوله : ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ . وكذلك في الفاتحة ، فإن من أولها إلى قوله : ﴿ مَا لِكِ يَوْمَ الدِّينِ ﴾^(٢) أسلوب غيبة ، ثم التفت بقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^(٣) إلى أسلوب خطاب في قوله : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾^(٣) ، ثم التفت إلى الغيبة بقوله : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾^(٣) ، ولم يقل « الذين غضبت » كما قال : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾^(٣) .

السادس

من الغيبة إلى الخطاب

كقوله : ﴿ وَقَالُوا آمَنَّا بِالرَّحْمَنِ وَآدَاءُ . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾^(٣) ، ولم يقل :

(٢) سورة الفاتحة ٤ ، ٥ ، ٧

(١) سورة الإسراء ١

(٣) سورة مريم ٨٨ ، ٨٩

« لقد جاءوا » للدلالة على أن من قال مثل قولهم ينبغي أن يكون موجبا عليه ، منكرا عليه قوله ، كأنه يخاطب به قوما حاضرين .

وقوله : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾^(۱) ، ثم قال : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾^(۲) .

وقوله : ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا . إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً ﴾^(۳) .

وقوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آسَوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ ﴾^(۴) .

وقوله : ﴿ فَتَكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ ﴾^(۵) .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾^(۶) ، ثم قال : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا

الشمسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾^(۶) .

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ . . . ﴾^(۷) الآية .

وقوله : ﴿ وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ الظُّلُمَاتِ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَىٰ ﴾^(۸) .

وقوله : ﴿ إِنَّ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(۹) .

وقوله : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ

مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ ﴾^(۱۰) .

وقوله حكاية عن الخليل : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

(۲) سورة مريم ۷۱

(۴) سورة آل عمران ۱۰۶

(۶) سورة الفرقان ۴۵

(۷) سورة البقرة ۵۷

(۱۰) سورة الأنعام ۶

(۱) سورة مريم ۳۹

(۳) سورة الدهر ۲۱ ، ۲۲

(۵) سورة التوبة ۳۵

(۷) سورة البقرة ۶

(۹) سورة الأحزاب ۵۰

تَعْلَمُونَ . إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴿١﴾ ، إلى قوله :
﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ﴾ ﴿٢﴾ .

وقوله : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ . وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ .
وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ ﴿٣﴾ .

وقوله : ﴿ وَأَنْزَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ ﴿٤﴾ إلى قوله :
﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ ﴿٥﴾ .

وقوله : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ . . . ﴾ ﴿٦﴾ الآية .

وجعل بعضهم منه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ
فَاغْسِلُوا ﴾ ﴿٧﴾ ، وهو عجيب لأن « الذين » موصول لفظه للغيبة، ولا بد له من عائد وهو
الضمير في « آمنوا » ، فكيف يعود ضمير مخاطب على غائب ! فهذا مما لا يعقل .

وقوله : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ . إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ﴿٨﴾ ؛ فقد التفت عن الغيبة وهو ﴿ مَالِكِ ﴾
إلى الخطاب وهو : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ﴿٨﴾ .

ولك أن تقول : إن كان التقدير : قولوا الحمد لله ، ففيه التفتان - أعنى في الكلام
المأمور به :

أحدهما : في لفظ الجلالة ، فإن الله تعالى حاضر ، فأصله الحمد لك .

والثاني : ﴿ إِيَّاكَ ﴾ لحيثه على خلاف الأسلوب السابق وإن لم يقدر : « قولوا » كان
في « الحمد لله » التفتان عن التكلم إلى الغيبة ؛ فإن الله سبحانه حميد نفسه، ولا يكون في ﴿ إِيَّاكَ ﴾

(٢) سورة العنكبوت ٢٤

(٤) سورة الأعراف ١٧٥

(٦) سورة المائدة ٣٨ ، ٣٩

(٨) سورة الفاتحة ٤ ، ٥

(١) سورة العنكبوت ١٦ ، ١٧

(٣) سورة إبراهيم ١٩ - ٢١

(٥) سورة الأعراف ١٧٦

(٧) سورة المائدة ٦

نعبد ﴿ التفات ؛ لأن « قولوا » مقدره معها قطعا ؛ فإما أن يكون في الآية التفات ، أو لا التفات بالكلية .

السابع

بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه

فيكون التفاتاعنه ، كقوله تعالى : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾^(١) بعد ﴿ أَنْعَمْتَ ﴾^(١) ؛ فإن المعنى « غير الذين غضبت عليهم » ذكره التنوخي في « الأقصى القريب » والخفاجي ، وابن الأثير وغيرهم .

واعلم أنه على رأى السكاكي تجى الأقسام الستة في القسم الأخير ، وهو الانتقال التقديرى .

وزعم صاحب « ضوء المصباح » أنه لم يستعمل منها إلا وضع الخطاب والغيبة موضع التكلم ، ووضع التكلم موضع الخطاب ، ومثل الثالث بقوله : ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾^(٢) ، مكان « وما لكم لا تعبدون الذى فطرکم » .

وجعل بعضهم من الالتفات قوله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ بِمَهْدِهِمْ ﴾^(٣) ثم قال : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾^(٣) ، وقوله : ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾^(٤) .

البحث الثالث في أسباب

اعلم أن للالتفات^(٥) فوائد عامة وخاصة ؛ فمن العامة التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر

(٢) سورة يس ٢٢
(٤) سورة النساء ١٦٢

(١) سورة الفاتحة ٧
(٣) سورة البقرة ١٧٧
(٥) ت : « اليقين » تحريف .

لما في ذلك من تنشيط السامع ، واستجلاب صفائه ، واتساع مجارى الكلام ، وتسهيل لوزن والتافية .

وقال البيانىون : إن الكلام إذا جاء على أسلوب واحد وطال حسن تغيير الطريقة .
ونازعهم القاضى شمس الدين بن الجوزى وقال : الظاهر أن مجرد هذا لا يكفى فى المناسبة ، فإننا رأينا كلاماً طويلاً فى هذا ، والأسلوب محفوظ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۝ ٠٠٠ ﴾^(١) إلى أن ذكر عشرة أصناف ، وختم بـ ﴿ الذَّاكِرِينَ لِلَّهِ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ ، ولم يغير الأسلوب ؛ وإنما المناسبة أن الإنسان كثير القلب ، وقلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن ، ويقبله كيف يشاء ، فإنه يكون غائباً فيحضر بكلمة واحدة ، وآخر يكون حاضراً فيغيب ، فالله تعالى لما قال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢) تنبّه السامع وحضر قلبه ، فقال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^(٣) .
وأما^(٤) الخاصة فتختلف باختلاف محالّه ومواقع الكلام فيه على ما يقصده المتكلم .

فمنها قصد تعظيم شأن المخاطب ، كما فى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، فإن العبد إذا افتتح حمد مولاه بقوله : « الْحَمْدُ لِلَّهِ » الدال على اختصاصه بالحمد وجد من نفسه التحرك للإقبال عليه سبحانه ؛ فإذا انتقل إلى قوله : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الدال على ربوبيته لجميعهم قوى تحركه ، فإذا قال : ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ الدال على أنه منعم بأنواع النعم ؛ جليلها وحقيرها تزايد التحرك عنده ، فإذا وصل لـ ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ وهو خاتمة الصفات الدالة على أنه مالك الأمر يوم الجزاء ، فيتأهب قربه ، وتيقن الإقبال عليه بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات .

(٢) سورة الفاتحة ٢

(٤-٤) ت « الخاصة تختلف » ؛

(١) سورة الأحزاب ٣٥

(٣) سورة الفاتحة ٥

وقيل : إنما اختير للحمد لفظ الغيبة ، وللعبادة الخطاب ، للإشارة إلى أن الحمد دون العبادة في الرتبة ؛ فإنك تحمد نظيرك ولا تعبده ، إذ الإنسان يحمد من لا يعبده ، ولا يعبد من لا يحمده ، فلما كان كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة في الخبر فقال : « الحمد لله » ولم يقل « الحمد لك » ، ولفظ العبادة مع الخطاب فقال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ لينسب إلى العظيم حال المخاطبة والمواجهة ، على ما هو أعلى رتبة ؛ وذلك على طريق التأدب . وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ مصرحاً بذكر المنعم ، وإسناد الإناعام إليه لفظاً ولم يقل « صراط المنعم عليهم » ؛ فلما صار إلى ذكر الغضب روى عنه لفظ الغضب في النسبة إليه لفظاً ، وجاء باللفظ متحرراً عن ذكر الغاضب ؛ فلم يقل « غير الذين غضبت عليهم » ، تفادياً عن نسبة الغضب في اللفظ حال المواجهة .

ومن هذا قوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾^(١) ؛ فإن التأدب في الغيبة دون الخطاب .

وقيل : لأنه لما ذكر الحقيق بالحمد ، وأجرى عليه الصفات العظيمة من كونه ربا للعالمين ورحمنا ورحيما ، ومالكاً ليوم الدين ، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بأن يكون معبوداً دون غيره ، مستعاناً به ، فخوطب بذلك لتمييزه بالصفات المذكورة ، تعظيماً لشأنه كله ؛ حتى كأنه قيل : إياك ، يا مَنْ هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا غيرك .

قيل : ومن لطائف التنبيه على أن مبتدأ الخلق الغيبة منهم عنه سبحانه ، وقصورهم عن محاضرتهم ومخاطبته ، وقيام حجاب العظمة عليهم ، فإذا عرفوه بما هو له ، وتوسلوا للقرب بالثناء عليه ، وأقروا بالحمد له وتعبدوا له بما يليق بهم ، تأهلوا لمخاطباته ومناجاته فقالوا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

وفيه أنهم يُبدون بين يدي كل دعاء له سبحانه ومناجاة له صفات عظيمة لمخاطبته على الأدب والتعظيم ، لا عن الغفلة والإغفال ، ولا عن اللعب والاستخفاف ، كمن يدعو بلا نية أو على تلعب وغفلة ، وهم كثير .

ومنه أن مناجاته لا تصعد إلا إذا تطهر من أدناس الجهالة به ، كما لا تسجد الأعضاء إلا بعد التطهير من حدث الأجسام ؛ ولذلك قدمت الاستعاذة على القرآن .

قال الزمخشري : وكما في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾^(۱) ، ولم يقل « واستغفرت لهم » [وعدل عنه إلى طريق الالتفات]^(۲) لأن في هذا الالتفات بيان تعظيم استغفاره ، وأن شفاعته من اسمه الرسول بمكان^(۳) .

ومنها : التنبية على ماحق الكلام أن يكون واردا عليه ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(۴) ، أصل الكلام « وما لكم لا تعبدون الذي فطركم » ولكنه أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه ، وهو يريد مناصحتهم ؛ ليتلطف بهم ، ويريدهم أنه لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه ، ثم لما انقضى غرضه من ذلك ، قال : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(۴) ليدل على ما كان من أصل الكلام ، ومقتضيا له ، ثم ساقه هذا المساق إلى أن قال : ﴿ آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴾^(۵) .

ومنها : أن يكون الغرض به التتميم لمعنى مقصود للمتكلم ؛ فيأتي به محافظة على التتميم

(۲) تكملة من الكشاف .

(۴) سورة يس ۲۲

(۱) سورة النساء ۶۴

(۳) الكشاف ۲ : ۴۰۸

(۵) سورة يس ۲۵

ما قصد إليه من المعنى المطلوب له ، كقوله : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(۱) ، أصل الكلام « إنا مرسلين رحمة منا » ، ولكنه وضع الظاهر موضع المضمرة ، للإنداز بأن الربوبية تقتضى الرحمة للمربوبين ، للقدرة عليهم ، أو لتخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر ، أو الإشارة إلى أن الكتاب إنما هو إليه دون غيره ، ثم التفت بإعادة الضمير إلى الرب الموضوع موضع المضمرة ، للمعنى المقصود من تكميم المعنى .

ومنها : قصد المبالغة ، كقوله تعالى . ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ ﴾^(۲) كأنه يذكر لغيرهم حالهم ، ليعجب منها ويستدعى منه الإنكار والتقبيح لها ؛ إشارة منه على سبيل المبالغة إلى أن ما يعتمدونه بعد الإنجاء من البغى فى الأرض بغير الحق ، مما ينكر ويقبح .

ومنها : قصد الدلالة على الاختصاص ، كقوله : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ﴾^(۳) فإنه لما كان سوق السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بعد موتها بالمطر دالاً على القدرة الباهرة التى لا يقدر عليها غيره ، عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلم ؛ لأنه أدخل فى الاختصاص وأدل عليه : « سقنا » و « أحيينا » .

(۲) سورة يونس ۲۲

(۱) سورة الدخان ۴ - ۶

(۳) سورة فاطر ۹

ومنها : قصد الاهتمام ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا
وَاللَّأَرْضِ أَنْتِنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ
وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ ﴿^(۱) ، فعدل عن الغيبة في «قضاهن» « وأوحى » إلى التكلم في «وزينا السماء الدنيا»
للاهتمام بالإخبار عن نفسه، فإنه تعالى جعل الكواكب في سماء الدنيا الزينة والحفظ ؛ وذلك
لأن طائفة اعتقدت في النجوم أنها ليست في سماء الدنيا ، وأنها ليست حفظاً ولا رجوماً ؛
فعدل إلى التكلم والإخبار عن ذلك، لكونه مهمماً من مهمات الاعتقاد ، ولتكذيب الفرقة
المعتقدة بطلانه .

ومنها : قصد التوبيخ ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا آتِنَا الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا
إِذَا ﴾^(۲) ، عدل عن الغيبة إلى الخطاب ، للدلالة على أن قائل مثل قولهم ، ينبغى أن يكون
موتخاً ومنكراً عليه ؛ ولما أراد توبيخهم على هذا أخبر عنه بالحضور ، فقال : ﴿ لَقَدْ
جِئْتُمْ ﴾^(۳) ، لأن توبيخ الحاضر أبلغ في الإهانة له .
ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ . وَتَقَطَّعُوا
أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴾^(۳) ؛ قال : ﴿ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴾ دون « تقطعتم أمركم بينكم » ،
كأنه ينمى عليهم ما أفسدوه من أمر دينهم إلى قوم آخرين ويُقبَّح عندهم ما فعلوه ، ويوبخهم
عليه قائلاً : ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله ، فجعلوا أمر دينهم به قطعاً ،
تمثيلاً لأخلاقهم في الدين .

(۲) سورة مريم ۷۸ ، ۷۹

(۱) سورة فصلت ۱۱ ، ۱۲

(۳) سورة الأنبياء ۹۲ ، ۹۳

فائدة

اختلف في قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا اللَّهُ لَا تُخْلِِفُ الْمِيعَادَ ﴾^(۱) بعد ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾^(۱) .

فقيل : إن الكلام تمّ عند قوله : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ، وهذا الذي بعده من مقول الله تصديقا لهم .

وقيل : بل هو من بقية كلامهم الأول على طريقة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ، كقوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَينَ بِهِمْ ﴾^(۲) .

فإن قلت : قد قال في آخر السورة : ﴿ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾^(۳) ، فلم عدل عن الخطاب هنا؟ قلت : إنما جاء الالتفات في صدر السورة ، لأن المقام يقتضيه ، فإن الإلهية تقتضى الخير والشر لتنصف المظلومين من الظالمين ، فكان العدول إلى ذكر الاسم الأعظم أولى . وأما قوله تعالى في آخر السورة : ﴿ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾^(۳) ؛ فذلك المقام مقام الطلب للعبد من ربه أن يُنعم عليه بفضله ، وأن يتجاوز عن سيئاته ، فلم يكن فيه ما يقتضى العدول عن الأصل المستمر .

البحث الرابع في شرط

تقدم أن شرط الالتفات أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المنتقل عنه ؛ وشرطه أيضاً أن يكون في جملتين ، أى كلامين مستقلين ، حتى يمتنع بين الشرط وجوابه .

(۲) سورة يونس ۲۲

(۱) سورة آل عمران ۹

(۳) سورة آل عمران ۱۹۴

وفي هذا الشرط نظر، فقد وقع في القرآن مواضع، الالتفات فيها وقع في كلام واحد؛
وإن لم يكن بين جزأى الجملة، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ
أُولَئِكَ يَتَسَوَّأْنَ مِنْ رَحْمَتِي﴾^(١).

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِنَا﴾^(٢).

وقوله: ﴿وَأَمْرًا مَوْمِنَةً إِن وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾^(٣)، بعد قوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا
لَكَ﴾^(٣)، التقدير: إن وهبت امرأة نفسها للنبي ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ﴾^(٣)، وجعلنا الشرط
والجزاء كلام واحد.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ﴾^(٤).

وقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٥)؛
وفيه التفتان: أحدهما بين «أرسلنا» والجلالة، والثاني بين الكاف في «أرسلنا»
«ورسوله» وكل منهما في كلام واحد.

وقوله: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾^(٦).

وقوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾^(٧)، وجوز
الزمخشرى فيه أن يكون ضمير «جزاؤكم» يعود على «التابعين» على طريق الالتفات^(٨).
وقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾^(٩)، على قراءة الياء.

(٢) سورة القصص ٥٩

(٤) سورة الفرقان ١٧

(٦) سورة آل عمران ١٥١

(٨) الكشاف ٢ : ٥٢٨

(١) سورة العنكبوت ٢٣

(٣) سورة الأحزاب ٥٠

(٥) سورة الفتح ٨ ، ٩

(٧) سورة الإسراء ٦٣

(٩) سورة البقرة : وانظر الكشاف ١ : ٢٤٧ .

وقوله : ﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾^(۱) ، قال التنوخي في « الأقصى القريب » : الواو للحال .

وقوله : ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(۲) .

البحث الخامس

أنه يقرب من الالتفات نقل الكلام إلى غيره

وإنما يفعل ذلك إذا ابتلي العاقل بخصم جاهل متعصب ، فيجب أن يقطع الكلام معه في تلك المسألة ؛ لأنه كلما كان خوضه معه أكثر ، كان بعده عن القبول أشد ، فالوجه حينئذ أن يقطع الكلام معه في تلك المسألة ، وأن يؤخذ في كلام آخر أجنبي ويطنب فيه ، بحيث ينسى الأول ، فإذا اشتغل خاطرُه به أدرج له أثناء الكلام الأجنبي مقدمة تناسب ذلك المطلب الأول ، ليتمكن من انقياده .

وهذا ذكره الإمام أبو الفضل في كتاب « درة التنزيل »^(۳) ، وجعل منه قوله تعالى : ﴿ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَآذِكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ﴾^(۴) ، قال : إن قوله « وآذ كر » ليس متصلاً بما قبله ، بل نقلاً لهم عما هم عليه ، والمقدمة المدرجة قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ﴾^(۵) إلى قوله : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^(۵) .

وهذا الذي قاله يخرج الآية عن الاتصال ، مع أن في الاتصال وجوهاً مذكورة في موضعها .

(۲) - سورة يس ۲

(۱) سورة المائدة ۱۲

(۳) هو درة التنزيل وغرة التأويل للإمام نجر الدين الرازي .

(۵) سورة - ۲۷ - ۲۹

(۴) سورة ص ۱۸

والحق به الأستاذ أبو جعفر بن الزبير^(١) قوله تعالى : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ . بَلْ عَجِبُوا . . . ﴾^(٢) الآية ؛ فهذا إنكار منهم للبعث واستبعاد، نحو الوارد في سورة «ص» ؛ فأعقب ذلك بما يشبه الالتفات بقوله : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا . . . ﴾^(٣) إلى قوله : ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾^(٤) ، فبعد العدول عن مجاوبتهم ، في قولهم : ﴿ ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾^(٥) ، وذكر اختلافهم المسبب عن تكذيبهم ، في قوله : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ ﴾^(٦) ، صرف تعالى الكلام إلى نبيه والمؤمنين ، فقال : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا . . . ﴾^(٧) إلى قوله : ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا ﴾^(٨) ، وذلك حكمة تُدرك مشاهدة ، لا يمكنهم التوقف في شيء منه ولا حفظ عنهم إنكاره ، فعند تكرار هذا ، قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾^(٨) .

ومما يقرب من الالتفات أيضا الانتقال من خطاب الواحد والاثنين والجمع إلى خطاب آخر ؛ وهو ستة أقسام ، كما سبق تقسيم الالتفات :

أحدها : الانتقال من خطاب الواحد لخطاب الاثنين ، كقوله تعالى : ﴿ أَجِئْتَنَا لْتَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمْ آيَاتٍ كَذِبًا ﴾^(٩) .
الثاني : من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾^(١٠)

(١) هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير القرناطي الأندلسي ، المتوفى سنة ٧٠٨ ، له كتاب : ملك التأويل القاطع لذوى الإلحاد والتعطيل في توجيه التشابه اللفظي من آي التنزيل ومنه نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٥٧ مجاميع ، وقد لخص فيه كتاب درة التنزيل للفخر الرازي وزاد عليه أشياء (الدرر الكامنة ١ : ٢٨٤)

(٢) سورة ق ١ ، ٢	(٣) سورة ق ٦
(٤) سورة ق ١١	(٥) سورة ق ٣
(٦) سورة ق ٥	(٧) سورة ق ٦
(٨) سورة ق ١١	(٩) - سورة يونس ٧٨
(١٠) سورة الطلاق ١	

الثالث : من الاثنين إلى الواحد ، كقوله : ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴾^(۱) ،
﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾^(۱) .

الرابع : من الاثنين إلى الجمع ، كقوله : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بِيوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(۲) ،
وفيه انتقال آخر من الجمع إلى الواحد ، فإنه ثنّى ثم جمع ، ثم وحد ، توسعا في الكلام .
وحكمة التثنية أن موسى وهارون هما اللذان يقرران قواعد النبوة ، ويحكمان في الشريعة ،
فخصهما بذلك ، ثم خاطب الجميع باتخاذ البيوت قبلة للعبادة ؛ لأن الجميع مأمورون بها ،
ثم قال لموسى وحده : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(۳) ، لأنه الرسول الحقيقي الذي إليه
البشارة والإنذار .

الخامس : من الجمع إلى الواحد ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(۳)
وقد سبق حكمته . ومن نظائره قول بعضهم في قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا
مِنْهَا جَمِيعًا ﴾^(۴) ، ثم قال : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾^(۴) ، ولم يقل « منا » مع أنه
للجمع أو للواحد المعظم نفسه ، وحكمته المناسبة للواقع ، فالهدى لا يكون إلا من الله ،
فناسب الخاص للخاص .

السادس : من الجمع إلى التثنية ، كقوله : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ
أَنْ تَنْفِذُوا... ﴾^(۵) إلى قوله : ﴿ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾^(۵) .

السابع :^(۶) ذكر بعضهم من الالتفات تعقيب الكلام بجملة مستقلة ملاقية له في
المعنى على طريق المثل أو الدعاء ، فالأول كقوله : ﴿ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنْ الْبَاطِلَ كَانَ
زَهُوقًا ﴾^(۷) ؛ والثاني كقوله : ﴿ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ ﴾^(۸) .

(۲) - سورة يونس ۸۷

(۴) - سورة البقرة ۳۸

(۶) هذا القسم وما بعده : هو زيادة على

(۷) سورة الإسراء ۸۱

(۱) سورة طه ۴۹ ، ۱۱۷

(۳) سورة يونس ۸۷

(۵) سورة الرحمن ۳۳ ، ۳۴

ما ذكره قبلا من تفسيمه إلى ستة أقسام .

(۸) سورة التوبة ۱۲۷

الثامن : من الماضي إلى الأمر، كقوله: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ ﴾^(۱) وقوله: ﴿ وَأَحْبَبْتُ لَكُمْ الْإِنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾^(۲).

التاسع : من المستقبل إلى الأمر، تعظيماً لحال من أجرى عليه المستقبل . وبالضد من ذلك في حق من أجرى عليه الأمر، كقوله تعالى: ﴿ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾^(۳) إلى قوله: ﴿ بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾^(۴)، فإنه إنما قال ﴿ أَشْهَدُ اللَّهَ ﴾، و ﴿ أَشْهَدُوا ﴾ ولم يقل: « وأشهدكم » ليكون موازنا له؛ ولا شك أن معنى إشهداد الله على البراءة صحيح في معنى يثبت التوحيد؛ بخلاف إشهدادهم؛ فما هو إلا اتهام بدینهم، ودلالة على قلة المبالاة به، فلذلك عدل عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر، كما تقول للرجل منكرًا: اشهد على أني أحبك .

العاشر : من الماضي إلى المستقبل، نحو: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَثِيرُ ﴾^(۵)، ﴿ فَكَانَ مَا خَرَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخِطَفُهُ الطَّيْرُ ﴾^(۶)، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(۷).

والحكمة في هذه أن الكفر لما كان من شأنه إذا حصل أن يستمر حكمه عبر عنه بالماضي، ليفيد ذلك مع كونه نافيًا أنه قد مضى عليه زمان؛ ولا كذلك الصد عن سبيل الله، فإن حكمه إنما ثبت حال حصوله مع أن في الفعل المستقبل إشعارًا بالكثير،

(۲) سورة الحج ۳۰

(۱) سورة الأعراف ۲۹

(۳) سورة هود ۵۳، ۵۴؛ والآيتان بتامهما: ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ . إِنَّ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ .

(۴) سورة فاطر ۹

(۵) سورة الحج ۲۱

(۶) سورة الحج ۲۵

فِيُشْعِرُ قَوْلَهُ : « وَيَصْدُونَ » ، أنه في كل وقت بصدد ذلك ، ولو قال : « وصدّوا » لأشعر بانقطاع صدّهم .

الحادى عشر : عكسه ، كقوله : ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ ﴾^(١) ، ﴿ وَيَوْمَ نَسِيرُ الْجِبَالِ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا لَهُمْ ﴾^(٢) .

قالوا : والفائدة في الفعل الماضى إذا أخبر به عن المستقبل الذى لم يوجد أنه أبلغ وأعظم موقعا ، لتنزيله منزلة الواقع . والفائدة في المستقبل إذا أخبر به عن الماضى لتتبين هيئة الفعل باستحضار صورته ، ليكون السامع كأنه شاهد ، وإنما عبر في الأمر بالتوبيخ بالماضى بعد قوله : ﴿ يُنْفَخُ ﴾ للإشعار بتحقيق الوقوع وثبوته ، وأنه كائن لا محالة ، كقوله : ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾^(٣) ، والمعنى : « يبرزون » ، وإنما قال : ﴿ وَحَشَرْنَا لَهُمْ ﴾ بعد ﴿ نَسِيرُ ﴾ ﴿ وَتَرَى ﴾ ، وهما مستقبلا ، لذلك .

(٢) سورة الكهف ٤٧

(١) سورة النمل ٨٧

(٣) سورة إبراهيم ٢١ .

الضمين

وهو إعطاء الشيء معنى الشيء ، وتارة يكون في الأسماء ، وفي الأفعال ، وفي الحروف ،
فأما في الأسماء فهو أن تضمّن اسماً معنى اسم ؛ لإفادة معنى الاسمين جميعاً ، كقوله تعالى :
﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَلَّا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ ﴾^(١) ، ضمّن « حقيق » معنى « حريص »
ليُفيد أنه محقق بقول الحقّ وحريص عليه .
وأما الأفعال فإنّ تضمّن فعلاً معنى فعل آخر ، ويكون فيه معنى الفعلين جميعاً ؛
وذلك بأن يكون الفعل يتعدى بحرف ، فيأتي متعدياً بحرف آخر ليس من عادته التعدى به ،
فيحتاج إمّا إلى تأويله أو تأويل الفعل ، ليصحّ تعدّيه به .
واختلفوا أيّهما أولى ؟ فذهب أهل اللغة وجماعة من النحويين إلى أن التوسع في الحرف
وأنه واقع موقع غيره من الحروف أولى .
وذهب المحققون إلى أن التوسع في الفعل وتعدّيته بما لا يتعدى لتضمّنه معنى ما يتعدى
بذلك الحرف أولى ؛ لأن التوسع في الأفعال أكثر .
مثاله قوله تعالى : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾^(٢) ، فضمّن « يشرب » معنى
« يروى » ، لأنه لا يتعدى بالباء ، فلذلك دخلت الباء ، وإلا فـ « يشرب » يتعدى
بنفسه ، فأريد باللفظ الشرب والرىّ معا ، فجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ واحد .
وقيل : التجوّز في الحرف ؛ وهو الباء ؛ فإنّها بمعنى « من » .
وقيل : لا مجاز أصلاً ، بل العين هاهنا إشارة إلى المكان الذي ينبع منه الماء ؛

(٢) سورة الدهر ٦

(١) سورة الأعراف ١٠٥

لا إلى الماء نفسه ، نحو نزلت بعين ، فصار كقوله : مكانا يشرب به .

وعلى هذا : ﴿ فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾^(١) ، قاله الراغب .

وهذا بخلاف المجاز ؛ فإن فيه العدول عن مسماه بالكلية ، ويراد به غيره ، كقوله : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ ﴾^(٢) ، فإنه استعمل « أراد » في معنى مقاربة السقوط ؛ لأنه من لوازم الإرادة ، وإن من أراد شيئاً فقد قارب فعله ، ولم يرُدْ باللفظ هذا المعنى الحقيقي الذي هو الإرادة البتة . والتضمن أيضاً مجاز ؛ لأن اللفظ لم يوضع للحقيقة والمجاز معا ، والجمع بينهما مجاز خاص يسمونه بالتضمن ، تفرقةً بينه وبين المجاز المطلق .

ومن التضمن قوله تعالى : ﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾^(٣) ؛ لأنه لا يقال : رفثت إلى المرأة ؛ لكن لما كان بمعنى الإفشاء ساغ ذلك .

وهكذا قوله : ﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴾^(٤) ؛ وإنما يقال : هل لك في كذا ؟ لكن المعنى أدعوك إلى أن تزكئ .

وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾^(٥) ، فجاء بـ « عن » ، لأنه ضمن التوبة معنى العفو والصفح .

وقوله : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾^(٦) ، وإنما يقال : خلوت به ، لكن ضمن « خَلَوْا » معنى « ذهبوا » « وانصرفوا » ، وهو معادل لقوله : ﴿ اتقوا ﴾ ؛ وهذا أولى من قول من قال : إن « إلى » هنا بمعنى الباء ، أو بمعنى « مع » .

وقال مكى : إنما لم تأت الباء ؛ لأنه يقال : خلوت به إذا سخرت منه ، فأتى بـ « إلى » لدفع هذا الوم .

(١) سورة آل عمران ١٨٨

(٢) سورة البقرة ١٨٧

(٣) سورة الشورى ٢٥

(٤) سورة الكهف ٧٧

(٥) سورة النازعات ١٨

(٦) سورة البقرة ١٤

وقوله : ﴿لَا قُعْدَنَ لَهُمْ صِرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١) ، قيل : الصراط منصوب على المفعول به ، أى لألزم لك صراطك ، أو لأملكته لهم ، و « أقعد » وإن كان غير متعدّ ضمن معنى فعل متعدّ .

وقوله : ﴿وَلَا تَعُدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾^(٢) ، ضمن « تَعُدُّ » معنى « تنصرف » ، فعدى بـ « من » . قال ابن السجري : ومن زعم أنه كان حق الكلام ؛ « لا تعدُّ عينك عنهم » بالنصب ؛ لأن « تَعُدُّ » متعدّ بنفسه فباطل ، لأن عدوت وجاوزت بمعنى واحد . وأنت لا تقول : جاوز فلان عينه عن فلان ، ولو كانت التلاوة بنصب العين لكان اللفظ يتضمنها محمولاً أيضاً على : لا تنصرف عينك عنهم ، وإذا كان كذلك ، فالذى وردت به التلاوة من رفع العين يثول إلى معنى النصب فيها ؛ إذ كان « لا تعد عينك » بمنزلة « لا تنصرف » ومعناه لا تنصرف عينك عنهم ، فالفعل مسند إلى العين ، وهو فى الحقيقة موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، كما قال : ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ﴾^(٣) ، أسند الإعجاب إلى الأموال ، والمعنى لا تعجب بأموالهم .

وقوله : ﴿أَوْ لَتَعُوْدَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾^(٤) ، ضمن معنى « لتدخلن » أو « لتصيرن » ؛ وأما قول شعيب : ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُوْدُ فِيهَا﴾^(٥) فليس اعترافاً بأنه كان فيهم ، بل مؤول على ما سبق . وتأويل آخر وهو أن يكون من نسبة فعل البعض إلى الجماعة ، أو قاله على طريق المشاكلة لكلامهم ، وهذا أحسن .

وقوله : ﴿أَلَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا﴾^(٦) ، ضمن « لا تشرك » معنى « لا تعدل » والعدل : التسوية ، أى لا تسوى به شيئاً .

(٢) سورة الكهف ٢٨

(٤) سورة إبراهيم ١٣

(٦) سورة الحج ٢٦

(١) سورة الأعراف ١٦

(٣) سورة التوبة ٨٥

(٥) سورة الأعراف ٨٩

وقوله : ﴿ وَأَخْبِتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾^(۱) ضَمَّنَ معنى « أنابوا » فعَدَى بحرفه .

وقوله : ﴿ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾^(۲) ضَمَّنَ ﴿ لَتُبْدِي بِهِ ﴾

معنى « تخبر به » أو « لتعلم » ليفيد الإظهار معنى الإخبار ؛ لأن الخبر قد يقع سرّاً غير ظاهر .

وقوله : ﴿ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾^(۳) ، جوز الزمخشري نصب

﴿ مَقَامًا ﴾ ، على الظرف على تضمين ﴿ يبعثك ﴾ معنى « يقيمك » .

وقوله : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾^(۴) ، قال الفارسي : ومن قرأ « فَأَجْمِعُوا »

بالقطع أراد فاجمعوا أمركم وشركاءكم ، كقوله :

* مَتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا *

وقوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾^(۵) ، قال ابن سيده : عَدَاهُ : « من » لأنه

في معنى كشف الفزع .

وقوله : ﴿ أَذَلَّةٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ ﴾^(۶) ، فإنه يقال : ذَلَّ لَهُ ،

لا عليه ، ولكنه هنا ضَمَّنَ معنى التعطف والتحنن .

وقوله : ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾^(۷) ضَمَّنَ ﴿ يُؤْتُونَ ﴾ معنى « يمتنعون »

من وطئن بالألية .

وقوله : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ إِلَىٰ آلَمِ الْأَعْلَىٰ ﴾^(۸) أى لا يُصْفُونَ .

﴿ إِنْ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ﴾^(۹) ، أى أنزل .

﴿ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ﴾^(۱۰) ، أى أحلَّ له .

(۲) سورة القصص ۱۰
(۴) سورة يونس ۷۱
(۶) سورة المائدة ۵۴
(۸) سورة الصافات ۸
(۱۰) سورة الأحزاب ۳۸

(۱) سورة هود ۲۳
(۳) سورة الإسراء ۷۹
(۵) سورة سبأ ۲۳
(۷) سورة البقرة ۲۲۶
(۹) سورة القصص ۸۵

﴿ وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(۱) أى ممیزك .
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(۲) أى لا یرضی .
 ﴿ فَاسْتَقِمْوا إِلَیْهِ ﴾^(۳) ، أى أنیبوا إلیه وارجعوا .
 ﴿ هَلَكَ عَنى سُلْطَانِیْهِ ﴾^(۴) ، أى زال .
 ﴿ فَلِیَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾^(۵) ، فإنه یقال : خالفت زیدا ، من غیر
 احتیاج لتعدیه بالجار ؛ وإنما جاء محمولا علی « ینحرفون » أو « یریفون » .
 ومثله تعدیه « رحیم » بالباء فی نحو : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِیْنَ رَحِیْمًا ﴾^(۶) حملا علی
 « رءوف » ، فی نحو : ﴿ رءوفٌ رَحِیْمٌ ﴾^(۷) ، ألا ترى أنك تقول : رأفت به ،
 ولا تقول : رحمت به ؛ والكن لما وافقه فی المعنی تنزل منزلته فی التعدیه .
 وقوله : ﴿ إِنى لَمِأَا أَنْزَلْتُ إِلَىٰ مِنْ خَیْرِ فَقِیْرٍ ﴾^(۸) ، ضمن معنی « سائل » .
 ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ ﴾^(۹) ، قال الزمخشری : ضمن معنی « تحاملوا » ،
 فعداه : « علی » ، والأصل فیہ « من » .

تنبیهان

الأول : الأكثر أن یراعی فی التعدیه ما ضمن منه ، وهو المحذوف لا المذكور ،
 كقوله تعالى : ﴿ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾^(۱۰) ، أى الإفضاء .
 وقوله : ﴿ عَیْنًا یَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾^(۱۱) ، أى یروی بها ، وغیره مما سبق .

- (۲) سورة یونس ۸۱
 (۴) سورة الحاقة ۲۹
 (۶) سورة الأحزاب ۴۳
 (۸) سورة القصص ۲۴
 (۱۰) سورة البقرة ۱۸۷

- (۱) سورة آل عمران ۵۵
 (۳) سورة فصلت ۶
 (۵) سورة النور ۶۳
 (۷) سورة التوبة ۱۲۸
 (۹) سورة المطففین ۲
 (۱۱) سورة الدهر ۶

ولم أجد مراعاة الملفوظ به إلا في موضعين : أحدهما قوله تعالى : ﴿ يُقَالُ لَهُ
إِبْرَاهِيمُ ﴾^(١) ، على قول ابن الضائع أنه ضمن « يقال » معنى « ينادى » و « إبراهيم »
نائب عن الفاعل ؛ وأورد على نفسه : كيف عدّى باللام والنداء لا يتعدى به ؟ وأجاب
بأنه رُوِيَ الملفوظ به ؛ وهو القول ؛ لأنه يقال : قلت له .

الثاني : قوله : ﴿ وَحَرَّمَنا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾^(٢) ؛ فإنه قد يقال : كيف
يتعلق التكليف بالمرضع ؟ فأجيب بأنه ضمن « حرّم » المعنى اللغوى ، وهو المنع .
فاعترض كيف عدّى بـ « على » والمنع لا يتعدى به ؛ فأجيب بأنه رُوِيَ صورة اللفظ .

الثاني : أن التضمين يُطلق على غير ما سبق ؛ قال القاضى أبو بكر فى كتاب « إيجاز
القرآن »^(٣) : هو حصول معنى فيه من غير ذكره باسم [أو صفة]^(٤) هى عبارة عنه ، ثم قسمه
إلى قسمين : أحدهما ما يفهم من البنية ، كقولك : معلوم ؛ فإنه يوجب أنه لا بد من عالم .
والثانى من معنى العبارة [من حيث لا يصح إلا به]^(٤) كالصفة ، فضارب يدل على مضروب .
قال : والتضمين كله إيجاز ، قال : وذكر أن ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ من باب التضمين ؛
لأنه تضمن تعليم الاستفتاح فى الأمور باسمه على جهة التعظيم لله تعالى ، أو التبرك باسمه .

وذكر ابن الأثير فى كتاب « المعانى المبتدعة » : أن التضمين واقع فى القرآن خلافا
لما أجمع عليه أهل البيان ؛ وجعل منه قوله تعالى فى الصافات : ﴿ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا
مِنَ الْأَوَّلِينَ . لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴾^(٥) .

ويطلق التضمين أيضاً على إدراج كلام الغير فى أثناء الكلام لتأكيد المعنى ،

(٢) سورة القصص ١٢
(٤) تكملة من إيجاز القرآن

(١) سورة الأنبياء ٥٦
(٣) إيجاز القرآن ص ٤١٢ - ٤١٣
(٥) سورة الصافات ١٦٩

أو لترتيب النظم ؛ ويسمى الإبداع كما بداع الله تعالى في حكايات أقوال المخلوقين، كقوله تعالى حكاية عن قول الملائكة : ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾^(١) .

ومثل ما حكاه عن المنافقين : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ قَالُوا أُنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾^(٣) .

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ ﴾^(٤) .

﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى ﴾^(٥) ، ومثله في القرآن كثير .

وكذلك ما أودع في القرآن من اللغات الأعمجية .

ويقرب من التضمين في إيقاع فعل موقع آخر إيقاع الظن موقع اليقين في الأهورا الحقيقة؛

كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾^(٥) .

﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ ﴾^(٦) .

﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ﴾^(٧) .

﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴾^(٨) .

﴿ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ ﴾^(٩) .

وشرط ابن عطية في ذلك ألا يكون متعلقه حسياً ، كما تقول العرب في رجل يرى

حاضراً : أظن هذا إنساناً ، وإنما يستعمل ذلك فيما لم يخرج إلى الحس بعد ،

كالآيات السابقة .

(٢) سورة البقرة ١١

(٤) سورة البقرة ١١٣

(٦) سورة البقرة ٢٤٩

(٨) سورة ص ٢٤

(١) سورة البقرة ٣٠

(٣) سورة البقرة ١٣

(٥) سورة البقرة ٤٦

(٧) سورة الكهف ٥٣

(٩) سورة فصلت ٤٨

قال الراغب في «الذريعة»: «الظن إصابة المظلوم بضرب من الأمانة متردد بين يقين وشك، فيقرب تارة من طرف اليقين، وتارة من طرف الشك، فصار أهل اللغة يفسرونه بهما؛ فمتى رُئِيَ إلى طرف اليقين أقرب استعمل معه «أن» المثقلة والمخففة فيهما، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ﴾^(١) ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾^(٢). ومتى رُئِيَ إلى الشك أقرب استعمل معه «أن» التي للمعدومين من الفعل، نحو ظننت أن يخرج. قال: وإنما استعمل الظن بمعنى العلم في قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾^(٣) لأمرين:

أحدهما: للتنبية على أن علم أكثر الناس في الدنيا بالنسبة إلى علمهم في الآخرة، كالظن في جنب العلم.

والثاني: أن العلم الحقيقي في الدنيا لا يكاد يحصل إلا للنبیین والصدیقین المعنیین بقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا﴾^(٤)، والظن متى كان عن أمانة قوية فإنه يمدح به، ومتى كان عن تخمين لم يمدح، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾^(٥). وجوز أبو الفتح في قوله: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٦) أن يكون المراد بها اليقين، وأن تكون على بابها، وهو أقوى في المعنى، أي فقد يمنع من هذا التوهم، فكيف عند تحقيق الأمر، فهذا أبلغ كقوله: «يكفيك من شر سماعه» أي لو توهم البعث والنشور وما هناك من عظم الأمر وشدته لاجتناب المعاصي، فكيف عند تحقق الأمر! وهذا أبلغ.

وقيل: آيتا البقرة بمعنى الاعتقاد، والباقي بمعنى اليقين، والفرق بينهما أن الاعتقاد يقبل التشكيك بخلاف اليقين، وإن اشتركا جميعاً في وجوب الجزم بهما.

(٢) سورة الأعراف ١٧١

(٤) سورة الحجرات ١٥

(٦) سورة المطففين ٤ ، ٥

(١) سورة البقرة ٢٤٩

(٣) سورة البقرة ٤٦

(٥) سورة الحجرات ١٢

وكذلك قوله : ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴾^(١) .

وقد جاء عكسه وهو التجوز عن الظن بالعلم ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا ﴾^(٢) ، ولم يكن ذلك علماً جازماً بل اعتقاداً ظنياً .

وقوله : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾^(٣) ، وكان يحكم بالظن وبالظاهر .

وقوله : ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ﴾^(٤) وإنما يحصل بالامتحان في الحكم ، ووجه

التجوز أن بين الظن والعلم قدراً مشتركاً وهو الرجحان ؛ فتجوز بأحدهما عن الآخر .

(٢) سورة يوسف ٨١

(٤) سورة المتحنة ١٠

(١) سورة الحاقة ٢٠

(٣) سورة الإسراء ٣٦

وضع النخب موضع الطلب

في الأمر والنهي

كقوله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾^(١) .

﴿ وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾^(٢) .

﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾^(٣) .

﴿ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ ﴾^(٤) .

وقوله : ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَساكِينٍ . . . ﴾^(٥) الآية ؛ ولهذا جعلها العلماء

من أمثلة الواجب .

﴿ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ ﴾^(٦) على قراءة نافع ، أى لا ترفثوا ولا تفسقوا .

﴿ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ ﴾^(٧) قالوا : هو خير، وتأويله نهى، أى لا تنفقوا

إلا ابتغاء وجه الله، كقوله : ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾^(٨) وكقوله : ﴿ لا تُضَارُّ وَالِدَةُ

بَوْلِدِهَا ﴾^(٩)، على قراءة الرفع . وقيل : إنه نهى مجزوم - أعنى قوله : ﴿ لا يَمَسُّهُ ﴾ - ولكن

ضُمَّتْ إِتِباعاً للضمير ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « إنا لم نردّه عليك إلا أنا حرم » .

وقوله : ﴿ وَإِذا أَخَذنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ ﴾^(١٠) ، ضمن

« لا تعبدون » معنى « لا تعبدوا » بدليل قوله بعده : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾^(١٠) ، وبه يزول

الإشكال في عطف الإنشاء على الخبر ؛ لكن إن كان « حسناً » معمولاً لأحسنوا، فعطفُ

(١) سورة البقرة ٢٢٨

(٤) سورة يوسف ٩٢

(٦) سورة البقرة ١٩٧

(٨) سورة الواقعة ٨٩

(١٠) سورة البقرة ٨٣

(١) سورة البقرة ٢٣٣

(٣) سورة الرعد ٢٤

(٥) سورة المائدة ٨٩

(٧) سورة البقرة ٢٧٢

(٩) سورة البقرة ٢٣٣

« قولوا » عليه أولى لاتفاقهما لفظا ومعنى ، وإن كان التقدير و « يحسنون » فهو الذى قبله ، والعطف على القريب أولى . وقيل : ﴿ لَا تَعْبُدُونَ ﴾ أبلغ من صريح النهى لما فيه من إيهاً أن المنهى يسارع إلى الانتهاء ، فهو مخبر عنه .
وكذا قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ﴾^(١) فى موضع « لا تسفكوا » .

وقوله فى سورة الصف : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢) عطفاً على قوله : ﴿ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾^(٢) ، ولهذا جزم الجواب .

وقوله : ﴿ إِنْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهِونَ ﴾^(٣) إلى قوله : ﴿ وَأَمْتَارُوا الْيَوْمَ ﴾^(٤) ؛ فإن المقام يشتمل على تضمين ﴿ إِنْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ ﴾ معنى الطلب ، بدليل ما قبله : ﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾^(٥) ، فإنه كلام وقت الحشر لوروده معطوفاً بالفاء ، على قوله : ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾^(٦) وعام لجميع الخلق لعموم قوله : ﴿ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾^(٥) ، وإن الخطاب الوارد بعده على سبيل الالتفات ، وهو قوله : ﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٥) ، خطاب عام لأهل الحشر ، فىكون قوله : ﴿ إِنْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهِونَ ﴾^(٧) إلى قوله : ﴿ أَيُّهَا الْمَجْرِمُونَ ﴾^(٤) مقيداً بهذا الخطاب لكونه تفصيلاً لما أجمله : ﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٥) ، وإن التقدير أن أصحاب الجنة منكم يا أهل الحشر ، ثم جاء فى التفسير أن قوله هذا : ﴿ إِنْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهِونَ ﴾^(٧) يقال لهم حين يساق بهم إلى الجنة ، بتنزيل ما هو للتكوين منزلة الكائن ، أى إن أصحاب الجنة منكم يا أهل الحشر ، يؤول حالهم

(٢) سورة الصف ١٣

(٤) سورة يس ٥٩

(٦) سورة يس ٥٣

(١) سورة البقرة ٨٤

(٣) سورة يس ٥٥

(٥) سورة يس ٥٤

(٧) سورة يس ٥٥

إلى أسعد حال ، والتقدير حينئذ « فامتازوا عنكم إلى الجنة » ، هكذا قرره السكاكي في « المفتاح » .

قيل : وفيه نظر ؛ لأنها إذا كانت طلبية ومعناها أمر المؤمنين بالذهاب إلى الجنة ، فليكن الخطاب معهم لا مع أهل المحشر .

ولهذا قال بعضهم : إن تضمين أصحاب أهل الجنة للطلب ليس المراد منه أن الجملة نفسها طلبية ، بل معناه أن يقدر جملة إنشائية بعدها ، بخلاف قوله : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (١) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ تُوْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (٢) ، فإنه يقال : كيف جاء الجزم في جواب الخبر ؟ وجوابه أنه لما كان في معنى الأمر جاز ذلك ، إذ المعنى : آمنوا وجاهدوا .

وقال ابن جني : لا يكون « يغفر » جوابا لـ « هل أدلكم » وإن كان أبو العباس قد قاله ، لأن المغفرة تحصل بالإيمان لا بالدلالة . انتهى . وقد يقال الدلالة : سبب السبب . إذا علمت هذا ؛ فإنما يجيء الأمر بلفظ الخبر الحاصل تحقيقا لثبوتيه ؛ وأنه مما ينبغي أن يكون واقعا ولا بد ، وهذا هو المشهور .

وفيه طريقة أخرى نقلت عن القاضي أبي بكر وغيره ؛ وهي أن هذا خبر حقيقة غير مصروف عن جهة الخبرية ؛ ولكنه خبر عن حكم الله وشرعه ليس خبرا عن الواقع ؛ حتى يلزم ما ذكره من الإشكال ؛ وهو احتمال عدم وقوع مخبره ؛ فإن هذا إنما يلزم الخبر عن الواقع ؛ أما الخبر عن الحكم فلا ؛ لأنه لا يقع خلافه أصلا .

وضع الطلب موضع الخبر

كقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ
إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ . يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَأَلْقِ عَصَاكَ ﴾ (٤) فقوله :
﴿ وَأَلْقِ ﴾ معطوف على قوله . ﴿ أَنْ بُورِكَ ﴾ فـ « ألقى » وإن كان إنشاء لفظاً ، لكنه

خبر معنى . والمعنى : فلما جاءها قيل بورك من في النار . وقيل : ألقى .

والموجب لهذا قول النحاة إن « أن » هذه مفسرة لا تأتي إلا بعد فعل في معنى القول ،
وإذا قيل : كتبت إليه أن أرجع ، وناداني أن قم ، كله بمنزلة : قلت له ، وقال لي قم . كذا
قاله صاحب المفتاح .

وما ذكره من أن « بورك » خبرية لفظاً ومعنى ممنوع ؛ لجواز أن يكون دعاء
وهو إنشاء ؛ وقد ذكر هذا التقدير الفارسي وأبو البقاء ، فتكون الجملتان متفتحتين في معنى
الإنشاء ؛ فتكون مثل ﴿ لا تعبدون إلا الله ﴾ .

وقوله : ﴿ يَا كَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ ﴾ (٥) إلى قوله : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٥) ؛

فإنه يقال : كيف ورد التمني على التكذيب وهو إنشاء ؟

(١) سورة مريم ٧٥

(٢) سورة التوبة ٥٣

(٣) سورة البقرة ١٢٥

(٤) سورة النمل ٨ - ١٠

(٥) سورة الأنعام ٢٧ ، ٢٨

وأجاب الزمخشري أنه ضمن معنى العِدَّة ، وأجاب غيره بأنه محمول على المعنى من الشرط والخبر ؛ كأنه قيل : إن زدنا لم نكذب وآمنا . والشرط خبر ، فصح ورود التكذيب^(١) عليه .

وقوله : ﴿ أَتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ﴾^(٢) ، أى ونحن حاملون ، بدليل قوله : ﴿ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾^(٣) والكذب إنما يرد على الخبر .

وقوله : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾^(٤) ؛ تقديره : ما أسمعهم وأبصرهم لأن الله تعالى لم يتعجب منهم ، ولكنه دل المكلفين على أن هؤلاء قد نزلوا منزلة من يتعجب منه .
وتما يدل على كونه ليس أمراً حقيقياً ظهور الفاعل الذى هو الجار والمجرور فى الأول ، وفعل الأمر لا يبرز فاعله أبداً .

ووجه التجوز فى هذا الأسلوب أن الأمر شأنه أن يكون ما فيه داعية الأمر ؛ وليس الخبر كذلك ، فإذا عبر عن الخبر بلفظ الأمر أشعر ذلك بالداعية ، فىكون ثبوته وصدقه أقرب . هذا بالنسبة لكلام العرب لا لكلام الله ؛ إذ يستحيل فى حقه سبحانه الداعية للفعل .

بقي الكلام فى أيهما أبلغ ؟ هذا القسم أو الذى قبله ؟ .

قال الكواشى فى قوله تعالى : ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾^(٥) ، الأمر بمعنى الخبر ؛ لخصمه اللزوم ؛ نحو إن زرتنا فلنكرمك ، يريدون تأكيد إيجاب الإكرام عليهم .
وقال الزمخشري فى قوله تعالى : ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾^(٥) ، ورود الخبر ؛ والمراد الأمر أو النهى ، أبلغ من صريح الأمر والنهى ؛ كأنه سورع فيه إلى الامتثال والخبر عنه .

(٣) سورة العنكبوت ١٢

(٤) سورة مريم ٧٥

(١) حاشية م : « التكذيب على التثنية » .

(٢) سورة مريم ٤٠

(٥) سورة البقرة ٨٣

وقال النووي في شرح « مسلم » في باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها : وقول
صلى الله عليه وسلم : « لا يخطبُ الرجل على خُطبة أخيه ، وَلَا يَسُومُ على سوم أخيه » ،
هكذا هو في جميع النسخ ، « ولا يسوم » بالواو « ولا يخطب » بالرفع ، وكلاهما لفظه
لفظ الخبر ؛ والمراد به النهي وهو أبلغ في النهي ، لأن خبر الشارع لا يتصور وقوع خلافه ،
والنهي قد يقع مخالفته ، فكأن المعنى : عاملوا هذا النهي معاملة خبر الحتم ، ثم قال صلى الله
عليه وسلم : « ولا تسأل المرأة طلاق أختها » يجوز في « تسأل » الرفع والكسر^(١) ،
والأول على الخبر الذي يراد به النهي ، وهو المناسب لقوله قبله : « لا يخطبُ وَلَا يَسُومُ » ،
والثاني على النهي الحقيقي . انتهى .

(١) حاشية م : « أي لالتقاء الساكنين وهو مجزوم بسكون مقدر » .

وضع النداء موضع التعجب

كقوله تعالى : ﴿ يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ ﴾^(١) ، قال الفراء : معناه : فيالها من حسرة ! والحسرة في اللغة أشد الندم ؛ لأن القلب يبقى حسيراً .

وحكى أبو الحسين بن خالويه في كتاب « المبتدأ » عن البصريين أن هذه من أصعب مسألة في القرآن ، لأن الحسرة لا تنادى ، وإنما تنادى الأشخاص ؛ لأن فائدته التنبية ، ولكن المعنى على التعجب ، كقوله : يا عجبا لم فعلت ! ﴿ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطتُ ﴾^(٢) ، وهو أبلغ من قولك : العجب . قيل : فكأن التقدير يا عجبا احضر ، يا حسرة احضري ! وقرأ الحسن : ﴿ يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ ﴾ .

ومنهم قال : الأصل « يا حسرتاه » ثم أسقطوا الهاء تخفيفاً ، ولهذا قرأ عاصم ﴿ يَا أَسْفَاهُ عَلَى يَوْسُفَ ﴾^(٣) .

وقال ابن جنى في كتاب « الفسر » معناه أنه لو كانت الحسرة مما يصح نداؤه لكان هذا وقتها .

وأما قوله تعالى : ﴿ يَا بُشْرَى ﴾^(٤) ، فقالوا : معنى النداء فيما لا يعقل تنبيه المخاطب وتوكيد القصة ؛ فإذا قلت : يا عجبا ! فكأنك قلت : اعجبوا ، فكأنه قال : يا قوم أبشروا .

قال أبو الفتح في « الخاطريات » : وقد توضع الجملة من المبتدأ والخبر موضع

(٢) سورة الزمر ٥٦

(٤) سورة يوسف ١٩

(١) سورة يس ٣٠

(٣) سورة يوسف ٨٤

المفعول به ، كقوله تعالى : ﴿ وَالَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ﴾^(١) بعد قوله : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ
الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا ﴾^(٢) ، المعنى : ولتنتفعوا بها ، عطفا على قوله : ﴿ اتْرَكُوا مِنْهَا ﴾
وعلى هذا قال : ﴿ وَتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ ﴾^(١) . وكذلك قوله : ﴿ وَمِنْهَا
تَأْكُلُونَ ﴾^(٢) ، أى ولتأكلوا منها . ولذلك أتى : ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾^(١) ،
فعطف الجملة من الفعل ومرفوعه على المفعول له .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ ﴾^(٣) ، أى ولأنى
ربكم فاتقون ، فوضع الجملة من المبتدأ والخبر موضع المفعول له .
وبهذا يبطل تعلق من تعلق على ثبوته في قوله تعالى : ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾^(٤) ، وقوله :
إن هذا ليس من مواضع الابتداء لجواز تقدير : وأذان بأن الله برىء ، وبأن
رسوله كذلك .

(٢) سورة غافر ٧٩

(٤) سورة التوبة ٣

(١) سورة غافر ٨٠

(٣) سورة المؤمنین ٥٢

وضع جمع الفتحة موضع الكثرة

لأن الجموع يقع بعضها موقع بعض ، لا اشتراكها في مطلق الجمعية ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾^(١) ، فإن المجموع بالألف والتاء للقلة ، وغرف الجنة لا تحصى .

وقوله : ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(٢) ، ورتبُ الناس في علم الله أكثر من العشرة لا محالة .

وقوله : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ وَأَسْتَيْقِنُهَا أَنْفُسُهُمْ ﴾^(٤) ، وهو كثير .

وقيل : سبب ذلك في الآية الأولى دخول الألف واللام الجنسية؛ فيكون ذلك تكثيراً لها ، وكان دخولها على جمع القلة أولى من دخولها على جمع الكثرة ، إشارة إلى قلة من يكون فيها ، ألا ترى أنه لا يكون فيها إلا المؤمنون !

وقد نص سبحانه على قلتهم بالإضافة إلى غيرهم في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴾^(٥) ، فيكون التكثير الداخل في قوله : ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ﴾^(٦) ، لا من جهة وضع جمع القلة موضع جمع الكثرة ؛ ولكن من جهة ما اقتضته الألف واللام للجنس .

واعلم أن جموع التكثير الأربعة وجمعي التصحيح - أعني جمع التانيث وجمع التذكير - كل ذلك للقلة ؛ أما جموع التكسير فبالوضع ، وأما جمعاً التصحيح ؛ فلائهما

(٢) سورة آل عمران ١٦٣

(٤) سورة النمل ١٤

(٦) سورة سبأ ٣٧

(١) سورة سبأ ٣٧

(٣) سورة الزمر ٤٢

(٥) سورة ص ٢٤

أقرب إلى التثنية ؛ وهي أقل العدد ، فوجب أن يكون الجمع المشابه لها بمنزلتها في القلة ،
وما عداها من الجموع فإرد تارة للقلة وتارة للكثرة بحسب القرائن ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ (۱) . ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (۲) .
﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (۳) ، ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (۴) . ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
الْمُفْسِدُونَ ﴾ (۵) . ﴿ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ (۶) ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (۷) . ﴿ وَكُنْتُمْ
أَمْوَاتًا ﴾ (۸) . ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (۹) . ﴿ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (۹) . ﴿ بِسْمِئِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ (۱۰) . ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ
أَنْفُسَكُمْ ﴾ (۱۱) . ﴿ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ (۱۲) . ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ
يَظَالِمُونَ ﴾ (۱۳) . ﴿ تُمْ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ (۱۴) . ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ
يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾ (۱۵) . ﴿ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى ﴾ . ﴿ وَاتَّقُوا
يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ (۱۶) . ﴿ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ (۱۷) . ﴿ أَنْ يَنْكِحَ نَزْوًا جَهَنَّمَ ﴾ (۱۸)
﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾ (۱۹) . فإن قلت : ليس هذا منه ، بل هي للقلة ، لأنها

خمس .

قلت : لو كان كذلك لما صح : ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ (۲۰) .

(۱) سورة الفاتحة ۷	(۲) سورة البقرة ۲
(۳) سورة البقرة ۵	(۴) سورة البقرة ۱۱
(۵) سورة البقرة ۱۲	(۶) سورة البقرة ۱۴
(۷) سورة البقرة ۱۶	(۸) سورة البقرة ۲۸
(۹) سورة البقرة ۳۱	(۱۰) سورة البقرة ۲۰
(۱۱) سورة البقرة ۴۴	(۱۲) سورة الطلاق ۱
(۱۳) سورة التوبة ۷۰	(۱۴) سورة البقرة ۸۵
(۱۵) سورة البقرة ۱۵۴	(۱۶) سورة البقرة ۱۹۷
(۱۷) سورة المائدة ۸۹	(۱۸) سورة البقرة ۲۳۲
(۱۹) سورة البقرة ۲۳۸	(۲۰) سورة البقرة ۲۳۶

﴿ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النَّسَاءِ ﴾^(١) ؛ فالمراد منها واحد ، والجواب عن أحدهما الجواب عن الآخر .

وقوله تعالى : ﴿ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾^(٢) . ﴿ إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ ﴾^(٣) ، ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ ﴾^(٤) الآية . ﴿ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾^(٥) الآية . ولا تحصى كثرة

ومن شواهد محيىء جمع القلة مرادا به الكثرة قول حسان رضى الله عنه :

لَنَا أَجْفَنَاتُ الْفَرُّ يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقَطْرُنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا^(٦)
وَحِكْمِي أَنْ النَّابِغَةَ قَالَ لَه : قَدْ قَلَّتْ جَفْتَاكَ وَأَسْيَافُكَ^(٧) .

وطعن الفارسي في هذه الحكاية لوجود وضع جمع القلة موضع الكثرة فيما له جمع كثرة ، وفيما لا جمع له كثرة في كلامهم . وصححها بعضهم قال : يعنى أنه كان ينبغى لحسان تجنب اللفظ الذى أصله أن يكون فى القلة ، وإن كان جائزا فى اللسان وضعه لقربنة إذا كان الموضع موضع مدح ، أو أنه وإن كانت القلة لمعنى الكثرة ، لكن ليس فى كل مقام . ومن المشكل قوله تعالى : ﴿ فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾^(٨) فإن « أضعافا » جمع قلة فكيف جاء بعده كثرة !

والجواب أن جمع القلة يستعمل مرادا به الكثرة ، وهذا منه .

تنبيهان

الأول : إنما يُسأل عن حكمة ذلك حيث كان له جمع كثرة ، فإن لم يكن فلا :

(١) سورة البقرة ٢٣٦

(٢) سورة البقرة ٢٦٦

(٣) سورة البقرة ٢٧١

(٤) سورة آل عمران ١٧

(٥) سورة الأحزاب ٣٥

(٦) ديوانه

(٧) فى الموشح ٦٠ : « أنت شاعر ، ولكنك أقلت أجفانك وأسيفك ، وفخرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك » .

(٨) سورة البقرة ٢٤٥

كقوله : ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾^(١) ؛ فإن « أياما » أفعال مع أنها ثلاثون ، لكن ليس لليوم جمع غيره ؛ ومن ثم أفرد السَّمْعَ وجمع الأبصار في قوله : ﴿ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ ﴾^(٢) لأن « فعلا » ساكن العين صحيحها لا يجمع على « أفعال » غالبا ؛ وليس له جمع تكسير ؛ فلما كان كذلك اكتفى بدلالة الجنس على الجمع .

وجعل بعضهم من هذا « أنفسكم » على كثرتها في القرآن ؛ وائس كذلك ، فقد جاء ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ ، وحكمته هنا ظاهرة ، لأن المراد استيعاب جميع الخلق في المحشر .

ونظيره : ﴿ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾^(٣) لإمكان « الثمار » وليس رأس آية .

ومنه : ﴿ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ ﴾^(٤) لإمكان « آي » ، ولا يقال إنه لطلب المشاكلة فقد قال تعالى بعده : ﴿ وَأُخْرٌ مُّتَشَابِهَاتٌ ﴾^(٥) ، فدل على عدم المشاكلة لإمكان « أخريات » .

وكذلك قوله : ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾^(٥) ، وليس رأس آية ، ولا فيه مشاكلة ، لإمكان « الأنهر » .

وقد جاء أنفس للقلة ، كقوله : ﴿ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾^(٦) ، وقيل : المراد نفسان من باب : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾^(٧) .

الثاني : إنما يتم في المنكر أما المعرف فيستغنى بالعموم عن ذلك ، وبهذا يחדش في كثير مما سبق جعله من هذا النوع . وقد قال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ مِنْ الثَّمَرَاتِ ﴾^(٨) : إنه جمع قلة ، وضع موضع جمع الكثرة^(٩) ، وردّ عليه بأن « أل » في « الثمرات » للعموم فيصير كالثمار ، ولا حاجة إلى ارتكاب وضع جمع قلة موضع جمع كثرة ، وكذلك بيت حسان السابق فإن الجففات معرفة بـ « أل » « وأسيفنا » مضاف ، ليعم .

(٢) سورة البقرة ٧
 (٤) سورة آل عمران ٧
 (٦) سورة آل عمران ٦١
 (٨) سورة البقرة ٢٢

(١) سورة البقرة ١٨٤
 (٣) سورة البقرة ٢٦٦
 (٥) سورة البقرة ٢٥
 (٧) سورة التحريم ٤
 (٩) الكشاف ١ : ٧١

تذكير المؤنث

يكثُر في تأويله بمذكر ، كقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾^(١) ،
على تأويلها بالوعظ .

وقوله : ﴿ وَأُحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا ﴾^(٢) ، على تأويل البلدة بالمكان ، وإلا لقال :
« مَيِّتة » .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾^(٣) ، أى الشخص أو الطالع .

وقوله : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾^(٤) ، أى بيان ودليل وبرهان .

وقوله : ﴿ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا ﴾^(٥) .

وإنما يترك التأنيث كما يترك في صفات المذكر ، لا كما في قولهم : امرأة معطار ؛ لأن

السماء بمعنى المطر ، مذكر ، قال :

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا^(٦)

ويجمع على أسمية وسمى ، قال العجاج :

* تَلْفَهُ الْأَرْوَاحُ وَالسَّمَى *^(٧)

وقوله : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ ﴾^(٨) ، إلى قوله : ﴿ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾^(٨) ، ذكر الضمير ؛

لأنه ذهب بالقسمة إلى المقسوم .

(٢) سورة ق ١١

(٤) سورة الأعراف ٨٥

(٦) معاوية بن مالك بن جعفر ؛ الفضليات

ص ٣٥٩ ؛ والبيت من شواهد التلخيص ؛ ونسبه بعض شراحه إلى جرير ، وليس له .

(٧) اللسان ١٩ : ١٢٣ ، ونسبه إلى رؤبة . (٨) سورة النساء ٨

وقوله : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾^(۱) ، ذهب بالأنعام ،

إلى معنى النعم ، أو جملة على معنى الجمع .

وقوله : ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(۲) ، ولم يقل « قريبة » قال الجوهري :

ذُكِرَتْ^(۳) على معنى الإحسان . وذكر الفراء أن العرب تفرق بين النسب ، والقرب

من المكان ، فيقولون : هذه قريبتى من النسب ، وقريبي من المكان ، فعلوا ذلك فرقا

بين قرب النسب والمكان .

قال الزجاج : وهذا غلط ؛ لأن كل ما قرب من مكان ونسب ، فهو جار على ما يقتضيه

من التذكير والتأنيث ؛ يريد أنك إذا أردت القرب من المكان ، قلت : زيد قريب

من عمرو ، وهند قريبة من العباس ، فكذا في النسب .

وقال أبو عبيدة^(۴) : ذكر « قريب » لتذكير المكان ، أى مكاناً قريباً . وردّه

ابن الشجري بأنه لو صح لنصب « قريب » على الظرف .

وقال الأخفش : المراد بالرحمة هنا المطر ؛ لأنه قد تقدم ما يقتضيه ، فحمل

المذكور عليه .

وقال الزجاج : لأن الرحمة والغفران بمعنى واحد ؛ وقيل : لأنها والرحم سواء .

ومنه : ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾^(۵) ، فحملوا الخبر على المعنى ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ هَذَا

رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ﴾^(۶) .

وقيل : الرحمة مصدر ، والمصادر كما لا تجمع لا تؤنث .

وقيل : « قريب » على وزن « فعيل » و « فعيل » يستوى فيها المذكور والمؤنث حقيقةً

كان أو غير حقيقى . ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾^(۷) .

(۲) سورة الأعراف ۵۶

(۱) سورة النحل ۶۶

(۳) الصحاح ۱ : ۱۹۸ ؛ بتصرف في العبارة .

(۵) سورة الكهف ۸۱

(۴) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ۱ : ۲۱۶

(۷) سورة يس ۷۸

(۶) سورة الكهف ۹۸

وقيل : من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، مع الالتفات إلى المحذوف ، فكأنه قال : وإن مكان رحمة الله قريب ، ثم حذف المكان وأعطى الرحمة إعرابه وتذكيره .

وقيل : من حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، أى إن رحمة الله شىء قريب أو لطيف ، أو برّ أو إحسان .

وقيل : من باب إكساب المضاف حكم المضاف إليه ؛ إذا كان صالحاً للحذف والاستغناء عنه بالثانى ، والمشهور فى هذا تأنيث المذكر لإضافته إلى مؤنث ، كقوله :
 مَشِينٌ كَمَا اهْتَزَّتْ رِيحٌ تَسْفَهَتْ أَعَالِيهَا مَرُّ الرِّيحِ النَّوَاسِمِ^(١)
 فقال : « تسفّهت » والفاعل مذكر ؛ لأنه اكتسب تأنيثاً من الرياح ، إذ الاستغناء عنه جائز ، وإذا كانت الإضافة على هذا تعطى المضاف تأنيثاً لم يكن له ، فلأن تعطيه تذكيراً لم يكن له - كما فى الآية الكريمة - أحق وأولى ؛ لأن التذكير أولى والرجوع إليه أسهل من الخروج عنه .

وقيل : من الاستغناء بأحد المذكورين لكون الآخر تبعاً له ، ومعنى من معانيه .
 ومنه فى أحد الوجوه قوله تعالى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾^(٢) ، فاستغنى عن خبر الأعناق بخبر أصحابها ؛ والأصل هنا إن رحمة الله قريب ، وهو قريب من المحسنين ، فاستغنى بخبر المحذوف عن خبر الموجود ، وسوغ ظهور ذلك المعنى .

ونظير هذه الآية الشريفة قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾^(٣) ، قال البغوى : لم يقل « قريبة » لأن تأنيثها غير حقيقى ، ومجازها الوقت .

(٢) سورة الشعراء ٤

(١) اللسان ١٧ : ٣٩٣ ، بدون نسبة .

(٣) سورة الشورى ١٧

وقال الكسائي : إتيانها قريب .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ بَرِيحٍ صَرَّصِرٍ ﴾^(١) ، ولم يقل : « صرصرة » كما قال :
 ﴿ بَرِيحٍ صَرَّصِرٍ عَاتِيَةٍ ﴾^(١) لأن الصرصر وصف مخصوص بالريح لا يوصف به
 غيرها ، فأشبهه باب « حائض » ونحوه ؛ بخلاف « عاتية » فإن غير الريح من الأسماء
 المؤنثة يوصف به .

وأما قوله تعالى : ﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴾^(٢) ، ففي تذكير « منفطر » خمسة أقوال :

أحدها : للفراء ، أن السماء تذكر وتؤنث ، فجاء « منفطر » على التذكير .
 والثاني : لأبي علي أنه من باب اسم الجنس الذي بينه وبين واحد التاء ، مفردة
 سماء ؛ واسم الجنس يذكر ويؤنث ، نحو : ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾^(٣) .

والثالث : للكسائي ، أنه ذكر حملا على معنى السقف .

والرابع : لأبي علي أيضاً على معنى النسب ؛ أي ذات انفطار ؛ كقولهم : امرأة مرضع ،

أي ذات رضاع .

والخامس : للزمخشري ، أنه صفة نخب محذوف مذكر ، أي شيء منفطر .

وسأل أبو عثمان المازني بحضرة المتوكل قوماً من النحويين ؛ منهم ابن السكيت
 وأبو بكر بن قادم عن قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾^(٤) : كيف جاء بغير هاء .
 ونحن نقول : امرأة كريمة ، إذا كانت هي الفاعل وليست بمنزلة « القتل » التي هي بمعنى
 « المفعول » ؟ فأجاب ابن قادم وخالط ، فقال له المتوكل : أخطأت ، قل يا بكر - المازني ،
 قال : « بغى » ليس لـ « فعيل » وإنما هو « فعول » والأصل فيه « بغوى » ، فلما التقت
 واو وباء ، وسبقت إحداهما بالسكون أدغمت الواو في الباء ، فقيل : « بغى » كما تقول : امرأة

(٢) سورة الزمل ١٨

(٤) سورة مريم ٢٨

(١) سورة الحاقة ٦

(٣) سورة القمر ٢٠

صبور ، بعير هاء ؛ لأنها بمعنى صابرة ؛ فهذا حكم « فعول » إذا عدل عن فاعله ، فإن عدل عن مفعوله جاء بالهاء ، كما قال :

* منها اثنتان وأربعون حَلُوبَةً ^(١) *

بمعنى « محلوبة » حكاه التوحيدى فى « البصائر » .

وقال البغوى فى قوله تعالى : ﴿ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ ^(٢) ، ولم يقل « رميمة » ، لأنه معدول عن فاعلة ، وكما كان معدولاً عن جهته ووزنه كان مصروفاً عن فاعلة ، كقوله : ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا ﴾ ^(٣) ، أسقط الهاء ؛ لأنها مصروفة عن « باغية » .

وقال الشريف المرتضى ^(٤) فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ ^(٥) إن الضمير فى ذلك يعود للرحمة ، وإنما لم يقل و « لتلك » ^(٦) ؛ لأن تأنيث الرحمة غير حقيقى ، كقوله تعالى : ﴿ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾ ^(٧) ولم يقل « هذه » ؛ على أن قوله : ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ ^(٥) ، كما يدل على الرحمة يدل على « أن يرحم » ويجوز رجوع الكتابة إلى قوله إلا أن يرحم ، والتذكير فى موضعه .

قال : ويجوز أن يكون قوله : ﴿ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ كناية عن اجتماعهم على الإيمان ، وكونهم فيه أمة واحدة ، ولا محالة أنه لهذا خلقهم .

ويطابق هذه الآية قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ^(٨) ، قال : فأما قوله : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ فمعناه الاختلاف فى الدين والذهاب عن الحق فيه

(٢) لعنرة من المعلقة ؛ وعجزه :

* سُودًا كخافية الغرابِ الأسحَمِ *

(٣) سورة مريم ٢٨

(٢) سورة يس ٧٨

(٤) أمالى المرتضى ١ : ٧٠ ؛ مع تصرف واختصار .

(٦) فى الأصول : « وتلك ، وصوابه من الأمالى

(٥) سورة هود ١١٨ ، ١١٩

(٨) سورة الذاريات ٥٦

(٧) سورة الكهف ٩٨

بالهوى والشبهات . وذكر أبو مسلم^(١) بن بحر فيه معنى غريباً ، فقال : معناه أن خاف هؤلاء الكفار يخلف سلفهم في الكفر ، لأنه سواء قولك : خلف بعضهم بعضاً ، وقولك^(٢) اختلفوا كما سواء قولك : قتل بعضهم بعضاً ، وقولهم : اقتتلوا . ومنه قولهم : لا أفعله ما اختلف العصران ، [والجديدان]^(٣) ، أى جاء كل واحد منهم بعد الآخر .
واختلف في قوله : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾^(٤) ، فقال الكسائي ، أى من بطون ما ذكرنا .

وقال الفراء : ذكر لأنه ذهب إلى المعنى ؛ يعنى معنى النعم ، وقيل : الأنعام تذكروا وتؤنث .

وقال أبو عبيدة : أراد البعض ، أى من بطون أيها كان ذا لبن^(٥) .
وأنكر أبو حاتم تذكير الأنعام ، لكنه أراد معنى النعم .

(١) هو أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني ، أحد المفسرين على مذهب المعتزلة ؛ توفي سنة ٢٧٠

(٢) الأصول : « قوله » ، وصوابه من الأمل . (٣) من الأمل .

(٥) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٣٦٢

(٤) سورة النحل ٦٦

تأنيث المذكر

كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا ﴾^(١)؛ فأنث «الفردوس»، وهو مذكر، حملا على معنى الجنة .

وقوله : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾^(٢)؛ فأنث «عشر» حيث جرّدت من الهاء مع إضافته إلى الأمثال، وواحدتها مذكر، وفيه أوجه :

أحدها : أنث لإضافة الأمثال إلى مؤنث؛ وهو ضمير الحسنات، والمضاف يكتسب أحكام المضاف إليه، فتكون كقوله : ﴿ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾^(٣) .

والثاني : هو من باب مراعاة المعنى؛ لأن الأمثال في المعنى مؤنثة؛ لأن مثل الحسنة حسنة لا محالة، فلما أريد توكيد الإحسان إلى المطيع، وأنه لا يضيع شيء من عمله؛ كأن الحسنة المنتظرة واقعة، جعل التأنيث في أمثالها منبهة على ذلك الوضع، وإشارة إليه، كما جعلت الهاء في قولهم : راوية وعالمة، تنبيها على المعنى المؤنث المراد في أنفسهم، وهو الغاية والنهاية؛ ولذلك أنث المثل هنا توكيدا لتصوير الحسنة في نفس المطيع؛ ليكون ذلك أدعى له إلى الطاعة، حتى كأنه قال : «فله عشر حسنات أمثالها» حذف وأقيمت صفته مقامه، وروعي ذلك المحذوف الذي هو المضاف إليه، كما يراعى المضاف في نحو قوله : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ ﴾^(٤)، أي «أو كذي ظلمات»، وراعه في قوله : ﴿ يَغْشَاهُ مَوْجٌ ﴾، وهذا الوجه هو الذي عوّل عليه الزمخشري، ولم يذكر سواه .

وأما ابن جنى فذكر في «المختصّب» الوجه الأول، وقال : فإن قلت : فهلا حملته

(٢) سورة الأنعام ١٦

(٤) سورة النور ٤٠

(١) سورة المؤمنین ١١

(٣) سورة يوسف ١٠

على حذف الموصوف ، فكأنه قال : « فله عشر حسنات وأمثالها » ؟ قيل : حذف وإقامة الموصوف مقامه ليس بمستحسن في القياس ؛ وأكثر ما أتى في الشعر ، ولذلك حمل ﴿ دانية ﴾ من قوله : ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا ﴾ ^(١) ؛ على أنه وصف جنة أو « وجنة دانية » عطف على « جنة » من قولهم : ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً ﴾ ^(٢) ؛ لما قدر حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، حتى عطف على قوله : ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ ^(٣) فكانت حالا معطوفة على حال .

وفي « كشف المشكلات » ^(٤) للأصبهاني . حذف الموصوف هو اختيار سيبويه ، وإن كان لا يرى حسن « ثلاثة مسلمين » ، بحذف الموصوف .
وقوله تعالى حكاية عن لقمان : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ ﴾ ^(٥) فانت الفعل المسند لـ « مثقال » وهو مذكر ، ولكن لما أضيف إلى « حبة » اكتسب منه التأنيث ، فساغ تأنيث فعله .

وذكر أبو البقاء في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ^(٦) أن التأنيث في « ذائقة » باعتبار معنى « كل » لأن معناها التأنيث ، قال : لأن كل نفس نفوس ، ولو ذكر على لفظ « كل » جاز ^(٧) - يعني أنه لو قيل : كل نفس ذائق ، جاز . وهو مردود ؛ لأنه يجب اعتبار ما يضاف إليه « كل » إذا كانت نكرة ، ولا يجوز أن يعتبر كل .

(٢) سورة الدهر ١٢

(٤) ذكره صاحب كشف الظنون ١٤٩٥

(٦) سورة آل عمران ١٨٥

(١) سورة الدهر ١٤

(٣) سورة الدهر ١٣

(٥) سورة لقمان ١٦

(٧) إملاء مامن به الرحمن ١ : ٩٤

وقوله تعالى : ﴿ إِن تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾^(١) ؛ فإن الظاهر عود الضمير إلى الإبداء ؛ بدليل قوله : ﴿ وَإِن تَحْفُوها وَتُوتُوها الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾^(١) ، فذكر الضمير العائد على الإخفاء ، ولو قصد الصدقات لقال : « فهي » ؛ وإنما أنت « هي » والذي عاد إليه مذكر ؛ على حذف مضاف ، أي وإبداؤها نعم ما هي ، كقوله : القرية أسأها .

ومنه ﴿ سَعِيرًا ﴾^(٢) وهو مذكر ، ثم قال : ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ ﴾ فحمله على النار .
وأما قوله : ﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴾^(٣) ،
ف قيل : الضمير عائد على الآيات المتقدمة في اللفظ .

وقال البغوي : إنما قال : ﴿ خَلَقَهُنَّ ﴾ ، بالتأنيث ، لأنه أجرى على طريق جمع التكسير ، ولم يجر على طريق التغليب للمذكر على المؤنث ؛ لأنه فيما لا يعقل .
وقيل في قوله : ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾^(٤) : إن المراد آدم فأنثه ردًا إلى النفس . وقد قرئ شاذًا « من نفس واحد » .

وحكى الثعلبي في تفسيره^(٤) في سورة « اقترب » بإسناده إلى المبرد ؛ سئل عن ألف مسألة ، منها : ما الفرق بين قوله تعالى : ﴿ جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾^(٥) وقوله : ﴿ وَاسْلِيمَانَ الرِّيْحَ عَاصِفَةً ﴾^(٦) وقوله : ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾^(٧) و ﴿ كَانَهُمْ أَعْجَازُ

(١) سورة البقرة ٢٧١

(٢) سورة الفرقان ١١ ، ١٢ ، والآيات : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا . إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴾ .

(٣) سورة فصلت ٣٧

(٤) في تفسيره المسمى الكشف والبيان .

(٥) سورة يونس ٢٢

(٦) سورة الأنبياء ٨١

(٧) سورة الحاقة ٧

تَحَلَّى مُنْقَعِرٍ ﴿١﴾ ، فقال : كل ما ورد عليك من هذا الباب ، فلك أن تردّه إلى اللفظ
تذكيراً ، ولك أن تردّه إلى المعنى تأنيثاً ؛ وهذا من قاعدة أن اسم الجنس تأنيثه غير حقيقي ،
فتارة يلحظ معنى الجنس فيذكر ، وتارة معنى الجماعة فيؤنث ؛ قال تعالى في قصة شعيب :
﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ (٢) ، وفي قصة صالح : ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا
الصَّيْحَةَ ﴾ (٣) . وقال : ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾ (٤) ، وقرئ : « تشابهت » .

وأبدي السهيلي للحذف والإثبات معنى حسنا فقال : إنما حذفت منه ؛ لأن « الصيحة »
فيها بمعنى العذاب والحزى ، إذ كانت مفتظمة بقوله : ﴿ وَمِنْ حِزْبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ
كَفَرُوا ﴾ (٥) ، فقوى التذكير ؛ بخلاف قصة شعيب ، فإنه لم يذكر فيها ذلك .

وأجاب غيره : بأن الصيحة يراد بها المصدر بمعنى الصياح ، فيجىء فيها التذكير ، فيطلق
ويراد بها الوحدة من المصدر ، فيكون التأنيث أحسن .

وقد أخبر سبحانه عن العذاب الذي أصاب به قوم شعيب بثلاثة أمور ، كلها

مفردة اللفظ :

أحدها : الرجفة ، في قوله : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ (٦) .

والثاني : الظلة ، في قوله : ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ (٧) .

والثالث : الصيحة ، وجمع لهم الثلاثة ؛ لأن الرجفة بدأت بهم فأصحروا في الفضاء ،
خوفاً من سقوط الأبنية عليهم ، فضربتهم الشمس بحرّتها ، ورفعت لهم الظلة ، فهرعوا إليها
يستظلون بها من الشمس ، فنزل عليهم العذاب وفيه الصيحة ؛ فكان ذكر الصيحة
مع الرجفة والظلة أحسن من ذكر الصياح ، فكان ذكر التاء أحسن .

(٢) سورة هود ٩٤

(٤) سورة البقرة ٧٠

(٦) سورة العنكبوت ٣٧

(١) سورة الفجر ٢٠

(٣) سورة هود ٦٧

(٥) سورة هود ٦٦

(٧) سورة الشعراء ١٨٩

فإن قلت : ما الفرق بين قوله سبحانه : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾^(۱) ، وبين قوله : ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾^(۲) .

قيل : الفرق بينهما من وجهين :

لفظي ومعنوي :

أما اللفظي ، فهو أن الفصل بين الفعل والفاء ل في قوله : ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾^(۲) ، أكثر منها في قوله : ﴿ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾^(۱) ، والحذف مع كثرة الحواجز أحسن .

وأما المعنوي فهو أن « مَنْ » في قوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾^(۱) ، راجعة على الجماعة ، وهي مؤنثة لفظاً ؛ بدليل : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾^(۳) ، ثم قال : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾^(۱) ، أي من تلك الأمم ، ولو قال « ضلت » لتعميت التاء - والكلامان واحد وإن كان معناهما واحداً - فكان إثبات التاء أحسن من تركها ، لأنها ثابتة فيما هو من معنى الكلام المتأخر .

وأما ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾^(۲) ، فالفريق مذكر ، ولو قال : « ضلُّوا » لكان بغير تاء ، وقوله : ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾^(۲) في معناه ، فجاء بغير تاء ، وهذا أسلوب لطيف من أساليب العرب ، أن يدعوا حكم اللفظ الواجب في قياس لفهم ، إذا كان في مركبه كلمة لا يجب لها حكم ذلك الحكم .

تنبيه

جاء عن ابن مسعود : ذكروا القرآن . ففهم منه ثعلب أن ما احتمل تأنيبه وتذكيره كان تذكيره أجود .

(۲) سورة الأعراف ۳۰

(۱) سورة النحل ۳۶

(۳) سورة النحل ۳۶

ورُدَّ بأنه يمتنع إرادة تذكير غير الحقيقي التانيث ، لكثرة ما في القرآن منه بالتانيث :
﴿ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ ﴾^(١) . ﴿ وَالتَّتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾^(٢) . ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ ﴾^(٣) .
وإذا امتنع إرادة غير الحقيقي ، فالحقيقي أولى .

قالوا : ولا يستقيم إرادة أن ما احتمل التذكير والتانيث غلب فيه التذكير ، لقوله تعالى :
﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ ﴾^(٤) . ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾^(٥) ، فأنث مع جواز التذكير ، قال
تعالى : ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾^(٦) ، ﴿ مِنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ﴾^(٧) : قال : فليس المراد
ما فهم ، بل المراد الموعظة والدعاء ، كما قال تعالى : ﴿ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ .. ﴾^(٨) إلا أنه حذف
الجار ، والمقصود ذكروا الناس بالقرآن ، أي ابعثوهم على حفظه كيلا ينسوه .

وقال الواحدى : إن قول ابن مسعود على ما ذهب إليه ثعلب ، والمراد أنه إذا احتمل
اللفظ التذكير والتانيث ولم يحتج في التذكير إلى مخالفة المصحف ذكر ، نحو : ﴿ وَلَا يَقْبَلُ
مِنْهَا شِفَاعَةٌ ﴾^(٩) .

قال : ويدل على إرادته هذا أن أصحاب عبد الله من قراء الكوفة كحمزة والكسائي
ذهبوا إلى هذا فقرأوا ما كان من هذا القبيل بالتذكير ، نحو : ﴿ يَوْمَ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ
الْأَسَدُ ﴾^(١٠) . وهذا في غير الحقيقي .

[ضابط التانيث]^(١١)

ضابط التانيث ضربان :

حقيقي وغيره ، فالحقيقي لا يحذف التانيث من فعله غالبا إلا أن يقع فصل ، نحو

- (٢) سورة القيامة ٢٩
(٤) سورة ق ١٠
(٦) سورة القمر ٢٠
(٨) سورة ق ٤٥
(١٠) سورة النور ٢٤

- (١) سورة الحج ٧٢
(٣) سورة إبراهيم ١١
(٥) سورة الحاقة ٧
(٧) سورة يس : ٨٠
(٩) سورة البقرة ٤٨
(١١) هذا الفصل ساقط من ت .

قام اليوم هند ، وكما كثر الفصل حَسُن الحذف ، والإثبات مع الحقيقي أولى ما لم يكن جمعا .
وأما غير الحقيقي فالحذف فيه مع الفصل حَسَن ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ ﴾ (۱) ،
فإن كثر الفصل ازداد حسنا ، ومنه : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ (۲) ويحسن الإثبات
أيضا ؛ نحو : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ (۳) فجمع بينهما في سورة هود .
وأشار بعضهم إلى ترجيح الحذف ، واستدلّ عليه بأن الله تعالى قدّمه عليه حيث جمع
بينهما في سورة واحدة . وفيما قاله نظر .

(۲) سورة هود ۶۷

(۱) سورة البقرة ۲۷۵

(۳) سورة هود ۹۴

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه

قد سبق منه كثير في نوع الالتفات ؛ ويغلب ذلك فيما إذا كان مدلول الفعل من الأمور الهائلة المهتدة المتوعد بها ، فيعدل فيه إلى لفظ الماضي تقريراً وتحققاً لوقوعه ، كقوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَنْزَعٌ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ ﴾^(١) .

وقوله في الزمر : ﴿ وَنُنْفِخُ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا لَهُمْ ﴾^(٤) ؛

أى نحشرهم .

وقوله : ﴿ وَنَادَى الْأَعْرَابُ رِجَالًا ﴾^(٥) . ثم تارة يُجعل المتوقع فيه كالواقع ،

فيؤتى بصيغة الماضي مراداً به الماضي ، تنزيلاً للمتوقع منزلة ما وقع ، فلا يكون تعبيراً عن

المستقبل بلفظ الماضي ، بل جعل المستقبل ماضياً مبالغة .

ومنه : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾^(٦) . ﴿ وَنَادَى الْأَعْرَابُ الْجَنَّةَ ﴾^(٧) ونحوه .

وقد يعبر عن المستقبل بالماضي مراداً به المستقبل ؛ فهو مجاز لفظي ، كقوله تعالى :

(٢) سورة الزمر ٦٨

(٤) سورة الكهف ٤٧

(٦) سورة النحل ١

(١) سورة النمل ٨٧

(٣) سورة إبراهيم ٢١

(٥) سورة الأعراف ٤٨

(٧) سورة الأعراف ٤٤

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ قَفَرَعٌ ﴾^(١)؛ فإنه لا يمكن أن يراد به المضي ، لمنافاة ﴿ يُنْفَخُ ﴾ الذي هو مستقبل في الواقع . وفائدة التعبير عنه بالماضي الإشارة إلى استحضار التحقق ، وإنه من شأنه لتحقيقه أن يعبر عنه بالماضي وإن لم يرد معناه . والفرق بينهما أن الأول مجاز ، والثاني لا مجاز فيه إلا من جهة اللفظ فقط .

وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ﴾^(٢) ؛ أي يقول ، عكسه لأن المضارع يراد به الديمومة والاستمرار ، كقوله : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَقْلُونَ الْكِتَابَ ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(٤) ، أي فكان استحضار الصورة تكوُّنه .

وقوله : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾^(٥) أي ماتلت .

وقوله تعالى : ﴿ وَاقْدِرْ نَعْلَمُ ﴾^(٦) ، أي علمنا .

فإن قيل : كيف يتصور التقليل^(٧) في علم الله ؟

قيل : المراد أنهم أقل معلوماته ؛ ولأن المضارع هنا بمعنى الماضي فـ « قد » فيه للتحقيق لا التقليل .

وقوله : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ ﴾^(٨) ، أي فلم قتلتم !

وقوله : ﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾^(٩) أي لم يتعارفوا حتى تأتيهم .

وقوله : ﴿ مُنْفَكِّينَ ﴾^(١٠) ، قال مجاهد : « منتهين » وقيل : زائلين من الدنيا .

(١) سورة النمل ٨٧

(٢) سورة البقرة ٤٤

(٣) سورة البقرة ١٠٢

(٤) أي التقليل المراد من كلمة « قد » .

(٥) سورة البينة ١

(٦) سورة المائدة ١١٦

(٧) سورة آل عمران ٥٩

(٨) سورة الحجر ٩٧

(٩) سورة البقرة ٩١

(١٠) سورة البينة ١

وقال الأزهرى : ليس هو من باب « ما انفك » و « مازال » إنما هو من انفكك
الشيء إذا انفصل عنه .

وقوله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ
يُعَذِّبُكُمْ ۗ ﴾^(١) ، المعنى : فلم عذب آباءكم بالمسخ والقتل ؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم
لم يؤمر بأن يحتج عليهم بشيء لم يكن بعد ؛ لأن الجاحد يقول : إني لا أعذب ، لكن
احتج عليهم بما قد كان .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ ﴾^(٢) .
فعدل عن لفظ « أصبحت » إلى « تصبح » ، قصدا للمبالغة في تحقيق اخضرار الأرض
لأهميته ؛ إذ هو المقصود بالإنزال .

فإن قلت : كيف قال النحاة : إنه يجب نصب الفعل المقرون بالفاء إذا وقع في جواب
الاستفهام ، كقوله : ﴿ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ۗ ﴾^(٣) و « فتصبح »
هنا مرفوع ؟

قلت : لوجوه :

أحدها : أن شرط الفاء المقتضية للنصب أن تكون سببية ، وهنا ليست كذلك ، بل
هى للاستئناف ؛ لأن الرؤية ليست سببا للإصباح .
الثانى : أن شرط النصب أن ينسب من الفاء وما قبلها شرط وجزاء ، وهنا ليس
كذلك ؛ لأنه لو قيل : إن تر أن الله أنزل ماء تصبح ؛ لم يصح ؛ لأن إصباح الأرض حاصل ؛
سواء رُئى أم لا .

فإن قيل : شاع في كلامهم إغناء فعل الرؤية ، كما فى قوله : « ولا تزال - تراها - ظالمة »

(٢) سورة الحج ٦٣

(١) سورة المائدة ١٨

(٣) سورة الأعراف ٥٣

أى ولا تزال ظلمة ؛ وحينئذ فالمعنى منصباً إلى الإنزال لا إلى الرؤية ؛ ولا شك أنه يصح أن يقال : « إن أنزل تُصبح » ، فقد انعقد الشرط والجزاء .

قلت : إلغاء فعل الرؤية في كلامهم جائز لا واجب ، فمن أين لنا ما يقتضى تعيين حمل

الآية عليه ؟

الثالث : إن همزة الاستفهام إذا دخلت على موجب قلبه إلى النفي ، كقوله تعالى : ﴿ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ ﴾^(١) ، وإذا دخلت على نفي قلبه إلى الإيجاب ؛ فالهمزة في الآية للتقرير ، فلما انتقل الكلام من النفي إلى الإيجاب لم ينتصب الفعل ، لأن شرط النفي كونه السابق منفيًا محضًا : ذكره العزيزي^(٢) في « البرهان » .

ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة السجدة : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا ﴾^(٣) .

الرابع : أنه لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض لأن معناه إثبات الاضرار ، فكان ينقلب بالنصب إلى نفي الاضرار ، مثاله أن تقول لصاحبك : ألم تر أنى أنعمت فتشكر ! إن نصبت فانت نافي لشكره ، شاكٍ تفریطه ، وإن رفعت فانت مثبت لشكره . ذكر هذا الزمخشري في الكشاف ، قال : وهذا ومثاله مما يجب أن يرغب له من أتمم بالعلم في علم الإعراب وتوقيع أهله .

وقال ابن الخباز : النصب يفسد المعنى ؛ لأن رؤية المخاطب الماء الذي أنزله الله ليس سبباً للاضرار ؛ وإنما الماء نفسه هو سبب الاضرار .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَمِيَّتٍ ﴾^(٤) ،

(١) سورة المائدة ١١٦

(٢) العزيزي بن عبد الملك ، المعروف بشيدلة ؛ ذكره صاحب كشف الظنون .

(٣) سورة فاطر ٩

(٤) سورة السجدة ٢٧

فقال : « تثير » مضارعا ، وما قبله وما بعده ماضيا ، مبالغة في تحقيق إثارة الرياح السحاب
للسامعين وتقدير تصوّره في أذهانهم .

فإن قيل : أهمّ الأفعال المذكورة في الآية إحياء الموتى ، وقد ذكر بلفظ الماضي ،
وما ذكرته يقتضى أولوية ذكره بلفظ المضارع ، إذ هو أهمّ ، وإثارة السحاب سبب أعيد
على قريب .

قيل : لا نسلم بأهمية إحياء الأرض بعد موتها ؛ فالقدمات المذكورة أهمّها وأدناها على
القدرة أعجبها وأبعدها عن قدرة البشر ، وإثارة السحاب أعجبها ؛ فكان أولى بالتخصيص
بالمضارع ؛ وإنما قال : إن إثارة السحاب أعجب لأن سببها أخفى ؛ من حيث إننا نعلم
بالفعل أن نزول الماء سبب في اخضرار الأرض ، وإثارة السحاب وسوقه سبب نزول الماء .
فلو خلينا وظاهر العقل لم نقل : إن الرياح سببها ؛ لعدم إحساسنا بمادّة السحاب وجهته .
ومن لواحق ذلك العدول عن المستقبل إلى اسم المفعول ، لتضمنه معنى الماضي ،
كقوله : ﴿ يَوْمَ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ﴾^(١) ، تقريراً للجمع فيه ، وأنه لا بد أن يكون
معاداً للناس ، مضروباً لجميعهم ، وإن شئت فوازن بينه وبين قوله : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ
لِيَوْمِ الْجَمْعِ ﴾^(٢) ، لتعرف صحة هذا المعنى .

فإن قلت : الماضي أدلّ على المقصود من اسم المفعول ، فلم عدلّ عنه إلى ما دلّته
أضعف ؟ قلت : لتحصل المناسبة بين « مجموع » و « مشهور » في استواء شأنهما طلباً
للتعديل في العبارة .

ومنه العدول عن المستقبل إلى اسم الفاعل ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾^(١)
فإن اسم الفاعل ليس حقيقة في الاستقبال ، بل في الحال .

(٢) سورة التغابن ٩

(١) سورة هود ١٠٣

(٣) سورة الداريات ٦

مشكلة اللفظ للفظ

هي قسمان : أحدهما - وهو الأكثر - المشاكلة بالثاني للأول ؛ نحو «أخذه ما قدم

وما حدث» . وقوله تعالى : ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾^(١)؛ على مذهب الجمهور

وأن الجرّ للجوار : ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ . وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا﴾^(٢) .

وقد تقع المشاكلة بالأول للثاني كما في قراءة إبراهيم بن أبي عبيدة : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

بكسر الدال ، وهي أفصح من ضم اللام للدال .

(١) سورة المائدة ٦

(٢) سورة الرحمن ٧ ، ٨

مشابكة اللفظ للمعنى

ومتى كان اللفظ جزلاً كان المعنى كذلك ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾^(١) ، ولم يقل من « طين » كما أخبر به سبحانه في غير موضع : ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴾^(٢) إنما عدل عن الطين الذي هو مجموع الماء والتراب إلى ذكر مجرد التراب لمعنى لطيف ؛ وذلك أنه أدنى العنصرين وأكثفهما ، لما كان التصود مقابلة من ادعى في المسيح الإلهية أتى بما يصغر أمر خلقه عند من ادعى ذلك ؛ فلماذا كان الإتيان بلفظ التراب أمس في المعنى من غيره من العناصر ؛ ولما أراد سبحانه الامتنان على بنى إسرائيل أخبرهم أن يخلق لهم من الطين كهيئة الطير ، تعظيماً لما يخلق به إذ كان المطلوب الاعتداد عليهم بخلقهم ليعظموا قدر النعمة به .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾^(٣) فإنه سبحانه إنما اقتصر على ذكر الماء دون بقية العناصر ؛ لأنه أتى بصيغة الاستغراق ، وليس في العناصر الأربع ما يعم جميع المخلوقات إلا الماء ، ليدخل الحيوان البحرى فيها .

ومنه قوله تعالى : ﴿ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾^(٤) ؛ فإنه سبحانه أتى بأغرب ألفاظ القسم بالنسبة إلى أخواتها ؛ فإن « والله » و « بالله » أكثر استعمالاً وأعرف من « تالله » لما كان الفعل الذى جاور القسم أغرب الصيغ التى فى بابه ؛ فإن « كان » وأخواتها أكثر استعمالاً من « تفتأ » وأعرف عند العامة ؛ ولذلك أتى بعدها بأغرب ألفاظ الهلاك بالنسبة ، وهى لفظ « حرَض » :

(١) سورة آل عمران ٥٩

(٢) سورة م ٧١

(٣) سورة النور ٤٥

(٤) سورة يوسف ٨٥

ولما أراد غير ذلك قال : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾^(١) ، لما كانت جميع الألفاظ مستعملة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾^(٢) ؛ فإنه سبحانه لما نهى عن الركون إلى الظالمين ، وهو الميل إليهم والاعتماد عليهم ، وكان دون ذلك مشاركتهم في الظلم ، أخبر أن العقاب على ذلك دون العقاب على الظلم ؛ وهو مسُّ النار الذي هو دون الإحراق والاضطرام ؛ وإن كان المسُّ قد يُطلق ويراد به الإشعار بالعذاب .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَئِن بَسَطْتَ إِلَىٰ يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾^(٣) ؛ فإنه نشأ في الآية سؤال ، وهو أن الترتيب في الجمل الفعلية تقديم الفعل وتعقيبه بالفاعل ، ثم بالمفعول ، فإن كان في الكلام مفعولان : أحدهما يعدى وصول الفعل إليه بالحرف ، والآخر بنفسه ، قدم ما تعدى إليه الفعل بنفسه ؛ وعلى ذلك جاء قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنَّا وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ ﴾^(٤) .

إذا ثبت هذا ، فقد يقال : كيف توخى حسن الترتيب في عجز الآية دون صدرها ؟ والجواب أن حسن الترتيب منع منه في صدر الآية مانع أقوى ، وهو مخافة أن يتوالى ثلاثة أحرف متقاربات المخرج ؛ فيثقل الكلام بسبب ذلك ؛ فإنه لو قيل « لئن بسطت يدك إلى » والطاء والتاء متقاربة المخرج ؛ فلذلك حسن تقديم المفعول الذي تعدى الفعل إليه بالحرف على الفعل الذي تعدى إليه بنفسه ؛ ولما أمن هذا المحذور في عجز الآية لما اقتضته البلاغة من الإتيان باسم الفاعل موضع الجملة الفعلية ، لتضمنه معنى الفعل الذي تصح به المقابلة ، جاء الكلام على ترتيبه : من تقديم المفعول الذي تعدى الفعل إليه بنفسه ، على

(٢) سورة هود ١١٣

(٤) سورة الفتح ٢٤

(١) سورة فاطر ٤٢

(٣) سورة المائدة ٢٨

المفعول الذي يعدى إليه بحرف الجر . وهذا أمر يرجع إلى تحسين اللفظ ؛ وأما المعنى فعلى نظم الآية ؛ لأنه لما كان الأول حريصاً على التعدي على الغير قدم المتعدي على الآلة ، فقال : إلى يدك ، ولما كان الثاني غير حريص على ذلك ، لأنه نفاه عنه ، قدم الآلة فقال : « يدى إليك » ؛ ويدل لهذا أنه عبر عن الأول بالفعل وفي الثاني بالاسم .

ويؤيد ذلك أيضاً قوله في سورة الممتحنة : ﴿ إِنَّ يَثْقُقُوكُمْ بِكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءُ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾^(١) ؛ لأنه لما نسبهم للتعدي الزائد قدم ذكر البسوط إليهم على الآلة ؛ وذلك الجواب السابق لا يمكن في هذه الآية .

ومثله قوله : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى ﴾^(٢) ؛ مقتضى الصناعة أن يؤتى بالتجنيس للازدواج في صدر الآية ، كما أتى به في عجزها ، لكن منعه توخى الأدب والتهذيب في نظم الكلام ؛ وذلك أنه لما كان الضمير الذي في « يجزى » عائداً على الله سبحانه ، وجب أن يعدل عن لفظ المعنى الخاص إلى رديفه ، حتى لا تنسب السيئة إليه سبحانه ، فقال في موضع السيئة : بما « عملوا » ، فعوض عن تجنيس المزاوجة بالإرداف لما فيه من الأدب مع الله بخلاف قوله : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾^(٣) ، فإن هذا المحذور منه مفقود ، فجرى الكلام على مقتضى الصناعة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى ﴾^(٤) ؛ فإنه سبحانه خص الشعري بالذكر دون غيرها من النجوم ؛ وهو رب كل شيء ، لأن العرب ظهر فيهم رجل يعرف بابن أبي كبشة عبد الشعري ، ودعا خلقاً إلى عبادتها .

وقوله : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾^(٥) ،

ولم يقل : « لا تعلمون » لما في الفقه من الزيادة على العلم .

(٢) سورة النجم ٣١

(٤) سورة النجم ٤٩

(١) سورة الممتحنة ٢

(٣) سورة الشورى ٤٠

(٥) سورة الإسراء ٤٤

وقوله حكايبة عن إبراهيم : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ ﴾^(۱) فإنه لم يخلُ هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه، حيث لم يصرح فيه بأن العذاب لاحق له، ولكنه قال : ﴿ إِنِّي أَخَافُ ﴾^(۱) فذكر الخوف والمس، وذكر العذاب ونكره ولم يصفه بأنه يقصد التهويل بل قصد استعطافه؛ ولهذا ذكر «الرحمن» ولم يذكر «المنتقم» ولا «الجبار» على، حد قوله :

فما يوجع الحرمان من كَفِّ حازِمٍ كما يوجع الحرمان من كَفِّ رازِقٍ
ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا
مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾^(۲) فإنه قد يقال : ما الحكمة في التعبير بالسخرية دون
الاستهزاء؟ وهلا قيل : « فحاق بالذين استهزءوا بهم » ليطابق ما قبله؟

والجواب أن الاستهزاء هو إسماع الإساءة، والسخرية قد تكون في النفس
ولهذا يقولون : سخرت منه كما يقولون : عجبت منه ؛ ولا يقال : تجنّب ذلك لما في ذلك
من تكرار الاستهزاء ثلاث مرات ؛ لأنه قد كرر السخرية ثلاثاً في قوله تعالى : ﴿ إِن
تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾^(۳) ، وإنما لم يقل : « نستهزئ بكم »
لأن الاستهزاء ليس من فعل الأنبياء .

وأما قوله : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾^(۴) فالعرب تسمى الجزاء على الفعل باسم الفعل ،
كقوله : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾^(۵) ؛ وهو مجاز حسن ؛ وأما الاستهزاء الذي نحن بصدد
فهو استهزاء حقيقة ، لا يرضى به إلا جاهل .

ثم قال سبحانه : ﴿ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ﴾^(۶) ، أي حاق بهم من الله الوعيد

(۲) سورة الأنعام ۱۰

(۴) سورة البقرة ۱۵

(۶) سورة الأنعام ۱۰

(۱) سورة مريم ۴۵

(۳) سورة هود ۳۸

(۵) سورة التوبة ۶۷

البالغ لهم على السنة الرسل ما كانوا به يستهزئون بالسنتهم ، فنزلت كل كلمة منزلتها .
 وقوله : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾^(١) ولم يذكر
 الكعبة ، لأن البعيد يكفيه مراعاة الجهة ، فإن استقبال عينها حرج عليه ، بخلاف القريب ؛
 ولما خص الرسول بالخطاب تعظيماً وإيجاباً لشرعته وعمم تصريحاً بعموم الحكم ، وتأكيداً
 لأمر القبلة .

قاعدة

إذا اجتمع الحمل على اللفظ والمعنى ، بدى باللفظ ثم بالمعنى ، هذا هو الجادة في القرآن ،
 كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا ﴾^(٢) ، أفرد أولاً باعتبار اللفظ ، ثم جمع
 ثانياً باعتبار المعنى ، فقال : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾^(٣) فعاد الضمير مجموعاً ؛ كقوله تعالى :
 ﴿ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾^(٤) ،
 فعاد الضمير من « يدخله » مفرداً على لفظ « من » ، ثم قال : « خالد بن » وهو حال
 من الضمير .

وقوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾^(٥) .
 وقوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَسْمِعْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾^(٥) .
 وقوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ . . . ﴾^(٦) إلى قوله : ﴿ فَلَمَّا
 آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ ﴾^(٦) .

وقد يجرى الكلام على أوله في الأفراد ، كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ

(٢) سورة البقرة ٨

(٤) سورة الأنعام ٢٥

(٦) سورة التوبة ٧٥ ، ٧٦

(١) سورة البقرة ١٤٩ ، ١٥٠

(٣) سورة الطلاق ١١

(٥) سورة التوبة ٤٩

قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ . . . ﴿١﴾ (الآيتين ، فكرر فيها ثمانية ضمائر ، كلها عائد على لفظ « من » ، ولم يرجع منها شيء على معناها ، مع أن المعنى على الكثرة .

وقد يقتصر على معناها في الجميع ، كقوله تعالى في سورة يونس : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ (٢) . وما ذكرنا من البداءة باللفظ عند الاجتماع هو الكثير ، قال الشيخ علم الدين العراقي : ولم يجيء في القرآن البداءة بالحمل على المعنى إلا في موضع واحد ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُنُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ﴾ (٣) فأنث « خالصة » حملا على معنى « ما » ، ثم راعى اللفظ فذكر ؛ وقال : ﴿ وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ﴾ .

واعترض بعض الفضلاء وقال : إنما يتم ما قاله من البداءة بالحمل على المعنى في ذلك ؛ إذا كان الضمير الذي في الصلة التي في بطون هذه الأنعام بقدر مؤنث ؛ أما إذا قدر مذكرا فالبداءة إنما هو بالحمل على اللفظ .

وأجيب بأن اعتبار اللفظ والمعنى أمر يرجع إلى الأمور التقديرية ؛ لأن اعتبار الأمرين أو أحدهما إنما يظهر في اللفظ ؛ وإذا كان كذلك صدق أنه إنما بدى في الآية بالحمل على المعنى ؛ فيتم كلام العراقي .

ونقل الشيخ أبو حيان في تفسيره عن ابن عصفور : أن الكوفيين لا يميزون الجمع بين الجملتين إلا بفواصل بينهما ؛ ولم يعتبر البصريون الفاصل ، قال : ولم يرد السماع إلا بالفواصل ، كما ذهب إليه الكوفيون . ونازعه الشيخ أثير الدين بقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ

(٢) سورة يونس ٤٢

(١) سورة البقرة ٢٠٤

(٣) سورة الأنعام ١٣٩

الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴿١﴾ ، وقال : ألا تراه كيف جمع بين الجملتين
دون فصل ! انتهى .

والذى ذكره ابن عصفور في شرح « المقرب » : شَرَطَ الكوفيون في جواز
اعتبار اللفظ بعد اعتبار المعنى الفصل ؛ فيجوزون : مَنْ يقومون اليوم وينظر في أمرنا
إخوتنا ، ولا يجوزون : مَنْ يقومون وينظر في أمرنا إخوتنا ؛ لعدم الفصل ، وإما ورد
السمع بالفصل . انتهى .

وهذا يقتضى أن الكوفيين لا يشترطون الفصل عند اجتماع الجملتين ؛ إلا أن يقدم
اعتبار المعنى ويؤخر اعتبار اللفظ كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ
هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ (١) إنما بدى فيه بالحمل على اللفظ .

وقال ابن الحاجب : إذا حُمِلَ على اللفظ جاز الحمل بعده على المعنى ؛ وإذا حُمِلَ على
المعنى ضُعِفَ الحمل بعده على اللفظ ؛ لأن المعنى أقوى ، فلا يبعد الرجوع إليه بعد اعتبار
اللفظ ، ويضعف بعد اعتبار المعنى القوى الرجوع إلى الأضعف .

وهذا معترض بأن الاستقراء دلّ على أن اعتبار اللفظ أكثر من اعتبار المعنى ،
وكثرة موارد تدل على قوله ؛ وأما العود إلى اللفظ بعد اعتبار المعنى فقد ورد به التنزيل ،
كما ورد باعتبار المعنى بعد اعتبار اللفظ ، فثبت أنه يجوز الحمل على كل واحد منهما ، بعد
الآخر من غير ضعف .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ (٢) فقرأه
الجماعة بتذكير « يقنُتْ » حملا على لفظ « مَنْ » في التذكير « وتعمل » بالتأنيث ، حملا على
معناها ؛ لأنها للمؤنث . وقرأ حمزة والكسائي « يعمل » بالتذكير فيهما حملا على لفظها

(٢) سورة الاحزاب ٣١

(١) سورة البقرة ١١١

رعاية للمناسبة في المتعاطفين . وتوجيه الجماعة أنه لما تقدم على الثاني صريح التأييد في « منـكن » حسن الحمل على المعنى .

وقال أبو الفتح في « المحتسب » : لا يجوز مراجعة اللفظ بعد انصرافه عنه إلى المعنى . وقد يورد عليه قوله : ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾^(١) ثم قال : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا ﴾^(١) ، فقد راجع اللفظ بعد الانصراف عنه إلى المعنى ؛ إلا أن يقال : إن الضمير في « جاء » يرجع إلى الكافر لدلالة السياق عليه ؛ لا إلى « مَنْ » .

ومنه الفرق بين « أسقى » و « سقى » بغير همز ؛ لما لا كلفة معه في السقيا ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾^(٢) فأخبر أن السقيا في الآخرة لا يقع فيها كلفة ، بل جميع ما يقع فيها من الملاذ يقع فرصة وعفواً ، بخلاف « أسقى » بالهمزة ، فإنه لا بد فيه من الكلفة بالنسبة للمخاطبين ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَأَسْقِينَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴾^(٣) ، ﴿ لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾^(٤) ، لأن الإسقاء في الدنيا لا يخلو من الكلفة أبداً .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا هَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾^(٥) ، قال أبو سلمة محمد بن بحر الأصبهاني في تفسيره : إنما خص الموزون بالذكر دون المكييل ، لأمرين :

أحدهما : أن غاية المكييل ينتهي إلى الموزون ، لأن سائر المكييلات إذا صارت قطعاً دخلت في باب الموزون وخرجت عن المكييل ، فكان الوزن أعم من المكييل .

والثاني : أن في الموزون معنى المكييل ؛ لأن الوزن هو طلب مساواة الشيء بالشيء

(٢) سورة الدهر ٢١

(٤) سورة الجن ١٦

(١) سورة الزخرف ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨

(٣) سورة المرسلات ٢٧

(٥) سورة الحجر ١٩

ومقايسته وتعديله به ، وهذا المعنى ثابت في المكيل ، فخص الوزن بالذكر لا شماله على

معنى المكيل .

وقال الشريف المرتضى في « الفرر »^(١) : هذا خلاف المقصود ؛ بل المراد بالموزون

القدر الواقع بحسب الحاجة ، فلا يكون ناقصا عنها ولا زائداً عليها زيادة مضرّة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾^(٢) ، فذكر في مدة

اللّبث السنة ، وفي الانفصال العام ؛ للإشارة إلى أنه كان في شدائد في مدته كلّها ، إلا خمسين

عاما قد جاءه الفرج والغوث ؛ فإن السنّة تستعمل غالبا في موضع الجذب ؛ ولهذا سمّوا شدة

القحط سنة .

قال السّهيلي : ويجوز أن يكون الله سبحانه قد علم أن عمره كان ألفا ؛ إلا أن الخمسين

منها كانت أعواما ، فيكون عمره ألف سنة ينقص منها ما بين السنين الشمسية والقمرية

في الخمسين خاصة ؛ لأن الخمسين عاما بحسب الأهلة أقل من خمسين سنة شمسية ، بنحو

عام ونصف .

وأبن علي هذا المعنى قوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾^(٣) وقوله :

﴿ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ؛ فإنه كلام ورد في موضع التكثير والتميم بمدة ذلك اليوم ،

والسنة أطول من العام .

(١) الفرر ١ : ١٣ ؛ وعبارته : « ووجه الآية وما يشهد له ظاهر لفظها غير ما سلكه أبو مسلم ؛ وإنما

أراد تعالى بالموزون المقدر الواقع بحسب الحاجة . . . »

(٣) سورة المعارج ٤

(٢) سورة العنكبوت ١٤

النَّحْيُ

نحو الحوقلة والبسمة ، جعله ابن الزمكاني من ^(١) نظوم القرآن ، ومثله بقوله :
﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ ^(٢) ، قال : وكفى ، من كفيته الشيء ؛ ولم يجيء للعرب كفيته
بالشيء ، فجعل بين الفعلين الفعل المذكور ؛ وهو متعد ، وخص من الفعل اللازم وهو
اكتفيت به ، بالباء ، وكذلك انتصب « شهيداً » على التمييز أو الحال ؛ كأنه قيل :
كفى بالله فاكف به ، فاجتمع فيه الخبر والأمر .

(٢) سورة النساء ٧٩

(١) ت : « ق » .

الإبدال

من كلامهم إبدال الحروف ، وإقامة بعضها مقام بعض ؛ يقولون : مدحه ومدّه ، وهو كثير ، ألف فيه المصنفون ، وجعل منه ابن فارس ^(١) قوله تعالى : ﴿ فَأَنْفَلَقَ فَمَا كَانَ كَلٌّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ ^(٢) ، فقال : فالراء واللام متعاقبان ، كما تقول العرب : فلّق الصبح وفرّقه . قال : وذُكر عن الخليل - ولم أسمع سماعاً - أنه قال في قوله تعالى : ﴿ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ﴾ ^(٣) ، إنما أراد « فحاسوا » فقامت الجيم مقام الحاء . قال ابن فارس : وما أحسب الخليل قال هذا ، ولا أحقّه عنه .

قلت : ذكر ابن جنى في « المحتسب » : أنها قراءة أبو السّمال ، وقال : قال أبو زيد - أو غيره : قلت له : إنما هو « فجاسوا » ، فقال : حاسوا وجاسوا واحد . وهذا يدل على أن بعض القراء يتخير بلا رواية ، ولذلك ^(٤) نظائر . انتهى . وهذا الذي قاله ابن جنى غير مستقيم ، ولا يحلُّ لأحد أن يقرأ إلا بالرواية . وقوله : « إنهما بمعنى واحد » لا يوجب القراءة بغير الرواية كما ظنه أبو الفتح وقائل ذلك ، والقارىء به هو أبو السّوار الغنوي لا أبو السّمال فاعلم ذلك . كذلك أسنده الحافظ أبو عمرو الداني ، فقال : حدثنا المازني ، قال : سألت أبا السّوار الغنوي ، فقرأ : « فحاسوا » بالحاء غير الجيم ، فقلت : إنما هو « فجاسوا » قال : حاسوا وجاسوا واحد ، يعني أن اللفظين بمعنى واحد ؛ وإن كان أراد أن القراءة بذلك تجوز في الصلاة ، والغرض كما جازت بالأولى ، فقد غلط في ذلك وأساء .

(٢) سورة الشعراء ٦٣

(٤) انظر المحتسب الورقة ٩١ ، البحر المحيط لأبي حيان ٦ : ١٠

(١) في فقه اللغة ١٧٣

(٣) سورة الإسراء ٥

وزعم الفارسي في تذكرته في قوله : ﴿ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ ﴾^(١) ، أنه بمعنى حب الخيل ؛ وسميت الخيل خيرا لما يحصل بها من العز والمنعة ، كما روى : « الخيل معقود بنواصيها الخير » ، وحينئذ فالمصدر مضاف إلى المفعول به .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ ﴾^(٢) : إن أصله « ملاقح » ، لأنه يقال : ألقت الريح السحاب ، أي جمعت ، وكل هذا تفسير معنى ، وإلا فالواجب صون القرآن أن يقال فيه مثل ذلك .

وذكر أبو عبيدة في قوله : ﴿ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً ﴾^(٣) ، معناه « تصددة » ، فأخرج الدال الثانية ياء لكسرة الدال الأولى ، كما حكاه صاحب « الترقيص »^(٤) .
وحكى عن أبي رياش في قول امرئ القيس^(٥) :

* فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسَلِي *
معناه « تَنْسَلِي » فأخرج اللام الثانية [ياء] لكسرة اللام الأولى ، ومثله قول الآخر :

وإِنِّي لَأُسْتَنْعِي وَمَا بِي نَعْسَةٌ لَعَلَّ خِيَالًا مِنْكَ يَلْقَى خِيَالِيَا^(٦)
أراد أستنعس ؛ فأخرج السين ياء .

وقال الفارسي في « التذكرة »^(٧) : قرأ أبو الحسن - أو من قرأ له - قوله تعالى فيما حكى عن يعقوب في القلب والإبدال : ﴿ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾^(٨) ، « غير

(٢) سورة الحجر ٢٢

(١) ص ٣٢

(٣) سورة الأنفال ٣٥

(٤) لمحمد بن علي الأزدي ؛ ذكره صاحب كشف الظنون ، وينقل عنه السيوطي في الزهر .

(٥) ديوانه ١٣ ؛ وصدده :

* وَإِنْ نَكَ سَاءَ تَكِ مِنِّْي خَلِيقَةٌ *
(٦) لمجنون بن عامر ، تزيين الأسواق ٧٠ (٧) هي المعروفة بتذكرة أبي علي ؛ ذكره

صاحب كشف الظنون ص ٣٨٤ ، وقال : « وهو كبير في مجلدات ، لخصه أبو الفتح عثمان بن جني » .

(٨) سورة الأنعام ١٤٥

عائد « ، واستحسنه الفارسي ألا يعود إليه كما يعود في حال السعة من العشاء إلى الغداء .
وقيل في قوله تعالى : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ﴾ ^(١) : إن خرقه واخترقه ،
وخلقه ، واختلقه بمعنى ؛ هو قول أهل الكتابين في المسيح وعزير ، وقول قريش
في الملائكة .

وجوز الزمخشري كونه ^(٢) من خرق الثوب ؛ إذا شقّه ، أى أنهم اشتقوا له
بنين وبنات .

(١) سورة الأنعام ١٠٠

(٢) الكشاف ١ : ٤١

المحَاذَاة

ذكره ابن فارس^(١) ، وحقيقته أن يؤتى باللفظ على وزن الآخر لأجل انضمامه إليه ؛ وإن كان لا يجوز فيه ذلك لو استعمل منفردا ؛ كقولهم : أتيتهم الغدايا والعشايا ، فقالوا : الغدايا لانضمامها إلى العشايا .

قيل : ومن هذا كتابة المصحف ، كتبوا : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾^(٢) بالياء ؛ وهو من ذوات الواو ؛ لما قرن بغيره مما يكتب بالياء .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَسَّطَهُمْ ﴾^(٣) فاللام التي في ﴿ لَسَّطَهُمْ ﴾ جواب ﴿ لَوْ ﴾ . ثم قال : ﴿ فَلَقَاتُلُوكُمْ ﴾ فهذه حوذيت بتلك اللام ؛ وإلا فالمعنى : لَسَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَمَا تُلُوكُمْ .

ومثله : ﴿ لَأَعَذَّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ ﴾^(٤) فهما لاما قسم - ثم قال : ﴿ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي ﴾ ، فليس ذا موضع قسم ؛ لأنه عذر^(٥) للهدد ؛ فلم يكن ليُقسم على الهدد أن يأتي بعذر ، لكنه لما جاء به على أثر ما يجوز فيه القسم أجراه مجراه^(٦) .

(١) فقه اللغة ١٥

(٢) - سورة الضحى ٢

(٣) من قوله تعالى في سورة النساء ٩٠ : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتُلُوكُمْ ﴾ .

(٤) سورة النمل ٢١

(٥) في الأصول : « حذر الهدد » ، وما أثبتته عن فقه اللغة .

(٦) بعده في فقه اللغة : « ومن الباب : وزنته فاتزن ، وكلته فاكتال ، أى استوفاه كيلا ووزنا ؛ ومنه

قوله جل ثناؤه : ﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا ﴾ ؛ تستوفونها ؛ لأنها حق للأزواج على النساء » .

ومنه (۱) الجزاء عن الفعل بمثل لفظه نحو: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ

بِهِمْ ﴾ (۲) أى يجازيهم جزاء الاستهزاء .

وقوله: ﴿ وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ (۳) ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ (۴)

﴿ وَجَزَاءً سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِثْلَهَا ﴾ (۵) .

(۱) فى فقه اللغة • ومن هذا الباب الجزاء على الفعل بمثل لفظه •
(۲) سورة البقرة ۱۴ ، ۱۵
(۳) سورة آل عمران ۴۰
(۴) سورة التوبة ۷۹
(۵) سورة الشورى ۴۰

قواعِدُ نِفْيِ النِّفْيِ

قد تقدّم في شرح معاني الكلام جمل من قواعده ؛ ونذكر هاهنا زيادات .

اعلم أنّ نفيّ الذات الموصوفة قد يكون نفيًا للصفة دون الذات ، وقد يكون نفيًا للذات . وانتفاء النهي عن الذات الموصوفة قد يكون نهياً عن الذات ، وقد يكون نهياً عن الصفة دون الذات ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾^(١) ، فإنه نهى عن القتل بغير الحق . وقال : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾^(٢) .

ومن الثاني قوله : ﴿ لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾^(٣) ، ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٤) ، أي فلا يكون موتكم إلا على حال كونكم ميّتين على الإسلام ، فالنهي في الحقيقة على خلاف حال الإسلام ؛ كقول القائل : لا تصل إلا وأنت خاشع ، فإنه ليس نهياً عن الصلاة ، بل عن ترك الخشوع .

وقوله : ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ... ﴾^(٥) الآية .

وقد ذكروا أن النفي بحسب ما يتسلط عليه يكون أربعة أقسام :

الأول : بنفي المسند نحو ، ما قام زيد بل قعد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْافًا ﴾^(٦) فالمراد نفي السؤال من أصله ؛ لأنهم متعفّفون ؛ ويلزم من نفيه نفي الإحاف .

(٢) سورة الأنعام ١٥١
(٤) سورة آل عمران ١٠٢
(٦) سورة البقرة ٢٧٣

(١) سورة الإسراء ٣٣
(٣) سورة المائدة ٩٥
(٥) سورة النساء ٤٣

الثانى : أن ينفى المسند إليه ، فينتفى المسند ، نحو ما قام زيد إذا كان زيد غير موجود ؛ لأنه يلزم من عدم زيد نفي القيام . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾^(١) ، أى لا شافعين لهم فتنفعهم شفاعتهم .
ومنه قول الشاعر^(٢) :

* عَلَى لَاحِبٍ لَا يُهْتَدَى لِمَنَارِهِ *

أى : على طريق لا منار له ، فيهتدى به ؛ ولم يكن مراده أن يثبت المنار فينتفى

الاهتداء به .

الثالث : أن يُنْفَى المتعلق دون المسند والمسند إليه ، نحو ما ضربت زيدا بل عمراً .
الرابع : أن ينفى قيد المسند إليه أو المتعلق ؛ نحو ما جاءنى رجل كاتب بل شاعر ، وما رأيت رجلاً كاتباً بل شاعراً ؛ فلما كان النفي قد ينصب على المسند وقد ينصب على المسند إليه أو المتعلق ، وقد ينصب على القيد احتمل فى قولنا : ما رأيت رجلاً كاتباً أن يكون المنفى هو القيد ؛ فيفيد الكلام رؤية غير الكاتب ؛ وهو احتمال مرجوح ؛ ولا يكون المنفى المسند ؛ أى الفعل ، بمعنى أنه لم يقع منه رؤية عليه ؛ لا على رجل ولا على غيره ؛ وهو فى المرجوحية كالذى قبله .

(٢) هو امرؤ القيس ، ديوانه ٦٦ ، وبقيته :

(١) سورة المدثر ٤٨

* إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ النَّبَاطِيُّ جَرَّ جَرًّا *

نفي الشيء رأساً

لأنه عدم كمال وصفه أو لانتفاء ثمرته ، كقوله تعالى في صفة أهل النار: ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾^(١) فنفي عنه الموت، لأنه ليس بموت صريح ، ونفي عنه الحياة، لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة ، كقوله تعالى: ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ ﴾^(٢) أى ما هم بسكارى مشروب ، ولكن سُكَارَىٰ فرع .

وقوله: ﴿ لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾^(٣) ، وهم قد نطقوا بقولهم : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا ﴾^(٤) ، ولكنهم لما نطقوا بما لم ينفع فكانهم لم ينطقوا .

وقوله: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾^(٥) .

وقوله: ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾^(٦) .

ومنه قوله: ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾^(٧) ، فإن المعتزلة احتجوا به على نفي الرؤية ، لأن النظر لا يستلزم الإبصار ، ولا يلزم من قوله: ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾^(٨) إبصار .

وهذا وهم ، لأن الرؤية تقال على أمرين : أحدهما الحسبان والثاني العلم ، والآية من المعنى الأول ، أى تحسبهم ينظرون إليك ؛ لأن لهم أعينا مصنوعة بأجفانها وسوادها يحسب الإنسان أنها تنظر إليه بإقبالها عليه ، وليست تبصر شيئاً .

(٢) سورة الحج ٢
(٤) سورة الأنعام ٢٧
(٦) سورة الملك ١٠
(٨) سورة القيامة ٢٣

(١) سورة طه ٧٤
(٣) سورة الرسائل ٣٥ ، ٣٦
(٥) سورة الأعراف ١٧٩
(٧) سورة الأعراف ١٩٨

ومنه : ﴿ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِيَّاهُمْ لَا إِيمَانَ لَهُمْ ﴾ (۱) .
 ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ
 مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (۲) ؛ فإنه وصفهم أولاً بالعلم على سبيل التوكيد
 القسَمي ، ثم نفاه أخيراً عنهم لعدم جرئهم على موجب العلم ؛ كذا قاله السكاكي وغيره .
 وقد يقال : لم يتوارد النفي والإثبات على محل واحد ، لأن المثبت أولاً نفس العلم ،
 والمنفي إجراء العمل بمقتضاه . ويحتمل حذف المفعولين أو اختلاف أصحاب الضميرين .
 قال : ونظيره في النفي والإثبات قوله : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ
 رَمَى ﴾ (۳) .

قلت : المنفي أولاً التأثير ، والمثبت ثانياً نفس الفعل .

ومن هذه القاعدة يزول الإشكال في قوله : ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ (۴)
 والمعنى : إن لم تفعل بمقتضى ما بلغت فأنت في حكم غير المبلغ ، كقولك لطالب العلم :
 إن لم تعمل بما علمت فأنت لم تعلم شيئاً ، أي في حكم من لم يعلم .

ومنه نفي الشيء مقيداً والمراد نفيه مطلقاً ؛ وهذا من أساليب العرب يقصدون به المبالغة
 في النفي وتأكيده ، كقولهم : فلان لا يرجى خيره ، ليس المراد أن فيه خيراً لا يرجى ،
 غرضهم أنه لا خير فيه على وجه من الوجوه .
 ومنه : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقِّ ﴾ (۵) ، فإنه بدل [على] أن قتلهم لا يكون
 إلا بغير حق ، ثم وصف القتل بما لا بد أن يكون من الصفة ، وهي وقوعه على
 خلاف الحق .

(۲) سورة البقرة ۱۰۲

(۴) سورة المائدة ۶۷

(۱) سورة التوبة ۱۲

(۳) سورة الأنفال ۱۷

(۵) سورة آل عمران ۲۱

وكذلك قوله: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾^(١)، إنها وصف لهذا الدعاء، وأنه لا يكون إلا عن غير برهان .

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾^(٢)، تغليظ وتأكيد في تحذيرهم الكفر .

وقوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾^(٣)؛ لأن كل ثمن لها لا يكون إلا قليلاً، فصار نفي الثمن القليل نفيًا لكل ثمن .

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْكَافًا﴾^(٤)، فإن ظاهره نفي الإلحاف في المسألة، والحقيقة نفي المسألة البتة؛ وعليه أكثر المفسرين، بدليل قوله: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾^(٥)، ومن لا يسأل لا يلحيف قطعاً؛ ضرورة أن نفي الأعم يستلزم نفي الأخص .

ومثله قوله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾^(٥)، ليس المراد نفي الشفيع بقيد الطاعة؛ بل نفيه مطلقاً؛ وإنما قيده بذلك لوجوه:

أحدها: أنه تنكيل بالكفار؛ لأن أحداً لا يشفع إلا بإذنه؛ وإذا شفع يشفع، لكن الشفاعة مختصة بالمؤمنين، فكان نفي الشفيع المطاع تنبيهاً على حصوله لأضدادهم؛ كقولك لمن يناظر شخصاً إذا صديق نافع: لقد حدثت صديقاً نافعاً، وإنما تريد التنويه بما حصل لغيره، لأن له صديقاً ولم ينفع .

الثاني: أن الوصف اللازم للموصوف ليس بلازم أن يكون للتقييد؛ بل يدل لأغراض من تحسينه أو تقييده، نحو: له مال يتمتع به، وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾^(٦) ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٧) .

(٢) سورة البقرة ٤١

(٤) سورة البقرة ٢٧٣

(٦) سورة سبأ ٤٤

(١) سورة المؤمن ١١٧

(٣) سورة البقرة ٢٧٣

(٥) سورة غافر ١٨

(٧) سورة البقرة ١٧٤

الثالث : قد يكون الشفيع غير مطاع في بعض الشفاعات، وقد ورد في بعض الحديث ما يوهم صورة الشفاعة من غير إجابة ، كحديث الخليل مع والده يوم القيامة ؛ وإنما دل على التلازم دليل الشرع .

وقوله : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاوِيٌّ مِنَ الذَّلِّ ﴾^(۱) أي من خوف الذل ، فنفى الوالي لانتفاء خوف الذل ؛ فإن اتخاذا الوالي فرع عن خوف الذل وسبب عنه .

وقوله : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^(۲) ، نفى الغلبة ؛ والمراد نفى أصل النوم والسنة عن ذاته ؛ ففي الآية التصريح بنفي النوم وقوعا وجوازا ، أما وقوعا فبقوله : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^(۳) ، وأما جوازا فبقوله : ﴿ الْقِيَوْمُ ﴾ ، وقد جمعها قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام » .

وقوله : ﴿ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ ﴾^(۴) ؛ أي بما لا وجود له ، لأنه لو وجد لعلمه بوجود الوجوب ، تعلق علم الله تعالى بكل معلوم .

وقوله تعالى : ﴿ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾^(۵) ، على قول من نفى القبول لانتفاء سببه ، وهو التوبة ، لا يوجد توبة فيوجد قبول .

وعكسه : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ﴾^(۶) ، فإنه نفى لوجدان العهد ؛ لانتفاء سببه ، وهو الوفاء بالعهد .

وقوله : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾^(۷) ، أي من حجة ، أي لا حجة عليها ، فيستحيل إذن أن ينزل بها حجة .

(۲) سورة البقرة ۲۵۵

(۴) سورة آل عمران ۹۰

(۶) سورة يوسف ۴۰

(۱) سورة الإسراء ۱۰۱

(۳) سورة يونس ۱۸

(۵) سورة الأعراف ۱۰۲

ونظيره من السنة قوله صلى الله عليه وسلم : «الدجال أعور والله ليس بأعور» ، أى بذى جوارح كوامل بتخييل جوارح له نواقص .

ونظيره قوله تعالى : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِسِكِّمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ (۱) ليس المراد أن كلمات الله تنفذ بعد نفاذ البحر ؛ بل لا تنفذ أبدا ، لا قبل نفاذ البحر ولا بعده . وحاصل الكلام : لنفد البحر ولا تنفذ كلمات ربي .

ووقع في شعر جرير قوله :

فِيَا لَكَ يَوْمًا خَيْرُهُ قَبْلَ شَرِّهِ تَغِيَّبَ وَاشِيَهٍ وَأَقْصَرَ عَاذِلُهُ (۲)

قال الأصمعي : أنشدته كذلك لخلف الأحمر ، فقال : أصلحه :

* فَيَا لَكَ يَوْمًا خَيْرُهُ دُونَ شَرِّهِ *

فإنه لا خير لخير بعده شر ، وما زال العلماء يصلحون أشعار العرب ، قال الأصمعي :

فقلت : والله لا أرويه أبدا إلا كما أوصيتني (۳) .

(۱) سورة للكهف ۱۰۹

(۲) ديوانه ۴۸۰ ، وروايته : « وذلك يوم » .

(۳) الخبر كما رواه المرزباني بسنده في الموشح عن عيسى بن إسماعيل ص ۱۲۵ : سمعت الأصمعي يقول :

قرأت على خلف شعر جرير ؛ فلما بلغت قوله :

وَيَوْمٍ كَابِهَامِ الْقَطَاةِ مُحَبَّبِ إِلَى هَوَاهُ غَالِبِ لِي بَاطِلُهُ
رُزِقْنَا بِهِ الصَّيْدَ الْغَرِيرَ وَلَمْ نَكُنْ كَمَنْ نَبَلَهُ مَحْرُومَةً وَحَبَابِلُهُ !
فِيَا لَكَ يَوْمًا خَيْرُهُ قَبْلَ شَرِّهِ تَغِيَّبَ وَاشِيَهٍ وَأَقْصَرَ عَاذِلُهُ !

فقال : ويله ! وما ينفعه خير يشول إلى شر ! قلت له : هكذا قرأت على أبي عمرو ، فقال له : صدقت ، وكذا قاله جرير ، وكان قليل التقيح مشرد الألفاظ ؛ وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع ، فقلت : فكيف يجب أن يقول ؟ قال : الأجود له لو قال :

* فَيَا لَكَ يَوْمًا خَيْرُهُ دُونَ شَرِّهِ *

فاروه هكذا ، فقد كانت الرواة قديما تصلح من أشعار القدماء . فقلت : والله لا أرويه بعد هذا إلا هكذا !

نقل ابن رشيقي هذه الحكاية في « العمدة » وصورتها^(١) .

قال ابن المنير : ووقع لي أن الأصمعي وخلف الأحمر وابن رشيقي أخطئوا جميعاً وأصاب جرير وحده ؛ لأنه لم يُرد إلا « فيالك يوم خير لا شرفيه » ، وأطلق « قبل » للنفي كما قلناها ، في قوله تعالى : ﴿ لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾^(٣) وقوله : ﴿ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾^(٤) ؛ فإن ظاهره نفي هذه الجوارح ، والحقيقة توجب نفي الآية عمّن يكون له فضلا عمّن لا يكون له .

وقوله : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾^(٥) ، فالمراد

لا ذاك ولا علمك به ؛ أي كلاهما غير ثابت .

وقوله : ﴿ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَهُمْ مِنْهُ سُلْطَانٌ ﴾^(٦) ؛ أي شركاء لا ثبوت

لها أصلاً ، ولا أنزل الله بإشراكها حجة ، وإنزال الحجة كلاهما منتفٍ .

وقوله : ﴿ أَتُذَبِّثُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ ﴾^(٧) ، أي مالا ثبوت له ولا علم الله متعلقاً به ؛

نفيًا للمزوم وهو النيابة بنفي لازمه ، وهو وجوب كونه معلوماً للعالم بالذات ، لو كان له ثبوت ،

بأي اعتبار كان .

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ ﴾^(٨)

(١) العمدة ٢ : ١٩٣ ؛ قال ابن رشيقي بعد أن أورد الخبر : « قلت أنا : أما هذا الإصلاح فليح

الظاهر ، غير أنه خلاف الظاهر ؛ وذلك أن الشاعر أراد أنه كان في ليلة وصال ؛ ثم فارق حبيبه نهاراً ؛

وذلك هو الشر الذي ذكر ، والرواية جعله لم يفارق ؛ فغير عليه المعنى ؛ إلا أن تكون الرواية : « ويوم

كلمهاهم الحبارى » ، فينبذ ؛ على أن « دون » تحتمل ما قصد ، وتحتمل معنى « قبل » ، فهي لفظة

مشتركة ، ويكون أيضاً بمعنى « بعد » ، لأنها من الأضداد ، ولا يمكن في غير هذا الموضع .

(٢) سورة الرعد ٢

(٣) سورة الكهف ١٠٩

(٤) سورة لقمان ١٥

(٥) سورة الأعراف ١٩٥

(٦) سورة يونس ١٨

(٧) سورة آل عمران ١٥١

(٨) سورة آل عمران ٩٠

أصله لن يتوبوا فلن يكون لهم قبول توبة ، فأوثر الإلحاق ذهابا إلى انتفاء الملزوم بانتفاء اللازم ؛ وهو قبول التوبة الواجب في حكمه تعالى وتقدس .

وقوله : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانِكُمْ عَلَىٰ الْبِغَاءِ إِنِ ارْتَدْتُمْ تَحْصِنًا ﴾^(١) ، معلوم أنه لا إكراه على الفاحشة لمن لا يريد تحصننا ؛ لأنها نزلت فيمن يفعل ذلك .

ونظيره : ﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾^(٢) ، وأكل الربا منهي عنه

قليلا وكثيرا ؛ لكنها نزلت على سبب ؛ وهو فعلهم ذلك ؛ ولأنه مقام تشنيع عليهم ، وهو بالكثير أليق .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ

مُشْرِكِينَ . . . ﴾^(٣) الآية ، المعنى آمنا بالله دون الأصنام وسائر ما يدعى إليه دونها ،

إلا أنهم نفوا الإيمان بالملائكة والرسول والكتب المنزلة والدار الآخرة والأحكام الشرعية ،

ولهذا أنه لم يرد بقوله : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾^(٤) ، بعد إثباته

لإيمانهم ، لأنه ضروري لا اختياري ، أوجب ألا يكون الكلام مسوقا لنفي أمور

يراعى فيها الحصر والتقييد ، كقوله : ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾^(٥) ،

فإنه لم يقدم المفعول في « آمنا » حيث لم يرد ذلك المعنى ، فركب تركيبا يوجب إفراد الإيمان

بالرحمن عن سائر ما يلزم من الإيمان .

وقوله : ﴿ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾^(٦) ، فقيل من هذا الباب ، فهي

صفة لازمة ، وقيل التكبر قد يكون بحق ، وهو التنزه عن الفواحش والذنبا والتباعد من فعلها .

وأما قوله : ﴿ وَالْإِنَّمِ وَالْبَغْيِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾^(٦) ، فإن أريد بالبغي الظلم كان قوله :

﴿ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ تأكيدا ، وإن أريد به الطلب كان قييدا .

(١) سورة النور ٣٣

(٢) سورة المؤمن ٨٤ ، ٨٥

(٣) سورة الأعراف ١٤٦

(٤) سورة آل عمران ١٣٠

(٥) سورة الملك ٢٩

(٦) سورة الأعراف ٣٣

(٢٦ - برهان - ثالث)

قاعدة

اعلم أن نفي العام يدل على نفي الخاص ، وثبوته لا يدل على ثبوته ، وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام ، ولا يدل نفيه على نفيه ؛ ولا شك أن زيادة المفهوم من اللفظ نوجب الالتذاذ به ، فلذلك كان نفي العام أحسن من نفي الخاص ، وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام .

فالأول : كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾^(١) ، ولم يقل : « بضوئهم » بعد قوله : ﴿ أضاءت ﴾ لأن النور أعم من الضوء ؛ إذ يقال على القليل والكثير ؛ وإنما يقال الضوء على النور الكثير ولذلك قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾^(٢) ففي الضوء دلالة على الزيادة ، فهو أخص من النور ، وعدمه لا يوجب عدم الضوء ، لاستلزام عدم العام عدم الخاص ، فهو أبلغ من الأول ، والغرض إزالة النور عنهم أصلاً ، ألا ترى ذكره بعده : ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ ﴾^(٣) .

وهاهنا دقيقة ، وهي أنه قال : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾^(٣) ، ولم يقل : « أذهب نورهم » لأن الإذهاب بالشئ إشعار له بمنع عودته ، بخلاف الذهاب ؛ إذ يفهم من الكثير استصحابه في الذهاب ، ومقتضى منعه من الرجوع .

ومنه قوله تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ أَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ ﴾^(٤) ، ولم يقل : « ضلال » ؛ كما قالوا :

(٢) سورة يونس ٥

(٤) سورة الأعراف ٦١

١) سورة البقرة ١٧

(٣) سورة البقرة ١٧

﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ ﴾^(١) ، لأنّ نفي الواحد يلزم منه نفي الجنس البتة .
وقال الزمخشري^(٢) : لأن الضلالة أخصّ من الضلال ، فكان أبلغ في نفي الضلال
عنه^(٣) ، فكأنه قال : ليس بي شيء من الضلال ، كما لو قيل : [لك]^(٤) لك ثمرة
فقلت : مالي ثمرة .

ونازعه ابن المنير^(٥) وقال : تعليقه نفيها أبلغ [من نفي الضلال]^(٦) لأنها أخصّ
[منه]^(٦) وهذا غير مستقيم ، فإن نفي الأعم أخصّ من نفي الأخص ، ونفي الأخص أعم
من نفي الأعم ، فلا يستلزمه لأن^(٧) الأعم لا يستلزم الأخص . فإذا قلت : هذا ليس بإنسان
لم يلزم سلب الحيوانية عنه ، وإذا قلت : هذا ليس بحيوان ، لم يكن إنسانا ، والحق
أن يقال : الضلالة أدنى من الضلال [وأقل]^(٨) ، لأنها لا تطلق إلا على الفعلة
[الواحدة]^(٨) منه ، والضلال يصلح للقليل والكثير ، ونفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى
لا من جهة كونه أخصّ ، بل من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى .

والثاني : كقوله تعالى : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾^(٩) ، ولم يقل
« طولها » ، لأن العرض أخصّ ، إذ كل ماله عرض فله طول ، ولا ينعكس . وأيضاً
إذا كان للشيء صفة يفني ذكرها عن ذكر صفة أخرى ، تدلّ عليها كان الاقتصار عليها
أولى من ذكرها ؛ لأن ذكرها كالتكرار ، وهو مملّ ؛ وإذا ذكرت فالأولى تأخير
الدلالة على الأخرى ؛ حتى لا تكون المؤخرة قد تقدمت الدلالة عليها .

(١) سورة الأعراف ٦٠

(٢) الكشاف ٢ : ٨٩

(٣) الكشاف : « عن نفسه » .

(٤) من الكشاف .

(٥) في حاشيته على الكشاف المعروفة بالانتصاف (٢ : ٨٩) .

(٦) من حاشية ابن المنير .

(٧) حاشية ابن المنير : « ضرورة أن الأعم » .

(٨) سورة آل عمران ١٣٣

(٩) من حاشية ابن المنير .

وقد يخلّ بذلك مقصود آخر كما في قوله: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(١) لأجل السجع وإذا كان ثبوت شيء أو نفيه يدل على ثبوت آخر أو نفيه، كان الأولى الاقتصار على الدال على الآخر، فإن ذكرت فالأولى تأخير الدال.

وقد يخلّ بذلك لمقصود آخر؛ كما في قوله تعالى: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾^(٢) وعلى قياس ما قلنا ينبغى الاقتصار على صغيرة، وإن ذكرت الكبيرة منها فلتذكر أولاً.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾^(٣) وعلى ذلك القياس يكفي «لها أف» أو يقول «ولا تنهرهما»، «فلا تقل لها أف»؛ وإنما عدل عن ذلك للاهتمام بالنهي عن التأفيم، والعناية بالنهي؛ حتى كأنه قال: نهى عنه مرتين: مرة بالمفهوم، وأخرى بالمنطوق.

وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(٤) فإن النوم غشية ثقيلة تقع على القلب تمنعه معرفة الأشياء، والسنة مما يتقدمه من النعاس، فلم يكتب بقوله: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ﴾^(٤)؛ دون ذكر النوم؛ لثلاث يتوهم أن السنة إنما لم تأخذه لضعفها، ويتوهم أن النوم قد يأخذه لقوته؛ فجمع بينهما لنفي التوهمين، أو السنة في الرأس، والنعاس في العين، والنوم في القلب؛ تلخيصه هو منزله عن جميع المفترقات، ثم أكد نفي السنة والنوم بقوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٥) لأنه خلقهما بما فيهما، والمشاركة إنما تقع فيما فيهما، ومن يكن له ما فيهما؛ فحال نومه ومشاركته؛ إذ لو وجد شيء من ذلك لفسدنا بما فيهما. وأيضاً فإنه يلزم من نفي السنة نفي النوم أنه لم يقل: لا ينام؛ وإنما قال: ﴿لَا تَأْخُذْهُ﴾^(٤)

(٢) سورة الكهف ٤٩

(٤) سورة البقرة ٢٥٥

(١) سورة مريم ٥١

(٣) سورة الإسراء ٢٣

يعنى لا تغلبه ؛ فكأنه يقول : لا يغلبه القليل ولا الكثير من النوم . والأخذ في اللغة بمعنى
القهر والغلبة ؛ ومنه سُمِّيَ الأسير : مأخوذاً وأخيداً . وزيدت «لا» في قوله : ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾^(١)
لنفيهما عنه بكل حال ، ولولاها لاحتمل أن يقال : لا تأخذه سنة ولا نوم في حال واحدة ،
وإذا ذكرت صفات فإن كانت للمدح فالأولى الانتقال فيها من الأدنى إلى الأعلى ؛
ليكون المدح متزايداً بتزايد الكلام ؛ فيقولون : فقيه عالم ، وشجاع باسل ، وجواد
فياض ، ولا يعكسون هذا لفساد المعنى ؛ لأنه لو تقدم الأبلغ لكان الثاني داخلاً تحته ،
فلم يكن لذكره معنى ؛ ولا يوصف بالعالم بعد الوصف بالعلام .

وقد اختلف الأدباء في الوصف بالفاضل والكامل : أيهما أبلغ على ثلاثة أقوال :
ثالثهما أنهما سواء .

قال الأقليشي^(٢) : والحق أنك مهما نظرت إلى شخص ، فوجدته مع شرف العقل
والنفس كريم ، الأخلاق والسجايا ، معتدل الأفعال وصفته بالكمال ، وإن وجدته وصل
إلى هذه الرتب بالكسب والمجاهدة وإمارة الرذائل وصفته بالفضل ؛ وهذا يقتضى أنهما
متضادان ؛ فلا يوصف الشخص الواحد بهما إلا بتجاوز .

وقال ابن عبد السلام في قوله تعالى : ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(٣) إنما قدم الغيب
مع أن علم الغيبات أشرف من المشاهدات ، والتمدح به أعظم ، وعلم البيان يقتضى تأخير
الأمدح . وأجاب بأن المشاهدات له أكثر من الغائب عنا ، والعلم يشرف بكثرة متعلقاته ؛
فكان تأخير الشهادة أولى .

وقول الشيخ : إن المشاهدات له أكثر ، فيه نظر ؛ بل في غيبه ما لا يحصى ﴿وَيَخْلُقُ

(١) سورة البقرة ٢٥٥

(٢) الأقليشي : منسوب إلى أقليش ، بضم الهمزة وسكون القاف ، إحدى مدن الأندلس . ولعله عبد الله
ابن يحيى التجيبي الأقليشي ؛ شرح الشهاب ، واختصر كتاب مشكل القرآن لابن فورك ؛ وتوفى سنة ٥٠٢ هـ
وانظر معجم البلدان ١ : ٣١٣

(٣) سورة المؤمنون ٩٢

مَا لَا تَعْلَمُونَ»^(١)؛ وإنما الجواب أن الانتقال للأمدح ترقياً؛ فالقصد هنا بيان أن الغيب والشهادة في علمه سواء، فنزل الترقى في اللفظ منزلة ترقى في المعنى، لإفادة استوائيهما في علمه تعالى. ويوضحه قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾^(٢) فصرح بالاستواء.

هذا كله في الصفات، وأما الموصوفات فعلى العكس من ذلك؛ فإنك تبدأ بالأفضل، فتقول: قام الأمير ونائبه وكتابه؛ قال تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا...﴾^(٣) الآية، فقدم الخيل لأنها أحمد وأفضل من البغال، وقدم البغال على الحمير لذلك أيضاً.

فإن قلت: قاعدة الصفات منقوضة بالقاعدة الأخرى؛ وهى أنهم يقدمون الأهم فالأهم في كلامهم كما نص عليه سيبويه وغيره.

وقال الشاعر:

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا وأسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له نعماك فيهم أتمها ودع أمرنا إن المهم المقدم

قلت: المراد بقوله: «فقدم الأهم فالأهم» فيما إذا كانا شيئين متغايرين مقصودين، وأحدهما أهم من الآخر؛ فإنه يقدم، وأما تأخر الأمدح في الصفات فذلك فيما إذا كانتا صفتين لشيء واحد؛ فلو أخرنا الأمدح لكان تقديم الأول نوعاً من العبث.

هذا كله في صفات المدح؛ فإن كانت للذم فقد قالوا: ينبغى الابتداء بالأشد ذمًا، كقوله تعالى: ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٤)؛ قال ابن النفيس^(٥): في كتاب

(٢) سورة الرعد ١٠

(٤) سورة النحل ٩٨

(١) سورة النحل ٨

(٣) سورة النحل ٨

(٥) هو على بن أبي الحزم القرشي علاء الدين، المعروف بابن النفيس؛ أعلم أهل عصره بالطب؛ سكن مصر وتوفى بها سنة ٦٩٨؛ ذكره السبكي في الطبقات ٥: ١٢٩؛ وكتابه طريق الفصاحة، ذكره صاحب كشف الظنون ص ١١١٤

« طريق الفصاحة » : وهو عندي مشكل ؛ ولم يذكر توجيهه .

وقال حازم في « منهاجه » : يُبدَأُ في الحسن بما ظهور الحسن فيه أوضح ، وما النفس بتقديمه أعنى ، ويبدأ في الذم بما ظهور القبح فيه أوضح ، والنفس بالالتفات إليه أعنى ؛ ويتنقل في الشيء إلى ما يليه من المزية في ذلك ، ويكون بمنزلة المصور الذي يُصور أولاً ما حل من رسوم تخطيط الشيء ، ثم ينتقل إلى الأدق فالأدق .

فائدة

نفى الاستطاعة قد يراد به نفي الامتناع ، أو عدم إمكان وقوع الفعل مع إمكانه ؛ نحو هل نستطيع أن تكلمنى ؟ بمعنى هل تفعل ذلك وأنت تعلم أنه قادر على الفعل ؟ وقد حمل قوله تعالى حكاية عن الحواريين : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾^(١) على المعنى الأول ؛ أى هل يجيبنا إليه ؟ أو هل يفعل ربك ؟ وقد علوا أن الله قادر على الإنزال ، وأن عيسى قادر على السؤال ، وإنما استفهموا هل هنا صارف أو مانع ؟ وقوله : ﴿ فَالَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾^(٢) . ﴿ فَالَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا ﴾^(٣) . ﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾^(٤) . وقد يراد به الوقوع بمشقة وكلفة كقوله تعالى : ﴿ لَنْ نَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾^(٥) .

(٢) سورة يس ٥٠
(٤) سورة الكهف ٧٢

(١) سورة المائدة ١١٢
(٣) سورة الأنبياء ٤٠
(٥) سورة الكهف ٦٧

فائدة

قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾^(١)، قالوا: المجاز يصح نفيه

بخلاف الحقيقة، لا يقال للأسد : ليس بشجاع .

وأجيب بأن المراد بالرَّمَى هنا المرتب عليه ، وهو وصوله إلى الكفار ؛ فالوارد عليه

السلب هنا مجاز لا حقيقة ؛ والتقدير : وما رميتَ خلقاً إذ رميتَ كسبا ، أو ما رميتَ انتهاء

إذ رميتَ ابتداء ؛ وما رميتَ مجازاً إذ رميتَ حقيقة .

إخراج الكلام مخرج الشك في اللفظ
دون الحقيقة لضرب من المسامحة وحسن العناد

كقوله : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(١) ؛ وهو يعلم أنه على هدى ، وأنهم على الضلال ، لكنه أخرج الكلام مخرج الشك ، تقاضياً ومسامحة ، ولا شك عنده ولا ارتياب .

وقوله : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾^(٢) .
ونحوه : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾^(٣)
أورده على طريق الاستفهام ؛ والمعنى : هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمروا عليهم لما تبين لكم من المشاهد ولاح منكم في الخبايا : ﴿ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾^(٣) نهالكا على الدنيا ؟

وإنما أورد الكلام في الآية على طريق سوق غير المعلوم سياق غيره ، ليؤدبهم التأمل في التوقع عمن يتصف بذلك إلى ما يجب أن يكون مسبباً عنه من أولئك الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم ، فيلزمهم به على أطف وجه ؛ إبقاء عليهم من أن يفاجئهم به وتأليفا لقلوبهم ، ولذلك التفت عن الخطاب إلى الغيبة ، تفادياً عن مواجهتهم بذلك .
وقد يخرج الواجب في صورة الممكن ، كقوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾^(٤) .

﴿ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴾^(٥) .

(٢) سورة الزخرف ٨١

(٤) سورة الإسراء ٧٩

(١) سورة سبأ ٢٤

(٣) سورة القتال ٢٢

(٥) سورة المائدة ٥٢

و ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرَحَمَكُم﴾^(١) .

﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾^(٢) .

وقد يخرج الإطلاق في صورة التقييد كقوله : ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ

الْخِيَاطِ﴾^(٣) .

ومنه قوله تعالى حاكيا عن شعيب : ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ

اللَّهُ رَبُّنَا﴾^(٤) فالمعنى لا يكون أبدا من حيث علقه بمشيئة الله ؛ لما كان معلوما أنه يشاؤه ؛

إذ يستحيل ذلك على الأنبياء ، وكل أمر قد علق به لا يكون فقد نفى كونه على

أبعد الوجوه .

وقال قطرب : في الكلام تقديم وتأخير ، والاستثناء من الكفار لا من شعيب ،

والمعنى : لنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا ؛ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا

فِي مِلَّتِهِمْ . ثم قال تعالى حاكيا عن شعيب : ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾^(٤) ،

على كل حال .

وقيل : الهاء عائدة إلى القرية ، لا إلى الله .

(٢) سورة البقرة ٢١٦
(٤) سورة الأعراف ٨٩

(١) سورة الإسراء ٨
(٣) سورة الأعراف ٤٠

الإعراض عن ضريح الحكم

كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(١)، أعرض عن ذكر مقدار الجزاء والثواب، وذكر ما هو معلوم مشترك بين جميع أعمال البشر، تفخيماً لمقدار الجزاء، لما فيه من إبهام المقدار، وتنزيلاً له منزلة ما هو غير محتاج إلى بيانه، على حدّ «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ»، أعرض عن ذكر الجزاء إلى إعادة الشرط، تنبيهاً على عِظَم ما يُنال، وتفخيماً لبيان ما أتى به من العمل، فصار السكوت عن مرتبة الثواب أبلغ من ذكرها.

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾^(٢)، وهذه الآية تتضمن الرجوع والبقاء والجمع، ألا تراه كيف رجع بعد ذكره المبتدأ الذي هو الذين عن ذكر خبره إلى الشروع في كلام آخر، فبني مبتدأً على مبتدأ وجمع، والمعنى قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾^(٣) من خبر المبتدأ الأول، وتقديره: إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَهُمْ، لأننا لا نضيع أجر من أحسن عملاً.

(٢) سورة الكهف ٣٠

(١) سورة النساء ١٠٠

الهِدْمُ

وهو أن يأتى الغير بكلام يتضمن معنى ، فتأتى بضده ؛ فإنك قد هدمت ما بناه
 المتكلم الأول ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ (١)
 هدمه بقوله : ﴿ مَا آتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ﴾ (٢) ، وبقوله : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) ،
 وبقوله : ﴿ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾ (٤) ؛ تقديره إن كنتم صادقين فى دعواكم .
 ومنه : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ (٥)
 هدمه بقوله : ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ مَا آتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ﴾ (٦) .
 ومنه : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ (٧) هدمه بقوله :
 ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ ﴾ (٧) ، أى فى دعواهم الشهادة .

(٢) سورة المؤمنون ٩١

(٤) سورة المائدة ١٨

(٦) سورة المؤمنون ٩١

(١) سورة المائدة ١٨

(٣) سورة آل عمران ٥٧

(٥) سورة التوبة ٣٠

(٧) سورة المنافقون ١

النُّشُوعُ

منه الاستدلال بالنظر في الملكوت ، كقوله تعالى : ﴿ إِنِّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١) .

ويكثر ذلك في تقديرات العقائد الإلهية : لتتمكن في النفوس ، كقوله : ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ (٢) ؛ وذلك بعد ذكر النطفة وتقلبها في مراتب الوجود ، وتطورات الحلقة .

وكقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٣) .

ومنه التوسع في ترادف الصفات ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدِ بِرَأْيَاهَا ﴾ (٤) ، فإنه لو أريد اختصاره لكان : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ﴾ (٥) مظلم .
ومنه التوسع في الهم في الهم كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ . هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ (٥) إلى قوله : ﴿ عَلَى الْخُرُطُومِ ﴾ (٦) .

(٢) سورة القيامة ٤٠

(٤) سورة النور ٤٠

(٦) سورة القلم ١٦

(١) سورة البقرة ١٦٤

(٣) سورة الزمر ٦٧

(٥) سورة القلم ١٠ ، ١١

التشبيه

اتفق الأدباء على شرفه في أنواع البلاغة ، وأنه إذا جاء في أعقاب المعاني أفادها كمالاً ، وكساها حلة وجمالاً ، قال المبرد في « الكامل » : هو جارٍ في كلام العرب حتى لو قال قائل : هو أكثر كلامهم لم يبعد .
وقد صنّف فيه أبو القاسم^(١) بن البنداري البغدادي كتاب « الجمان في تشبيهات القرآن » .

[مباحث التشبيه]

وفيه مباحث :

الأول

في تعريفه

وهو إلحاق شيء بذى وصف في وصفه .
وقيل : أن تثبت المشبه حكماً من أحكام المشبه به .
وقيل : الدلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء الواحد؛ كالطيب في المسك ، والضياء في الشمس والنور في القمر . وهو حكم إضافي لا يرد إلا بين الشيئين بخلاف الاستعارة .

(١) هو أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين بن نايقا ، الأديب الشاعر اللغوي ، المتوفى سنة ٤١٠ هـ ؛ ويوجد من كتابه الجمان نسخة مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ؛ عن نسخة مخطوطة بمكتبة الأسكندرية .

الثاني

في الفرصه منه

وهو تأنيس النفس بإخراجها من خفي إلى جليّ ؛ وإدناؤه البعيد من القريب ؛
ليفيد بيانا .

وقيل : الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار ؛ فإنك إذا قلت : زيد أسد ، كان
الغرضُ بيان حال زيد ، وأنه متصف بقوة البطش والشجاعة وغير ذلك ؛ إلا أنا لم نجد
شيئا يدل عليه سوى جعلنا إياه شبيها بالأسد ، حيث كانت هذه الصفات مختصة به ،
فصار هذا أبين وأبلغ من قولنا : زيد شهم شجاع قوى البطش ونحوه .

الثالث

في أنه حقيقة أو مجاز

والمحققون على أنه حقيقة ، قال الزنجاني^(١) في « المعيار » : التشبيه ليس بمجاز ؛
لأنه معنى من المعاني ؛ وله ألقاظ تدل عليه وضعا ؛ فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه ؛
وإنما هو توطئة لمن سلك سبيل الاستعارة والتمثيل ؛ لأنه كالأصل لهما ، وهما كالفرع له .
والذي يقع منه في حيز المجاز عند البيانين هو الذي يجيء على حد الاستعارة .
وتوسط الشيخ عز الدين ، فقال : إن كان بحرف فهو حقيقة ، أو بحذفه فمجاز ، بناء
على أن الحذف من باب المجاز .

(١) هو عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب المزرجي الزنجاني ؛ أحد علماء العربية ؛ توفي
سنة ٦٥٥ ذكره الزركلي في الأعلام ٢ : ٦٠٨ (المطبعة العربية) ، وصاحب كشف الظنون ١٧٤٣ .

الرابع
في أدوائه

وهي أسماء، وأفعال، وحروف.

فالأسماء: مثل، وشبهه، ونحوها، قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾^(١). ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى﴾^(٢). ﴿وَأَنوَابِهِ
مُتَشَابِهًا﴾^(٣) ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾^(٤).

والأفعال كقوله: ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً﴾^(٥). ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ

أَنهآ تَسْمَعِي﴾^(٦).

والحروف إما بسيطة كالـ كاف، نحو: ﴿كِرْمَادٍ أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾^(٧) ﴿كَدَّابِ

آلِ فِرْعَوْنَ﴾^(٨) وإما مركبة، كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾^(٩).

الخامس

في أفعالها

وهو ينقسم باعتبارات:

الأول

أنه إما أن يشبه بحرف، أو لا.

وتشبيه الحرف ضربان:

أحدهما: يدخل عليه حرف التشبيه فقط، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِثْلِ نَارِ كَمِيْنَةٍ﴾^(١٠).

وقوله: ﴿وَلَهُ أَبْجُودِ الْمُنْشَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(١١).

(٢) سورة هود ٢٤

(٤) سورة البقرة ٧٠

(٦) سورة طه ٦٦

(٨) سورة آل عمران ١١

(١٠) سورة النور ٣٥

(١) سورة آل عمران ١١٧

(٣) سورة البقرة ٢٥

(٥) سورة النور ٣٩

(٧) سورة إبراهيم ١٨

(٩) سورة الصافات ٦٥

(١١) سورة الرحمن ٢٤

﴿ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءَ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾^(١) .

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾^(٢) .

﴿ وَحُورٌ عِينٌ . كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾^(٣) .

﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٤) .

وثانيها : أن يضاف إلى حرف التشبيه حرف مؤكد ، ليكون ذلك علماً على قوة

التشبيه وتأكيده ، وكقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّ السَّمَانَ السَّمَانَ ﴾^(٥) .

﴿ كَأَنَّ بَيْضَ مَكْنُونٍ ﴾^(٦) .

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾^(٧) .

﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾^(٨) .

﴿ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾^(٩) .

فإن قيل : كيف استرسل أهل الجنة وقوله : ﴿ كَلِمًا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ تَمْرَةٍ رِزْقًا قَالُوا

هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾^(١٠) ، ولا شك أنه ليس به ، واحترزت بلقيس فقالت :

﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾^(١١) ، ولم تقل : هو هو ؟

قيل : أهل الجنة وثقوا بأن الغرض مفهوم ؛ وأن أحداً لا يعتقد في الحاضر أنه

عين المستهلك الماضي ؛ وأما بلقيس فالتبس عليها الأمر ، وظنت أنه يشبهه ،

(٢) سورة الرحمن ١٤

(٤) سورة الحديد ٢١

(٦) سورة الصافات ٤٩

(٨) سورة القمر ٢٠

(١٠) سورة البقرة ٢٥

(١) سورة الرحمن ٣٧

(٣) سورة الواقعة ٢٢ ، ٢٣

(٥) سورة الرحمن ٥٨

(٧) سورة الأعراف ١٧١

(٩) سورة الحاقة ٧

(١١) سورة النمل ٤٢

لأنها بَنَتْ على العادة ، وهو أن السرير لا ينتقل من إقليم إلى آخر في طرفه عين .

وأما التشبيه بغير حرف ، فَيُقصد به المبالغة ، تنزيلاً للثاني منزلة الأول تجوزاً ، كقوله :

﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾^(١) .

وقوله : ﴿ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾^(٣) .

وكذلك : ﴿ تَمْرٌ مَرَّةً السَّحَابِ ﴾^(٤) .

وجعل الفارسي منه قوله تعالى : ﴿ قَوَارِيرًا . قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ ﴾^(٥) ، أي كأنها

في بياضها من فضة ، فهو على التشبيه ، لا على أن القوارير من فضة ، بدليل قوله : ﴿ بِكَأْسٍ

مِنْ مَعِينٍ . بَيِّضَاءَ ﴾^(٦) ، فقوله : ﴿ بَيِّضَاءَ ﴾ مثل قوله : ﴿ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ .

تنبيهان

الأول : هذا القسم يشبه الاستعارة في بعض المواضع ، والفرق بينهما - كما قاله حازم

وغيره - أن الاستعارة ، وإن كان فيها معنى التشبيه ، فتقدير حرف التشبيه لا يجوز فيها ،

والتشبيه بغير حرف على خلاف ذلك ؛ لأن تقدير حرف التشبيه واجب فيه .

وقال الرماني في قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾^(٧) ، أي تبصره ،

لأنه لا يجوز تقدير حرف التشبيه فيها .

(٢) سورة الأحزاب ٤٦

(٤) سورة النمل ٨٨

(٦) سورة الصافات ٤٥ ، ٤٦

(١) سورة الأحزاب ٦

(٣) سورة آل عمران ١٣٣

(٥) سورة الدهر ١٥ ، ١٦

(٧) سورة الإسراء ٥٩

وقد اختلف البيانون في نحو قوله تعالى : ﴿ صُمُّ بَكْمٌ عُغِيٌّ ﴾^(١) ، إنه تشبيهه بليغ أو استعارة ؟ والمحققون - كما قاله الزمخشري - على الأول ، قال :^(٢) لأن المستعار له مذكور - وهم المنافقون - ، أي مذكور في تقدير الآية ، والاستعارة لا يذكر فيها المستعار له^(٣) ، ويجعل الكلامُ خلواً عنه ، بحيث يصلح^(٤) لأن يراد به المنقول عنه و [المنقول]^(٥) إليه لولا القرينة^(٥) ، ومن ثم ترى المفلقين السحرة [منهم ، كأنهم]^(٤) يتناسون التشبيه ويضربون عنه^(٦) صفحا .

وقال السكاكي : لأن من شرط الاستعارة إمكان حمل الكلام على الحقيقة في الظاهر ، وتناسي التشبيه ، وزيد أسد لا يمكن كونه حقيقة ، فلا يجوز أن يكون استعارة .

الثاني : قد يترك التشبيه لفظا ويراد معنى ، إذ لو لم يرد معنى ولم يكن منوياً ، كان استعارة .

مثاله قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّا لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾^(٧) ، فهذا تشبيه لا استعارة ، لذكر الطرفين : الخيط الأسود ، وهو ما يمتد معه من غسق الليل شبيهاً بخيط أسود وأبيض ، وبينا بقوله : ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ والفجر - وإن كان بيانا للخيط الأبيض - لكن لما كان أحدهما بيانا للآخر لدلالته عليه ، اكتفى به عنه ، ولولا البيان كان من باب الاستعارة ؛ كما أن قولك : رأيت أسدا ، استعارة ، فإذا زدت « من فلان » صار تشبيهاً ، وأما أنه لم زيد ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ حتى صار تشبيهاً ؟ وهلا اقتصر به

(١) سورة البقرة ١٨ (٢) الكشاف ١ : ٥٨

(٢) عبارة الكشاف : « والاستعارة لما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له .

(٣) الكشاف : « صالحا لأن يراد به المنقول عنه » . (٤) من الكشاف .

(٥) الكشاف : « لولا دلالة الحال أو غوى الكلام ؛ كقول زهير :

لَدَىٰ أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَدِّفٍ لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْلَمْ

(٦) الكشاف : « عن نومه » . (٧) سورة البقرة ١٨٧

على الاستعارة التي هي أبلغ ، فلأن شرط الاستعارة أن يدلّ عليه الحال ، ولو لم يذكر ﴿ مِنْ الْفَجْرِ ﴾ لم يعلم أن الخيطين مستعاران من « بدا الفجر » ، فصار تشبيهاً .

التقسيم الثاني

ينقسم باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام ، لأنها :

إما حسيان ، كقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ آدَا كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾^(١) ، وقوله : ﴿ كَأَنَّهُمْ
أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾^(٢) .

أو عقليان ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ
أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً ﴾^(٣) .

وإما تشبيه المعقول بالمحسوس ، كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ ﴾^(٤) ؛ وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ
أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿ كَمَثَلِ الْخِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾^(٦) ، لأن حملهم
التوراة ليس كالحمل على العاتق ، إنما هو القيام بما فيها .

وأما عكسه فمنعه الإمام ، ، لأن العقل مستفاد من الحس ، ولذلك قيل : مَنْ فَقَدَ حِسًّا
فَقَدَ فَقَدَ عِلْمًا ؛ وإذا كان المحسوس أصلاً للمعقول فتشبيهه به ، يستلزم جعل الأصل فرعاً
والفرع أصلاً ، وهو غير جائز .

(٢) سورة القمر ٢٠

(٤) سورة العنكبوت ٤١

(٦) سورة الجمعة ٥

(١) سورة يس ٣٩

(٣) سورة البقرة ٧٤

(٥) سورة إبراهيم ١٨

وأجازه غيره كقوله :

وكانَّ النجومَ بين دُجَاهِ سُنَنِ لَاحَ يَبْنِنَ ابتداءً^(١)

وينقسم باعتبار آخر إلى خمسة أقسام :

الأول : قد يشبه ما تقع عليه الحاسة بما لا تقع ، اعتماداً على معرفة النقيض والضد ، فإن إدراكهما أبلغ من إدراك الحاسة ، كقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾^(٢) ، فشبهه بما لا نشك أنه منكر قبيح ، لما حصل في نفوس الناس من بشاعة صور الشياطين ، وإن لم ترها عياناً .

الثاني : عكسه ، كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ ﴾^(٣) ، أخرج ما لا يحس - وهو الإيمان - إلى ما يحس - وهو السراب - والمعنى الجامع بطلان العوهم بين شدة الحاجة وعظم الفاقة .

الثالث : إخراج ما لم تبحر العادة به إلى ما جرت به ، نحو : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾^(٤) ، والجامع بينهما الانتفاع بالصورة . وكذا قوله : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾^(٥) ، والجامع البهجة والزينة ، ثم الهلاك ، وفيه العبرة .

الرابع : إخراج ما لا يعرف بالبديهة ، إلى ما يُعرف بها ، كقوله : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾^(٦) ، الجامع العظم ، وفائدته التشويق إلى الجنة بحسن الصفة .

(١) البيت للفاضى التنوخى ؛ وهو من شواهد المفتاح ١٤٦ ، وانظر البيهيمه ٢ : ٣١٠ ،

(٢) سورة الصافات ٦٥

وأسرار البلاغة ٢٠٧

(٤) سورة الأعراف ١٧١

(٢) سورة النور ٣٩

(٦) سورة آل عمران ١٣٢

(٥) سورة يونس ٢٤

الخامس : إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها ، كقوله : ﴿ وَ لَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾^(١) ، والجامع فيهما العِظْمُ ، والفائدة البيان عن القدرة على تسخير الأجسام العظام في أعظم ما يكون من الماء .
وعلى هذه الأوجه تجرى تشبيهات القرآن .

التقسيم الثالث

ينقسم إلى مفرد ومركب :

والمركب أن يُنزع من أمور مجموع بعضها إلى بعض ؛ كقوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾^(٢) ، فالتشبيه مركب من أحوال الجمار ؛ وذلك هو حمل الأسفار التي هي أوعية العلم ، وخزائن ثمره العقول ، ثم لا يُحسن ما فيها ، ولا يفرق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء ، فليس له مما يحمل حظّ سوى أنه يثقل عليه ويتعبه .
وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾^(٤) ، قال بعضهم : شبه الدنيا بالماء ، ووجه الشبه أمران : أحدهما أن الماء إذا أخذت منه فوق حاجتك تضررت ، وإن أخذت قدر الحاجة انتفعت به ، فكذلك الدنيا . وثانيهما أن الماء إذا أطبقت كفتك عليه لنحفظه لم يحصل فيه شيء ، فكذلك الدنيا ، وليس المراد تشبيهها بالماء وحده ؛ بل المراد تشبيهه بهجة الدنيا في قلة البقاء والدوام بأنيق النبات الذي يصير بعد تلك البهجة والغضاضة والطراوة إلى ما ذكر .

(٢) سورة الجمعة ٥
(٤) سورة الكهف ٤٥

(١) سورة الرحمن ٢٤
(٣) سورة العنكبوت ٤١

ومن تشبيه المفرد بالمركب قوله : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِثْقَاةٍ ﴾^(١) ، فإنه سبحانه أراد تشبيه نوره الذي يلقى في قلب المؤمن ، ثم مثله بمصباح ؛ ثم لم يقنع بكل مصباح ؛ بل بمصباح اجتمعت فيه أسباب الإضاءة ؛ بوضعه في مشكاة ؛ وهي الطاقة غير النافذة ؛ وكونها لا تنفذ ؛ لتكون أجمع للتبصر ، وقد جعل فيها مصباح في داخل زجاجة ، فيه الكوكب الدرّي في صفائها ، ودُهْن المصباح من أصفى الأدهان وأقواها وقودا ، لأنه من زيت شجر في أوسط الزجاج لا شرقية ولا غربية ، فلا تصيبها الشمس في أحد طرفي النهار بل تصيبها عدل إصابتها .

وهذا مثل ضرب به الله للمؤمن ، ثم ضرب للكافر مثلين : أحدهما : ﴿ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ ﴾^(٢) ، والثاني : ﴿ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ﴾^(٣) ، شبه في الأول ما يعلمه من لا يقدر الإيمان المعتبر بالأعمال التي يحسبها بقية ، ثم يخيب أمله ، بسراب يراه الكافر بالساهرة ، وقد غلبه عطش يوم القيامة ، فيجيئه فلا يجده ماء ، ويجد زبانية الله عنده ، فيأخذونه فيلقونه إلى جهنم .

البحث السادس

ينتظم قواعد تتعلق بالتشبيه

الأولى : قد تُشَبَّه أشياء بأشياء ، ثم تارة يصرح بذكر المشبهات ، كقوله تعالى :

(١) سورة النور ٣٥

(٢) من قوله تعالى في سورة النور ٣٩ : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يُحْسِبُهُ

الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ ۗ ﴾ .

(٣) من قوله تعالى في سورة النور ٤٠ ، في الآية : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ

مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا ۗ ﴾ .

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ﴾^(١)، وتارة لا يصرح به بل يجيء مطوياً على سنن الاستعارة ، كقوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَابٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾^(٢)، ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ . . . ﴾^(٣) الآية .

قال الزمخشري^(٤) : والذي عليه علماء البيان أن التمثيلين جميعاً من جملة التمثيلات المركبة^(٥) لا المفردة ؛ بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى [معزولاً بعضها من بعض ، لم يأخذ هذا بحُجْزَة ذاك]^(٦) فتشبهها بنظائرها كما ذكرنا^(٧) ، وتشبه كيفية حاصله من مجموع أشياء تضاقت حتى صارت شيئاً واحداً بأخرى ، كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ . . . ﴾^(٨) الآية .

ونظائره من حيث اجتمعت تشبيهات ؛ كما في تمثيل الله حال المنافقين أول سورة البقرة ، قال الزمخشري : وأبلغه الثاني ؛ لأنه أدلّ على فرط الحيرة ، وشدة الأمر وفضاعته ؛ ولذلك أُخِّرَ ، قال : وهم يتدرجون في نحو هذا ، من الأهون إلى الأغاظ .

الثانية : أعلى مراتب التشبيه في الأبلغية تركُّ وجه الشبه وأداته ، نحو زيد أسد ؛ أما تركُّ وجهه وحده ، فكقوله : زيد كالأسد ؛ وأما تركُّ أداته وحدها ؛ فكقوله : زيد الأسد شدة .

وفي كلام صاحب « المقتاح » إشارة إلى أن تركُّ وجه الشبه أبلغ من تركُّ أداته ؛ قال : لعموم وجه الشبه .

(٢) سورة فاطر ١٢

(٤) الكشاف ١ : ٦١

(٦) من الكشاف

(٧) عبارة الكشاف : « كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن » .

(١) سورة غافر ٥٨

(٣) سورة الزمر ٢٩

(٥) الكشاف : « دون المفرقة » .

(٧) سورة الجمعة ٥

(٨) سورة الجمعة ٥

وخالفه صاحب « ضوء المصباح »^(١) لأنه إذا عمّ واحتمل التعدد ، ولم تبق دلالة على ما به الاشتراك دلالة منطوق بل دلالة مفهوم ؛ فيحتمل أن يكون ما به الاشتراك صفة ذم لا مدح ، وهو غير لازم في ترك الأداة ؛ إلا أن يقال : يلزم مثله من تركها ، لأن قرينة ترك الأداة ، تصرف إرادة المدح دون الذم وذكرها كقولك : زيد كالأسد شدة .

الثالثة : قد تدخل الأداة على شئ وليس هو عين المشبه ، ولكنه ملتبس به ، واعتمد على فهم المخاطب ، كما قال تعالى : ﴿ كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ... ﴾^(٢) الآية ، المراد : كونوا أنصارا لله خالصين في الانقياد ؛ كشأن مخاطبي عيسى إذ قالوا . ومما دل على السياق قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾^(٣) ، وفيه زيادة ، وهو تشبيه الخارق بالعتاد .

الرابعة : إذا كانت فائدته ، إنما هي تقريب الشبه في فهم السامع وإيضاحه له ، فالحق أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتم ، والقصد التنبيه بالأدنى على الأعلى ، مثل قياس النحوى ؛ ولا سيما إذا كان الدنو جدا أو العلو جدا ، وعليه بنى المعرى قواه : ظلمناك في تشبيه صدغيك بالمسك وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى وقول آخر :

كالبحر والكاف أنى ضفت زائدة فيه فلا تظننهما كاف تشبيه

(١) اخضر ابن مالك كتاب المفتاح وسماه المصباح في تلخيص المفتاح ؛ ونظمه أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المراكشي للضرب ، ثم شرحه وسماه ضوء الصباح على ترجيز المصباح . كشف الظنون : ١٠٨٩
(٢) سورة الصف ١٤
(٣) سورة الأعراف ١٧١

وأما قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِثْسُكَاتٍ ﴾^(١) فيمكن أن يكون المشبه به أقوى لكونه في الذهن أوضح ؛ إذ الإحاطة به أتم .

وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾^(٢) ؛ فهو من تشبها الغريب بالأغرب ؛ لأن خلق آدم من خلق عيسى ليكون أقطع للخصم ، وأوقع في النفس . وفيه دليل على جواز القياس ، وهو ردّ فرع إلى أصل لشبهه ما ؛ لأن عيسى ردّ إلى آدم لشبهه بينهما ؛ والمعنى أن آدم خلق من تراب ولم يكن له أب ولا أم ، فكذلك خلق عيسى من غير أب .

وقوله : ﴿ كَانَهُمْ خُشْبٌ مِّنْ سِنْدَةٍ ﴾^(٣) شبههم بالخشب ، لأنه لا روح فيها ، وبالمسندة لأنه لا انتفاع بالخشب في حال تسنيدته .

الخامسة : الأصل دخول أداة التشبيه على المشبه به ، وهو الكامل ، كقولك : ليس الفضة كالذهب ، وليس العبد كالحرة ؛ وقد تدخل على المشبه لأسباب :
منها وضوح الحال ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى ﴾^(٤) ؛ فإن الأصل وليس الأنثى كالدكر ؛ وإنما عدل عن الأصل ؛ لأن معنى : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى ﴾ الذي طلبت ﴿ كَالْأُنثَى ﴾ التي وهبت لها ، لأن الأنثى أفضل منه . وقيل : لمرعاة الفواصل ، لأن قبله : ﴿ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى ﴾^(٤) .
ووهم ابن الزملاكاني في « البرهان » حيث زعم أن هذا من التشبيه المقلوب ، وليس كذلك لما ذكرنا من المعنى .

(٢) سورة آل عمران ٥٩

(٤) سورة آل عمران ٣٦

(١) سورة النور ٣٥

(٣) سورة المنافقين ٤

وقيل : لما كان جعلُ الفرع أصلا والأصل فرعاً في التشبيه في حالة الإثبات يقتضى المبالغة في التشبيه ؛ كقولهم : القمر كوجه زيد ، والبحر ككفيه ، كان جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً في كماله الذى يقتضى نفي المبالغة في المشابهة ؛ لانفى المشابهة ، وذلك هو المقصود هنا ، لأن المشابهة واقعة بين الذكر والأنثى في أعم الأوصاف وأغلبها ، ولهذا يُقاد أحدهما بالآخر .

ومنها قصد المبالغة ، فيقلب التشبيه ، ويُجعل المشبه هو الأصل ويسمى تشبيه العكس ؛ لاشتماله على جعل المشبه مشبهاً به ، والمشبه به مشبهاً ؛ كقوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾^(١) ، كان الأصل أن يقولوا : إنما الربا مثل البيع ؛ لأن الكلام في الربا لا في البيع ، لكن عدلوا عن ذلك وتجرءوا ، إذ جعلوا الربا أصلاً ملحقا به البيع في الجواز ، وأنه الخلق بالحل .

ويحتمل أن يكون المراد إلزام الإسلام ، فيحرّم البيع قياساً على الربا ، لاشتماله على الفضل طرداً لأصلهم ؛ وهو في المعنى نقضٌ على علة التحريم ؛ ويؤيده قوله تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾^(٢) ، وفيه إشارة إلى أن الواجب اتباع أحكام الله واقتفاؤها من غير تعرض لإجرائها على قانون واحد ، وأن الأسرار الإلهية كثيراً ما تخفى ؛ وهو أعلم بمصالح عباده فيسلم له عنان الانقياد ؛ وأنهم جعلوا ذلك من باب إلزام الجدلى ، وجاء الجواب بفك الملازمة ، وأن الحكمة فرقت بينهما . وفيه إبطال القياس في مقابلة النص .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾^(٣) ؛ فإن الظاهر العكس ، لأن

(٢) سورة البقرة ٢٧٥

(١) سورة البقرة ٢٧٥

(٣) سورة النحل ١٧

الخطاب لعبدة الأوثان ؛ وسموها آلهة ، تشبيهاً بالله سبحانه ، وقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق ، فخولف في خطابهم ؛ لأنهم بالغوا في عبادتهم وغلوا ، حتى صارت عندهم أصلاً في العبادة ، والخالق سبحانه فرعاً ، فجاء الإشكال على وفق ذلك .

والظاهر أنهم لما قاسوا غير الخالق خو طبوا بأشد الإلزامين ؛ وهو تنقيص المقدس لا تقديس الناقص .

قلل السكاكي : وعندي أن المراد بـ « من لا يخلق » الحى القادر من الخلق تعريضا بإنكار تشبيه الأصنام بالله تعالى من طريق الأولى . وجعل منه قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾^(١) بدل « هواه إلهه » فإنه جعل المفعول الأول ثانياً والثانى أولاً ؛ للتنبية على أن الهوى أقوى وأوثق عنده من إلهه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾^(٣) ، فإن بعضهم أورد أن أصل التشبيه يشبه الأدنى بالأعلى فيقال : « أفجعل المجرمين كالمسلمين ، والفجار كالمؤمنين » ، فلم خولفت القاعدة !

ويقال : فيه وجهان :

أحدهما : أن الكفار كانوا يقولون : نحن نسود في الآخرة ، كما نسود في الدنيا ويكونون أتباعاً لنا ، فكما أعزنا الله في هذه الدار يعزنا في الآخرة ، فجاء الجواب على معتقدتهم أنهم أعلى ، وغيرهم أدنى .

الثانى : لما قيل قبل الآية : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ

(٢) سورة القلم ٣٥

(١) سورة الجاثية ٢٢

(٣) سورة س ٢٨

ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿١﴾؛ أى يظنون أن الأمر يهمل، وأن لاحشر ولا نشر، أم لم يظنوا ذلك، ولكن يظنون أنا يجعل المؤمنين كالمجرمين، والمتقين كالفجار .

السادسة : أن التشبيه في الـدم يشبه الأعلى بالأدنى ، لأن الـدم مقام الأدنى ، والأعلى ظاهر عليه فيشبهه به في السلب ، ومنه قوله : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ (٢) ، أى في النزول لا في العلو .

ومنه : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ (٣) أى في سوء الحال ؛ وإذا كان في المدح يشبه الأدنى بالأعلى فيقال : تراب كالمسك ، وحصى كالياقوت ، وفي الـدم : مسك كالتراب وياقوت كالزجاج .

السابعة : قد يدخل التشبيه على لفظ وهو محذوف لامتناع ذلك ، لأنه بسبب المحذوف كقوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ ﴾ (٤) . فإن التقدير : ومثل واعظ الذين كفروا ، فالشبهه الواعظ ، والمقصود تشبيهه حال الواعظ منهم بالناعق للأغنام ، وهى لا تعقل معنى دعائه وإنما تسمع صوته ولا تفهم غرضه ، وإنما وقع التشبيه على الغنم التى ينطق بها الراعى ، ويمد صوتها إليها ، وفيه وجوه :

أحدها : أن المعنى : مثل الذين كفروا كمثل الغنم لا تفهم نداء الناعق ، فأضاف المثل إلى الناعق ، وهو فى المعنى للمنعوق به ، على القلب .

ثانيها : ومثل الذين كفروا ومثلنا ومثلك ، كمثل الذى ينطق ، أى مثلهم فى الإعراض

(٢) سورة الأحزاب ٣٢

(٤) سورة البقرة ١٧١

(١) سورة ص ٢٧

(٣) سورة ص ٢٨

ومثلنا في الدعاء والإرشاد ، كمثل الناعق بالغنم ، فحذف المثل الثاني اكتفاء بالأول ، كقوله :
﴿ سَرَّابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾^(١) .

وثالثها : أن المعنى : ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام - وهي لا تعقل ولا تسمع -
كمثل الذى ينطق بما لا يسمع ؛ وعلى هذا فالنداء والدعاء منتصبان بـ « ينطق » و « لا » تؤكد
للـكلام ، ومعناها الإلغاء .

رابعها : أن المعنى ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام وعبادتهم لها واسترزاقهم
إياها ، كمثل الراعى الذى ينطق بغنمة وينادىها ، فهى تسمع نداء ولا تفهم معنى كلامه ،
فيشبهه مَنْ يدعو الكفار من المعبودات من دون الله بالغنم من حيث لا تعقل الخطاب .
وهذا قريب من الذى قبله ، ويفترقان فى أن الأول يقتضى ضرب المثل بما لا يسمع
الدعاء والنداء جملة ، ويجب صرفه إلى غير الغنم ، وهذا يقتضى ضرب المثل بما لا يسمع
الدعاء والنداء جملة ، وإن لم يفهمهما ، والأصنام - من حيث كانت لا تسمع الدعاء جملة -
يجب أن يكون داعيها ونادىها أسوأ حالا من منادى الغنم . ذكر ذلك الشريف المرتضى
فى كتاب « غرر الفوائد »^(٢) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ . . . ﴾^(٣) الآية ، وإنما وقع التشبيه
على الحرث الذى أهلكته الريح ، قيل فيه إضممار ، أى مثل إهلاك ما ينفقون كمثل
إهلاك ريح .

قال نعلب : فيه تقديم وتأخير ، أى كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم أصابته ريح
فيها صرّ فأهلكته .

(١) سورة النحل ٨١

(٢) وهو الكتاب المعروف بأمالى المرتضى ١ : ٢١٧ - ٢١٨

(٣) سورة آل عمران ١١٧

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ إِندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ

اللَّهِ ﴾^(١) ، فإنَّ التقدير : كما يحب المؤمنون الله ، قال : وحُذِفَ الفاعل ، لأنه غير ملتبس .

واعترض عليه بأنه لا حاجة لذلك ، فإن المعنى حاصل بتقديره مبنيًا للفاعل .

وأجيب بأنه تقدير معنى ، لكن محافظةً على الانظ فلا يقدر الفاعل ، إذ الفاعل في

باب المصدر فضلة ، فلذلك جعله كذلك في التقدير .

الاستعارة

هي من أنواع البلاغة ، وهي كثيرة في القرآن ، ومنهم من أنكره ؛ بناء على إنكار المجاز في القرآن ، والاستعارة مجاز ، وقد سبق تقديره . ومنع القاضي عبد الوهاب المالكي إطلاق لفظ الاستعارة فيه ، لأن فيها إيهاماً للحاجة ، وهذا كما منع بعضهم لفظ : القرآن مخلوق ، وهو لا ينكر وقوع المجاز ، والاستعارة فيه إنما توقف على إذن الشرع .

ولا شك أن المجوزين للإطلاق شرطوا عدم الإيهام ؛ وقد يمنعون الإيهام المذكور لأنه في الاصطلاح اسم لأعلى مراتب الفصاحة .

وقال الطرطوسي^(١) : إن أطلق المسلمون الاستعارة فيه أطلقناها وإن امتنعوا امتنعنا ؛ ويكون هذا من قبيل أن الله تعالى عالم ، والعلم هو العقل ، ثم لا نصفه به لعدم التوقيف . انتهى .

والمشهور تجويز الإطلاق .

[مباحث الاستعارة]

ثم فيها مباحث :

الأول

وهي « استفعال » ، من العارية ، ثم نقلت إلى نوع من التخجيل^(٢) لقصد المبالغة

(١) هو القاضي نجم الدين إبراهيم بن علي الطرطوسي المتوفى سنة ٧٥٨ ، صاحب كتاب عمدة الأحكام فيما لا ينفذ من الأحكام ؛ ذكره صاحب كشف الظنون . (٢) ت : « التخيل » .

أبو تمام : أن ابعت لي ريشة من جناح الذلّ أبعث إليك من ماء الملام .
 وهذا لا يصحّ له تعلق به ، والفرق بين التشبيهين ظاهر ؛ لأنه ليس جعل الجناح للذلّ
 كجعل الماء للملام ، فإن الجناح للذلّ مناسب ؛ فإن الطائر إذا وهى وتعب بسط جناحه
 وألقى نفسه إلى الأرض . وللإنسان أيضاً جناح ؛ فإن يديه جناحاه ، وإذا خضع واستسكان
 يطأطى من رأسه ، وخفض من بين يديه ، فحسُن عند ذلك جعل الجناح للذلّ ، وصار
 شبهاً مناسباً ، وأما ماء الملام فليس كذلك في مناسبة التشبيه فلذلك استهجن منه . على أنه
 قد يقال : إن الاستعارة التخيلية فيه تابعة للاستعارة بالكناية ؛ فإن تشبيه الملام بظرف
 الشراب لاشتماله على ما يكرهه الشارب لمرارته ، ثم استعار الملام له كئائه ، ثم يخرج منه شيء
 يشبه بالماء ؛ فالاستعارة في اسم الماء .

الثاني

في أنها قسم من أقسام المجاز ؛ لاستعمال اللفظ في غير ما وضع له .
 وقال الإمام فخر الدين : ليس بمجاز لعدم النقل . وفي الحقيقة هي تشبيهٌ محذوف الأداة
 لفظاً وتقديراً ؛ ولهذا حدّها بعضهم بادعاء معنى الحقيقة في الشيء ، مبالغة في التشبيه .
 كقولهم : انشقت عصاهم ؛ إذا تفرقوا ، وذلك للعصا لالاقوم ، ويقولون : كشفت الحربُ
 عن ساق .

ويفترقان في أن التشبيه إذا ذكرت معه الأداة فلا خفاء أنه تشبيه ؛ وإن حُذفت فهذا
 يلبس بالاستعارة ؛ فإذا ذكرت المشبه كقولك : زيد الأسد ، فهذا تشبيه بليغ ، كقوله
 تعالى : ﴿ صُمُّ بِكُمْ عُمَى ﴾^(١) ، وإن لم يذكر المشبه به فهو استعارة ، كقوله :
 لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مَقْدَفٍ لَهُ لِبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْلَمْ^(٢)

(٢) البيت لزهير من المعلقة ؛ ديوانه ٢٣ .

(١) سورة البقرة ١٨

شاكى السلاح ؛ أى سلاحه ذو شوكة ، أى شائك . والمقذف : الغليظ اللحم . واللبد : الشعر المتراكم
 فوق عرق الأسد .

في التخيل والتشبيه مع الإيجاز؛ نحو لقيت أسداً، وتعني به الشجاع.

وحقيقتها أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها، وحكمة

ذلك إظهار الخفي، وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلي، أو بحصول المبالغة أو للجموع.

فمثال إظهار الخفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾^(١)، فإن حقيقته أنه في

أصل الكتاب؛ فاستعير لفظ «الأم» للأصل؛ لأن الأولاد تنشأ من الأم، كما تنشأ

الفروع من الأصول. وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمبرئ حتى يصير مرثياً، فينتقل السامع

من حد السماع إلى حد العيان؛ وذلك أبلغ في البيان.

ومثال إيضاح ما ليس بجلي ليصير جلياً، قوله تعالى: ﴿وَآخِضْ لَهُمَا جَنَاحَ

الذَّلِّ﴾^(٢)؛ لأن المراد أمر الولد بالذل لوالديه رحمة؛ فاستعير للولد أولاً جانب، ثم

للجانب جناح؛ وتقدير الاستعارة القريبة: «وَآخِضْ لَهُمَا جَانِبَ الذَّلِّ»، أي اخفض

جانبك ذلاً.

وحكمة الاستعارة في هذا جعل ما ليس بمبرئ مرثياً؛ لأجل حسن البيان، ولما كان

المراد خفض جانب الولد للوالدين؛ بحيث لا يبقى الولد من الذل لهما والاستكانة مركباً؛

احتيج من الاستعارة إلى ما هو أبلغ من الأولى؛ فاستعير الجناح، لما فيه من المعاني التي لا تحصل

من خفض الجناح؛ لأن من مِيلَ جانبه إلى جهة السفلى أدنى ميل، صدق عليه أنه خفض

جانبه؛ والمراد خفض يَلِصِقُ الجنبَ بالإبط؛ ولا يحصل ذلك إلا بخفض الجناح كالطائر؛

وأما قول أبي تمام:

لا نسقي ماء الملام فإنني صبّ قد استعذبت ماء بكائي^(٣)

فيقال: إنه أرسل إليه قارورة، وقال: ابعث إلي فيها شيئاً من ماء الملام؛ فأرسل

(٢) سورة الإسراء ٢٤

(١) سورة الزخرف ٤

(٣) ديوانه ١ : ٢٥

فهذه استعارة نقلت لها وصف الشجاع ؛ إلى عبارة صالحة للأسد ، لولا قرينة السلاح لشككت : هل أراد الرجل الشجاع أو الأسد الضاري ؟

الثالث

لا بدّ فيها من ثلاثة أشياء أصول : مستعار ، ومستعار منه ، وهو اللفظ ؛ ومستعار له وهو المعنى ؛ ففي قوله تعالى : ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾^(١) المستعار الاشتعال ، والمستعار منه النار ، والمستعار له الشيب ، والجامع بين المستعار منه والمستعار له مشابهة ضوء النهار لبياض الشيب .

وفائدة ذلك وحكمته وصف ما هو أخفى بالنسبة إلى ما هو أظهر . وأصل الكلام أن يقال : واشتعل شيب الرأس ؛ وإنما قلب للمبالغة ؛ لأنه يستفاد منه عموم الشيب لجميع الرأس ؛ ولو جاء الكلام على وجهه لم يفد ذلك العموم . ولا يخفى أنه أبلغ من قولك : كثر الشيب في الرأس ؛ وإن كان ذلك حقيقة المعنى ؛ والحق أن المعنى يعار ؛ أولاً ثم بواسطته يعار اللفظ ، ولا تحسن الاستعارة إلا حيث كان الشبه مقررّاً بينهما ظاهراً ؛ وإلا فلا بدّ من التصريح بالشبه ؛ فلو قلت : رأيت نخلة أو خامة وأنت تريد مؤمناً إشارة إلى قوله : « مثل المؤمن كمثل النخلة » أو « الخامة » لكنت كالمفزع^(٢) .

ومن أحسن الاستعارة قوله تعالى : ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾^(٣) ؛ وحقيقته « بدأ انتشاره » و « تنفس » أبلغ ؛ فإن ظهور الأنوار في المشرق من أشعة الشمس قليلاً قليلاً ، بينه وبين إخراج النفس مشاركة شديدة .

(١) سورة مريم ٤

(٢) ما حديثان نقلهما السيوطي في الجامع الصغير ٢ : ٢٦٢ ؛ أحدهما عن أبي هريرة : « مثل المؤمن كمثل خامة الزرع من حيث أتتها الريح كفاتماً ، فإذا سكنت اعتدلت ؛ وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ، ومثل الفاجر كالأرزة صماء معتدلة ؛ حتى يقصمها الله تعالى إذا شاء » . وثانيهما عن ابن عمرو : « مثل المؤمن مثل النخلة ، إن أكلت أكلت طيباً ؛ وإن وضعت وضعت طيباً ، وإن وقعت على عدد نخر لم تكسره ، ومثل المؤمن مثل سبيكة الذهب إن نفضت عليها احمرت ، وإن وزنت لم تنقص » .

(٣) سورة التكويد ١٨

وقوله: ﴿الَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾^(١)، لأن انسلاخ الشيء عن الشيء أن يبرأ منه،
وبزول عنه حالا فخالا، كذلك انفصال الليل عن النهار؛ والانسلاخ أبلغ من الانفصال لما
فيه من زيادة البيان .

وقوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾^(٢) .

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾^(٣) .

وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾^(٤)، ويقولون الرجل المذموم: إنما هو حمار .

وقوله: ﴿وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾^(٥) .

﴿أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾^(٦)، أى فى الخلق الجديد .

﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾^(٧) .

﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾^(٨) .

﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾^(٩) .

﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾^(١٠) .

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾^(١١) .

﴿وَيُبْتَخَطُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾^(١٢) .

(٢) سورة الكهف ٢٩
(٤) سورة المدثر ٥٠
(٦) سورة النازعات ١٠
(٨) سورة البلد ٤
(١٠) سورة المد ٤
(١٢) سورة العنكبوت ٦٧

(١) سورة يس ٣٧
(٣) سورة نون ١٦
(٥) سورة القيامة ٢٩
(٧) سورة المطففين ١٤
(٩) سورة العلق ١٥
(١١) سورة الدخان ٢٩

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾^(١) .

﴿ إِلَّا إِنَّمَا طَآئِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(٢) ، والمراد حفظهم وما يحصل لهم .

وقوله تعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾^(٣) ، أى أتمها كما أمرت .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾^(٤) ، أى عصمك منهم ، رواه شعبة عن أبي

وجاء عن الحسن .

﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمَّ الْكِتَابِ ﴾^(٥) .

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾^(٦) .

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَضْبُ ﴾^(٧) .

﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾^(٨) .

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾^(٩) ، فالدمغ

والقذف مستعار .

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ ﴾^(١٠) ، يريد لا إحساس بها ، من غير صمم .

وقوله : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾^(١١) ، فإنه أبلغ من « بَلِّغْ » ، وإن كان بمعناه ،

لأن تأثير الصدع أبلغ من تأثير التبليغ ؛ فقد لا يؤثر التبليغ ، والصدع يؤثر جزماً .

(٢) سورة الأعراف ١٣١

(٤) سورة الإسراء ٦٠

(٦) سورة الأنعام ٥٩

(٨) سورة الإسراء ١٢

(١٠) سورة الكهف ١١

(١) سورة الشعراء ٢٢٥

(٣) سورة الإسراء ٧٨

(٥) سورة الزخرف ٤

(٧) سورة الأعراف ١٥٤

(٩) سورة الأنبياء ١٨

(١١) سورة الحجر ٩٤

الرابع

تنقسم إلى مرشحة - وهي أحسنها - وهي أن تنظر إلى جانب المستعار وتراعيه ، كقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾^(١) ، فإن المستعار منه الذي هو الشراء هو المراعى هنا ، وهو الذي رشح لفظتى الربح والتجارة للاستعارة لما بينهما من الملاءمة .

وإلى تجريدية ؛ وهي أن تنظر إلى جانب المستعار له ، ثم تأتي بما يناسبه ويلائمه ، كقوله تعالى : ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾^(٢) ، فالمستعار اللباس ، والمستعار له الجوع ، فجرد الاستعارة ، بذكر لفظ الأداة المناسبة للمستعار له وهو الجوع ، لا المستعار وهو اللباس ، ولو أراد ترشيحها لقال : وكساها لباس الجوع . وفي هذه الآية مراعاة المستعار له ؛ الذي هو المعنى ، وهو الجوع والخوف ؛ لأن ألمهما يذاق ولا يلبس .

وقد تجي ملاحظة المستعار الذى هو اللفظ ، كقوله تعالى : ﴿وَأَمْرًا تُحْمَلُهُ حَمَالَةٌ أَخْطَبِ﴾ ، إذا حملنا الخطب على النميمة فاعتبر اللفظ فقال : « حمالة » ولم يقل : « راوية » فيلاحظ المعنى .

وأما الاستعارة بالكناية فهي ألا يصرح بذكر المستعار ، بل تذكر بعض لوازمه تنبيهاً به عليه ، كقوله : شجاع بفترس أقرانه ، وعالم يفترف منه الناس ، تنبيهاً على أن الشجاع أسد والعالم بحر .

ومنه المجاز العقلى كله عند السكاكى .

(٢) سورة النحل ١١٢

(١) سورة البقرة ١٦

ومن أقسامها - وهو دقيق - أن يسكت عن ذكر المستعار ثم يوصي إليه بذكر شيء من توابعه وروادفه ؛ تنبيها عليه ، فيقول : شجاع يفترس أقرانه ، فذهبت بالافتراض على أنك قد استعرت له الأسد .

ومنه قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾^(١) ، فنبهه بالقبض الذي هو من توابع الحبل وروادفه ، على أنه قد استعار للعهد الحبل لما فيه من باب الوصلة بين المتعاهدين .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾^(٢) ، لأن حقيقة « عملنا » لکن ﴿ قَدِمْنَا ﴾ أبلغ ؛ لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من سفره ؛ لأنه من أجل إهمالهم السابق عاملهم ؛ كما يفعل الغائب عنهم إذا قدم فرآهم على خلاف ما أمر به . وفي هذا تحذير من الاغترار بالإمهال .

وقوله : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَىٰ الْمَاءُ حَمَلْنَا كُفْرًا فِي الْجَارِيَةِ ﴾^(٣) ، لأن حقيقة « طغى » علا ، والاستعارة أبلغ ، لأن « طغى » ، علا قاهرا .

وكذلك : ﴿ يَرِيحُ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾^(٤) ، لأن حقيقة « عاتية » شديدة ، والعتو أبلغ ، لأنه شدة فيها تمرد .

وقوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ . . . ﴾^(٥) ، الآية ؛ وحقيقته : لا تمنع ما تملك كل المنع ، والاستعارة أبلغ ، لأنه جعل منع النائل بمنزلة غلّ اليمين إلى العنق ، وحال الغلول أظهر .

(٢) سورة الفرقان ٢٣

(٤) سورة الحاقة ٦

(١) سورة البقرة ٢٧

(٣) سورة الحاقة ١١

(٥) سورة الإسراء ٢٩

وقوله تعالى : ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾^(١) ، قيل : أخرجت ما فيها

من الكنوز .

وقيل : يحيى به الموتى ، وأنها أخرجت موتاهما ، فسمى الموتى ثقلا تشبيها بالحمل الذي

يكون في البطن ؛ لأن الحمل يسمى ثقلا ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾^(٢) .

ومنها : جعل الشيء للشيء وليس له من طريق الادعاء والإحاطة به نافعة في

آيات الصفات ، كقوله تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾^(٤) .

ويسمى التخويل : قال الزمخشري : ولا تجد بابا في علم البيان أدق ولا أعون في تعاطي

المشبهات منه ، وأما قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾^(٥) قال الفراء : فيه

ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه جعل طلوعها رؤوس الشياطين في القبح .

والثاني : أن العرب تسمى بعض الحيات شيطانا ؛ وهو ذو القرن .

والثالث : أنه شوك قبيح المنظر ، يسمى رؤوس الشياطين .

فعلى الأول يكون تخيلا ، وعلى الثاني يكون تشبيها مختصا .

تقسيم آخر

الاستعارة فرع التشبيه ، فأنواعها كأنواعه خمسة :

(٢) سورة الأعراف ١٨٩

(٤) سورة الزمر ٦٧

(١) سورة الزلزلة ٢

(٣) سورة القمر ١٤

(٥) سورة الصافات ٦٥

الأول : استعارة حسّي لحسّي بوجه حسّي ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾^(١) ؛ فإن المستعار منه هو النار ، والمستعار له هو الشَّيب ، والوجه هو الانبساط ؛ فالطرفان حسيان والوجه أيضاً حسّي ، وهو استعارة بالكناية ؛ لأنه ذكر التشبيه ، وذكر المشبه وذكر المشبه به مع لازم من لوازم المشبه به ؛ وهو الاشتعال .

وقوله : ﴿ وَتَرَ كُنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾^(٢) ، أصل الموح حركة المياه ؛ فاستعمل في حركتهم على سبيل الاستعارة .

الثاني : حسّي لحسّي بوجه عقلي ، كقوله تعالى : ﴿ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾^(٣) فالستعار له الريح . والمستعار منه المرأة ، وهما حسيان ، والوجه المنع من ظهور النتيجة^(٤) ، والأثر وهو عقلي وهو أيضاً استعارة بالكناية .

قال في الإيضاح^(٥) : وفيه نظر ، لأن العقيم صفة للمرأة لا اسم لها ؛ ولهذا جعل صفة للريح ، لا اسماً . والحق أن المستعار منه ما في المرأة من الصفة التي تمنع من الحبل والمستعار له ما في الريح من الصفة التي تمنع من إنشاء مطر وإلقاح شجر [والجامع لهما ما ذكر]^(٦) . وهو مندفع بالعناية ، لأن المراد من قوله : « المستعار منه » المرأة التي عبر عنها بالعقيم ، ذكرها السكاكي بلفظ ما صدق عليه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾^(٧) ، المستعار له ظلمة النهار من ظلمة الليل ، والمستعار منه ظهور السلوخ عند جلده ، والجامع عقلي وهو ترتب أحدهما على الآخر .

(٢) سورة الكهف ٩٩

(٤) ت، م : النفخة؛ وما أثبتته عن الإيضاح ٢ : ٢٩٧

(٦) من كتاب الإيضاح .

(١) سورة مريم ٤

(٣) سورة الداريات ٤١

(٥) الإيضاح ٢ : ٩٧

(٧) سورة يس ٣٧

وقوله : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ ﴾^(١) ، أصل الحصيد النبات والجامع الهلاك ، وهو أمر عقلي .

الثالث : معقول لمعقول ، كقوله تعالى : ﴿ مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرَاقِدِنَا ﴾^(٢) ، فالرقاد مستعار للموت ؛ وهما أمران معقولان ، والوجه عدم ظهور الأفعال ؛ وهو عقلي ، والاستعارة تصريحية لكون المشبه به مذكورا .

وقوله : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾^(٣) المستعار السكوت ، والمستعار له الغضب ، والمستعار منه الساكت ، وهذه أطف الاستعارات ، لأنها استعارة معقول لمعقول ، لمشاركته في أمر معقول .

الرابع : محسوس لمعقول ، كقوله تعالى : ﴿ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ ﴾^(٤) ، أصل التماس في الأجسام ، فاستعير لمقاساة الشدة ، وكون المستعار منه حسيا ، والمستعار له عقليا ، وكونها تصريحية ظاهر ، والوجه اللحوق وهو عقلي .

وقوله : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾^(٥) فالقذف والدمغ مستعاران .

وقوله : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَمَا تُهْفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ

مِنَ النَّاسِ ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾^(٧) .

(٢) سورة يس ٥٢
(٤) سورة البقرة ٢١٤
(٦) سورة آل عمران ١١٢

(١) سورة يونس ٢٤
(٣) سورة الأعراف ١٥٤
(٥) سورة الأنبياء ١٨
(٧) سورة آل عمران ١٨٧

وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾^(١) وكلّ خَوْضٍ ذكره الله في القرآن فلفظه مستعار من الخَوْضِ في الماء .
وقوله: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾^(٢) استعارة لبيانه عما أوحى إليه ، كظهور ماء في الزجاجة عند انصداعها .

وقوله: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾^(٣) ، البنيان مستعار وأصله للحيطان .
وقوله: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾^(٤) العِوَجُ مستعار .
وقوله: ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٥) وكلُّ ما في القرآن من لظلمات والنور مستعار .

وقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾^(٦) .
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾^(٧) ؛ الوادي مستعار ، وكذلك الهيمان ، وهو على غاية الإيضاح .

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُوبَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾^(٨) .

الخامس : استعارة معقول لمحسوس: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾^(٩) المستعار منه التكبر ، والمستعار له الماء ، والجامع الاستعلاء المفرط .

وقوله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾^(١٠) ، العتوة هاهنا مستعار .

(٢) سورة الحجر ٩٤
(٤) سورة هود ١٩
(٦) سورة الفرقان ٢٣
(٨) سورة الإسراء ٢٩
(١٠) سورة الحاقة ٦

(١) سورة الأنعام ٦٨
(٣) سورة التوبة ١٠٩
(٥) سورة إبراهيم ١
(٧) سورة الشعراء ٢٢٥
(٩) سورة الحاقة ١١

وقوله : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾^(١) فلفظ الغيظ مستعار .

وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾^(٢) ، فهو أفصح من مضيئة .

﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾^(٣) .

ومنها الاستعارة بلفظين ، كقوله تعالى : ﴿ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ ﴾^(٤) ؛ يعني تلك

الأواني ليس من الزجاج ، ولا من الفضة ، بل في صفاء القارورة وبياض الفضة .

وقد سبق عن الفارسي جعله من التشبيه .

ومثله : ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾^(٥) ، ينبي عن الدوام والسوط ينبي

عن الإبلام ؛ فيكون المراد - والله أعلم - تعذيبهم عذاباً دائماً مؤلماً .

(٢) سورة الإسراء ١٢

(٤) سورة الدهر ١٦

(١) سورة الملك ٨

(٣) سورة محمد ٤

(٥) سورة الفجر ١٣

التورية

وتسمى الإيهام والتخييل والمغالطة والتوجيه ؛ وهي أن يتكلم المتكلم بلفظ مشترك بين معنيين : قريب وبعيد ، ويريد المعنى البعيد ، يوهم السامع أنه أراد القريب ؛ مثاله قوله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾^(١) ، أراد بالنجم النبات الذي لا ساق له ، والسامع يتوهم أنه أراد الكواكب ، لا سيما مع تأكيد الإيهام بذكر الشمس والقمر .
وقوله : ﴿ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾^(٢) والمراد المعرفة .
وقوله : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴾^(٣) ، أراد بها في نعمة وكرامة ، والسامع يتوهم أنه أراد من النعومة .

وقوله : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾^(٤) أراد بالأيد القوة الخارجة .
وقوله : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَاذَانٌ مَّخْلُودٌ ﴾^(٥) ، أي مقرطون تجعل في آذانهم القرطة ، والخلق الذي في الأذن يسمى قرطاً وخذلة ، والسامع يتوهم أنه من الخلود .
وقوله : ﴿ وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ﴾^(٦) ، أي علمهم منازلهم فيها، أويوهم إرادة العرف ، الذي هو الطيب .

وقوله : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾^(٧) .
وقوله : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ ﴾^(٨) فذكر « رضوان » مع « الجنات » مما يوهم إرادة خازن الجنات .

(٢) سورة آل عمران ٣٩

(٤) سورة الذاريات ٤٧

(٦) سورة القتال ٦

(٨) سورة التوبة ٢١

(١) سورة الرحمن ٦

(٣) سورة الفاشية ٨

(٥) سورة الدهر ١٩

(٧) سورة المائدة ٤

وكان الأنصار يقولون: ﴿رَاعِنَا﴾^(١) أى أرعنا سمعنا وانظر إلينا والكفار يقولونها «فاعل» من الرعونة. وقال أبو جعفر: هي بالعبرانية، فلما عوتبوا قالوا: إنما نقول مثل ما يقول المسلمون، فهى المسلمون عنها.

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٢) فقوله: ﴿الولى﴾ هو من أسماء الله، ومعناه الولي لعباده بالرحمة والمغفرة، وقوله: ﴿الحميد﴾ يحتمل أن يكون من «حامد» لعباده المطيعين، أو «محمود» في السراء والضراء، وعلى هذا فالضمير راجع إلى الله سبحانه. ويحتمل أن يكون الولي من أسماء المطر، وهو مطر الربيع، والحميد بمعنى المحمود، وعلى هذا فالضمير عائد على الغيث.

وقوله: ﴿أذْكَرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّي﴾^(٣)، فإن لفظة «ربك» رشحت لفظة «ربه»، لأن يكون تورية؛ إذ يحتمل أنه أراد بها الإله سبحانه والملك، فلو اقتصر على قوله: ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّي﴾^(٣)، ولم تدل لفظة «ربه» إلا على الإله فلما تقدمت لفظة «ربك» احتمل المعنيين.

تنبية

[فى الفرق بين التورية والاستخدام]

كثيراً ما تلبس التورية بالاستخدام؛ والفراق بينهما أن التورية استعمال المعنيين فى اللفظ وإهمال الآخر؛ وفى الاستخدام استعمالهما معا بقريبتين.

(١) من قوله تعالى فى سورة البقرة ١٠٤ :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا آنظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾.

(٢) سورة الشورى ٢٨

(٣) سورة يوسف ٤٢

وحاصله أن المشترك إن استعمل في مفهومين معا فهو الاستخدام ؛ وإن أريد أحدهما مع لمح الآخر باطنا فهو التورية .

ومثال الاستخدام قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ . يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾^(١) ، فإن لفظة « كتاب » يراد بها الأمد المحتوم والمكتوب ، وقد توسطت بين لفظتين ، فاستخدمت أحدهمفهوميا ، وهو الأمد واستخدمت « يمحو » المفهوم الآخر ، وهو المكتوب . وقوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾^(٢) ؛ فإن الصلاة تحتمل إرادة نفس الصلاة ، وتحتمل إرادة موضعها فقوله: ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا﴾^(٢) استخدمت إرادة نفس الصلاة ، وقوله: ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾^(٢) ، استخدمت إرادة موضعها .

(٢) سورة النساء ٤٣

(١) سورة الرعد ٣٨ ، ٣٩

التجريد:

وهو أن تعتقد أن في الشيء من نفسه معنى آخر، كأنه مباين له، فتخرج ذلك إلى ألفاظ بما اعتقدت ذلك، كقولهم: لئن لقيت زيدا لتلقين معه الأسد، ولئن سألته لتسألن منه البحر. فظاهر هذا أن فيه من نفسه أسداً وبحراً وهو عينه هو الأسد والبحر؛ لا أن هناك شيئاً منفصلاً عنه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١)، فظاهر هذا أن في العالم من نفسه آيات، وهو عينه ونفسه تلك الآيات.

وكقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢)، وإنما هذا ناب عن قوله: «وَاعْلَمَ أَنِّي عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٤).

وقوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾^(٥)، ليس المعنى أن الجنة فيها دار خلد وغير

دار خلد، بل كلمها دار خلد؛ فكأنك لما قلت: في الجنة دار الخلد اعتقدت أن الجنة

منطوية على دار نعيم ودار أكل وشرب وخذ، فجردت منها هذا الواحد، كقوله:

* وفي الله إن لم تنصفوا حكم عدل *

وقوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(٦)، على أحد

(٢) سورة البقرة ٢٦٠

(٤) سورة الأحزاب ٢١

(٦) سورة الأنعام ٩٥

(١) سورة آل عمران ١٩٠

(٣) سورة ق ٣٧

(٥) سورة فصلت ٢٨

التأويلات في الآية عن ابن مسعود: هي النطفة تخرج من الرجل ميتة، وهو حي، ويخرج الرجل منها حياً وهي ميتة، قال ابن عطية: في تفسيره هذه الآية: إن لفظة الإخراج في تنقل النطفة حتى تكون رجلاً، إنما هو عبارة عن تغيير الحال، كما تقول في صبي جيد البنية: يخرج من هذا رجل قوى.

وقد يحتمل قوله: ﴿وُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾^(١)، أي الحيوان كله ميتة، ثم يحييه قال: وهو معنى التجريد.

وذكر الزمخشري أن عمرو بن عبيد قرأ في قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾^(٢)، بالرفع، بمعنى حصلت منها [سما] ^(٣) وَرْدَةً، قال: وهو من التجريد. وقرأ علي وابن عباس في سورة مريم: ﴿بِرُّنِّي وَارِثٍ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾^(٤)، قال ابن جني: هذا هو التجريد، وذلك أنه يريد: وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا بِرُّنِّي منه وارث من آل يعقوب، وهو الوارث نفسه، فكانه جرّد منه وارثاً.

(٢) سورة الرحمن ٣٧، وانظر الكشاف ٤: ٣٥٨

(٤) سورة مريم ٦

(١) سورة الأنعام ٩٥

(٣) من الكشاف.

التجنيس

وهو إما بأن تتساوى حروف الكلمتين ، كقوله تعالى : ﴿ وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ (١) .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ . فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ﴾ (٢) ؛ وفي ذلك رد على من قال (٣) : ليس منه في القرآن غير الآية الأولى .

وإما بزيادة في إحدى الكلمتين ، كقوله تعالى : ﴿ وَ أَلْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ . إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ (٤) .

وإما لاحق ، بأن يختلف أحدا الحرفين ، كقوله : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ . وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (٥) .

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٦) .

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ (٧) .

﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ (٨) .

وقوله : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ ﴾ (٩) .

وإما في الخط ، وهو أن تشبها في الخط لاللفظ ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ

يَسْنُونَ صُنْعًا ﴾ (١٠) .

(٢) سورة الصافات ٧٢ ، ٧٣

(١) سورة الروم ٥٥

(٣) هو ابن الأثير صاحب المثل السائر ؛ ذكره في الجزء الأول ص ٢٤٦

(٥) سورة العاديات ٧ ، ٨

(٤) سورة القيامة ٢٩ ، ٣٠

(٧) سورة الأنعام ٢٦

(٦) سورة القيامة ٢٢ ، ٢٣

(٩) سورة النساء ٨٣

(٨) سورة غافر ٧٥

(١٠) سورة الكهف ١٠٤

وقوله : ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾^(١) .
وأما في السمع لقرب أحد المخرجين من الآخر ، كقوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ
نَاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾^(٢) .

تنبيهات

الأول : نازع ابن أبي الحديد في الآية الأولى وقال : عندي^(٣) أنه ليس
بتجنيس أصلا ، وأن الساعة في الموضعين بمعنى واحد ، والتجنيس أن يتفق اللفظ
ويختلف المعنى ، وألا تكون إحداها حقيقة والأخرى مجازا ؛ بل تكونا حقيقتين ؛ وإن
زمان القيامة - وإن طال - لكانه عند الله تعالى في حكم الساعة الواحدة ؛ لأن قدرته
لا يعجزها أمر ، ولا يطول عندها زمان ؛ فيكون إطلاق لفظة « الساعة » على أحد الموضعين
حقيقة ، وعلى الآخر مجازا ؛ وذلك يُخرج الكلام من التجنيس ؛ كما لو قلت : ركبت
حمارا ، ولقيت حمارا ، وأردت بالثاني البليد . وأيضاً لا يجوز أن يكون المراد بالساعة
الساعة الأولى خاصة ؛ وزمان البعث ، فيكون لفظ الساعة مستعملا في الموضعين حقيقة
بمعنى واحد ؛ فيخرج عن التجنيس .

الثاني : يقرب منه الاقتضاب ، وهو أن تكون الكلمات يجمعها أصل واحد في اللغة ،
كقوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾^(٤) .
وقوله : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾^(٥) .
وقوله : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾^(٦) .

(٢) سورة القيامة ٢٢ ، ٢٣

(٤) سورة الروم ٤٣

(٦) سورة الواقعة ٨٩

(١) سورة الشعراء ٧٩ ، ٨٠

(٣) انظر الفلك السائر ١٣

(٥) سورة البقرة ٢٧٦

وقوله: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ

عَرِيضٍ﴾^(١) .

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾^(٢) .

﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾^(٣) .

﴿يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ﴾^(٤) .

﴿تَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾^(٥) .

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾^(٦) .

﴿أَنَا قَلَّمُ إِلَى الْأَرْضِ﴾^(٧) .

الثالث : اعلم أن الجناس من المحاسن اللفظية لا المعنوية ، ولهذا تركوه عند قوة المعنى

بتركه ؛ ولذلك مثالان :

أحدهما قوله : ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾^(٨) ، فذكر الرازي

في تفسيره^(٩) أن الكاتب الملقب بالرشيدى ، قال : لو قيل : « أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَدْعُونَ

أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ » [أو هم أنه أحسن ، لأنه كان]^(١٠) تحصل به رعاية معنى التجنيس

أيضاً ؛ مع كونه موازناً لـ « تَذَرُونَ » .

وأجاب الرازي : بأن فصاحة القرآن ليست لأجل رعاية هذه التكاليفات ، بل لأجل

قوة المعاني وجزالة الألفاظ .

وقال بعضهم : مراعاة المعاني أولى من مراعاة الألفاظ ، فلو كان « أَتَدْعُونَ »

(٢) سورة الشعراء ١٦٨

(٤) سورة يوسف ٨٤

(٦) سورة الأنعام ٧٩

(٨) سورة الصافات ١٢٥

(١٠) من تفسير الفخر الرازي .

(١) سورة فصلت ٥١

(٣) سورة الرحمن ٥٤

(٥) سورة النور ٣٧

(٧) سورة التوبة ٣٨

(٩) تفسير الفخر الرازي ٧ : ١٠٩

« وتَدْعُونَ » كما قال هذا القائل لوقع الإلباس على القارئ فيجعلهما بمعنى واحد تصحيفا منه،
وحيث أن فينخرم اللفظ، إذا قرأ و « تَدْعُونَ » الثانية بسكون الدال؛ لاسيما وخط المصحف
الإمام لا ضبط [فيه] ولا نقط .

قال : ومما صحف من القرآن بسبب ذلك وليس بقراءة قوله تعالى : ﴿ قَالَ عَذَابِي
أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ﴾^(١) بالسين المهملة .

وقوله : ﴿ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا أَيَّاهُ ﴾^(٢) بالباء الموحدة .

وقوله : « لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾^(٣) بالعين المهملة .

وقرأ ابن عباس « مَنْ فِرْعَوْنَ » على الاستفهام .

قلت : وأجاب الجويني عن هذا بما يمكن أن يتخلص منه : أن « يذر » أخص من
« يدع » وذلك لأن الأول ، بمعنى ترك الشيء اعتناء ، بشهادة الاشتقاق ، نحو الإيداع ،
فإنه عبارة عن ترك الودعة مع الاعتناء بحالها ، ولهذا يُختار لها مَنْ هو مؤتمن عليها ؛ ومن ذلك
الدُّعة بمعنى الراحة . وأما « تذر » فمعناها الترك مطلقا ، والترك مع الإعراض^(٤) والرفض
الكلّي ؛ ولا شك أن السياق إنما يناسب هذا دون الأول ؛ فأريد هنا تبشيع حالهم
في الإعراض عن ربهم ، وأنهم بلغوا الغاية في الإعراض .

قلت : ويؤيده قول الراغب^(٥) : يقال : فلا يذر الشيء أي يقذفه لقلّة الاعتداد به^(٦) .
وَالْوَزْرَةُ قِطْعَةٌ مِنَ اللَّحْمِ [وتسميتها بذلك]^(٧) لقلّة الاعتداد به ؛ نحو قولهم [فيم لا يعتدّ به]^(٧) : هو
لحم على وضم ، قال تعالى : ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذْرًا مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾^(٨) . وقال تعالى :
﴿ وَيَذَرِكْ وَآلِهَتِكَ ﴾^(٩) . ﴿ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾^(١٠) ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾^(١١)

(٢) سورة التوبة ١١٤

(٤) ت : « الاعتراض » .

(٥) في المفردات ٥٣٩ مع تصرف في العبارة ؛ وتقديم وتأخير .

(٧) من المفردات .

(٩) سورة الأعراف ١٢٧

(١١) سورة البقرة ٢٧٨

(١) سورة الأعراف ١٥٦

(٣) سورة عبس ٣٧

(٦) المفردات : « لقلّة اعتداده به » .

(٨) سورة الأعراف ٧٠

(١٠) سورة الأنعام ١١٢

وإنما قال: ﴿ يَذَرُونَ ﴾ ولم يقل « يتركون » و « يُخَلَّفُونَ » لذلك . انتهى .
وعن الشيخ كمال الدين بن الزملاكانى أنه أجاب عن هذا السؤال بأن التجنيس تحسين،
وإنما يستعمل في مقام الوعد والإحسان ؛ وهذا مقام تهويل ، والقصد فيه المعنى ، فلم يكن
لمراعاة اللفظة فائدة .

وفيه نظر ، فإنه ورد في قوله : ﴿ وَبِیَوْمٍ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴾ (١) .
المثال الثانى : قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ (٢) قال :
معناه : وما أنت مصدق لنا ، فيقال : ما الحكمة فى العدول عن الجناس ، وهلا قيل :
« وما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين » ، فإنه يؤدي معنى الأول مع زيادة رعاية
التجنيس اللفظى ؟

والجواب أن فى « مُؤْمِنٍ لَنَا » من المعنى ما ليس فى « مصدق » ، وذلك أنك إذا قلت :
« مصدق لى » فمعناه . قال لى : صدقت ، وأما « مؤمن » فمعناه مع التصديق إعطاء الأمن ،
ومقصودهم التصديق وزيادة ، وهو طلب الأمن ؛ فهذا عدل إليه .
فتأمل هذه اللطائف الغريبة ، والأسرار العجيبة فإنه نوع من الإعجاز !

فائدة

قال الخفاجى : إذا دخل التجنيس نفيّ عدّ طباقا ، كقوله : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي
الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) ، لأن « الذين لا يعلمون » هم الجاهلون ، قال :
وفى هذا يختلط التجنيس بالطباق .

(٢) سورة يوسف ١٧

(١) سورة الجاثية ٢٧

(٣) سورة الزمر ٩

الطَّبَاق

هو أن يُجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل ، كالبياض ، والسواد، والليل والنهار؛ وهو قسمان : لفظي ومعنوي؛ كقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾^(١)، طابق بين الضحك والبكاء ، والقليل والكثير .

ومثله : ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾^(٢) .

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ . وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾^(٣) .

﴿وَتَحَبَّوهُمُ أَبْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾^(٤) .

﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ

بِالنَّهَارِ﴾^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿تُوْتِي الْمَلِكَ مَن نَّشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن نَّشَاءُ . . .﴾^(٦) الآية.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ . وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ . وَلَا الظُّلُّ وَلَا الخُرُورُ .

وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾^(٧) .

ثم إذا شرط فيهما شرط وجب أن يشترط في ضديهما ضِدُّ ذلك الشرط ، كقوله

تعالى : ﴿فَأَمَّا مَن أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ . . .﴾^(٨) الآية ، لما جعل التيسير

(٢) سورة الحديد ٢٣

(٤) سورة الكهف ١٨

(٦) سورة آل عمران ٢٦

(٨) سورة الليل ٦، ٥

(١) سورة التوبة ٨٢

(٣) سورة النجم ٤٣ ، ٤٤

(٥) سورة الرعد ١٠

(٧) سورة فاطر ١٩ - ٢٢

مشتركا بين الإعطاء والتقى والتصديق ، وجعل ضده وهو التعمير مشتركا بين أضداد تلك الأمور ، وهي المنع والاستغناء والتكذيب .

ومنه : ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قَطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾^(١) ، قابل بين العلو والدنو .

وقوله : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ . وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ

فَضْلِهِ ﴾^(٣) ، فذكر الليل والنهار وهما ضدان ، ثم قابلهما بضدين وهما الحركة والسكون ،

على الترتيب ، ثم عبر عن الحركة بلفظ « الإرداف » فاستلزم الكلام ضربا من المحاسن

زائدا على المبالغة ، وعدل عن لفظ الحركة إلى لفظ « ابتغاء الفضل » لكون الحركة

تكون للمصلحة دون المفسدة ؛ وهي تسير إلى الإعانة بالقوة وحسن الاختيار الدال

على رجاحة العقل ، وسلامة الحس ، وإضافة الظرف إلى تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه ،

ليتهدى المتحرك إلى بلوغ المأرب .

ومن الطباق المعنوي قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ . قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ

لَمُرْسَلُونَ ﴾^(٤) ، معناه : ربنا يعلم إنا لصادقون .

وقوله : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾^(٥) ، قال أبو علي

في « الحجة » : لما كان البناء رفعا للمبنى قوبل بالفرش الذي هو على خلاف البناء ،

ومن ثم وقع البناء على ما فيه ارتفاع في نصيبه إن لم يكن مدرا .

(٢) سورة الفاشية ١٣ ، ١٤

(٤) سورة يس ١٥ ، ١٦

(١) سورة الحاقة ٢٢ و ٢٣

(٣) سورة القصص ٧٣

(٥) سورة البقرة ٢٢

ومنه نوع يسمى الطباق الخفي ؛ كقوله تعالى : ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَاراً ﴾^(١) ، لأن الفرق من صفات الماء ، فكأنه جمع بين الماء في النار والنار ، قال ابن منقذ^(٢) : وهي أخفى مطابقة في القرآن .

قلت : ومنه قوله تعالى : ﴿ مِنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً ﴾^(٣) ؛ فكأنه جمع بين الأخضر والأحمر ، وهذا أيضاً فيه تدييج بديعي .

ومنه : ﴿ وَالَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾^(٤) ، لأن معنى القصاص القتل ، فصار القتل سبب الحياة .

قال ابن المعتز^(٥) ؛ وهذا من أملح الطباق وأخفاه .

وقوله تعالى في الزخرف : ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوِداً ﴾^(٦) ؛ لأن « ظل » لا تستعمل إلا نهاراً ، فإذا لمع مع ذكر السواد كأنه طباق يذكّر البياض مع السواد .
وقوله : ﴿ وَيَا قَوْمِ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾^(٧) .

(٢) هو الأمير أسامة بن منقذ ؛ أحد أبطال

الإسلام وأدبائهم وشعرائهم ؛ وصاحب كتاب لباب الآداب ، والبديع في نقد الشعر . توفى سنة ٥٨٤ .

(٤) سورة البقرة ١٧٩

(٥) هو عبد الله بن المعتز الخليفة العباسي ، وصاحب كتاب البديع ؛ توفى سنة ٢٩٦

(٧) سورة غافر ٤١

(١) سورة نوح ٢٥

(٣) سورة يس ٨٠

(٦) سورة النحل ٥٨

المقابلة

[مباحث المقابلة]

وفيهما مباحث :

الأول : في حقيقتها

وهي إذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته ، ويخالفه في بعضها ، وهي من باب « المفاعلة » ، كالمقابلة والمضاربة ، وهي قريبة من الطباق ؛ والفرق بينهما من وجهين :
الأول : أن الطباق لا يكون إلا بين الضدين غالبا ، والمقابلة تكون لأكثر من ذلك غالبا .

والثاني : لا يكون الطباق إلا بالأضداد ، والمقابلة بالأضداد وغيرها ؛ ولهذا جعل ابن الأثير الطباق أحد أنواع المقابلة .

الثاني : في أنواعها

وهي ثلاثة : نظري ، ونقيضي ، وخلافي . والخلافي أتمها في التشكيك ، وألزمها بالتأويل ، والنقيضي ثانيها ، والنظري ثالثها .
وذكر الشيخ أبو الفضل يوسف بن محمد النحوي القلعي : أن القرآن كله وارد عليها بظهور نكته الحكيمية العلمية ، من الكائنات والزمانيات والوسائط الروحانيات والأوائل الإلهيات ؛ حيث اتحدت من حيث تعددت ، واتصلت من حيث انفصلت ؛ وأنها قد ترد على شكل المربع تارة ، وشكل المسدس أخرى ، وعلى شكل

المثلث ، إلى غير ذلك من التشكيلات العجيبة ، والترتيبات البديعة ، ثم أورد أمثلة من ذلك .

مثال مقابلة النظيرين ، مقابلة السنّة والنوم في قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^(١) ؛ لأنهما جميعاً من باب الرقاد المقابل باليقظة .

وقوله : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾^(٢) ، وهذه هي مقابلة النقيضين أيضاً ، ثم السنّة والنوم بانفرادهما متقابلان في باب النظيرين ومجموعهما يقابلان النقيض الذي هو اليقظة . ومثال مقابلة الخلافين ، مقابلة الشرّ بالرشد في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾^(٣) ، فقابل الشرّ بالرشد؛ وهما خلافيان ، وضد الرشد الفى ، وضد الشر الخير ، والخير الذي يخرج لفظ الشر ضمناً نظير الرشد قطعاً ، وألغى الذي يخرج لفظ الرشد ضمناً نظير الشر قطعاً حصل من هذا الشكل أربعة ألفاظ : نطقان وضمنان ؛ فكان بهما رباعيان .

وهذا الشكل الرباعي يقع في تفسيره على وجوه ، فقد يرد وبعضه مفسّر ، مثل ما ذكرناه ، وقد يرد وكله مفسّر ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى . وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾^(٤) فقابل « صدق » بـ « كذب » « وصلى » الذي هو أقبل بـ « تولى » . قوله : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا . إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾^(٥) ، اللغو في الحثية المنكرة والتأيم في الحثية الناكرة ، واللغو منشأ المنكر ومبدأ درجاته ، والتأيم منشأ التّكبر ومبدأ درجاته ، فلا نكير إلا بعد منكر ، ولا اعتقاد إنكار إلا بعد اعتقاد تأيم ، ومنشأ اللغو في أول طرف المكروهات وآخره في طرف المحظورات ومبدأ التأيم . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾^(٦) فقابل الإفساد بالتسبيح والحمد ، وسفك الدماء بالتقديس ،

(٢) سورة الكهف ١٨

(١) سورة القيامة ٣١ ، ٣٢

(٦) سورة البقرة ٣٠

(١) سورة البقرة ٢٥٥

(٣) سورة الجن ١٠

(٥) سورة الواقعة ٢٥ ، ٢٦

فالتسبيح بالحمد إذن ينفي الفساد، والتقديس ينفي سفك الدماء، والتسبيح شريعة للإصلاح، والتقديس شريعة حقن الدماء، وشريعة التقديس أشرف من شريعة التسبيح؛ فإن التسبيح بالحمد للإصلاح لا للفساد، وسفك الدماء للتسبيح لا للتقديس؛ وهذا شكل مربع، من أرضى وهو الإفساد وسفك الدماء، وسمائي وهو التسبيح والتقديس، والأرضى ذو فصلين، والسمائي ذو فصلين، ووقع النفس من الطرفين المتوسطين؛ فالطرفان الإفساد في الطرف الأول، والتقديس في الطرف الآخر، والوسطان آخر الأرض، وأول السماء، فالأول متشرف على الآتى والآخر مفلت إلى الماضى :

وَكَمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مُوجَزٍ يَدُورُ عَلَى الْمَعْنَى وَعَنْهُ يُنَاصِعُ^(١)
لَقَدْ جَمَعَ الْإِسْمُ الْمَحَامِدَ كُلَّهَا مَقَاسِمَهَا مَجْمُوعَةٌ وَالْمَشَابِيعُ
وهذا القدر الذى ذكره هذا الخبر مرمى عظيم، يوصل إلى أمور غير متجاسر عليها،
كما فى آية الكرمى وغيرها .

وقسم بعضهم المقابلة إلى أربع :
أحدها : أن يأتى بكل واحد من المقدمات مع قرينة من الثوانى ، كقوله تعالى :
﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾^(٢) .
والثانية : أن يأتى بجميع الثوانى مرتبة من أولها ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ
جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾^(٣) .
وكذلك : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٤) .

(٢) سورة النبأ ، ١٠ ، ١١

(٤) سورة البقرة ٢١٧

(١) يناصع : يدافع .

(٣) سورة القصص ٧٣

الثالث : أن يأتي بجميع المقدمات ثم بجميع الثواني مرتبة من آخرها، ويسمى رد العجز على الصدر، كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(١) .

الرابع : أن يأتي بجميع المقدمات ثم بجميع الثواني مختلطة غير مرتبة، ويسمى الالف، كقوله تعالى : ﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾^(٢) فنسبة قوله : ﴿ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ﴾^(٢) إلى قوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾، كنسبة قوله : ﴿ يَقُولَ الرَّسُولُ ﴾ إلى : ﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾، لأن القولين المتباينين يصدران عن متباينين .

وكما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٣) فنسبة قوله : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾^(٣) إلى قوله : ﴿ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٣) كنسبة قوله : ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ ﴾^(٣) إلى قوله : ﴿ فَتَطْرُدَهُمْ ﴾^(٣) فجمع المقدمتين التاليتين بالالتفات .

وجعل بعضهم من أقسام التقابل مقابلة الشيء بمثله وهو ضربان :

مقابل فى اللفظ دون المعنى، كقوله تعالى : ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾^(٤) .

(٢) سورة البقرة ٢١٤

(١) سورة آل عمران ١٠٦ ، ١٠٧

(٤) سورة النمل ٥٠

(٣) سورة الأنعام ٥٢

ومقابل في المعنى دون اللفظ، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ﴾^(١)؛ فإنه لو كان التقابل هنا من جهة اللفظ، لكان التقدير: « وإن اهتديت ، فإنما اهتديت لها » .

وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى، أن النفس كل ما هو عليها لها، فهو أعنى أن كل ما هو وبال عليها و صار لها فهو بسببها ومنها؛ لأنها أمانة بالسوء، وكل ما هو مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه إياها، وهذا حكم لكل مكلف، وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسند إلى نفسه، لأنه إذا دخل تحتها مع علو محلها كان غيره أولى به .
ومن هذا الضرب قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾^(٢)، فإنه لم يدع التقابل في قوله: ﴿ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾، لأن القياس يقتضى أن يكون « والنهار لتبصروا فيه »، وإنما هو مراعى من جهة المعنى لا من جهة اللفظ، لأن معنى « مبصراً » تبصرون فيه طرق القلب في الحاجات .

واعلم أن في تقابل المعاني باباً عظيماً يحتاج إلى فضل تأمل، وهو يتصل غالباً بالفواصل، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾^(٣) إلى قوله ﴿ لَا يَشْعُرُونَ ﴾^(٤) .
وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ﴾^(٥) إلى قوله: ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٦) .
فانظر فاصلة الثانية ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ والتي قبلها ﴿ يَشْعُرُونَ ﴾ لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين : مجتمعون وهم مطيعون يحتاج إلى نظر واستدلال ، حتى يكسب الناظر

(٢) سورة النمل ٨٦

(٤) سورة البقرة ١٣

(١) سورة سبأ ٥٠

(٣) سورة البقرة ١١ ، ١٢

المعرفة والعلم ؛ وإنما النفاق - وما فيه من الفتنة والفساد - أمر دنيوي مبنى على العادات معلوم عند الناس ، فلذلك قال فيه ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ .
 وأيضاً فإنه لما ذكر السفه^(١) في الآية الأخرى - وهو جهل - كان ذكر العلم طباقاً وعلى هذا تبحر فواصل القرآن ، وقد سبق في بابه .

ومن المقابلة قوله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴾^(٢) ، فتقدم اقتران الوعد بالفقر والأمر بالفحشاء ، ثم قوبل بشئ واحد وهو الوعد ، فأوهم الإخلال بالثاني ، وليس كذلك ؛ وإنما لما كان الفضل مقابلاً للفقر ، والمغفرة مقابلة للأمر بالفحشاء ؛ لأن الفحشاء توجب العقوبة ، والمغفرة تقابل العقوبة ، استغنى بذكر المقابل عن ذكر مقابله ، لأن ذكر أحدهما ملزوم ذكر الآخر .

(١) من قوله في الآية : ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ .

(٢) سورة البقرة ٢٦٨

تقسيم

من مقابلة اثنين باثنين : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾^(١) .
 ومن مقابلة أربعة بأربعة : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ﴾^(٢) الآية .
 ومن مقابلة خمس بخمس قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً
 فَمَا فَوْقَهَا ﴾^(٣) ، للدلالة على الحقير والكبير ؛ وهو من الطباق الخفي ، الثاني : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ
 آمَنُوا ﴾ و ﴿ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، الثالث : ﴿ يَضِلُّ ﴾ و ﴿ يَهْدِي ﴾ به ، والرابع : ﴿ يَنْقُضُونَ
 عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ ، الخامس : ﴿ يَقْطَعُونَ ﴾ و ﴿ أَنْ يُوْصَلَ ﴾ .

ومن مقابلة ست بست : قوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ
 وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْأَحْرَثِ ذَلِكَ
 مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾^(٤) ، ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ أُوْنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ
 لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ

(٢) سورة الليل ٥ - ١٠ ، والآيات بتكلمتها :

(١) سورة التوبة ٨٢

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ
 وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ .

(٣) سورة البقرة ٢٦ ، وبعدها : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ،

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ، يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ
 كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ
 مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَالِسِرُونَ ﴾ .

(٤) سورة آل عمران ١٤

وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ﴿١﴾ ، قَابِلَ الْجَنَاتِ وَالْأَنْهَارِ وَالْخُلْدِ وَالْأَزْوَاجِ وَالتَّطْهِيرِ وَالرِّضْوَانِ
بِإِزَاءِ النِّسَاءِ فِي الدُّنْيَا ، وَخَتَمَ بِالْحَرْثِ ، وَهِيَ طَرْفَانِ مِثْسَاهَانِ ، وَفِيهِمَا الشَّهْوَةُ وَالْمَعَاشُ
الدُّنْيَاوِيَّ ، وَأَخْرَجَ ذَكَرَ الْأَزْوَاجِ كَمَا يَجِبُ فِي التَّرْتِيبِ الْأُخْرَوِيِّ ، وَخَتَمَ بِالرِّضْوَانِ .

فائدة

قد يجيء نظم الكلام على غير صورة المقابلة في الظاهر ؛ وإذا توهمل كان من أكل
المقابلات ؛ ولذلك أمثلة :

منها قوله تعالى : ﴿ إِنْ لَكَ أَنْ لَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى . وَأَنْتَ لَا تَنظُمُ فِيهَا
وَلَا تَضْحَى ﴾ (٢) فقابل الجوع بالعُرَى ؛ والنظما بالضحى (٣) ؛ والواقف مع الظاهر رُئُومًا
يُحْمِلُ أَنْ الْجُوعَ يُقَابِلُ بِالظَّمَا ، وَالْعُرَى بِالضَّحَى .

والمدقق يرى هذا الكلام في أعلى مراتب الفصاحة ؛ لأن الجوع ألم الباطن والضحى
موجب لحرارة الظاهر ، فاقتضت الآية جميع نفي الآفات ظاهرا وباطنا ؛ وقابل الخلو بالخلو ،
والاحترق بالاحترق . وهما هنا موضع الحكاية المشهورة بين المتنبي وسيف الدولة ؛
لما أنشده :

وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفٍ كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ

(١) سورة آل عمران ١٤ ، ١٥

(٢) سورة طه ١١٨ ، ١١٩

(٣) في اللسان عن الليث : « ضحى الرجل يضحى ضحا ، إذا أصابه حر الشمس » .

(٤) ديوانه ٣ : ٣٨٦ ، وبعده :

تَمَرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلَمَى هَرِيمَةً وَوَجْهَكَ وَضَاحٌ وَتَغْرُكَ بِأَسْمٍ

ونزل العكبري عن الواحدى : لما أنشد المتنبي هذا البيت والذي بعده ، أنكر عليه سيف الدولة تطبيق
عجزى البيتين على صدريهما ، وقال له : ينبغي أن تطبق عجز الأول على الثانى ، وعجز الثانى على الأول ؛
ثم قال له : وأنت في هذا مثل امرئ القيس في قوله :

كَأَنِّي لَمْ أَزْكَبْ جَوَادًا لِلذِّبِّ وَلَمْ أَنْبَطْنُ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالٍ
وَلَمْ أُسَبِّ أَرْقَ الرَّوِيِّ وَلَمْ أَقْلُ لِخَيْلِي كُرَى كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ =

(٢٠ - برهان - ثالث)

ومنها قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ﴾ (١) ؛
فإنه يتبادر فيه سؤال ؛ وهو أنه لم لا قيل : « مثل الفريقين كالأعمى والبصير ، والأصم
والسميع » ، لتكون المقابلة في لفظ « الأعمى » وضده بالبصير ، وفي لفظ « الأصم »
وضده السميع .

والجواب أنه يقال : لما ذكر انسداد العين أتبعه بانسداد السمع ، وبضد ذلك لما
ذكر انفتاح البصر أعقبه بانفتاح السمع ؛ فما تضمنته الآية الكريمة هو الأنسب في المقابلة
والأتم في الإعجاز .

قال : ووجه الكلام في البيتين على ما قاله أهل العلم بالشعر ، أن يكون مجز الأول على الثاني ، والثاني على
الأول ؛ ليستقيم الكلام ، فيكون ركوب الخيل مع الأمر للخيل بالسكر ، وسبب الخمر مع تبطن الكعب .
فقال له أبو الطيب : أدام الله عز مولانا ! إن صح أن الذي استمرك هذا على امرى القيس أعلم منه بالشعر
فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعرف أن البراز لا يعرف الثوب معرفة الحائك ؛ لأن البراز
يعرف جلته وتفصيله ؛ لأنه أخرج من الغزلية إلى الثوبية ؛ وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب
للصيد ، وقرن السباحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء ؛ وأنا لما ذكرت الموت في أول
البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه . ولما كان وجه المهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعينه من أن
تكون إباكية ، قلت : « وجهك وضاح » ، لأجمع بين الأضداد في المعنى . فأعجب سيف الدولة ووصله
بخمسة دینار .

رد العجز على الصدر وعكسه

﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾^(١) .
 ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾^(٢) .

العكس

وهو أن يقدم في الكلام جزء ثم يؤخر ، كقوله تعالى : ﴿ لَأَهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾^(٣) وقدره الزمخشري^(٤) ، أى لا حلّ بين المؤمن والمشرک ، والآية صرّحت بنفي الحلّ من الجهتين ، فقد يستدلّ بهامن قال : إن الكفار مخاطبون بالفروع .
 ومثله قوله تعالى : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾^(٥) أى ذبائحكم ، وهذه رخصة للمسلمين .

(٢) سورة المائدة ٩٦
 (٤) الكشاف : ٤١٣

(١) سورة الأنبياء ٣٧
 (٣) سورة المتحنف ١٠
 (٥) سورة المائدة ٥

إجمام الخصم بالحجة

وهو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية ، تقطع المعاند له فيه . والعجب من ابن المعتز في بديعه ، حيث أنكر وجود هذا النوع في القرآن ، وهو من أساليبه .
ومنه قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾^(١) ثم قال النحاة :
إن الثاني امتنع لأجل امتناع الأول ، وخالفهم ابن الحاجب وقال : المتنع الأول لأجل الثاني ؛ فالتعدد منتف لأجل امتناع الفساد .

وقوله : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾^(٣)

وقوله حكاية عن الخليل : ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ﴾^(٤) إلى قوله : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا

آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾^(٦) ؛ المعنى أن

الأهون أدخل في الإمكان من غيره ؛ وقد أمكن هو ، فالإعادة أدخل في الإمكان من

بدء الخلق .

وقوله تعالى : ﴿ مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ

بِمَا خَلَقَ . . . ﴾^(٥) الآية ، وهذه حجة عقلية ، تقديرها أنه لو كان خالقان لاستبدت

كل منهما بخلقها ، فكان الذي يقدر عليه أحدهما لا يقدر عليه الآخر ، ويؤدي إلى تناهي

(٢) سورة يس ٧٩ ، ٨١

(٤) سورة الروم ٢٤

(١) سورة الأنبياء ٢٢

(٣) سورة الأنعام ٣٠ ، ٨٣

(٥) سورة المؤمنون ٩١

مقدوراهما^(١) ؛ وذلك يبطل الإلهية ، فوجب أن يكون الإله واحدا ثم زاد في الحجاج فقال : ﴿ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾^(٢) ، أى ولغلب بعضهم بعضا في المراد ، ولو أراد أحدهما إحياء جسم والآخر إمامته لم يصح^(٣) ارتفاع مرادها ؛ لأن رفع النقيضين محال ، ولا وقوعهما للتضاد ، فنفي وقوع أحدهما دون الآخر ؛ وهو المغلوب وهذه تسمى دلالة التمانع ، وهى كثيرة فى القرآن ، كقوله تعالى : ﴿ إِذْ نُنَّا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾^(٤) .

وقوله : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا يُمْنُونَ . أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾^(٦) فبين أنا لم نخلق المنى لتعذره علينا ، فوجب أن يكون الخالق غيرنا .

ومنه نوع منطقي وهو استنتاج النتيجة من مقدمتين ، وذلك من أول سورة الحج إلى قوله : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾^(٧) ، فنطق على خمس نتائج من عشر مقدمات ؛ فالمقدمات من أول السورة : ﴿ وَأُنْبِتَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾^(٨) ، والنتائج من قوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾^(٩) إلى قوله : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾^(٧) .

وتفصيل ترتيب المقدمات والنتائج أن يقول : أخبر الله أن زلزلة الساعة شىء عظيم ، وخبره هو الحق ، ومن أخبر عن الغيب بالحق فهو حق بأنه هو الحق ، وأنه يأتى بالساعة

(٢) سورة المؤمنون ٩١
(٤) سورة الإسراء ٤٢
(٦) - سورة الرافعة ٥٨ ، ٥٩
(٨) سورة الحج ٥

(١) ت : « مقدوريهما » .
(٣) ت : « رفع » .
(٥) سورة الأنفال ٢٣
(٧) سورة الحج ٧
(٩) سورة الحج ٦

على تلك الصفات ولا يُعلم صدقُ الخبر إلا بإحياء الموتى ، ليدركوا ذلك ، ومن يأتي بالساعة يحيي الموتى ؛ فهو يحيي الموتى . وأخبر أنه يجعل الناس من هول الساعة سُكارى لشدة العذاب ، ولا يقدر على عموم الناس لشدة العذاب إلا من هو على كل شيء قدير ؛ فإنه على كل شيء قدير . وأخبر أن الساعة يُجازى فيها من يجادل في الله بغير علم ، ولا بد من مجازاته ، ولا يجازى حتى تكون الساعة آتية ، ولاتأتي الساعة حتى يبعث من في القبور ، فهو يبعث من في القبور . والله ينزل الماء على الأرض الهامدة فتنبت من كل زوج بهيج ، والقادر على إحياء الأرض بعد موتها يبعث من القبور .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾^(١) مقدمتان ونتيجة ، لأن اتباع الهوى يوجب الضلال ، والضلال يوجب سوء العذاب ؛ فانتج أن اتباع الهوى يوجب سوء العذاب . وقوله : ﴿ فَلَمَّا أَفْلَحَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾^(٢) ، أى القمر أفل ، وربى فليس بأفل ، فالقمر ليس بربى ، أثبتته بقياس اقترانى جلى من الشكل الثانى ، واحتج بالتعبير على الحدوث ، والحدوث على المحدث .

التقسيم

وليس المراد به القسمة العقلية التي يتكلم عليها المتكلم ؛ لأنها قد تقتضى أشياء مستحيلة كقولهم : الجواهر لا تخلو إما أن تكون مجتمعة أو متفرقة، أو لا متفرقة ولا مجتمعة، أو مجتمعة ومفترقة معا ، أو بعضها مجتمع وبعضها مفترق ، فإن هذه القسمة صحيحة عقلا، لكن بعضها يستحيل وجوده، وهو استيفاء المتكلم أقسام الشيء ؛ بحيث لا يغادر شيئا وهو آله الحصر ومظنة الإحاطة بالشيء ، كقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُذِنُ اللَّهُ ﴾ (١) فإنه لا يخلو العالم جميعاً من هذه الأقسام الثلاثة ؛ إما ظالم نفسه، وإما سابق مبادر إلى الخيرات ، وإما مقتصد فيها ، وهذا من أوضح التقسيمات وأكملها. ومثله قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً . فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ . وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ (٢) ، وهذه الآية مماثلة في المعنى للتي قبلها ، وأصحاب المشأمة هم الظالمون لأنفسهم ، وأصحاب الميمنة هم المقتصدون ، والسابقون هم السابقون بالخيرات .

كذلك قوله تعالى : ﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾ (٣) الآية ، فاستوفى أقسام الزمان ولا رابع لها .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ﴾ (٤) إلى قوله : ﴿ مَا يَشَاءُ ﴾ (٤) ، وهو في القرآن كثير ، وخصوصاً في سورة براءة . ومنه قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ (٥) ، وليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع في الأمطار ، ولا ثالث لها .

(١) سورة فاطر ٣٢

(٢) سورة الواقعة ٧ - ١٠

(٣) سورة مريم ٦٤ ، وبعدها : ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ .

(٤) سورة الرعد ١٢

(٥) سورة النور ٤٥

وقوله : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾^(١) ، فاستوفت أقسام الأوقات ، من طرفي كل يوم
ووسطه مع المطابقة والمقابلة .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾^(٢) ، فلم يترك سبحانه
قسما من أقسام الهيئات .

ومثله آية يونس : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ﴾^(٣) .
لكن وقع بين ترتيب الآيتين مغايرة أوجبها المبالغة ، وذلك أن المراد بالذِّكْر
في الأولى الصلاة فيجب فيها تقديم الاضطجاع ، وإذا زال بعض الضرّ قعد المضطجع ،
وإذا زال كل الضرّ قام القاعد ، فدعا لتمام الصحة ، وتكمل القوة .

فإن قلت : هذا التأويل لا يتم إلا إذا كانت الواو عاطفة ، فإنها تحصل في الكلام
حسن انساق ، واثتلاف الألفاظ مع المعاني ، وقد عدل عنها إلى « أو » التي سقط
معها ذلك .

قلت : يأتي التضرع على أقسام ، فإن منه ما يتضرع المضرور عند وروده ، ومنه
ما يقعه ، ومنه ما يأتي وصاحبه قائم لا يبلغ به شيئا ، والدعاء عنده أولى من التضرع ،
فإن الصبر والجزع عند الصدمة الأولى ، فوجب العدول عن الواو ، لتوخي الصدق في الخبر ،
والكلام بالاثتلاف ، ويحصل النسق ، والخبر بذلك التأويل الأول عن شخص واحد ،
وبالثاني عن أشخاص فغلب الكثرة ، فوجب الإتيان بـ « أو » وابتدى بالشخص الذي
تضرع لأن خبره أشدّ فهو أشدّ تضرعا ، فوجب تقديم ذكره ، ثم القاعد ؛ ثم القائم ،
فحصل حسن الترتيب واثتلاف الألفاظ ومعانيها .

(٢) سورة آل عمران ١٩١

(١) سورة الروم ١٧ ، ١٨

(٣) سورة يونس ١٢

وقوله : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ أَوْ يَزُوجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾^(١) ، قسم سبحانه حال الزوجين إلى أربعة أقسام اشتمل عليها الوجود ، لأنه سبحانه إما أن يُفرد العبد بهبة الإناث ، أو بهبة الذكور ، أو يجمعهما له ، أو لا يهب شيئاً . وقد جاءت الأقسام في هذه الآية لينتقل منها إلى أعلى منها ، وهي هبة الذكور فيه ، ثم انتقل إلى أعلى منها وهي وهبتها جميعاً ، وجاءت^(٢) كل أقسام العطية بلفظ الهبة ، وأفرد معنى الحرمان بالتأخير ، وقال فيه ﴿ يجعل ﴾ فعدّل عن لفظ الهبة للتفاير بين المعاني ، كقوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُمُونَ . أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ . لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾^(٣) ، فذكر امتداد إنمائه بلفظ الزرع ، ومعنى الحرمان بلفظ الحمل .

وقيل : إنما بدأ سبحانه بالإناث لوجوه غير ما سبق .

أحدها : جبراً لهنّ ، لأجل استئصال الأبوين لمكاتبهنّ .

الثاني : أن سياق الكلام أنه فاعل لما يشاء ، لا ما يشاء الأبوان ، فإن الأبوين لا يريدان إلا الذكور غالباً وهو سبحانه قد أخبر أنه يخاق ما يشاء ؛ فبدأ بذكر الصنف الذي يشاؤه ولا يريدُه الأبوان غالباً .

الثالث : أنه قدم ذكر ما كانت تؤخره الجاهلية من أمر البنات حتى كانوا يثدوهنّ ؛ أي هذا النوع الحقير عندهم مقدّم عنده في الذكر .

الرابع : قدّمهنّ لضعفهنّ ، وعند العجز والضعف تكون العناية أتم .

وقيل : لينقله من الغمّ إلى الفرج .

وتأمل كيف عرف سبحانه الذكور بعد تنكيره ، فجبر نقص الأنوثة بالتقديم ، وجبر

نقص المتأخر بالتعريف ، فإنّ التعريف تنويه .

(٢) ت : « وجاء فيه كل أقسام العطية » .

(١) سورة الشورى ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) سورة الواقعة ٦٣ - ٦٥ .

وهذا أحسن مما ذكره الواحدى أنه عرف الذكور لأجل الفاصلة .
ولما ذكر الصنفين معا قدم الذكور ، فأعطى لكل من الجنسين حقه من التقديم
والتأخير . والله أعلم بما أراد .
بقى سؤال آخر ؛ وهو أنه عطف الثانى والرابع بالواو ، والثالث بـ « أو » ولعله ،
لأن هبة كل من الإناث والذكور قد لا يقترن بها ، فكأنه وهب لهذا الصنف وحده
أو مع غيره فلذلك تعينت « أو » . فتأمل لطائف القرآن وبدائعه !
ومن هذ التقسيم أخذ بعض العلماء أن الخنثى لا وجود له ؛ لأنه ليس واحدا من
الذكورين ، ولا حجة فيه ، لأنه مقام امتنان ؛ والمنة بغير الخنثى أحسن وأعظم . أو لأنه
باعتبار ما فى نفس الأمر ؛ والخنثى لا يخرج عن أحدهما .

التعديد

هي إيقاع الألفاظ المبددة على سياق واحد؛ وأكثر ما يؤخذ في الصفات؛ ومقتضاها ألا يعطف بعضها على بعض لاتحاد محلها، ويجريها مجرى الوصف في الصدق على ما صدق؛ ولذلك يقلّ عطف بعض صفات الله على بعض في التنزيل، وذلك كقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(١).

وقوله: ﴿الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾^(٢).

وقوله: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ﴾^(٣).

وإنما عطف قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^(٤)؛ لأنها أسماء متضادة المعاني في موضوعها، فوقع الوهم بالعطف عن استبعاد ذلك في ذات واحدة؛ لأن الشيء الواحد لا يكون ظاهراً باطناً وجه، وكان العطف فيه أحسن. ولذلك عطف «الناهون» على «الأمرون»، «وأبكاراً» على «ثيبات» من قوله: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾^(٥).

وقوله: ﴿أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾^(٦)، فجاء العطف لأنه لا يمكن اجتماعهما في محل واحد بخلاف ما قبله.

وقوله: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾^(٧)، إنما عطف

(٢) سورة الحشر ٢٥

(٤) سورة الحديد ٣

(٦) سورة التخریم ٥

(١) سورة البقرة ٢٥٥

(٣) سورة الحشر ٢٣

(٥) سورة التوبة ١١٢

(٧) سورة غافر ٣

فيه بعضا ولم يعطف بعضا ، لأن « غافرا » و « قابلا » يشعران بحدوث المغفرة والقبول ، وهما من صفات الأفعال وفعله في غيره لا في نفسه ، فدخل العطف للمغايرة لتنزلها منزلة الجملتين ، تنبيها على أنه سبحانه يفعل هذا ويقبل هذا . وأما شديد العقاب فصفة مشبهة ، وهي تشعر بالدوام والاستمرار ؛ فتدل على القوة ، ويشبه ذلك صفات الذات .

وقوله : ﴿ ذِي الطَّوْلِ ﴾^(١) ، المراد به ذاته ، فترك العطف لاتحاد المعنى .

وقد جاء قليلا في غير الصفات ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ . . . ﴾^(٢) الآية ، قال الزمخشري^(٣) : العطف الأول كقوله : ﴿ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ ، في أنهما جنسان مختلفان ، إذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسط العاطف بينهما ، وأما العطف الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع ؛ فكان معناه : أن الجامعين والجامعات لهذه الصفات^(٤) أعداء لهم مغفرة . انتهى .

وقال بعضهم : الصفات المتعاطفة إن علم أن موصوفها واحد من كل وجه ، كقوله : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾^(٥) ، فإن الموصوف « الله » ، وإما في النوع كقوله : ﴿ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾^(٦) فإن الموصوف الأزواج ، وقوله : ﴿ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾^(٧) ؛ فإن الموصوف النوع الجامع للصفات المتقدمة . وإن لم يعلم أن موصوفها واحد من جهة وضع اللفظ . فإن دل دليل على أنه من عطف الصفات اتبع كمنه الآية ، فإن هذه الأعداد لمن جمع الطاعات العشر ، لا لمن انفرد بواحدة منها ؛ إذ الإسلام والإيمان كل منهما شرطه في الآخر ، وكلاهما شرط في حصول الأجر على البواقي ، ومن كان مسلما مؤمنا فله أجره ، ولكن ليس هذا الأجر العظيم الذي أعده الله في هذه الآية

(٢) سورة الأجزاء ٣٥

(٤) الكشاف : « لهذه الطاعات » .

(٦) سورة التحريم .

(١) سورة غافر ٣

(٣) الكشاف ٣ : ٤٢٦

(٥) سورة غافر ٣

(٧) سورة التوبة ١١٢

الكريمة، وقرآن به إعداد المغفرة زائداً على المغفرة؛ فلخصوص هذه الآية جعل الزمخشري ذلك من عطف الصفات، والموصوف واحد؛ فلو لم يكن كذلك واحتمل تقدير موصوف مع كل صفة وعدمه حمله على التقدير؛ فإن ظاهر العطف التغاير. ولا يقال: الأصل عدم التقدير؛ لأن الظاهر يقدم على رعاية ذلك الأصل.

ومثاله قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ . . . ﴾^(١) الآية، ولو كان من عطف الصفات لم يستحق الصدقة إلا من جميع الصفات الثمان، ولذلك إذا وقف على الفقهاء والنحاة والفقراء استحق من فيه إحدى الصفات.

تم بمون الله وجميل توفيقه الجزء الثالث من كتاب البرهان في علوم القرآن

للإمام بدر الدين الزركشي

وبليه الجزء الرابع وأوله: مقابلة الجمع بالجمع؛ وهو أحد أساليب القرآن المندرجة تحت

النوع السادس والأربعين

(١) سورة التوبة ٦٠

فهرس الموضوعات

صفحة	
٣	القسم الحادى عشر (*) : المثنى وإرادة الواحد
٦	القسم الثانى عشر : إطلاق الجمع وإرادة الواحد
٨	القسم الثالث عشر : إطلاق لفظ التثنية والمراد الجمع
٨	القسم الرابع عشر : التكرار على وجه التأكيد
١١	فوائد التكرير
٢٣	صنيتهم عند استئقال تكرير اللفظ
٣٤	القسم الخامس عشر : الزيادة فى بنية الكلمة
٣٦	القسم السادس عشر : التفسير
٣٨	الجملة التفسيرية
٢٨	القسم السابع عشر : خروج اللفظ مخرج الغالب
٤٠	القسم الثامن عشر : القسم
٤٧	القسم التاسع عشر : إبراز الكلام فى صورة المستحيل ليدل على بقية الجملة
٤٨	القسم الموفى العشرين : الاستثناء والاستدراك
٥١	القسم الحادى والعشرون : المبالغة
٥٥	الاختلاف فى تقدير المبالغة فى الكلام

(*) تابع أقسام التوكيد ، وهو الأسلوب الأول من أساليب القرآن المدرجة تحت النوع السادس والأربعين ، وأوله فى الجزء الثانى ص ٢٨٢

صفحة	
٥٦	القسم الثاني والعشرون : الاعتراض
٦٤	حكم الاعتراض بين واو العطف وما دخلت عليه
٦٤	القسم الثالث والعشرون : الاحتراس
٦٨	القسم الرابع والعشرون : التذييل
٧٠	القسم الخامس والعشرون : التعميم
٧٠	القسم السادس والعشرون : الزيادة
٧٥	حروف الزيادة
٧٥	زيادة « إن »
٧٦	زيادة « أن »
٧٦	زيادة « ما »
٧٨	زيادة « لا »
٨٢	زيادة « من »
٨٣	زيادة « الباء »
٨٥	زيادة « اللام »
٩٠	القسم السابع والعشرون : الاشتغال
٩١	القسم الثامن والعشرون : التعليل

الأسلوب الثاني

الحذف

١٠٣	فصل في أن الحذف نوع من أنواع المجاز على المشهور
١٠٤	فصل في أن الحذف خلاف الأصل

أوجه الكلام على الحذف

صفحة	
١٠٤	الوجه الأول : في فوائده
١٠٤	الوجه الثاني : في أسبابه
١٠٨	الوجه الثالث : في أدلته
١١١	الوجه الرابع : في شروطه
	الوجه الخامس : في أقسامه :
١١٧	١ - الاقتطاع
١١٨	٢ - الاكتفاء
١٢٣	٣ - الضمير والتمثيل
١٢٤	٤ - الاستدلال بالفعل لشيئين ، وهو في الحقيقة لأحدهما
١٢٦	٥ - أن يقتضى الكلام شيئين وهو في الحقيقة لأحدهما
١٢٦	٦ - أن يذكر شيئين يعود الضمير على أحدهما دون الآخر
١٢٩	٧ - الحذف المقابلي
١٣٤	٨ - الاختزال

حذف الاسم

١٣٥	حذف المبتدأ
١٣٩	حذف الخبر
١٤٣	حذف الفاعل
١٤٦	حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه
١٥٢	حذف المضاف إليه
١٥٢	حذف المضاف والمضاف إليه
١٥٣	حذف الجار والمجرور

صفحة

١٥٤

حذف الموصوف

١٥٥

حذف الصفة

١٥٦

حذف المعطوف

١٥٧

حذف المعطوف عليه

١٥٨

حذف المبدل منه

١٥٨

حذف الموصول

١٥٩

حذف المخصوص في باب نعم إذا علم من سياق الكلام

١٦٠

حذف الضمير المنصوب المتصل

١٧٠

حذف المفعول

١٧٩

حذف الحال

١٨٠

حذف المنادى

١٨٠

حذف الشرط

١٨١

حذف جواب الشرط

١٨٣

حذف الأجوبة

١٩٢

حذف جواب القسم

١٩٤

حذف الجملة

١٩٦

حذف القول

حذف الفعل

١٩٨

الخاص

١٩٩

العام

٢٠٩

حذف الحرف

٢١٥

فائدة ، في حذف الجار ثم إيبصال الفعل إلى المجرور

منحة

٢١٦

فصل فيما حذف في آية وأثبت في أخرى

٢٢٠

الإيجاز

القول في التقديم والتأخير

٢٣٣

الفصل الأول : أسبابه

٢٣٨

الفصل الثاني : أنواعه

النوع الأول ما قدم والمعنى عليه

(وهو أقسام)

٢٣٩

١ - التقديم بالسبق

٢٤٦

٢ - بالذات

٢٤٧

٣ - بالعلة والسبب

٢٤٩

٤ - بالمرتبة

٢٥١

٥ - بالداعية

٢٥١

٦ - التعميم

٢٥٢

٧ - الشرف

٢٦٢

٨ - الغلبة والكثرة

٢٦٢

٩ - سبق ما يقتضى تقديمه

٢٦٣

١٠ - مراعاة اشتقاق اللفظ

٢٦٥

١١ - الحث عليه خيفة من التهاون به

٢٦٥

١٢ - لتحقق ما بعده واستغنائه عنه في تصويره

٢٦٦

١٣ - الاهتمام عند المخاطب

٢٦٧

١٤ - للتنبيه على أنه مطلق لا مقيد

صفحة	
٢٦٨	١٥ - للتنبية على أن السبب مرتب
٢٦٨	١٦ - التنقل
٢٧٠	١٧ - الترقى
٢٧١	١٨ - مراعاة الأفراد
٢٧٢	١٩ - التحذير منه والتنفير عنه
٢٧٢	٢٠ - التخويف
٢٧٣	٢١ - التعجيب من شأنه
٢٧٣	٢٢ - كونه أدل على القدرة
٢٧٣	٢٣ - قصد الترتيب
٢٧٤	٢٤ - خفة اللفظ
٢٧٤	٢٥ - رعاية الفواصل

النوع الثاني

٢٧٥

مما قدم والنية به التأخير

النوع الثالث

٢٨٤

ما قدم في آية وآخر في أخرى

أسلوب القلب

٢٨٨

قلب الإسناد

٢٩٢

قلب المعطوف

٢٩٢

العكس

٢٩٣

المستوى

٢٩٤

مقلوب البعض

صفحة	
٢٩٤	المدرج
٢٩٦	الترقي
٢٩٧	الاقتصاص
٢٩٩	الإلغاز
٣٠٠	الاستطراد
٣٠١	الترديد

التغليب وهو أنواع :

٣٠٢	: تغليب المذكر	الأول
٣٠٣	: تغليب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب	الثاني
٣٠٥	: تغليب العاقل على غيره	الثالث
٣٠٨	: تغليب المتصف بالشيء على ما لم يتصف به	الرابع
٣٠٩	: تغليب الأكثر على الأقل	الخامس
	: تغليب الجنس الكثير الأفراد على فرد من غير هذا الجنس	السادس
٣١٠	مغمور فيما بينهم ، بأن يطلق اسم الجنس على الجميع	
٣١١	: تغليب الموجود على ما لم يوجد	السابع
٣١١	: تغليب الإسلام	الثامن
٣١١	: تغليب ما وقع بوجه مخصوص على ما وقع بغير هذا الوجه	التاسع
٣١٢	: تغليب الأشهر	العاشر

الالتفات

(وفيه مباحث)

٣١٤	البحث الأول في حقيقته
٣١٤	البحث الثاني في أقسامه :
٣١٥	الأول : من التكلم إلى الخطاب
٣١٦	الثاني : من التكلم إلى الغيبة
٣١٧	الثالث : من الخطاب إلى التكلم
٣١٨	الرابع : من الخطاب إلى الغيبة
٣١٩	الخامس : من الغيبة إلى التكلم
٣٢٢	السادس : من الغيبة إلى الخطاب
٣٢٥	السابع : بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله .
٣٢٥	البحث الثالث في أسبابه
٣٣١	البحث الرابع في شرطه
٣٣٣	البحث الخامس في أنه يقرب من الالتفات نقل الكلام إلى غيره
٣٣٨	التضمن
	وضع الخبر موضع الطلب
٣٤٧	في الأمر والنهي
٣٥٠	وضع الطلب موضع الخبر
٣٥٣	وضع النداء موضع التعجب
٣٥٥	وضع جمع القلة موضع الكثرة
٣٥٩	تذكير المؤنث
٣٦٥	تأنيث المذكر

٣٧٢	التعمير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه
٣٧٧	مشاكلة اللفظ للفظ
٣٧٨	مشاكلة اللفظ للمعنى
٣٨٧	النحت
٣٨٨	الإبدال
٣٩١	المحاذاة
٣٩٣	قواعد في النفي
٣٩٥	نفي الشيء رأساً
٤٠٩	إخراج الكلام مخرج الشك في اللفظ دون الحقيقة لضرب من المسامحة
٤١١	وحسم العناد
٤١٢	الإعراض عن صريح الحكم
٤١٣	الهدم
	التوسع

التشبيه

(وفيه مباحث)

٤١٤	: في تعريفه	الأول
٤١٥	: في الغرض منه	الثاني
٤١٥	: في أنه حقيقة أو مجاز	الثالث
٤١٦	: في أدواته	الرابع
٤١٦	: في أقسامه	الخامس
٤٢٣	ينتظم قواعد تتعلق بالتشبيه	السادس

صفحة

الاستعارة

(وفيها مباحث)

٤٣٢	: هي « استفعال » من العارية	الأول
٤٣٤	: في أنها قسم من أقسام المجاز	الثاني
	: لا بد فيها من ثلاثة أصول : مستعار ، ومستعار منه ، ومستعار له	الثالث
٤٣٥		
٤٣٨	: تنقسم إلى مرشحة وتجريدية	الرابع
٤٤٠	: هي فرع التشبيه وأنواعها كأنواعه	الخامس
٤٤٥		التورية
٤٤٦		الفرق بين التورية والاستخدام
٤٤٨		التجريد
٤٥٠		التجنيس
٤٥٥		الطباق

المقابلة

(وفيها مباحث)

٤٥٨		حقيقتها
٤٥٨		أنواعها

أقسامها

٤٦٠	: أن يأتي بكل واحد من المقدمات مع قرينة من القوافي	أحدها
٤٦١	: أن يأتي بجميع الثواني مرتبة من أولها	ثانيها
	: أن يأتي بجميع المقدمات ثم بجميع الثواني مرتبة من آخرها	ثالثها

- ٤٦١ رابعها : أن يأتي بجميع المقدمات ثم بجميع الشوائب مختلطة غير مرتبة
- ٤٦٢ مقابلة الشيء بمثله
- ٤٦٤ تقسيم
- ٤٦٥ فائدة ، قد يجيء نظم الكلام على غير صورة المقابلة في الظاهر
- ٤٦٧ رد العجز على الصدر
- ٤٦٧ العكس
- ٤٦٨ إجماع الخصم بالحجة
- ٤٧١ التقسيم
- ٤٧٥ التعديد

